تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن

تأليف الشيخ العلامة

محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي

المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة

إشراف ومراجعة

الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي

خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي

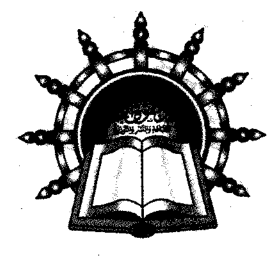
مكة المكرمة

المجلد السابع عشر

دار طوق النجاة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



دار طوق النجاة

بيروت - لبنان

تفسير
حدائق الروح والريحان
في
روابي علوم القرآن


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الموفق سبيل الرشاد، من أرادَ به خيراً من العباد، والصلاة والسلام على من جمع علوم الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإني لما فرغت من تفسير الجزء الخامس عشر من القرآن بعون الله وتيسيره.. أردفته بتفسير الجزء السادس عشر منه، راجياً منه سبحانه الإعانة والتوفيق، لما هو المعنى عنده، وأن يكون ذخيرة لي عنده، ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وأقول وقولي هذا:

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

المناسبة

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ...﴾ الآيات، لا يزال الكلام متصلاً في قصص موسى والخضر عليهما السلام، ولكن لوحظ في تقسيم القرآن إلى أجزائه الثلاثين جانب اللفظ، لا جانب المعنى، ولذا تجد نهاية جزء، وبداية آخر، حيث لا يزال الكلام في معنى واحد لم يتم بعد كما هنا.

قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر[١] الأمور التي رآها موسى عليه السلام، حين صاحب الخضر وذكر ما كان من اعتراض موسى عليه، مرة بعد أخرى، وقد كان أعلمه من قبل أنه لا يستطيع معه صبراً، وكان من جراء ذلك أنه فارقه، ولم يستطع صحبته.. أردف ذلك بتفسير ما أشكل عليه أمره، مما ينكر ظاهره، وقد أظهر الله تعالى الخضر على حكمة باطنة، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، يحكمون بناء على الظواهر، كما قال النبي ﷺ: «نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرائر».

وأحكام هذا العالِم مبنية على الأسباب الحقيقية الواقعة في نفس الأمر، وهذه لا يُطلع الله عليها إلا بعض خواص عباده، ومن ثم اعترض موسى على ما رأى، ولم يعلم ما آتاه الله تعالى الخضر من قوة عقلية، قدر بها أن يشرف على بواطن الأمور، ويطّلع على حقائق الأشياء فكانت مرتبة موسى في معرفة الشرائع والأحكام بناءً على الظواهر ومرتبة هذا العالم الوقوف على بواطن الأمور وحقائق الأشياء والإطلاع على أسرارها الكامنة.

التفسير وأوجه القراءة

﴿قَالَ﴾ الخضر ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ يا موسى ـ والهمزة[٢] فيه للاستفهام التقريري،

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

المضمَّن للتوبيخ لموسى على ترك الوصية، زاد هنا كلمة (لك) على سابقه، لتشديد العتاب على رفض الوصية لأنه قد نقض العهد مرتين ـ: إنك لن تستطيع معي صبراً، ووسمه بقلة الصبر والثبات حين تكرر منه الاشمئزاز والاستكبار، مع عدم الارعواء بالتذكير أول مرة، قال البغوي: روي أن يوشع كان يقول لموسى: اذكر العهد الذي أنت عليه، وفي البخاري قال: «يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما» ﴿قَالَ﴾ موسى للخضر ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي بعد[1] هذه المرة أو بعد هذه النفس المقتولة فلا تصاحبني ولا ترافقني أي لا تجعلني صاحباً لك ولا تكن مرافقاً معي، بل أبعدني عنك وإن سألتُ صحبتك، نهاه عن مصاحبته مع حرصه على التعلم لظهور عذره، ولذا قال: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾؛ أي: قد وجدت[2] عذراً من قبلي حين خالفتك مرة بعد أخرى، أو[3] قد بلغت الغاية التي تُعذر بسببها في فراقي، إذ خالفتك مرة بعد أخرى، وهذا كلام نادم أشد الندم، قد اضطره الحال إلى الاعتراف، وسلوك سبيل الإنصاف، وفي «البحر» ومعنى: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾؛ أي: قد اعتذرت إليَّ وبلغت إليَّ العذر. انتهى.

والعذر[4]: بضمتين وبسكون الذال في الأصل تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه، بأن يقول: لم أفعل أو فعلت لأجل كذا، أو فعلت فلا أعود، وهذا الثالث التوبة، فكل توبة عذر بلا عكس، والاعتذار عبارة عن محو أثر الذنب، وأصله القطع، يقال: اعتذرت إليه؛ أي: قطعت ما في قلبه من الموجدة.

وقرأ الجمهور[5]: ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾ من باب المفاعلة، وقرأ عيسى ويعقوب: ﴿فلا تصحبني﴾ مضارع صحب، وقرأ عيسى أيضاً: ﴿فلا تصحبني﴾ بضم التاء وكسر الحاء مضارع أصحب.

ورواها سهل عن أبي عمرو؛ أي: فلا تصحبني علمك، وقدره بعضهم:

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.
(٤) روح البيان.
(٥) البحر المحيط.

فلا تصحبني إياك، وبعضهم نفسك، وقرأ الأعرج بفتح التاء والباء وتشديد النون، وقرأ الجمهور: ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ بإدغام نون لدن في نون الوقاية، التي اتصلت بياء المتكلم، وقرأ نافع وعاصم بتخفيف النون، وهي نون لدن، اتصلت بياء المتكلم، وهو القياس، لأن أصل الأسماء إذا أضيفت إلى ياء المتكلم.. لم تلحق بها نون الوقاية، نحو: غلامي وفرسي، وأشمَّ شعبة الضم في الدال.

ورُوي عن عاصم سكون الدال، قال ابن مجاهد: وهو غلط، وكأنه يعني من جهة الرواية.

وأما من جهة اللغة: فليست بغلط، لأن من لغاتها (لَدْ) بفتح اللام وسكون الدال.

وقرأ عيسى: ﴿عذراً﴾ بضم الذال، ورويت عن أبي عمرو وعن أبيّ ﴿عذري﴾ بكسر الراء مضافاً إلى ياء المتكلم.

﴿فَانطَلَقَا﴾؛ أي: انطلق الخضر وموسى عليهما السلام، بعد المرتين الأوليين، بعد ما شرطا ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ﴾ ووصلا ﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ بعد[1] الغروب في ليلة باردة، وهي أنطاكية، بفتح الهمزة وكسرها وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة، قاعدة العواصم، وهي ذات أعين وسور عظيم من صخر داخله خمسة أجبل، دورها إثنا عشر ميلاً، كما في «القاموس» وقيل: برقة، وقيل: قرية من قرى أذربيجان، وقيل: قرية من قرى الروم ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾؛ أي: طلبا من أهلها أن يطعموهما ضيافة، قيل: لم يسألاهم، ولكن نزولهما عندهم كالسؤال منهم، ووضع[2] الظاهر موضع المضمر، لزيادة التأكيد، أو لكراهة اجتماع الضميرين في هذه الكلمة، لما فيه من الكلفة، أو لزيادة التشنيع على أهل القرية، بإظهارهم، فقوله: ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ جواب إذا، أو صفة لقرية كما سيأتي، وفي الأسئلة المقحمة[3] استطعم موسى هٰهنا فلم يطعم، وحين سقى

---

(١) المراح.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

لبنات شعيب ما استطعم وقد أُطعم، حيث قال: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ والجواب هٰهنا: إن الحرمان كان بسبب المعارضة، بحيث لم يكشف بعلم الله بحاله، بل جنح إلى الاعتماد على مخلوق، فأراد السكوت بحادث مسبوق، وهناك جرى على توكله ولم يُدخل وساطة عن المخلوقين بينه وبين ربه، بل حط الرحل ببابه ﴿فَأَبَوْا﴾؛ أي: فامتنعوا؛ أي: أبى أهل القرية ﴿أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾؛ أي: أبوا من تضييفهما وتطعيمهما، وفي قوله: ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ دون أن يقول: فأبوا أن يطعموهما، زيادة تشنيع عليهم، ووصفهم بالدناءة والشح، فإن الكريم قد يردّ السائل المستطعم ولا يعاب، ولكن لا يرد الغريب المستضيف إلا لئيم، ألا تراهم يقولون في أهاجيهم: فلان يطرد الضيف؟ وعن قتادة: شر القرى التي لا يضاف فيها، ولا يُعرف لابن السبيل حقه.

وقرأ ابن الزبير والحسن وأبو رجاء وأبو رزين وابن محيصن وعاصم في رواية المفضل وأبان: بكسر الضاد وإسكان الياء من أضاف، كما تقول: ميَّل وأمال، ذكره في «البحر».

﴿فَوَجَدَا﴾؛ أي: فوجد الخضر وموسى عليهما السلام ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في تلك القرية ﴿جِدَارًا﴾؛ أي: حائطاً مائلاً ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾؛ أي: يقرب أن يسقط فمسحه بيده ﴿فَأَقَامَهُ﴾؛ أي: أقام الخضر الجدار بالإشارة بيده فاستقام، أو هدمه ثم بناه، وعن ابن عباس: دفعه بيده فاستقام، وهذا أليق بحال الأنبياء، وكان ارتفاع الجدار مئة ذراع، وعرضه خمسون ذراعاً، وامتداده على وجه الأرض خمس مئة ذراع، والمعنى: فوجدا في القرية حائطاً مائلاً، مشرفاً على السقوط، فمسحه بيده، فقام واستوى وكان ذلك من معجزاته ﴿قَالَ﴾ له موسى لضرورة الحاجة إلى الطعام ﴿لَوْ شِئْتَ﴾ يا خضر أخذ الأجرة ﴿لَتَّخَذْتَ﴾؛ أي: لأخذت ﴿عَلَيْهِ﴾؛ أي: على عملك هذا ﴿أَجْرًا﴾؛ أي: أجرة حتى تشتري بها طعاماً؛ أي: كان[1] ينبغي لك أن تأخذ منهم جعلاً على عملك، لتقصيرهم فينا

---

(١) المراح.

مع حاجتنا، وليس لنا في إصلاح الجدار فائدة، فهو من فضول العمل.

قال بعضهم[1]: لما قال له: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾.. قال الخضر: أليس كنت في البحر ولم تغرق بغير سفينة، ولما قال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾.. قال أليس قتلت القبطي بغير ذنب، ولما قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قال: أنسيت سقياك لبنات شعيب من غير أجرة، وهذا من باب لطائف المحاورات.

قال بعضهم[2]: إن قلت: كيف جوز موسى طلب الأجر بمقابلة العمل الذي حصل بمجرد الإشارة، وهو من طريق خرق العادة الذي لا مؤنة فيه؟

قلت: لم ينظر إلى جانب الأسباب، وإنما نظر إلى النفع العائد إلى جانب أصحاب الجدار، ألا ترى أنه جوز أخذ الأجرة بمقابلة الرقية بسورة الفاتحة ونحوها، وهو ليس من قبيل طلب الأجر على الدعوة، فإنه لا يجوز للنبي أن يطلب أجراً من قومه على دعوته وإرشاده، كما أشير إليه في مواضع كثيرة من القرآن.

والمعنى[3]: أي قال موسى ذلك تحريضاً للخضر، وحثاً له على أخذ الجعل ـ الأجر ـ على فعله، لإنفاقه في ثمن الطعام والشراب وسائر مهام المعيشة.

وقرأ الجمهور[4]: ﴿يَنقَضَّ﴾، أي: يسقط، من انقضاض الطائر، ووزنه انفعل، نحو انجر، قال صاحب «اللوامح»: من القضة وهي الحصى الصغار، ومنه طعام قضض، إذا كان فيه حصى، فعلى هذا يريد أن ينقض؛ أي: يتفتت فيصير حصاة. انتهى. وقيل: وزنه افعل كاحمر، وقرأ أبي ﴿أَنْ يُنْقَضَ﴾ بضم الياء وفتح القاف والضاد، مبنياً للمفعول من نقضته، وهي مروية عن النبي ﷺ.

وفي حرف عبد الله وقراءة الأعمش ﴿يريد لينقض﴾ كذلك، إلا أنه منصوب

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.
(٤) البحر المحيط.

بأن المقدرة بعد اللام، وقرأ علي، وعكرمة، وأبو شيخ خيوان بن خالد الهنائي، وخليد بن سعد، ويحيى بن يعمر: ﴿ينقاص﴾ بالصاد غير معجمة مع الألف، ووزنه ينفعل اللازم، من قاص يقيص، إذا كسرته.. تقول: قصصته فانقاص، وقرأ الزهري ﴿ينقاض﴾ بألف وضاد معجمة، وهو من قولهم: قضته ـ بضاد معجمة ـ فانقاض؛ أي: هدمته فانهدم، قال أبو علي: والمشهور عن الزهري بصاد غير معجمة. انتهى.

وعبارة ابن الجوزي هنا: وقرأ أبيٌّ بن كعب وأبو رجاء: ﴿ينقاض﴾ بألف وضاد معجمة، وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عثمان النهدي ﴿ينقآص﴾ بألف ومدة وصاد غير معجمة، وكله بلا تشديد، قال الزجاج: فمعنى ينقض يسقط بسرعة، وينقاص غير معجمة ينشق طولاً، يقال: انقاصت سنه، إذا انشقت قال ابن مقسم: انقاصت سنه وانقاضت بالصاد والضاد على معنى واحد. انتهى.

وقوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قرأ[1] ابن كثير وأبو عمرو ﴿لتخذت﴾ بكسر الخاء، غير أن أبا عمرو كان يدغم الذال، وابن كثير يظهرها.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿لاتخذت﴾ وكلهم أدغموا إلا حفصاً عن عاصم فإنه لم يدغ،م مثل ابن كثير.

قال الزجاج: يقال: تخذ يتخذ، في معنى اتخذ يتخذ، نحو تبع واتبع، افتعل من تخذ، وأدغم التاء في التاء.

﴿قَالَ﴾ الخضر لموسى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾؛ أي: هذا الوقت وقت الفراق بيننا، أو هذا الاعتراض الثالث منك سبب الفراق الموعود بقوله ﴿فلا تصاحبني﴾، أو هذا[2] الاعتراض المتوالي منك، هو سبب الفراق بيني وبينك، بحسب ما شرطت على نفسك، وإنما كان هذا الأخير سبب الفراق دون الأولين لأن ظاهرهما منكر، فكان موسى فيهما معذوراً دون هذا، إذ لا ينكر الإحسان إلى المسيء بل يحمد، وإضافة الفراق إلى البين من إضافة المصدر إلى الظرف

---

(١) زاد المسير.

(٢) المراغي.

اتساعاً؛ أي: هذا الكلام والإنكار منك على ترك الأجر، هو المفرق بيننا، وتكريره[1] بيني وبينك وعدوله عن بيننا، لمعنى التأكيد، وقرأ ابن أبي عبلة ﴿فراق بيني وبينك﴾ بالتنوين والجمهور على الإضافة.

﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾؛ أي: سأخبرك، السين للتأكيد لعدم تراخي التنبئة، وقرأ ابن وثاب: ﴿سأنبيك﴾ بإخلاص الياء من غير همز ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾؛ أي: بعاقبة ومآل ما لم تقدر يا موسى صبراً عليه من الأفعال الثلاثة التي صدرت مني وهي خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، ومألها خلاص السفينة من اليد الغاصبة، وخلاص أبوي الغلام من شره، مع الفوز ببدل حسن، واستخراج اليتيمين للكنز.

وفي قوله[2]: ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ دون أن يقول بتأويل ما فعلت، أو بتأويل ما رأيت ونحوهما، تعريض به عليه السلام وعتاب له.

قال بعضهم[3]: ومن هذا أخذ قول بعض الكبار: من قال لأستاذه: لِمَ.. لم يفلح، والتأويل رجع الشيء إلى مآله، والمراد به هٰهنا المآل والعاقبة، إذ هو المنبأ به دون التأويل ثم شرع في البيان له.

فقال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ التي خرقتها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ أعني لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة، وكانوا عشرة إخوة، خمسة منهم زمنى ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بها أي يكتسبون بها ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ مؤاجرة، فإسناد العمل إلى الكل بطريق التغليب أو لأن عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين.

﴿فَأَرَدتُّ﴾ بحكم الله وإرادته ﴿أَنْ أَعِيبَهَا﴾؛ أي: أن أجعلها ذات عيب بالخرق ﴿وَ﴾ الحال أنه كان ورائهم؛ أي: أمامهم كقوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ فوراء من الأضداد ﴿مَّلِكٌ﴾ كافر اسمه جلندي بن كركر، ملك غسان وقيل: اسمه هدد بن بدد، كان بجزيرة الأندلس ببلدة قرطبة، وأول فساد ظهر في البحر كان

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

ظلمه على ما ذكره أبو الليث، وأول فساد ظاهر في البر قتل قابيل هابيل على ما ذكره أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ الآية، ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صحيحة جيدة، وهو من قبيل إيجاز الحذف ﴿غَصْبًا﴾ من أصحابها وانتصابه على أنه مصدر مبين لنوع الأخذ، أو على الحالية، بمعنى غاصباً، والغصب أخذ الشيء ظلماً وقهراً، ويسمى المغصوب غصباً، والمعنى؛ أي[1]: أما فعلي ما فعلت بالسفينة، فلأنها كانت لقوم ضعفاء، لا يقدرون على دفع الظلمة، وكانوا يؤاجرونها ويكتسبون قوتهم منها، فأردت أن أعيبها بالخرق الذي خرقته، وكان قدامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة للاستعمال غصباً، ويدع كل معيبة، فعبتها لأرده عنها، وخلاصة ذلك: أن السفينة كانت لقوم مساكين عجزة، يكتسبون بها، فأردت بما فعلت إعانتهم على ما يخافون ويعجزون عن دفعه، من غصب ملك قدامهم، من عادته غصب السفن الصالحة؛ أي: إنما خرقتها لأن الملك إذا رآها منخرقة.. تركها ورقعها أهلها فانتفعوا بها.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿مساكين﴾ بتخفيف السين جمع مسكين، وقرأ علي ـ كرم الله وجهه ـ بتشديد السين، جمع مسَّاك جمع تصحيح، فقيل: المعنى ملاحين، والمساك الذي يمسك رجل السفينة، وكل منهم يصلح لذلك، وقرأ الجمهور: ﴿وَرَآءَهُم﴾ وهو لفظ يطلق على الخلف وعلى الأمام، ومعناه أمامهم في المكان، لأنهم كانوا يسيرون إلى بلده، وقرأ[3] أبي بن كعب وابن مسعود ﴿وكان أمامهم ملك﴾.

قال الزمخشري: فإن قلت قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مسبب عن خوف الغصب عليها، فكان حقه أن يتأخر عن السبب، فلِمَ قدَّم عليه؟.

قلتُ: النية به التأخير وإنما قدم للعناية، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده، ولكن مع كونها لمساكين، فكان بمنزلة قولك: زيد ظني مقيم.

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) زاد المسير.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ الذي قتلته، وهو جيسور، وكان كافراً. . ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ﴾ من عظماء تلك القرية، اسم أبيه كازبرا، واسم أمه سهوى، كما في «التعريف» ﴿مُؤْمِنَيْنِ﴾؛ أي: مقرين بتوحيد الله تعالى ﴿فَخَشِينَآ﴾؛ أي: خفنا من ﴿أَن يُرْهِقَهُمَا﴾؛ أي: يكلفهما ﴿طُغْيَٰنًا﴾؛ أي: ضلالةً ﴿وَكُفْرًا﴾؛ أي: إشراكاً بالله ويتبعان له لمحبتهما إياه، فيكفران بعد الإيمان، ويضلان بعد الهداية، وإنما خشي الخضر من ذلك لأن الله تعالى أعلمه بحال الولد، أنه طُبع؛ أي: خلق كافراً ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾؛ أي: أن يبدل الأبوين، ويعوضهما ويرزقهما ولداً ﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾؛ أي: من المقتول ﴿زَكَوٰةً﴾؛ أي: ديناً وصلاحاً وطهارةً من الذنوب والأخلاق الرديئة ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رُحْمًا﴾؛ أي: رحمةً وبراً بوالديه.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أبدلهما الله تعالى جارية، تزوجها نبي من الأنبياء فولدت سبعين نبياً.

قال مطرف: فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي. . لكان فيه هلاكهما، فليرض المرء بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن خير له من قضائه فيما يحب.

وفي الحديث «لا يقضي الله لمؤمن قضاء إلا كان خيراً له» وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

وخلاصة ذلك: أنا قد علمنا أنه لو أدرك وبلغ. . لدعا أبويه إلى الكفر فأجاباه ودخلا معه في دينه لفرط حبهما له، وإنما قال أولاً فأردت، وثانياً فأردنا، وثالثاً فأراد ربك، لأن العرب تؤثر اختلاف الكلام على اتفاقه، مع تساوي المعاني، لأنه أعذب على الألسن، وأحسن موقعاً في الأسماع، ذكره في «زاد المسير» وقرأ ابن عباس[1]: ﴿وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين﴾ وقرأ أبو سعيد الخدري والجحدري ﴿فكان أبواه مؤمنان﴾ فخرجه الزمخشري، وابن عطية، وأبو الفضل الرازي، على أن في ﴿كان﴾ ضمير الشأن والجملة في

---

(١) البحر المحيط.

موضع نصب خبر لكان، وأجاز أبو الفضل أن يكون مؤمناً خبراً لكان، على لغة بني الحرث بن كعب، فيكون منصوباً. وفي قراءة أُبيٍّ ﴿فخاف ربك أن يرهقهما﴾ والمعنى: فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيَّره، والظاهر إسناد فعل الخشية في خشينا إلى ضمير الخضر وأصحابه الصالحين، الذين أهمهم الأمر وتكلموا، وقرأ[1] نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وشيبة، وحميد، والأعمش، وابن جرير ﴿أن يبدلهما﴾ بالتشديد هنا، وبالتحريم والقلم، وقرأ باقي السبعة والحسن وابن محيصن ﴿أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ بالتخفيف.

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾؛ أي: أوصل للرحم، وأبر للوالدين، والرحم والرحمة: العطف، مصدران كالكثر والكثرة، وقال رؤبة بن الحجاج:

يَا مُنْزِلَ ٱلرَّحْمِ عَلَىٰ إِدْرِيسَا ... وَمُنْزِلَ ٱللَّعْنِ عَلَىٰ إِبْلِيسَا

وأفعل التفضيل هنا ليس على بابه، لأن ذلك الغلام لا زكاة فيه ولا رحمة، وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر في رواية، ويعقوب، وأبو حاتم ﴿رُحُماً﴾ بضم الحاء، وقرأ ابن عباس ﴿رحماً﴾ بفتح الراء وكسر الحاء، ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ الذي سويته وأصلحته ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ اسمهما[2] أصرم وصريم ابنا كاشح، وكان سياحاً تقياً، واسم أمهما دنيا، فيما ذكره النقاش كائنين ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهي القرية المذكورة سابقاً، وهي أنطاكية، وفيه[3] جواز إطلاق اسم المدينة على القرية لغة وعبر عنها بالقرية فيما تقدم تحقيراً لها، لخسة أهلها، وعبر عنها هنا بالمدينة تعظيماً لها، من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما اهـ شيخنا ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ﴾؛ أي: تحت ذلك الجدار ﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾؛ أي: مال مدفون لهما، من ذهب وفضة ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا﴾ أي: أبو الغلامين ﴿صَٰلِحًا﴾ كان الناس يضعون الودائع عند ذلك الصالح، فيردها إليهم سالمة، فحفظا بصلاح أبيهما في مالهما وأنفسهما، قال جعفر بن محمد: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء، فيكون الذي دفن ذلك الكنز جدهما السابع ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ يا موسى بالأمر بتسوية

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

الجدار؛ أي: مالكك ومدبر أمرك، وأضاف الرب إلى ضمير موسى تشريفاً له.

﴿أَن يَبْلُغَآ﴾؛ أي: أن يبلغ الغلامان ﴿أَشُدَّهُمَا﴾؛ أي: حلمهما وكمال رأيهما، وتمام نموهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ من ذلك الموضع الذي عليه الجدار، ولولا أني أقمته لانقضّ وخرج الكنز من تحته، قبل اقتدارهما على حفظ المال، وتنميته وضاع بالكلية ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ لهما مصدر في موقع الحال؛ أي: مرحومين من قبله تعالى، أو علة لإرادة، فإن إرادة الخير رحمة، أو مصدر لمحذوف؛ أي: رحمهما الله سبحانه بذلك رحمة ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾؛ أي: وما فعلت ما رأيته يا موسى من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِي﴾؛ أي: عن رأيي واجتهادي، وإنما فعلته بأمر الله، ووحيه، وهذا إيضاح لما أشكل على موسى، وتمهيد للعذر في فعله المنكر ظاهراً، والمعنى؛ أي: وما فعلت الذي رأيتني أفعله، عن رأيي ومن تلقاء نفسي، بل فعلته عن أمر الله إياي به، لأن الإقدام على تنقيص أموال الناس، وإراقة دمائهم، لا يجوز إلا بالوحي والنص القاطع.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من تلك البيانات التي بينتها لك، وأوضحت وجوهها لك، ﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾؛ أي: مآل وعاقبة الأمر الذي لم تطق ولم تقدر الصبر والسكوت عليه، لكون ظاهره من المنكر؛ أي: لم تستطع الصبر عليه، فحذف[١] التاء للتخفيف، فإن استطاع واسطاع بمعنى واحد، وهو إنجاز للتنبئة الموعودة.

وخلاصة المسائل الثلاثة[٢]: أنه حين يتعارض ضرران، يجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى، فلو لم يعب تلك السفينة بالتخريق لغصبها الملك، وفاتت منافعها بتاتاً، ولو لم يقتل ذلك الغلام لكان بقاؤه مفسدة لوالديه في دينهم ودنياهم، ولأن المشقة الحاصلة بإقامة الجدار أقل ضرراً من سقوطه، إذ بالسقوط كان يضيع مال أولئك الأيتام.

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

ومجمل الأمر في ذلك: أن الله أطلع الخضر على بواطن الأشياء وحقائقها في أنفسها، وهذا لا يمكن تعلمه إلا بتصفية الباطن، وتجريد النفس، وتطهير القلب عن العلائق الجسمية، ومن ثم قال في صفة علمه ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وموسى عليه السلام لما كملت مرتبته في علم الشريعة.. بعثه الله إلى هذا العالِم ليعلمه أن كمال المعرفة في أن ينتقل الإنسان من علوم الشريعة المبنية على الظواهر، إلى علوم الباطن المبنية على الإشراف على معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليها في الواقع.

روي[1]: أن موسى لما أراد أن يفارقه.. قال له الخضر: لو صبرت.. لأتيت على ألف عجب، كل عجب أعجب مما رأيت، فبكى موسى على فراقه وقال له: أوصني يا نبي الله، قال لا تطلب العلم لتحدث به الناس، واطلبه لتعمل به، وذلك لأن من لم يعمل بعلمه، فلا فائدة في تحديثه، بل نفعه يعود إلى غيره.

ومن وصايا الخضر: كن نفاعاً، ولا تكن ضراراً، وكن بشاشاً، ولا تكن عبوساً غضاباً، وإياك واللجاجة، ولا تمشِ في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير المذنبين خطاياهم بعد الندم، وابك على خطيئتك ما دمت حياً، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، واجعل همك في معادك، ولا تخض فيما لا يعنيك، ولا تأمن لخوف من أمّنك، ولا تيأس من الأمن من خوفك، وتدبر الأمور في علانيتك، ولا تذر الإحسان في قدرتك، فقال له موسى: قد أبلغت في الوصية، فأتم الله عليك نعمته، وغمرك في رحمته، وكلأك من عدوه، فقال له الخضر: أوصني أنت يا موسى، فقال له موسى: إياك والغضب إلا في الله، ولا تحب الدنيا، فإنها تخرجك من الإيمان وتدخلك في الكفر.

فقال له الخضر: قد أبلغت في الوصية فأعانك الله على طاعته، وأراك السرور في أمرك، وحببك إلى خلقه، وأوسع عليك من فضله، قال له: آمين،

---

(١) روح البيان.

كما في «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي رحمه الله تعالى.

تنبيه: لذكر هذه القصة في الكتاب الكريم فوائد[1]:

١ ـ أن لا يعجب المرء بعلمه، وأن لا يبادر إلى إنكار ما لا يستحسنه، فلعل فيه سراً لا يعرفه.

٢ ـ أن فيها تأديباً لنبيه، بترك طلب الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه، واستهزؤوا به، وبكتابه، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا، واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي والعذاب الدائم.

٣ ـ أن ما حدث فيها يجري مثله كل يوم في هذه الحياة، ألا ترى أن قتل الغلام وهو صغير لا ذنب له، يشبه الطاعون الذي يهلك الأمم، ويفتك بها فتكاً ذريعاً، والبهائمَ التي تفتك بها السباع، أو تأكلها الناس، ولو تأمل الناس حكمة ذلك.. لعلموا أنهم لو بقوا على الأرض مئة عام أو نحوها ولم يمت منهم أحد.. لضاقت بهم الأرض، ولماتوا جوعاً، ولأكل الابن أباه، ولأصبحت الأرض منتنة، قذرة، ولهلك الناس جميعاً، وأن أكل كواسر الطير لصغارها ليخلو به الجو والأرض من الحيوان المزدحمة، ولولا ذلك.. لأصبحت الأرض مضرة بالناس والحيوان، فاقتناصها رحمة ونعمة على الناس وأن خرق السفينة التي هي لمساكين، أشبه بموت بقرة فلاح فقير، بجانبه رجل غني لم تصب بقرته بسوء، وذلك إنما يكون لحكمة لا يعلمها إلا الله، وقد يكون منها أن الفقير حين موته يخرج من هذا العالم خفيفاً، لا يحزنه شيء، وأن الغني إذا لم يهذب نفسه.. تكون روحه مجذوبة إلى هذا العالم، متطلعة إلى ما فيه، فيصير في حسرة حين موته.

وإن ذكر الجدار وإقامته تشيران إلى أن كل من ترى ليس أهلاً للنعمة ظاهراً، وقد أغدقت عليه، فأهل هذه القرية اللؤماء الأشحاء ليسوا أهلاً للإكرام.

---

(١) المراغي.

وخلاصة ما قال الخضر: إن هذه الأعمال ليست من جنس أعمال الناس، بل هي من أعمال الله تعالى، وإنما كنت واسطة فيها، فهي نماذج لفعل ربكم في هذه الحياة.

الإعراب

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر، يعود على الخضر، والجملة مستأنفةٌ ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: الهمزة للاستفهام التقريري المضمن للتوبيخ ﴿لم أقل﴾ جازم ومجزوم، وفاعله ضمير يعود على الخضر ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل النصب مقول قال ﴿إِنَّكَ﴾ ناصب واسمه وجملة ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ في محل الرفع خبر إن، وجملة إن في محل النصب مقول أقل.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على موسى، والجملة مستأنفة ﴿إِن سَأَلْتُكَ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم، ﴿سَأَلْتُكَ﴾ فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بإن الشرطية على كونه فعل شرط لها ﴿عَن شَيْءٍ﴾ جار ومجرور متعلق بسأل، وهو في محل المفعول الثاني، ﴿بَعْدَهَا﴾: ظرف ومضاف إليه صفة لشيء ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً لكون الجواب جملة طلبية، ﴿لا﴾ ناهيةٌ جازمةٌ تصاحب فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، و﴿النون﴾ للوقاية والياء مفعول به، والجملة في محل جزم بإن الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب، مقول قال ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق ﴿بَلَغْتَ﴾[1]: فعل وفاعل ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ جار ومجرور متعلق ببلغت أو حال من عذراً ﴿عُذْرًا﴾ مفعول به والجملة الفعلية

---

(١) المراغي.

في محل النصب مقول قال.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾.

﴿فَانطَلَقَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة علىٰ محذوف تقديره: فتقاولا وتشارطاً فانطلقا. ﴿انطلقا﴾: فعل وفاعل معطوف على ذلك المحذوف. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف جر وغاية ﴿إِذَآ﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها على كونها فعل شرط لها والظرف متعلق بالجواب الآتي ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب ﴿إِذَآ﴾ لا محل لها من الإعراب وجملة ﴿إِذَآ﴾ في مجل الجر بحتى تقديره: فانطلقا إلى استطعامهما أهل قرية، وقت إتيانهما إياها، الجار والمجرور متعلق بانطلقا ﴿فَأَبَوْاْ﴾ الفاء: عاطفة ﴿أبوا﴾ فعل وفاعل معطوف على استطعما ﴿أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ ناصب وفعل وفاعل ومفعول والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية؛ تقديره: فأبوا ضيافتهم إياهما ﴿فَوَجَدَا﴾ الفاء: عاطفة ﴿وجدا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أبوا﴾ متعلق به ﴿جِدَارًا﴾ مفعول به، ﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الجدار والجملة في محل النصب، صفة للجدار ﴿أَن يَنقَضَّ﴾: ناصب ومنصوب وفاعله: ضمير يعود على الجدار، والجملة: في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: يريد إنقضاضه ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ الفاء: عاطفة أقامه فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الخضر، والجملة معطوفة على جملة وجدا ﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على موسى والجملة مستأنفة ﴿لَوْ شِئْتَ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي وإن شئت قلت: ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم ﴿شِئْتَ﴾: فعل وفاعل والجملة فعل شرط لـ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب ﴿لَتَّخَذْتَ﴾ اللام: رابطة لجواب ﴿لَوْ﴾ ﴿اتخذت﴾ فعل وفاعل جواب لو ﴿عَلَيْهِ﴾ حال من أجراً ﴿أَجْرًا﴾: مفعول به، وجملة لو الشرطية في محل النصب مقول قال.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الخضر والجملة مستأنفة ﴿هَٰذَا فِرَاقُ﴾ مبتدأ وخبر والجملة في محل النصب مقول قال ﴿فِرَاقُ﴾ مضاف ﴿بَيْنِي﴾ مضاف إليه ﴿بين﴾ مضاف و﴿الياء﴾ ضمير المتكلم في محل الجر مضاف إليه ﴿وَبَيْنِكَ﴾ معطوف على بيني وساغت إضافة بين إلى غير متعدد لتكرير بين بالعطف والداعي إلى هذا التكرير التوصل إلى العطف على ضمير الخفض لأنه يجب عند العطف عليه إعادة الخافض، فكأنه قال بيننا .اهـ شيخنا. ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ السين: حرف استقبال ﴿أنبئك﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول أول ﴿بِتَأْوِيلِ﴾ ﴿الباء﴾: حرف جر دخل على مضمون المفعولين الثاني والثالث ﴿تأويل﴾ مجرور بها الجار والمجرور متعلق بـ﴿أنبئك﴾ وهو مضاف و﴿ما﴾ في محل الجر مضاف إليه ﴿لَمْ تَسْتَطِع﴾ جازم وفعل وفاعل مستتر ﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بصبرا و﴿صَبْرًا﴾ مفعول به والجملة صلة لما، أو صفة لها.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾.

﴿أَمَّا﴾: حرف شرط وتفصيل ﴿ٱلسَّفِينَةُ﴾ مبتدأ. ﴿فَكَانَتْ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿أَمَّا﴾ واقعة في غير موضعها. ﴿كانت﴾ فعل ناقص واسمها ضمير يعود على ﴿ٱلسَّفِينَةُ﴾. ﴿لِمَسَٰكِينَ﴾: جار ومجرور خبر كان وهو ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع؛ لأنه على زنة مفاعيل. ﴿يَعْمَلُونَ﴾: فعل وفاعل صفة لـ﴿مساكين﴾. ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾: متعلق بـ ﴿يَعْمَلُونَ﴾، وجملة كان في محل الرفع، خبر المبتدأ، وجملة المبتدأ مع خبره جواب ﴿أَمَّا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿أَمَّا﴾ مستأنفة. ﴿فَأَرَدتُّ﴾ الفاء: عاطفة ﴿أردت﴾ فعل وفاعل والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿كانت﴾ ﴿أَنْ﴾ حرف نصب ومصدر. ﴿أَعِيبَهَا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول، والجملة الفعلية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: فأردت تعييبها ﴿وَكَانَ﴾ ﴿الواو﴾: واو الحال ﴿كان﴾ فعل ماض ناقص ﴿وَرَآءَهُم﴾ منصوب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر كان مقدم على اسمها ﴿مَّلِكٌ﴾ اسمها مؤخر، وجملة كان في محل النصب حال من

فاعل يعملون ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ فعل وفاعل مستتر ومفعول والجملة الفعلية في محل الرفع صفة لـ ﴿مَلِكٌ﴾ ﴿غَصْبًا﴾: مفعول مطلق مبين لنوع الأخذ، ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من فاعل ﴿يَأْخُذُ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾.

﴿وَأَمَّا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿أما﴾ حرف شرط ﴿ٱلْغُلَـٰمُ﴾ مبتدأ ﴿فَكَانَ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿أما﴾ ﴿كان أبواه مؤمنين﴾ فعل ناقص واسمه وخبره وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، وجملة المبتدأ مع خبره جواب ﴿أما﴾ وجملة ﴿أما﴾ معطوفة على جملة ﴿أَمَّا﴾ السابقة. ﴿فَخَشِينَآ﴾ الفاء: عاطفة ﴿خشينا﴾ فعل وفاعل معطوف على كان ﴿أن﴾ حرف نصب ومصدر ﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا﴾ فعل ومفعولان، وفاعله ضمير يعود على الولد ﴿وَكُفْرًا﴾ معطوف على ﴿طُغْيَـٰنًا﴾ وجملة ﴿يُرْهِقَهُمَا﴾ في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره فخشينا إرهاقه إياهما طغياناً وكفراً.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾.

﴿فَأَرَدْنَآ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿أردنا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿خشينا﴾ ﴿أَن يُبْدِلَهُمَا﴾: ناصب وفعل ومفعول أول ﴿رَبُّهُمَا﴾ فاعل ﴿خَيْرًا﴾ مفعول ثان ﴿مِّنْهُ﴾ متعلق بـ﴿خَيْرًا﴾ وجملة ﴿يُبْدِلَهُمَا﴾ في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿أردنا﴾ تقديره فأردنا إبدال ربهما إياهما خيراً منه ﴿زَكَوٰةً﴾: تمييز لاسم التفضيل منصوب به ﴿وَأَقْرَبَ﴾ معطوف على خيراً ﴿رُحْمًا﴾ تمييز لأقرب منصوب به

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا﴾.

﴿وَأَمَّا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿أما﴾ حرف شرط ﴿ٱلْجِدَارُ﴾ مبتدأ ﴿فَكَانَ﴾ الفاء: رابطة كان فعل ناقص واسمه ضمير يعود على ﴿ٱلْجِدَارُ﴾ ﴿لِغُلَـٰمَيْنِ﴾ جار ومجرور خبر كان ﴿يَتِيمَيْنِ﴾ صفة أولى ﴿لِغُلَـٰمَيْنِ﴾. ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ صفة ثانية له

وجملة كان في محل الرفع، خبر المبتدأ وجملة المبتدأ جواب أما وجملة أما معطوفة على جملة أما الأولى ﴿وَكَانَ﴾ فعل ناقص معطوف على كان الأولى ﴿تَحْتَهُۥ﴾ ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم لـ﴿كان﴾ ﴿كَنزٌ﴾ اسمها مؤخر ﴿لَّهُمَا﴾ صفة لـ﴿كَنزٌ﴾ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ فعل ناقص واسمه وخبره وجملة كان معترضة لاعتراضها بين المعطوف والمعطوف عليه.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿فَأَرَادَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿أراد ربك﴾ فعل وفاعل معطوف على قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ ﴿أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ ناصب وفعل وفاعل ومفعول والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره فأراد ربك بلوغهما أشدهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يَبْلُغَآ﴾. ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول لأجله منصوب بـ﴿أراد﴾ ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ جار ومجرور صفة لـ﴿رَحْمَةً﴾ ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية ﴿ما﴾ نافية ﴿فَعَلْتُهُۥ﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة مستأنفة ﴿عَنْ أَمْرِيۚ﴾ جار ومجرور حال من ضمير المفعول تقديره ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ حالة كونه صادراً ﴿عَنْ أَمْرِيۚ﴾. ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ﴾ مبتدأ وخبر والجملة مستأنفة تأويل مضاف ﴿مَا﴾ اسم موصول أو نكرة موصوفة في محل الجر، مضاف إليه ﴿لَمْ تَسْطِع﴾ جازم وفعل وفاعل مستتر أصله تستطع حذفت منه تاء الافتعال للتخفيف ﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق ب﴿صَبْرًا﴾ ﴿صَبْرًا﴾ مفعول به والجملة الفعلية صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها.

التصريف ومفردات اللغة

﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾ أي لا تجعلني صاحباً لك والمفاعلة هنا على بابها ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾؛ أي: وجدت عذراً من قبلي ﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ والقرية هي أنطاكية كما روي عن ابن عباس أو الأبلة أو الناصرة ولا يوثق بصحة شيء من هذا ﴿اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾؛ أي: طلبا منهم أن يطعموهما، وفي تكرير أهلها وجهان:

أحدهما: أنه توكيد، من باب إقامة الظاهر مقام المضمر، والحكمة في ذلك، أنه لو قال استطعماها، لم يصح، لأنهما لم يستطعما القرية، أو قال استطعماهم، فكذلك لأن جملة استطعما أهلها صفة لقرية.

والثاني: أنه للتأسيس، وذلك أن الأهل المأتيين ليسوا جميع الأهل، وإنما هم البعض، إذ لا يمكن أن يأتيا جميع الأهل في العادة في وقت واحد، فلما ذكر الاستطعام ذكره بالنسبة إلى جميع الأهل، كأنهما تتبعا الأهل واحداً واحداً، فلو قيل: استطعماهم، لاحتمل أن يعود الضمير على ذلك البعض المأتي دون غيره، فكرر الأهل لذلك اهـ كرخي.

﴿أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ أي ينزلوهما أضيافاً يقال: ضافه إذا كان له ضيفاً، وأضافه وضيَّفه أنزله لديه ضيفاً، وأصل ضاف مال، من قولهم ضاف السهم عن الهدف؛ أي: مال عن الغرض، والجمع ضيوف وأضياف وضيفان ﴿جِدَارًا﴾؛ أي حائطاً ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾؛ أي: يسقط بسرعة، وقد كثر في كلامهم إسناد ما يكون من أفعال العقلاء إلى غيرهم، كما قال الشاعر:

يُرِيْدُ ٱلرُّمْحُ صَدْرَ أَبِيْ بَرَاءٍ ... وَيَعْدِلُ عَنْ دِمَاءِ بَنِيْ عَقِيْلِ

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾؛ أي: مسحه بيده فقام كما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿لَتَخِذْتَ﴾ يقرأ بكسر الخاء مخففة وهو من تخذ يتخذ، إذا عمل شيئاً، ويقرأ بالتشديد وفتح الخاء، وفيه وجهان: أحدهما: هو افتعل من اتخذ، والثاني: أنه من الأخذ، وأصله يتخذ فأبدلت الياء تاء وأدغمت، وأصل الياء الهمزة، ذكره أبو البقاء ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ﴾؛ أي: سأخبرك ببيان سر ووجه ما فعلت في الأمور الثلاثة.

فائدة: في مباحث الأفعال السبعة التي تنصب ثلاثة مفاعل: الأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعل سبعة، وهي: أعلم، وأرى، وأنبأ، ونبَّأ، وأخبر، وخبَّر، وحدَّث.

والأصل في هذه الأفعال، أعلم، وأرى، اللَّذان كان أصلهما قبل دخول

همزة النقل عليهما، علم ورأى المتعديان لاثنين، وأما الخمسة الباقية، فليس لها ثُلاثي يُستعمل في العلم إلا خبَّر، ولكنها أُلحقت في بعض استعمالاتها بأعلم المتعدي إلى ثلاثة، لأن الإنباء والتنْبِيء والإخبار والتخبير والتحديث بمعنى الإعلام، هذا وتستعمل الخمسة متعدية إلى واحد بأنفسها، وإلى مضمون الثاني والثالث، أو مضمون الثالث وحده بالباء، نحو حدثتك بخروج زيد، وعليه يُحمل قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

والتأويل من آل إلى كذا؛ أي: صار إليه، فإذا قيل: ما تأويله؛ أي: ما مصيره وفي «الشهاب» المراد بالتأويل إظهار ما كان باطناً ببيان وجهه اهـ.

وفي «القرطبي» المراد: بالتأويل التفسير قوله: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ في «المصباح»: السفينة معروفة، والجمع سفين بحذف الهاء، وسفائن، ويُجمع السفين على سفن بضمتين، وجمع السفينة على سفين شاذ، لأن الجمع الذي بينه وبين واحده الهاء، بابه المخلوقات مثل تمرة وتمر، ونخلة ونخل، وأما في المصنوعات مثل سفينة وسفين فممنوع إلا في ألفاظ قليلة، ومنهم من يقول: السفين لغةٌ في الواحدة، وهي فعيلة بمعنى فاعله، كأنها تسفن الماء؛ أي: تقشره، وصاحبها سفَّان اهـ.

﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ جمع مسكين، وهو الضعيف العاجز عن الكسب، لأمر في نفسه، أو في بدنه، ﴿يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: يكتسبون ويؤاجرون ﴿أَعِيبَهَا﴾؛ أي: أجعلها ذات عيب، بنزع ما نزعته منها ﴿وَرَآءَهُم﴾؛ أي: أمامهم، وهو لفظ يُستعمل في الشيء وضده، كما قال:

أَلَيْسَ وَرَائِيْ أَنْ أَدِبَّ عَلَىٰ ٱلْعَصَا فَيَأْمَنَ أَعْدَائِيْ وَيَسْأَمَنِيْ أَهْلِيْ

﴿خشينا﴾؛ أي: خفنا ﴿أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ أي يحملهما ويكلفهما ﴿طُغْيَٰنًا﴾ أي مجاوزةً للحدود الإلهية ﴿زَكَوٰةً﴾؛ أي: طهارةً من الذنوب ﴿رُحْمًا﴾؛ أي: رحمةً كالكثر والكثرة ﴿أَشُدَّهُمَا﴾ مفرد بمعنى القوة، وقيل: جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: جمع له واحد من لفظه، قيل: أشِد بكسر الشين وقيل: أشَد بفتحها اهـ

شيخنا. ﴿عَنْ أَمْرِي﴾؛ أي: عن رأيي واجتهادي ﴿مَا لَمْ تَسْطِع﴾؛ أي: تستطع ماضيه اسطاع، الذي أصله استطاع من باب افتعل الخماسي، حذفت تاء الافتعال منه للتخفيف كما مر، ومضارعه يسطيع، أصله يستطيع، بوزن يستقيم، فحذفت منه التاء أيضا.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التأكيد بزيادة لك في قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ في المرة الثانية للزيادة في مكافحة العتاب على رفض الوصية مرة بعد مرة، والوسم بعدم الصبر.

ومنها: تكرير ﴿أَهْلَهَا﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ للتأكيد، وفيه أيضاً إقامة الظاهر مقام المضمر، لأن مقتضى الظاهر أن يقال استطعماهم.

ومنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ فقد استُعيرت الإرادة للمشارفة والمداناة، ويجوز أن يكون مجازاً عقلياً، من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، لأن المراد هنا لازم الإرادة العرفي، وهو القرب من الشيء؛ أي: يقرب من السقوط، لأن الإرادة من صفات العقلاء، وإسنادها إلى الجدار من لطيف الاستعارة، وبليغ المجاز، كقول الشاعر:

يُرِيْدُ ٱلرُّمْحُ صَدْرَ أَبِيْ بَرَاءٍ وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِيْ عَقِيْلِ

ومنها: التكرار في قوله: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ كرر البين لغرض التوصل إلى العطف على ضمير الخفض، لأنه يجب عند العطف عليه، إعادة الخافض، فكأنه قال بيننا كما مر، ومنها اللف والنشر المرتب في قوله: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ فقد جاء بها مرتبة بعد ذكر ركوب السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، بطريقة اللف والنشر المرتب، وهو من المحسنات البديعية.

ومنها: التقديم والتأخير لغرض العناية بالمقدم في قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ لأن مقتضى الظاهر تأخير قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ عن قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ لأن إرادة العيب مسببة عن خوف الغصب عليها، فكان حقه أن يتأخر عن السبب، ولكن قدم المسبب على السبب للعناية به، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده، ولكن مع كونها للمساكين.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿كُلَّ سَفِينَةٍ﴾؛ أي: صالحة، حذف لدلالة لفظ ﴿أَعِيبَهَا﴾ وكذلك حذف لفظ فكان كافراً من قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ لدلالة قوله تعالى: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ عليه.

ومنها: تعليم الأدب في قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ حيث أسند ما ظاهره شر لنفسه، وأسند الخير إلى الله تعالى، وذلك لتعليم العباد الأدب مع الله عز وجل.

ومنها: التغليب في قوله: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ﴾ لأن المراد بهما أبوه وأمه، فثنى الأب تغليباً له على الأم، كالقمرين في الشمس والقمر، والعمرين في أبي بكر وعمر، وهو تثنية لا تنقاس.

ومنها: التفنن في قوله: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ وأبدى بعضهم حكمة في اختلاف التعبير، وهي أن:

الأول: لما كان إفساداً محضاً.. عبّر فيه بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أدباً مع الله.

والثاني: لما كان فيه نوع إفساد، ونوع إصلاح.. عبر فيه بقوله: ﴿فَأَرَدْنَآ...﴾ إلخ اهـ. شيخنا «جمل».

والثالث: لما كان إصلاحاً محضاً ونعمة من الله.. عبر فيه بقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾.

المناسبة

لما ذكر الله سبحانه وتعالى قصة الخضر.. أعقبها بذكر قصة ذي القرنين، ورحلاته الثلاث إلى الغرب والشرق، وإلى السدين، وبنائه للسد في وجه يأجوج ومأجوج، وهي القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة، وجميعها ترتبط بالعقيدة والإيمان، وهو الهدف الأصيل للسورة الكريمة.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ...﴾ سبب نزوله: ما روي عن قتادة قال: إن اليهود يسألون النبي ﷺ عن ذي القرنين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ...﴾.

وقبل الشروع في تفسير الآيات الكريمة، لا بد من بيان مَنْ ذو القرنين،

فنقول: المراد بذي القرنين في الآية الكريمة، هو ذو القرنين الأكبر[1]، واسمه إسكندر بن فيلقوس اليوناني، ملك الدنيا بأسرها، كما قال مجاهد: ملك الأرض أربعةٌ: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان وذو القرنين، والكافران نمرود وبختنصر، وفي «مشكاة الأنوار» شداد بن عاد بدل بختنصر، وكان ذو القرنين بعد نمرود في عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ على ما يأتي، ولكنه عاش زمناً طويلاً، ألفاً وست مئة سنة على ما قالوا، وفي تفسير الشيخ، وكان بعد ثمود، وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير.

وقال ابن كثير: والصحيح أنه ما كان نبياً ولا ملكاً، وإنما كان مِلكاً صالحاً عادلاً، ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم، وانقادت له البلاد، مات بمدينة شهر زور، بعدما خرج من الظلمة (لأنه دخل الظلمة والنور في سياحته)، ودُفن فيها.

وفي «التبيان» مدة دوران ذي القرنين في الدنيا خمس مئة، ولما فرغ من بناء السد.. رجع إلى بيت المقدس ومات به، وإنما سُمي بذي القرنين، لأنه بلغ قرني الشمس؛ أي: جانبيها مشرقها ومغربها، كما لُقِّب أردشير واضع النرد بطويل اليدين لنفوذ أمره حيث أراد، وفي «القاموس»: لما دعاهم إلى الله تعالى. ضربوه على القرن الأيمن، فمات فأحياه الله، ثم دعاهم فضربوه على قرنه الأيسر، فمات ثم أحياه الله، كما سُمي عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بذي القرنين لما كان شجتان في قرني رأسه، إحداهما من عمرو بن ود، والثانية من ابن ملجم، وفي «قصص الأنبياء»: وكان قد رأى في منامه أنه دنا من الشمس، حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها، فلما قص رؤياه على قومه، سموه به، وقال السيوطي في «الأوائل»: أول من لبس العمامة ذو القرنين، وذلك أنه طلع له في رأسه قرنان كالظلفين، يتحركان، فلبسها من أجل ذلك، ثم إنه دخل الحمام ومعه كاتبه فوضع العمامة وقال لكاتبه: هذا الأمر لم يطلع عليه غيرك، فإن سمعت به

---

(١) روح البيان.

من أحد قتلتُك، فخرج الكاتب من الحمام، فأخذه كهيئة الموت، فأتى الصحراء، فوضع فمه بالأرض، ثم نادى: ألا إن للملك قرنين، فأنبت الله من كلمته قصبتين، فمر بهما راع فقطعهما، واتخذهما مزماراً، فكان إذا زمر، خرج من القصبتين: ألا إن للملك قرنين، فانتشر ذلك في المدينة، فقال ذو القرنين: هذا أمر أراد الله تعالى أن يبديه.

وأما ذو القرنين الثاني، وهو إسكندر الرومي، الذي يؤرخ بأيامه الروم، فكان متأخراً عن الأول بدهر طويل أكثر من ألف سنة، كان هذا قبل المسيح ـ عليه السلام ـ بنحو من ثلاث مئة سنة، وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف. وهو الذي حارب دارًا، وأذل ملوك الفرس، ووطىء أرضهم، وكان كافراً، عاش ستاً وثلاثين سنة، فالمراد بذي القرنين في القرآن هو الأول دون الثاني، وقد غلط كثير من العلماء في الفرق بينهما، فظنوا أن المذكور في الآية هو الرومي سامحهم الله اهـ. من «روح البيان».

التفسير وأوجه القراءة

ولما أجاب سبحانه عن سؤالين من سؤالات اليهود، وانتهى الكلام حيث انتهى.. شرع سبحانه في السؤال الثالث، والجواب عنه، فالمراد بالسائلين اليهود، أو كفار قريش بتلقينهم، فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾؛ أي: يسألك يا محمد اليهود، أو كفار قريش، بتلقين اليهود سؤال اختبار وامتحان ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ الأكبر إسكندر بن فيلقوس اليوناني، كان عبداً صالحاً ملَّكه الله الأرض، وأعطاه العلم والحكمة، وألبسه الهيبة، ملك الأقاليم كلها، وقهر أهلها من الملوك وغيرهم، ودانت له البلاد، وكان داعياً إلى الله كما مر؛ أي: يسألونك عن خبره وقصته وحاله، وعبر[1] بصيغة الاستقبال، للدلالة على استمرارهم على ذلك السؤال إلى ورود الجواب.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد في الجواب ﴿سَأَتْلُوا عَلَيْكُم﴾؛ أي: سأذكر لكم أيها

---

(١) روح البيان.

السائلون ﴿مِّنْهُ﴾؛ أي: من خبر ذي القرنين وحاله، فحذف المضاف ﴿ذِكْرًا﴾؛ أي: نبأً مذكوراً، وبياناً واضحاً، أو المعنى سأتلو عليكم في شأنه من جهته تعالى ﴿ذِكْرًا﴾؛ أي: قرآناً والسين للتأكيد والدلالة على التحقق؛ أي: لا أترك التلاوة البتة، أي: قل لهؤلاء المتعنتين: سأقص عليكم قصصاً وافياً، جامعاً لما تريدون، أعلمنيه ربي، وأخبرني به، ثم فصل ذلك فقال: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ﴾؛ أي: لذي القرنين أمره من التصرف ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كيف يشاء، بحيث يصل إلى جميع مسالكها، ويظهر على سائر ملوكها؛ أي[1]: جعلنا له قدرةً على التصرف في الأرض، من حيث التدبير والرأي، وعلى الأسباب حيث سخر له السحاب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء في الضوء، وسهل عليه السير في الأرض ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾؛ أي: أعطيناه ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه في إصلاح ملكه ﴿سَبَبًا﴾؛ أي: طريقاً يوصله إلى ذلك الشيء المقصود، كآلات السير، وكثرة الجند، فأراد بلوغ المغرب ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾؛ أي: سلك طريقا يوصله إلى استقصاء بقاع الأرض، ليملأها عدلاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: حتى إذا بلغ منتهى الأرض من جهة المغرب، بحيث لا يمكنه مجاوزته، ووقف على حافة البحر المحيط الأطلسي الغربي، الذي يقال له: أوقيانوس، الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات، التي هي مبدأ الأطوال، أو جاوز البحر المحيط، ووصل إلى موضع غروبها، ولا مانع من ذلك عقلاً ولا شرعاً، وما المانع من هذا بعد أن حكى الله عنه أنه بلغ مغرب الشمس، ومكن له في الأرض، والبحر من جملتها، ومجرد الاستبعاد لا يوجب حمل القرآن على خلاف ظاهره، ذكره الشوكاني.

﴿وَجَدَهَا﴾؛ أي: الشمس كأنها ﴿تَغْرُبُ﴾ في رأي العين ﴿فِى عَيْنٍ﴾؛ أي: في بحر محيط ﴿حَمِئَةٍ﴾؛ أي: ذات طين أسود، شديد السخونة، كما يدل عليه قراءة شعبة، وحمزة، والكسائي، وابن عامر ﴿حامية﴾ بألف بعد الحاء، وبياء بعد الميم، وهي قراءة ابن مسعود، وطلحة؛ أي: وجد الشمس تغرب في عين ذات حمأة، وطين أسود، وتلك العين هي نفس البحر المحيط لا غير.

---

(١) المراح.

وخلاصة ذلك[1]: أنه بلغ بلاداً لا بلد بعدها تغرب عليها الشمس، إذ لم يكن عمران إلا ما عرفوه عند بحر الظلمات، فهو قد سار إلى بلاد تونس، ثم مراكش، ووصل إلى البحر، فوجد الشمس كأنها تغيب فيه، وهو أزرق اللون كأنه طين وماء.

قال في «البيان»[2]: ولما وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس، يطلب عين الحياة.. قال له شيخ: هي خلف أرض الظلمة، ولما أراد أن يسلك في الظلمة.. سأل: أي الدواب في الليل أبصر؟ قالوا: الخيل فقال: أي الخيل أبصر؟ قالوا: الإناث فقال: أي الإناث أبصر؟ قالوا: البكارة، فجمع من عسكره ستة آلاف فرس كذلك فركبوا الرماك، وترك بقية عسكره، فدخلوا الظلمات فساروا يوماً وليلة، فأصاب الخضر العين، لأنه كان على مقدمة جيشه صاحب لوائه الأكبر، فشرب منها واغتسل، وأخطأ ذو القرنين، فساروا على حصحاص من حجارة، لا يدرون ما هي، فسألوه عنها فقال الإسكندر: خذوا من هذه الحجارة ما استطعتم، فإنه من أقل منها ندم، ومن أكثر منها ندم، فأخذوا وملأوا مخالي دوابهم من تلك الحجارة، فلما خرجوا.. نظروا إلى ما في مخاليهم، فوجوده زمرداً أخضر، فندموا كلهم لكونهم لم يكثروا ذلك ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾؛ أي: عند تلك العين؛ يعني عند نهاية العمارة ﴿قَوْمًا﴾ كفاراً لباسهم جلود الوحوش، وطعامهم ما يلفظه البحر من السمك، فخيَّره الله سبحانه، بين أن يعذبهم بالقتل، أو أن يدعوهم إلى الإيمان، وهذا تفصيل قوله ﴿قُلْنَا﴾ له بطريق الإلهام ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ هؤلاء القوم الكفار؛ أي: أنت مخير في أمرهم بعد الدعوة إلى الإسلام، بين أن تعذبهم بالقتل إن هم أبوا عن الإيمان، ولم يقروا بوحدانيتي، ويذعنوا لك، في ما تدعوهم إليه من طاعتي ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ﴾ وتفعل ﴿فِيهِمْ حُسْنًا﴾؛ أي: أمراً ذا حسن، فحذف المضاف؛ أي: وبين أن تفعل فيهم إحساناً بالعفو أو الأسر، وسماهما إحساناً في مقابلة القتل، أي: بأن تتركهم أحياء، أي: فأنت مخير فيهم بين تعذيبهم بالقتل، وبين تركهم أحياء، إن أبوا عن

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

الإسلام، ويجوز[1] أن يكون ﴿إِمَّآ﴾ ﴿وَإِمَّآ﴾ للتوزيع والتقسيم، دون التخيير؛ أي: ليكن شأنك معهم إما التعذيب، وإما الإحسان.

فالأولى: لمن بقي على حاله ولم يؤمن.

والثانية: لمن تاب وآمن. والإحسان إليهم بتعليمهم طريق الهدى والرشاد، وتبصيرهم بالشرائع والأحكام ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين لبعض خاصته وبطانته: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ نفسه بالإصرار على الكفر، ولم يقبل الإيمان مني ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾؛ أي: فسنعذبه أنا ومن معي في الدنيا بالقتل، وعن قتادة: كان يطبخ من كفر في القدور، ومن آمن أعطاه وكساه ﴿ثُمَّ يُرَدُّ﴾ ويرجع ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ وخالقه في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ﴾؛ أي: يعذب ذلك الظالم ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾؛ أي: عذاباً شديداً منكراً، لم يُعهد مثله وهو عذاب النار ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ وصدق بالله ووحدانيته بسبب دعوتي ﴿وَعَمِلَ﴾ عملاً ﴿صَٰلِحًا﴾ حسبما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُۥ﴾؛ أي: فلذلك المؤمن العامل في الدارين ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: فله المثوبة الحسنى، حال كونه مجزياً بها فـ﴿جزاء﴾ حال، أو فله في الآخرة الجنة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا﴾؛ أي: مما نأمر به ﴿يُسْرًا﴾؛ أي: قولاً سهلاً متيسراً غير شاق عليه، والمعنى[2]: فله في الدارين المثوبة الحسنى جزاء وفاقاً على تلك الخلال الجميلة التي عملها في دنياه، وسنعلمه في الدنيا ما يتيسر لنا تعليمه مما يقربه إلى ربه، ويليِّن له قلبه ولا يشق عليه فعله مشقةً كبيرةً، كالصلاة، والزكاة، والجهاد، ونحوها.

وقرأ زيد بن علي، والزهري، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، والكوفيون، وابن عامر[3]: ﴿فأتبع﴾ ثلاثتها بالتخفيف وقرأ باقي السبعة بالتشديد، والظاهر أنهما بمعنى واحد وعن يونس بن حبيب، وأبي زيد أنه بقطع الهمزة، عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب، وبوصلها أنه يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات.

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

وقرأ عبد الله، وطلحة بن عبيد الله، وعمرو بن العاص، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو، ومعاوية، والحسن، وزيد بن علي، وابن عامر، وحمزة، والكسائي ﴿حامية﴾ بالياء؛ أي: حارة.

وقرأ ابن عباس، وباقي السبعة، وشيبة، وحميد ابن أبي ليلى، ويعقوب، وأبو حاتم، وابن جبير الأنطاكي ﴿حَمِئَةٍ﴾ بهمزة مفتوحة، والزهري يلينّها؛ أي: ذات طين أسود، ولا تنافي بين الحامية والحمئة، إذ تكون العين جامعة للوصفين، وفي التوراة تغرب في ماء وطين.

وقرأ حمزة[1]، والكسائي، وحفص، وأبو بحرية، والأعمش، وطلحة، وابن مناذر، ويعقوب، وأبو عبيد، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جبير الأنطاكي، ومحمد بن جرير ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً﴾ بالنصب والتنوين، والمراد بالحسنى على قراءة النصب الجنة وقرأ باقي السبعة ﴿جزاء الحسنى﴾ يرفع جزاء مضافاً إلى الحسنى.

قال أبو علي: جزاء الخلال الحسنة التي أتاها وعملها، و﴿جزاء﴾ مبتدأ و﴿له﴾ خبره، وقرأ عبد الله ابن أبي إسحاق ﴿فله جزاء﴾ مرفوعاً منوناً، وهو مبتدأ وخبر، والحسنى بدل من جزاء.

وقرأ ابن عباس، ومسروق ﴿جزاء﴾ بالنصب بغير تنوين الحسنى بالإضافة، ويخرج على حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه؛ أي: فله الجزاء جزاء الحسنى، وخرَّجه المهدوي: على حذف التنوين لالتقاء الساكنين، وقرأ أبو جعفر ﴿يسراً﴾ بضم السين حيث وقع.

﴿ثُمَّ﴾ قفل ذو القرنين راجعاً من مغرب الشمس و﴿أَتْبَعَ سَبَبًا﴾؛ أي: سلك طريقاً موصلاً إلى مشرقها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾؛ أي: وصل الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولاً من معمور الأرض، إذ لا يمكنه أن يبلغ موضع طلوع الشمس، وقيل[2]: مكان طلوعها، لعدم المانع شرعاً ولا عقلاً من وصوله إليه،

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الشوكاني.

كما أوضحناه فيما سبق، قيل بلغه في اثني عشرة سنة، وقيل: في أقل من ذلك بناءً على ما ذكر من أنه سخر له السحاب، وطوى له الأسباب.

﴿وَجَدَهَا﴾؛ أي: الشمس ﴿تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ عراة ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾؛ أي: من دون الشمس وأمامها ﴿سِتْرًا﴾ من اللباس والبناء، يعني ليس لهم لباس يستترون به من حر الشمس، ولا بناء يستظلون فيه، لأن أرضهم لا تمسك الأبنية لغاية رخاوتها، وبها أسراب، فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب، أو البحر من شدة الحر، وإذا ارتفعت عنهم خرجوا؛ أي[1]: حتى إذا بلغ الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولاً من المعمور، وجدها تطلع على قوم ليس لهم بناء يكنهم، ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس، فليس لهم سقوف ولا جبال تمنع من وقوع أشعة الشمس عليهم، لأن أرضهم لا تحمل بنياناً، بل لهم سروب يغيبون فيها حين طلوع الشمس، ويظهرون حين غروبها، فهم حين طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف في المعاش، وحين غروبها يشتغلون بتحصيل مهماتهم وأحوالهم، على الضد من أحوال الناس.

وخلاصة ذلك: أنه بلغ غاية المعمور من الأرض جهة المشرق، ووجد قوماً لا لباس لهم ولا بناء، فهم عراةٌ في العراء، أو في سراديب في الأرض.

وقرأ الحسن، وعيسى، وابن محيصن ﴿مطلع﴾ بفتح اللام، ورويت عن ابن كثير، وأهل مكة، وهو القياس، وقرأ الجمهور بكسرها، وهو مسموع في أحرف معدودة، وقياس كسره أن يكون المضارع مكسور العين، كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - في مباحث الصرف، وكان الكسائي يقول: هذه لغة ماتت في كثير من لغات العرب، يعني: ذهب من يقول من العرب.

تطلع بكسر اللام، وبقي مطلع بكسرها في اسم المكان والزمان على ذلك القياس.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: أمر ذي القرنين وشأنه وحاله كذلك؛ أي: كما وصفناه

(١) المراغي.

وبيناه لك يا محمد من قبل من بلوغه طرفي المشرق والمغرب، ومن فعله الأفاعيل المذكورة، فهو قد بلغ الغاية في رفعة الشأن، وبسطة الملك، مما لم يتح لكثير من الناس، أو أمره في أهل المشرق كأمره في أهل المغرب، فحكم في أهل المطلع كما حكم في أهل المغرب، من تعذيب الظالمين، والإحسان إلى المؤمنين ﴿و﴾ نحن ﴿قد أحطنا بما لديه﴾؛ أي: بما عند ذي القرنين من الأسباب والعدد ﴿خُبْرًا﴾؛ أي: علماً، تمييز؛ أي: ونحن قد علمنا بما لديه من الأسباب والعدد، والشؤون والأحوال، علماً محيطاً بظواهره وخفاياه.

وخلاصة ذلك: أنه كما وُصف، وفوق ما وصف، مما لا يحيط بعلمه إلا اللطيف الخبير.

فانظر[1] يا أخي سعة لطف الله تعالى، وإمداده بمن شاء من عباده، فإنه ذكر وهب بن منبه: أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل الإسكندرية، ابن امرأة عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان خارجاً عن قومه، ولم يكن بأفضلهم حسباً ولا نسباً، ولكنه نشأ في ذات حسن وجمال، وحلم ومروءة وعفة، من لدن كان غلاماً، إلى أن بلغ رجلاً، ولم يزل منذ نشأ يتخلق بمكارم الأخلاق، ويسمو إلىٰ معالي الأمور، إلىٰ أن علا صيته، وعز في قومه، وألقىٰ الله تعالى عليه الهيبة، ثم إنه زاد به الأمر إلى أن حدَّث نفسه بالأشياء، فكان أول ما أجمع عليه رأيه الإسلام فأسلم، ثم دعا قومه إلى الإسلام، فأسلموا عنوة منه عن آخرهم، ثم كان من أمره ما كان، ثم حكى سبحانه وتعالى سفر ذي القرنين إلى ناحية أخرى، وهي ناحية القطر الشمالي، بعد تهيئة أسبابه، فقال: ﴿ثُمَّ﴾ قفل ذو القرنين راجعاً من مطلع الشمس و﴿أَتْبَعَ سَبَبًا﴾؛ أي: سلك طريقاً ثالثاً، معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ﴾ ذو القرنين ووصل ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾؛ أي: بين الجبلين الذين سد ما بينهما، وهما جبلان عاليان، في منقطع أرض الترك، مما يلي المشرق، من ورائهما يأجوج ومأجوج،

---

(١) روح البيان.

وانتصاب ﴿بَيْنَ﴾ على المفعولية، لأنه مبلوغ، وهو من الظروف التي تُستعمل أسماء وظروفاً، كما ارتفع في قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ وانجرَّ في قوله: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

قال وهب[1]: السدان جبلان مرتفعان في السماء، من ورائهما ومن أمامهما البلدان، وهما بمنقطع أرض الترك، مما يلي أرمينية وأذربيجان، وذكر الهروي: أنهما جبلان من وراء بلاد الترك، وقيل: هما جبلان من جهة الشمال، ليّنان أملسان، يزلق عليهما كل شيء، ويسمى الجبلان سدين، لأن كل واحد منهما سد فجاج الأرض، وكانت بينهما فجوة كان يدخل منها يأجوج ومأجوج.

وقرأ مجاهد[2]، وعكرمة، والنخعي، وحفص، وابن كثير، وأبو عمرو: ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بفتح السين، وقرأ باقي السبعة بضمها، قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد، وقال الخليل وسيبويه: بالضم الاسم، وبالفتح المصدر. ﴿وَجَدَ﴾ ذو القرنين ﴿مِن دُونِهِمَا﴾؛ أي: من دون السدين؛ أي: من ورائهما، مجاوزاً عنهما، وقيل: أمامهما؛ أي: من جهة الأمام، خارجة عنهما، لا داخلة بناحية يأجوج ومأجوج اهـ شيخنا. وفي «الخطيب»: وجد من دونهما؛ أي: بقربهما من الجانب الذي هو أدنى منهما، إلى الجهة التي أتى منها ذو القرنين اهـ.

وخلاصة ذلك[3]: أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالاً يعطون إياه، حتى يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حاجزاً بين الجبلين، يمنعهم من الخروج إليهم فلا يصلون إليهم.

وقرأ عاصم[4]، والأعمش، ويعقوب في رواية بالهمز في ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ هنا، وكذا في الأنبياء، وهي لغة بني أسد، ذكره الفراء، قيل: ولا وجه له إلا الغريبة المحكية عن العجاج أنه كان يهمز العألم والخأتم، وقرأ باقي السبعة بألف غير مهموزة، وهي لغة كل العرب، غير بني أسد. وقرأ العجاج وابنه رؤبة:

---

(1) البحر المحيط.
(2) البحر المحيط.
(3) المراغي.
(4) البحر المحيط.

﴿أجوج﴾ بهمزة بدل الياء، وقرأ الحسن، والأعمش، وطلحة، وخلف، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جبير الأنطاكي، ومن السبعة حمزة والكسائي ﴿خراجا﴾ بألف هنا وفي حرفي قد أفلح، وسكن ابن عامر الراء فيها، وقرأ باقي السبعة ﴿خَرْجًا﴾ فيهما بسكون الراء، فخراج بالألف والخرج بمعنى واحد، كالنول والنوال، وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر ﴿سداً﴾ بضم السين، وابن محيصن، وحميد، والزهري، والأعمش، وطلحة، ويعقوب في رواية ابن عيسى الأصبهاني، وابن جرير، وباقي السبعة بفتحها.

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين جواباً لهم ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى﴾؛ أي: ما بسطه الله لي، وجعلني فيه مكيناً قادراً، من الملك والمال، وسائر الأسباب ﴿خَيْرٌ﴾ مما تريدون أن تبذلوه إلي من الخراج، فلا حاجة لي إليه، ومثله قول سليمان - عليه السلام - ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ ومن هذا يؤخذ أنّ الدول القوية يجب أن تحافظ على الدول الضعيفة، ولا تأخذ منها مالاً، ما دامت قادرة على إغاثتها.

وخلاصة ذلك: ما أنا فيه خير مما تبذلونه، وقرأ ابن كثير وحميد ﴿ما مكنني﴾ بنونين متحركتين، وباقي السبعة: بإدغام نون مكني في نون الوقاية، ثم طلب منهم المعاونة له فقال: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بعملة وصناع يحسنون البناء والعمل وبآلات لا بد منها في البناء ﴿أَجْعَلْ﴾ جواب الأمر ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أيها القوم ﴿وَبَيْنَهُمْ﴾؛ أي: وبين يأجوج ومأجوج ﴿رَدْمًا﴾؛ أي: حاجزاً حصيناً، وحجاباً عظيماً، وهو أكبر من السد، وأوثق منه[1]، إذ السد كل ما يسد به، والردم وضع الشيء على الشيء، من حجارة، أو تراب، أو نحوهما، حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، ومنه ردم ثوبه إذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها فوق بعض.

وقوله: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾؛ أي: أعطوني وناولوني زبر الحديد، تفسير للقوة، فيكون المراد بها ترتيب الآلات، وهذا لا ينافي رد خراجهم، لأن المأمور به الإيتاء بالثمن والمناولة، ولأن إيتاء الآلة من قبيل الإعانة بالقوة دون

---

(١) الشوكاني.

الخراج على العمل، وقال الفراء معنى: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ إئتوني بها، فلما ألقيت الياء.. زيدت ألفاً، وعلى هذا فانتصاب زبر بنزع الخافض، والزبر[1]: جمع زبرة، كغرف جمع غرفة، وهي القطعة الكبيرة، قال في «القصص» قالوا: من أين لنا من الحديد ما يسع هذا العمل، فدلهم على معدن الحديد والنحاس، ولعل تخصيص الأمر بالإيتاء بها دون سائر الآلات من الصخور ونحوها، لما أن الحاجة إليها أمس، إذ هي الركن في السد، وفي «القصص»: قاس ما بين الصدفين، فوجده ثلاثة أميال.

وقال بعضهم[2]: حفر ما بين السدين، وهو مئة فرسخ حتى بلغ الماء، وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب بدل الطين لها والبنيان من زبر الحديد، بين كل زبرتين الحطب والفحم، وقرأ الجمهور[3]: ﴿ءَاتُونِى﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم، ﴿إئتوني﴾؛ أي: جيئوني، وانتصب زبر بإيتوني على إسقاط حرف الجر؛ أي: جيئوني بزبر الحديد، وقرأ الجمهور: ﴿زُبَرَ﴾ بفتح الباء، والحسن بضمها، وعبارة «المراح» هنا: وقرأ حمزة ﴿ائتوني﴾ بوصل الهمزة في الموضعين، ووافقه أبو بكر هنا، وخالفه في الموضع الثاني، انتهى.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾ معطوف على محذوف، تقديره فأتوه بها، فأمر برص بعضها فوق بعض، فرصوا حتى إذا ساوى ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾؛ أي: بين طرفي الجبلين بالبناء، والصدف[4]: منقطع الجبل، أو ناحيته، وبين: مفعول به، كبين السدين؛ أي: إنهم [5] جاؤوا ذا القرنين بزبر الحديد، فشرع يبني شيئاً فشيئاً، حتى إذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساوياً لهما في السمك، يعني: ملأ ما بينهما إلى أعلاهما، وكان ارتفاعه مئتي ذراع، وعرضه خمسين ذراعاً، ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿قَالَ﴾ للعملة ﴿ٱنفُخُوا۟﴾ بالكير؛ أي: في الحديد

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

(٤) روح البيان.

(٥) المراح.

المبني، فنفخوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾؛ أي: المنفوخ فيه وهو زبر الحديد ﴿نَارًا﴾؛ أي: مثل النار في الحرارة والهيئة، وإسناد الجعل المذكور إلى ذي القرنين، مع أنه فعل العملة، للتنبيه على أنه العمدة في ذلك، وهم بمنزلة الآلة.

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين للذين يتولون أمر النحاس من الإذابة ونحوها ﴿ءَاتُونِىٓ﴾ قطراً أي: نحاساً مذاباً ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: أصبب على الحديد المحمى ﴿قِطْرًا﴾؛ أي: نحاساً مذاباً، فأفرغه عليه، فدخل مكان الحطب والفحم، فامتزج بالحديد، والتصق بعضه ببعض، وصار جبلاً صلداً، وهذه كرامة عظيمة، حيث صرف الله تأثير الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين والمفرغين للقطر.

والإفراغ الصب؛ أي: أصبب على الحديد المحمى قطراً، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، وإسناد الإفراغ إلى نفسه للعلة التي وقفت عليها آنفاً.

وقرأ ابن كثير[1]، وأبو عمرو، وابن عامر، والزهري، ومجاهد، والحسن: ﴿الصُدُفين﴾ بضم الصاد والدال، وأبو بكر، وابن محيصن، وأبو رجاء، وأبو عبد الرحمٰن، كذلك إلا أنه سكَّن الدال، وباقي السبعة، وأبو جعفر، وشيبة، وحميد، وطلحة، وابن أبي ليلى، وجماعة عن يعقوب، وخلف في اختياره، وأبو عبيد، وابن سعدان، بفتحهما وابن جندب بالفتح وإسكان الدال، ورويت عن قتادة.

وقرأ الماجشون: بالفتح وضم الدال، وقرأ قتادة، وأبان عن عاصم بضم الصاد وفتح الدال، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ في الكلام حذف، تقديره فنفخوا حتى إذا... وقرأ الجمهور: ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾؛ أي: أعطوني، وقرأ الأعمش، وطلحة، وحمزة، وأبو بكر بخلاف عنه قال ﴿إيتوني﴾؛ أي: جيئوني.

و﴿قِطْرًا﴾ منصوب بأفرغ، على إعمال الثاني، ومفعول ﴿ءَاتُونِىٓ﴾ محذوف لدلالة الثاني عليه، كما مر ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ بحذف[2] تاء الافتعال تخفيفاً وحذراً

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.

من تلاقي المتقاربين، وقال في «برهان القرآن»:

اختار التخفيف في الأول، لأن مفعوله حرف وفعل وفاعل ومفعول، فاختير فيه الحذف والثاني مفعوله اسم واحد، وهو قوله: ﴿نَقْبًا﴾. انتهى.

والفاء[1]: فصيحة؛ أي: فعلوا ما أمروا به من إيتاء القطر، فأفرغ عليه، فاختلط والتصق بعضه ببعض، فصار جبلاً صلداً؛ أي: صلباً أملس، فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا أن يعلوه وينقبوه، فما قدروا ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾؛ أي: أن يظهروا الجبل ويعلوه بالصعود، لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾؛ أي: وما استطاع يأجوج ومأجوج نقباً للجبل وثقباً له؛ أي: وما قدروا أن ينقبوه ويخرقوه من أسفله، لصلابته وثخانتِهِ، فلا سبيل إلى مجاوزته إلى غيرهم من الأمم إلا بأحد هذين إما: ارتقاء، وإما نقب، وقد سلب قدرتهم على ذلك.

وهذه معجزة عظيمة، لأن تلك الزبر الكثيرة، إذا أثرت فيها حرارة النار.. لا يقدر الحيوان على أن يحوم حولها، فضلاً عن النفخ فيها، إلى أن تكون كالنار، أو عن إفراغ القطر عليها، وكأنه سبحانه صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك المباشرين للأعمال، وكان ما كان، والله على كل شيء قدير، كذا في «الإرشاد» أخذاً عن تفسير الإمام. يقول الفقير: ليس ببعيد أن تكون المباشرة بالنفخ والصب من بعيد بطريق من طرق الحيل، ألا ترى أن نار نمرود لما كانت بحيث لا يقرب منها أحد.. عملوا المنجنيق، فألقوا به إبراهيم ـ عليه السلام ـ فيها.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ بحذف التاء تخفيفاً، لقربها من الطاء، وقرأ حمزة، وطلحة: بإدغامها في الطاء، كأنه أراد استطاعوا، فأدغم التاء في الطاء، وهو إدغام على غير حده، وقال أبو علي: هي غير جائزة، وقرأ الأعمش عن أبي بكر: ﴿فما اصطاعوا﴾ بالإبدال من السين صاداً لأجل الطاء، وقرأ الأعمش: ﴿فما استطاعوا﴾ بالتاء من غير حذف.

---

(١) روح البيان.　　(٢) البحر المحيط.

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿هَٰذَا﴾ السد ﴿رَحْمَةٌ﴾ عظيمةٌ ونعمةٌ جسيمةٌ ﴿مِّن رَّبِّي﴾ على كافة الخلق، لا سيما على مجاهديه، وفيه[1] إيذان بأنه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادةً، بل هو إحسان إلٰهي محض وإن ظهر بمباشرتي.

وقال ابن عطية[2]: والإشارة بهذا إلى الردم والقوة عليه والانتفاع به، وقال الزمخشري: إشارة إلى السد؛ أي: هذا السد نعمةٌ عظيمةٌ من الله تعالى، ورحمة منه على عباده، أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته، قيل: وفي الكلام حذف تقديره، فلما أكمل بناء السد، واستوى واستحكم.. قال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ وقرأ ابن أبي عبلة ﴿هذه رحمة من ربي﴾ بتأنيث اسم الإشارة.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾، أي[3]: وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج، وقيل: مصدر بمعنى اسم المفعول؛ أي: موعود ربي وهو يوم القيامة، والمراد بمجيئه مجيء أشراطه وأماراته، من خروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام. ونحو ذلك من أشراط يوم القيامة.

﴿جَعَلَهُۥ﴾؛ أي: جعل هذا السد المشار إليه بما تقدم مع متانته ﴿دَكَّآءَ﴾؛ أي: أرضاً مستويةً، والظاهر[4] أن جعله بمعنى صيَّره، فدكاً: مفعول ثان، وقال الزمخشري: فإذا دنا[5] مجيء يوم القيامة، وشارف أن يأتي.. جعل السد دكاً؛ أي: مدكوكاً منبسطاً مستوياً بالأرض، وكل ما انبسط بعد ارتفاع.. فقد اندك. انتهى. وفيه بيان لعظمة قدرته تعالى بعد بيان سعة رحمته.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر[6]: ﴿دكاً﴾ منوناً غير مهموز ولا ممدود، مصدر دككته، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي ﴿دَكَّآءَ﴾ ممدودةً مهموزةً بلا تنوين.

والمعنى: أي[7] فإذا دنا وقت خروجهم من وراء السد.. جعل ربي ذلك

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.
(٣) البيضاوي.
(٤) البحر المحيط.
(٥) الكشاف.
(٦) زاد المسير.
(٧) المراغي.

السد بقدرته وسلطانه أرضاً مستويةً، فسلط عليه منهم أو من غيرهم من يهدمه، ويسوي به الأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وقت قرب الساعة ﴿حَقًّا﴾؛ أي: صدقاً ثابتاً لا ريب في تحقيقه واقعاً لا محالة فيه البتة، لا يتخلف، أو كان وعده بالثواب والعقاب، وهذا آخر قول ذي القرنين.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، ابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه ابن مردويه، والبيهقي في البعث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، يحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذين عليهم ارجعوا، فستفتحونه غداً، فيعودون إليه أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم ارجعوا فستفتحونه غداً - إن شاء الله تعالى - ويستثني فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع مخضبةً بالدماء، فيقولون قهرنا من في الأرض، وعلونا من في السماء قسراً وعلواً، فيبعث الله تعالى عليهم نغفاً في أقفائهم، فيهلكون» قال رسول الله ﷺ: «فوالذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتبطر وتشكر شكراً من لحومهم».

وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث زينب بنت جحش قالت: استيقظ رسول الله ﷺ من نومه وهو محمر الوجه، وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلَّق قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون، قال: «نعم إذا كثر الخبث» وأخرجا نحوه من حديث أبي هريرة مرفوعاً قوله: ﴿وَتَرَكْنَا...﴾ إلخ. من كلام الله سبحانه بعد انقضاء كلام ذي القرنين؛ أي: وصيَّرنا ﴿بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾؛ أي[1]: صيَّرنا بعض يأجوج ومأجوج يوم خروجهم من السد يموج ويختلط ببعضهم الآخر

---

(١) المراح.

من شدة الازدحام عند خروجهم، لكثرتهم، وذلك عقب موت الدجال، فينحاز عيسى ـ عليه السلام ـ بالمؤمنين إلى جبل الطور فراراً منهم. وروي: أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه، ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس، ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس، ولا يصلون إلى من تحصَّن منهم بورد أو ذكر، ويُحبس نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار، فيتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء، فيسلط الله تعالى دوداً في أنوفهم أو آذانهم، فيموتون به، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه رممهم ونتنهم فيتوجه نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى، فيرسل ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم طيراً فتلقيهم في البحر، ثم يرسل الله مطراً يغسل الأرض حتى تصير كالمرآة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الغنم والإبل، حتى إن اللقحة لتكفي الجماعة الكثيرة، فبينما هم كذلك إذ بعث الله تعالى عليهم ريحاً طيبةً، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ نفخة ثانية للبعث، وهو القرن الذي ينفخ فيه للبعث من القبور، والمراد بالنفخة هنا: النفخة الثانية التي عندها يكون الحشر، بمقتضى الفاء التي بعدها، لأن الفاء تشعر بذلك، ولم يذكر النفخة الأولى، لأن المقصود هنا ذكر أحوال القيامة.

والمعنى: نفخ إسرافيل في الصور أرواح الخلائق عند استعداد صور الأجساد لقبول الأرواح، كاستعداد الحشيش لقبول الاشتعال، فتشتعل بأرواحها ﴿فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾؛ أي: جمعنا يأجوج ومأجوج وغيرهم ﴿جَمْعًا﴾؛ أي: جمعاً عجيباً، لم نترك من الملك والإنس والجن والحيوانات أحداً؛ أي: جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت أوصالهم وتمزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء.

الإعراب

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية ﴿يسألونك﴾: فعل وفاعل ومفعول أول ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: جار ومجرور متعلق به وهو في محل المفعول الثاني والجملة مستأنفة ﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد والجملة مستأنفة ﴿سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿السين﴾: حرف استقبال ﴿أتلو﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿عليكم﴾ متعلق به ﴿منه﴾ حال من ﴿ذِكْرًا﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿ذِكْرًا﴾ مفعول به والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾ ﴿إِنَّا﴾ إن حرف نصب ونا اسمها ﴿مَكَّنَّا﴾: فعل وفاعل ﴿لَهُۥ﴾: متعلق به وكذا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق به أيضاً ومفعول ﴿مَكَّنَّا﴾ محذوف تقديره ﴿مَكَّنَّا لَهُۥ﴾ أمره من التصرف فيها كيف يشاء وجملة ﴿مَكَّنَّا﴾ في محل الرفع خبر إن وجملة إن: مستأنفة مسوقة لبيان الذكر المتلو عليهم ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: حال من سببا، لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿سَبَبًا﴾ مفعول ثان لـ﴿آتينا﴾ وجملة ﴿آتينا﴾ في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿مَكَّنَّا﴾.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾.

﴿فَأَتْبَعَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية ﴿أتبع﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين ﴿سَبَبًا﴾: مفعول به والجملة: معطوفة مفرعة على جملة ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف جر وغاية ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿بَلَغَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين ﴿مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ مفعول به وجملة ﴿بَلَغَ﴾: في محل الجر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها والظرف: متعلق بالجواب الآتي ﴿وَجَدَهَا﴾: فعل ومفعول أول وفاعله: ضمير يعود على ذي

القرنين ﴿تَغْرُبُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الشمس ﴿فِي عَيْنٍ﴾: متعلق به ﴿حَمِئَةٍ﴾: صفة لـ﴿عَيْنٍ﴾ وجملة ﴿تَغْرُبُ﴾: في محل النصب مفعول ثان أو حال من مفعول ﴿وَجَدَ﴾ وجملة ﴿وَجَدَ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب وجملة ﴿إِذَا﴾: في محل الجر بحتى الجار والمجرور: متعلق بـ ﴿أتبع﴾ والتقدير ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ إلى وجدانه الشمس غاربة ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وقت بلوغه ﴿مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾. ﴿وَوَجَدَ﴾: فعل ماض معطوف على ﴿وَجَدَهَا﴾ وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين ﴿عِندَهَا﴾ متعلق بـ﴿وجد﴾ ﴿قَوْمًا﴾ مفعول به ﴿قُلْنَا﴾: فعل وفاعل والجملة: جواب لشرط محذوف تقديره فلما وجدهم ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ الخ. وجملة الشرط المحذوف مستأنفة ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ . . .﴾: منادى مضاف وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قُلْنَا﴾ ونداء الله إياه إن كان نبياً فبوحي وإن كان غيره فبإلهام أو على لسان نبي اهـ. بيضاوي. ﴿إِمَّآ﴾: حرف تفصيل ﴿أن﴾ حرف نصب ومصدر ﴿تُعَذِّبَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين والجملة في تأويل مصدر مرفوع على كونه خبر مبتدإ محذوف تقديره إما الشأن فيهم تعذيبك إياهم أو على كونه مبتدأ خبره محذوف تقديره: إما تعذيبك إياهم واقع ومن شواهد الرفع قول الشاعر:

فَسِيْرُوْا فَإِمَّا حَاجَةٌ تَقْضِيَانِهَا وَإِمَّا مَقِيْلٌ صَالِحٌ وَصَدِيْقُ

أو في تأويل مصدر منصوب على كونه مفعولاً لفعل محذوف، تقديره: إما فعلت التعذيب أو إختر إما: التعذيب ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ﴾ معطوف على ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ ﴿فِيهِمْ﴾: متعلق بـ﴿تَتَّخِذَ﴾ أو مفعول ثان لـ﴿تَتَّخِذَ﴾ و﴿حُسْناً﴾ مفعول أول.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين والجملة مستأنفة ﴿أَمَّا﴾: حرف شرط وتفصيل ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ ﴿ظَلَمَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على من والجملة صلة الموصول ﴿فَسَوْفَ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿أَمَّا﴾. ﴿سوف﴾: حرف استقبال ﴿نُعَذِّبُهُۥ﴾: فعل

ومفعول وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ والجملة الاسمية جواب ﴿أَمَّا﴾: لا محل لها من الإعراب وجملة ﴿أَمَّا﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ ﴿يُرَدُّ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ونائب فاعله ضمير يعود على من ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾: متعلق به والجملة معطوفة على جملة نعذبه ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ﴾ ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتعقيب ﴿يعذبه﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله ﴿عَذَابًا﴾ مفعول مطلق ﴿نُّكْرًا﴾: صفة له وجملة يعذب معطوفة على جملة ﴿يُرَدُّ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾.

﴿وَأَمَّا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿أَمَّا﴾: حرف شرط ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ ﴿ءَامَنَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على من والجملة صلة الموصول ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به أو صفة لمصدر محذوف أي عملاً صالحاً والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَامَنَ﴾. ﴿فَلَهُۥ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب أما له خبر مقدم ﴿جَزَآءً﴾: حال من ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مبتدأ مؤخر؛ أي: فالحسنى كائنة له حالة كونه مجزياً بها، والجملة الاسمية في محل الرفع خبر من الموصولة والجملة الإسمية جواب أما لا محل لها من الإعراب وجملة ﴿أَمَّا﴾ في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أَمَّا﴾: الأولى ﴿وَسَنَقُولُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله ﴿لَهُۥ﴾: متعلق بـ﴿نقول﴾ ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾: جار ومجرور حال من ﴿يُسْرًا﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿يُسْرًا﴾ مفعول به أو مفعول مطلق لأنه صفة لمصدر محذوف والتقدير سنقول له من أمرنا قولاً يسراً وجملة ﴿نقول﴾ في محل الرفع معطوفة على جملة قوله ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ على كونها خبراً لمن الموصولة.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف وتراخ ﴿أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول والجملة: معطوفة على جملة قوله ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ السابق ﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف جر وغاية

﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿بَلَغَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين ﴿مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾: مفعول به والجملة الفعلية في محل الجر بإضافة إذا إليها على كونها فعل شرط لها والظرف متعلق بالجواب الآتي ﴿وَجَدَهَا﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب وجملة إذا في محل الجر بحتى وحتى متعلقة بـ﴿أَتْبَعَ﴾ والتقدير: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ إلى وجدانه الشمس طالعة على قوم وقت بلوغه ﴿مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾. ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ متعلق بـ﴿تَطْلُعُ﴾ وجملة ﴿تَطْلُعُ﴾ في محل النصب حال من مفعول وجد أو مفعول ثان لوجد ﴿لَّمْ﴾ حرف جزم ﴿نَجْعَل﴾: مجزوم بلم وفاعله ضمير يعود على الله ﴿لَهُم﴾ جار ومجرور في محل النصب مفعول ثان لجعل ﴿مِّن دُونِهَا﴾: جار ومجرور حال من ﴿سِتْرًا﴾. ﴿سِتْرًا﴾ مفعول أول لجعل وجملة نجعل في محل الجر صفة لقوم.

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور خبر لمبتدأ محذوف تقديره الأمر كائن كذلك والجملة مستأنفة؛ أي: أمر ذي القرنين كائن كما وصفناه من بلوغه مغرب الشمس وبلوغه مطلع الشمس وبسطة الملك له. ﴿وَقَدْ﴾ الواو: استئنافية ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق ﴿أَحَطْنَا﴾: فعل وفاعل والجملة مستأنفة أو حالية أو معطوفة ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بأحطنا ﴿لَدَيْهِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف صلة الموصول ﴿خُبْرًا﴾: تمييز محول عن فاعل ﴿أَحَطْنَا﴾؛ أي: وقد أحاط علمنا بما لديه.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف وتراخ ﴿أَتْبَعَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين ﴿سَبَبًا﴾: مفعول به والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾. ﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف جر وغاية ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿بَلَغَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ مفعول به والجملة في محل

الجر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها والظرف متعلق بالجواب الآتي ﴿وَجَدَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين ﴿مِن دُونِهِمَا﴾: مفعول ثان لوجد ﴿قَوْمًا﴾ مفعول أول له وجملة ﴿وَجَدَ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ وجملة ﴿إِذَا﴾ في محل الجر بحتى و﴿حَتَّىٰٓ﴾ متعلق بـ﴿أَتْبَعَ﴾ والتقدير ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ إلى وجدانه ﴿قَوْمًا﴾ من دون السدين وقت بلوغه بينهما ﴿لَّا يَكَادُونَ﴾: فعل ناقص واسمه ﴿يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: فعل وفاعل ومفعول والجملة في محل النصب خبر كاد وجملة كاد في محل النصب صفة ﴿قَوْمًا﴾.

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾.

﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل ﴿والواو﴾: ضمير يعود على أولئك القوم والجملة مستأنفة ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: منادى مضاف وجملة النداء: في محل النصب مقول قال ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ﴾: ناصب واسمه ﴿وَمَأْجُوجَ﴾: معطوف على يأجوج ﴿مُفْسِدُونَ﴾: خبر إن ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق به وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول قال على كونها جواب النداء ﴿فَهَلْ﴾ ﴿الفاء﴾ حرف عطف وتفريع ﴿هل﴾ حرف استفهام استخباري ﴿نَجْعَلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على أولئك القوم ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور في محل المفعول الثاني لجعل ﴿خَرْجًا﴾: مفعول أول والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة إن ﴿عَلَىٰٓ﴾ حرف جر ﴿أَن تَجْعَلَ﴾: ناصب وفعل منصوب وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين ﴿بَيْنَنَا﴾: ظرف ومضاف إليه في محل المفعول الثاني لتجعل ﴿وَبَيْنَهُمْ﴾ معطوف على ﴿بَيْنَنَا﴾ ﴿سَدًّا﴾: مفعول أول لتجعل وجملة تجعل مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور بعلى تقديره: على جعلك سداً بيننا وبينهم الجار والمجرور: متعلق بمحذوف صفة لـ﴿خَرْجًا﴾ تقديره: خرجا قائماً على شرط جعلك سداً بيننا وبينهم.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين والجملة مستأنفة

﴿مَا مَكَّنِّي﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾: مقول محكي وإن شئت قلت: ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ ﴿مَكَّنِّي﴾ فعل ماض، ونون وقاية، وياء مفعول ﴿فِيهِ﴾ متعلق به ﴿رَبِّي﴾ فاعل والجملة صلة الموصول ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَأَعِينُونِي﴾ الفاء: فاء الفصيحة لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره إذا عرفتم ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم: أعينوني. ﴿أعينوني﴾ فعل وفاعل ونون وقاية وياء مفعول ﴿بِقُوَّةٍ﴾ متعلق به والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول قال ﴿أَجْعَلْ﴾ فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف في محل المفعول الثاني لـ﴿أَجْعَلْ﴾ ﴿وَبَيْنَهُمْ﴾ معطوف عليه ﴿رَدْمًا﴾ مفعول أول لأجعل والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب الطلب.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾.

﴿ءَاتُونِي﴾ فعل أمر وفاعل ونون وقاية والياء مفعول أول ﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾: مفعول ثان، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مفسرة لأعينوني ﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف جر وغاية متعلقة بمحذوف تقديره. فجاؤوه بما طلب فبنى وجعل ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ الفحم والحطب حتى ﴿إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ وسد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾... إلخ. ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿سَاوَىٰ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها والظرف: متعلق بالجواب الآتي ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾: مفعول به لـ﴿سَاوَىٰ﴾ كما مر في مبحث التفسير، ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب وجملة إذا في محل الجر بحتى تقديره وجعل بين الصدفين الفحم والحطب والحديد إلى قوله لهم: ﴿ٱنفُخُوا۟﴾ وقت مساواته ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾. ﴿ٱنفُخُوا۟﴾: فعل وفاعل والجملة في محل النصب مقول قال ﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف جر

وغاية ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ فعل ومفعولان وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين والجملة: في محل الخفض بإضافة إذا إليها على كونها فعل شرط لها والظرف متعلق بالجواب الآتي ﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب وجملة ﴿إِذَا﴾ في محل الجر بحتى تقديره إلى قوله آتوني وقت جعله إياه ناراً الجار والمجرور متعلق بـ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾. ﴿ءَاتُونِي﴾: فعل أمر وفاعل ونون وقاية ومفعول أول والمفعول الثاني محذوف لدلالة العامل الثاني عليه لأن المسألة من باب التنازع تقديره ﴿ءَاتُونِي﴾ قطراً والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿أُفْرِغْ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به ﴿قِطْرًا﴾: مفعول به لـ﴿أُفْرِغْ﴾ والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب الطلب، فأُعمل الثاني هنا على مذهب البصريين لقربه، ولو أعمل الأول لقيل آتوني أفرغه عليه قطرا.

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾.

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره فجاء قوم يأجوج ومأجوج بعد أن أنهى بناءه وتسويته يحاولون أن يعلوه أو يثقبوه فما اسطاعوا والجملة المحذوفة مستأنفة ﴿ما﴾ نافية ﴿ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ فعل ماض وفاعل ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾: ناصب وفعل وفاعل ومفعول به والجملة في تأويل مصدر على المفعولية والتقدير فما اسطاعوا ظهورهم إياه والجملة الفعلية معطوفة على تلك المحذوفة ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ فعل وفاعل ﴿لَهُۥ﴾: متعلق به ﴿نَقْبًا﴾: مفعول به والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ذي القرنين والجملة: مستأنفة ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ﴾: مبتدأ وخبر ﴿مِّن رَّبِّي﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿رَحْمَةٌ﴾ والجملة الإسمية في محل النصب مقول قال ﴿فَإِذَآ﴾ ﴿الفاء﴾: استئنافية[1] ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه والجملة: في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على

كونها فعل شرط لها والظرف: متعلق بالجواب الآتي ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على الله ومفعولان والجملة: جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب وجملة ﴿إذا﴾ مستأنفة على كونها مقول قال ﴿وَكَانَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة أو حالية ﴿كان وعد ربي حقاً﴾: فعل ناقص واسمه ومضاف إليه وخبره والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿إذا﴾ أو على جملة جوابها أو حال من فاعل ﴿جَآءَ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾.

﴿وَتَرَكْنَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية ﴿تركنا بعضهم﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف مضاف إلى مثله والتنوين في إذ عوض عن الجملة المحذوفة كما مر تقديره؛ أي: يوم إذ يدك السد أو يوم إذ يخرج يأجوج ومأجوج والظرف متعلق بـ﴿يَمُوجُ﴾ أي: ﴿يَمُوجُ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على بعضهم ﴿فِي بَعْضٍ﴾ متعلق بـ﴿يَمُوجُ﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب مفعول ثان لـ ﴿تركنا﴾ لأن ترك هنا من أفعال التصيير وجملة ﴿تركنا﴾: مستأنفة. ﴿وَنُفِخَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة ﴿فِي ٱلصُّورِ﴾ جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل لـ ﴿نفخ﴾ والجملة معطوفة على جملة ﴿تركنا﴾ ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿جَمْعًا﴾: مفعول مطلق ﴿والفاء﴾: عاطفة والجملة: معطوفة على جملة ﴿نفخ﴾. والله أعلم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿ذِكْرًا﴾؛ أي: نبأ مذكوراً، وهو القرآن ﴿مَكَّنَّا لَهُۥ﴾ يقال: مكنه ومكن له، كنصحه ونصح له؛ أي: مهد له الأسباب، وجعله قادراً على التصرف في الأرض، من حيث التدبير والرأي.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ قد سبق لك في مبحث القراءة، أن نافعاً، وابن كثير، وأبا عامر، وابن عامر قرؤوا ﴿فَأَتْبَعَ﴾ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ في المواضع كلها، بهمزة وصل، وتشديد التاء من افتعل الخماسيّ، والباقون بقطع الهمزة وسكون التاء من أتبع الرباعي، فقيل: هما بمعنى واحد فيتعديان لمفعول واحد، وقيل: ﴿أتبع﴾

بالقطع متعد لاثنين حذف أحدهما تقديره ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ سبباً آخر أو فأتبع أمره سبباً. ومنه: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ فعداه لاثنين، ومن حذف أحد المفعولين قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾؛ أي: أتبعوا جنودهم، واختار أبو عبيد ﴿اتَّبع﴾ بالوصل، قال: لأنه من المسير، قال: تقول: تبعت القوم واتبعتهم، فأما الإتباع بالقطع فمعناه اللحاق، كقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وقال يونس، وأبو زيد: ﴿أتبع﴾ بالقطع، عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب، وبالوصل إنما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات. اهـ «سمين».

﴿سَبَبًا﴾؛ أي: طريقاً يوصله إليه، من علم أو قدرة أو آلة ﴿حَمِئَةٍ﴾؛ أي: ذات حمئة، وهي الطين الأسود، وفي «المصباح» والحمأة بسكون الميم: طين أسود، وحمئت البئر حمأً، من باب تعب، صار فيها الحمأة، وحميت الحديدة تحمى، من باب تعب فهي حامية، إذا اشتد حرها بالنار، ويتعدى بالهمزة فيقال: أحميتها فهي محماة، ولا يقال: حميتها بغير ألف. اهـ والعين الحمئة: ماء يجري على الطين الأسود.

﴿مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾: بكسر الراء؛ أي: مكان غروبها، والقياس: فتحها لأن القاعدة[1] عند الصرفيين: أن كل فعل ثلاثي متصرف، لا يأتي مضارعه على وزن يفعل بكسر العين، بل يأتي على يفعل بضمها، أو على يفعل بفتحها ككرم يكرم، ونصر ينصر، وفرح يفرح، وغرب يغرب، وطلع يطلع، قياس مفعله فتح الميم والعين مع سكون فائه، سواء أريد به المصدر، أو الزمان أو المكان، والكسر فيه شاذ كما قال ابن مالك في «لامية الأفعال»:

مِنْ ذِيْ ٱلثَّلاَثَةِ لاَ يَفْعَلْ لَهُ إئت بمفـ ـعـل مَـصْـدَرَ أَو مَـا فِـيـهِ قَـدْ عَـمِـلاَ

﴿حُسْنًا﴾؛ أي: أمراً ذا حسن ﴿نُّكْرًا﴾؛ أي: منكراً فظيعاً ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: المثوبة الحسنى ﴿يُسْرًا﴾؛ أي: سهلاً ميسراً غير شاق ﴿سِتْرًا﴾؛ أي: بناءً، وكانوا إذا طلعت الشمس تغوّروا في المياه، وإذا غربت خرجوا ﴿خُبْرًا﴾؛ أي: علماً

---

(١) مناهل الرجال.

يتعلق بظواهره وخفاياه ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾؛ أي: بين الجبلين، ويُروى: أن ذا القرنين سد ما بينهما، وإطلاق السد على الجبل لأنه سد في الجملة، وفي «القاموس»: السد الجبل الحاجز، أو لكونه ملاصقاً للسد، فهو مجاز علاقته المجاورة، والقول الثاني هو المناسب لما قبله .اهـ «شهاب».

﴿يَفْقَهُونَ﴾ يفهمون ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ اسمان أعجميان، بدليل منع الصرف فيهما للعلمية والعجمة، وقيل: بل هما عربيان، واختلف في اشتقاقهما، فقيل: من أجيج النار، وهو التهابها وشدة توقدها، وقيل: من الأوجة، وهي الأخلاط، أو شدة الحر، وقيل: من الأوج، وهو سرعة العدو، وإنما منعا من الصرف، للعلمية والتأنيث، وكلاهما من أج الظليم، إذا أسرع، أو من أجت النار، إذا التهبت، ﴿خَرْجًا﴾؛ أي: جعلاً من أموالنا والخراج: ما لزمك أداؤه ﴿بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بما يتقوى به على المقصود من الآلات والناس ﴿رَدْمًا﴾ والردم أكبر من السد وأوثق منه، يقال: ثوب مردم؛ أي: فيه رقاع فوق رقاع.

﴿ءَاتُونِي﴾ قرأ أبو بكر[1] ﴿ائتوني﴾ بهمزة وصل، من أتى يأتي في الموضعين من هذه السورة، بخلاف عنه في الثاني، ووافقه حمزة على الثاني من غير خلاف عنه، والباقون بهمزة القطع فيهما، فزبر على قراءة همزة الوصل منصوبة على إسقاط الخافض؛ أي: جيئوني بزبر الحديد وفي قراءة قطعها على المفعول الثاني، لأنه يتعدى بالهمزة إلى اثنين، وعلى قراءة أبي بكر يحتاج إلى كسر التنوين، من ﴿رَدْمًا﴾ لالتقاء الساكنين، لأن همزة الوصل تسقط درجا، فيقرأ له بكسر التنوين وبعده همزة ساكنة هي فاء الكلمة، وإذا ابتدأت بكلمة ائتوني في قراءتِهِ وفي قراءة حمزة. . تبدأ بهمزة مكسورة للوصل، ثم ياء صريحة هي بدل عن همزة فاء الكلمة، وفي الدرج تسقط همزة الوصل، فتعود الهمزة لزوال موجب إبدالها، والباقون يبتدئون ويصلون بهمزة مفتوحة، لأنها همزة قطع ويتركون تنوين ﴿رَدْمًا﴾ على حاله من السكون، هذا كله ظاهر لأهل النحو، خفيٌّ على القراء.

---

(١) الفتوحات.

﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾؛ أي: قطع الحديد، جمع زبرة كغرفة وغرف ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ بفتحتين وضمتين أيضاً، وضم الأول وسكون الثاني، وقد قرىء بالثلاث جميعاً، مثنى صدف بفتحتين، وصدف بضمتين، وصدف بضم الأول وفتح الثاني، وبالعكس منقطع الجبل، أو ناصيته، وقد سميا بذلك لأنهما يتقابلان وفي زاده وسميت كل ناحية من الجبلين صدفاً لكونه مصادفاً، ومقابلاً للآخر من قولك صادفت الرجل؛ أي: لقيته اهـ.

﴿قِطْرًا﴾؛ أي: نحاساً مذاباً، فالقطر بكسر فسكون النحاس المذاب على الحديد المحمى، وقيل: رصاصاً مذاباً ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾؛ أي: أن يعلوه ويرقوا فوقه لارتفاعه وملاسته ﴿رَحْمَةٌ﴾؛ أي: أثر رحمة ﴿دَكَّآءَ﴾؛ أي: مثل دكاء وهي الناقة التي لا سنام لها، والمراد بها: الأرض المستوية ﴿حَقًّا﴾ ثابتاً واقعاً لا محالة ﴿يَمُوجُ﴾؛ أي: يضطرب اضطراب البحر ﴿ٱلصُّورِ﴾ قرن ينفخ فيه والبوق.

فائدة في مبحث اسْطاع: قالوا: الأصل في اسطاع واستطاع أن التاء حذفت تخفيفاً، وفتحت همزة الوصل وقطعت، وهو قول الفراء، وفي استطاع لغات: اسطاع يستطيع، بفتح الهمزة في الماضي وضم حرف المضارعة، فهو أطاع يطيع، وأصله يطوع بقلب الفتحة من الواو إلى الطاء في أطوع، إعلالاً له حملاً على الماضي، فصار أطاع، ثم دخلت السين كالعوض من عين الفعل، هذا مذهب سيبويه، واللغة الثانية استطاع يستطيع بكسر الهمزة في الماضي ووصلها، وفتح حرف المضارعة، وهو استفعل نحو استقام واستعان.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع.

فمنها: تكرار ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿مَغْرِبَ﴾ و﴿مَطْلِعَ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق بين ﴿مَغْرِبَ﴾ و﴿تَغْرُبُ﴾ و﴿مَطْلِعَ﴾ و﴿تَطْلُعُ﴾.

ومنها: التفصيل أو التخيير في قوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ لأن السبب حقيقة في الحبل، فاستعير هنا لكل ما يُتوصل به إلى المقصود من الآلات والعملة وآلات السير وكثرة الجند.

ومنها: المقابلة اللطيفة في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مقابل قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ...﴾ الآية.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾؛ أي: بين الجبلين، لأن السد حقيقة في الحاجز المبني، فاستعماله في الجبل مجاز، علاقته المجاورة.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ أي: كالنار في الحرارة وشدة الاحمرار، وحذفت أداة التشبيه فأصبح بليغاً.

ومنها: التفنن في قوله: ﴿رَدْمًا﴾ لأنه بمعنى سداً، إلا أنه أبلغ منه في المعنى.

ومنها: استعمال الماضي في المستقبل، في قوله: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟﴾ لأن الاستطاعة المنفية مستقبلة بالنظر إلى وقت القول.

ومنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ شبههم لكثرتهم وتداخل بعضهم في بعض، بموج البحر المتلاطم، واستعار لفظ يموج لذلك الاختلاط، ففيه استعارة تبعية، والاستعارة هنا من نوع استعارة محسوس لمحسوس، كما هو من أقسام الاستعارة، فإن أصل الموج تحريك المياه، فاستعير لحركة يأجوج ومأجوج، أو لحركة الخلق كلهم، لاشتراك المستعار والمستعار له في الحركة، وهي استعارة مكنية تبعية.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها، أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر[1] أنه إذا جاء يوم القيامة ينفخ في الصور لقيام الخلق من قبورهم، بعد أن تقطعت أوصالهم، وتمزقت أجسامهم، وجمعهم في صعيد واحد للحساب والجزاء.. أردف ذلك ببيان أنه إذ ذاك يُبرز النار للكافرين، بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظاً وزفيراً، وفي ذلك تعجيل الهم والحزن لهم، من قبل أنهم تعاموا وتصاموا عن قبول الهدى واتباع الحق، وحسبوا أن اتخاذهم أولياء من دون الله ينجيهم من عذابه، وأن ما عملوه من تلك الأعمال الباطلة نافع لهم، وكل ذلك وهم وخيال، فلا فائدة منه في ذلك اليوم ولا نقيم لهم إذ ذاك وزناً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر[2] ما أعده للكافرين من العذاب

---

(١) المراغي. (٢) المراغي.

في جهنم جزاء كفرهم بربهم، واستهزائهم برسله وآياته.. أردف ذلك بما يرغِّب المؤمنين في العمل الصالح، من جنات تجري من تحتها الأنهار، جزاءً وفاقاً على إنابتهم إليه، وإخباتهم له، ثم ختم السورة ببيان حال القرآن الذي ذكر فيه الدلائل والبينات على وحدانيته، وإرساله الرسل، والبعث والجزاء، للدلالة على عظيم فضله، ومزيد إنعامه، ثم أعقب ذلك ببيان أن العمل لا يُتقبل إلا إذا صاحَبَهُ أمران: أن يكون خالصاً لوجهه تعالى، وأن يكون مبرءاً من الشرك الخفي والجلي.

أسباب النزول

قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه[1] الحاكم وغيره، عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه فنزلت: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ وقال اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى...﴾ إلخ. الآية.

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ...﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا في كتاب «الإخلاص» عن طاووس قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف أريد وجه الله وأحب أن يُرى موطني، فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ مرسل وأخرجه الحاكم في «المستدرك» موصولاً، عن طاووس، عن ابن عباس صححه على شرط الشيخين.

وأخرج[2] ابن أبي حاتم عن مجاهد، قال: كان رجل من المسلمين يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه فأنزل الله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ...﴾. الآية.

---

(١) لباب النقول.

(٢) لباب النقول.

وأخرج أبو نعيم، وابن عساكر في تاريخه، من طريق السدى الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: قال جندب عن زهير: إذا صلى الرجل، أو صام، أو تصدق، فذُكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لمقالة الناس له فنزلت في تلك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ . . .﴾ الآية.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أبرزنا نار جهنم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم إذ نفخ في الصور، وجمعناهم جمعاً وأظهرناها ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ بالله وبرسله ﴿عَرْضًا﴾ هائلاً وإظهاراً عجيباً، لا يُعرف كنهه حتى يروا أهوالها، وشديد نكالها، ويسمعوا لها تغيظاً وزفيراً، وفي هذا تعجيل للهم والحزن لهم، ومعرفة أنهم مواقعوها، ولا يجدون عنها مصرفا.

وتخصيص العرض بالكافرين[1]، مع أنها بمرىءً من أهل الجمع قاطبةً، لأن ذلك لأجلهم خاصةً، وهذا العرض يجري مجرى العقاب لهم من أول الأمر، لما يتداخلهم من الغم العظيم ﴿الَّذِينَ﴾ الموصول مع صلته نعت للكافرين، أو بدل ولذا لا وقف على عرضا، كما في «الكواشي» ﴿كانت أعينهم﴾؛ أي: أعين قلوبهم، وهم في الدنيا ﴿فِي غِطَآءٍ﴾؛ أي: في غلاف وغيظ وأغشية كثيفة، محاطة بذلك من جميع الجوانب، والغطاء: ما يغطي الشيء ويستره ﴿عَن ذِكْرِى﴾ على وجه يليق بي، وعن كتابي فلا يهتدون به؛ أي: في غطاء عن الآيات المؤدية لأولي الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكري بالتوحيد والتمجيد، كما قيل:

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

﴿وَكَانُواْ﴾ مع ذلك ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا يقدرون لفرط تصاممهم عن الحق، وكمال عداوتهم للرسول ﷺ ﴿سَمْعًا﴾؛ أي: استماعاً لذكري وكلامي وقرآني، فلا يؤمنون به، يعني: أن حالهم أعظم من الصمم، فإن الأصم قد يستطيع السمع إذا

---

(١) روح البيان.

صيح به، وهؤلاء زالت عنهم تلك الاستطاعة.

والمعنى[1]: أن هذا العذاب إنما نالهم من جراء أنهم كانوا لا ينظرون في آيات الله، فيتفكروا فيها، ولا يتأملون حججه، فيعتبروا بها وينيبوا إلى ربهم، وينقادوا لأمره ونهيه، وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله، الذي ذكرهم به، وبيانه الذي بيَّنه لهم في آي كتابه، فتغافلوا وتعاموا، وتصاموا عن قبول الهدي، واتباع الحق كما قال: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ ذاك أنهم لما دنسوا أنفسهم باجتراح الذنوب والآثام، وأطاعوا وساوس الشيطان وما نصبه لهم من الحبائل.. طبع الله على قلوبهم، وجعل على سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، ثم بيَّن أن ما اعتمدوا عليه من المعبودات لا يجديهم نفعاً، فقال: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ والهمزة فيه للتوبيخ والتقريع المضمن للإنكار، داخلة على محذوف، و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف، والحسبان هنا بمعنى الظن، والتقدير أكفروا بي[2] مع جلالة شأني، فحسبوا وظنوا ﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى﴾ من الملائكة، وعيسى وعزير، وهم تحت سلطاني وملكوتي ﴿مِن دُونِىٓ﴾ مجاوزين إيّاي؛ أي: تاركين عبادتي ﴿أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: معبودين ينصرونهم من بأسي، والمعنى: أظنوا أن ذلك الاتخاذ ينفعهم، أو يرفع عنهم ما يحل بهم من النكال والوبال، وخلاصة هذا: أظنوا أن ذلك الاتخاذ ينفعهم وأنه لا يغضبني؟ كلا.

وقرأ علي بن أبي طالب[3]، وزيد بن علي بن الحسين، ويحيى بن يعمر، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، ونعيم بن ميسرة، والضحاك، وابن أبي ليلى، وابن كثير، ويعقوب بخلاف عنهما، وابن محيصن، وأبو حيوة، والشافعي، ومسعود بن صالح ﴿أَفَحَسْبُ﴾ بإسكان السين وضم الباء مضافاً إلى الذين؛ أي: أفكفايتهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء، على أنه مبتدأ وخبر، يريد أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا.

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) البحر المحيط.

ثم أكد هذا الإنكار بقوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾؛ أي: أعددنا وهيأنا ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ المعهودين ﴿نُزُلًا﴾ وهو ما يعد للنزيل والضيف؛ أي: أحضرنا جهنم للكافرين، كالنزل المعد للضيف، وفيه تهكم بهم، كقولهم: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ والمعنى: إن جهنم معدة لهم عندنا، كما يعد النزل للضيف؛ أي[1]: إنا هيأنا لهؤلاء الكافرين جهنم عوضاً مما أعدوه لأنفسهم من الأولياء الذين اتخذوهم زاداً ليوم المعاد، والخلاصة: إنا أعتدنا لهم مكان ما أعدوا لأنفسهم من العدة والذخر عُدةً، هي جهنم وبئس المصير.

وقرأ أبو حيوة، وأبو عمرو بخلاف عنه ﴿نزْلاً﴾ بسكون الزاي وفي ذلك تهكم بهم، وتخطئة لهم في حسبانهم ذلك، وإيماء إلى أن لهم وراء جهنم ألوان أخرى من العذاب، وما جهنم إلا أنموذج منه.

وفي الآية[2]: إشارة إلى أن من ادعى محبة الله وولاءه، لا يتخذ من دون الله أولياء، أياً كان، إذ لا يجتمع ولاية الحق وولاية الخلق، ومن كفر بنعمة الولاء واتخذ من دون الله أولياء، فله جهنم البعد والقطيعة أبداً.

ثم ذكر سبحانه ما فيه تنبيه إلى جهلهم فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين يجادلونك بالباطل من أهل الكتابين، اليهود والنصارى، ومن المشركين ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم﴾ أيها الكفرة؛ أي: هل نخبركم أنا ومن تبعني من المؤمنين ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ﴾ في الآخرة ﴿أَعْمَٰلًا﴾ نصب على التمييز والجمع، للإيذان بتنوعها؛ أي: بالقوم الذين هم أشد الخلق وأعظمهم خسراناً فيما عملوا، قال في «الإرشاد» هذا بيان حال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الأعمال الحسنة في أنفسها، من صلة الرحم، وإطعام الفقراء، وعتق الرقاب ونحوها، وفي حسبانهم أيضاً حيث كانوا معجبين بها، واثقين بنيل ثوابها، ومشاهدة آثارها غِبَّ بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة في أنفسها، مع كونها حسنة في حسبانهم. انتهى.

وقال في «البحر»: والأخسر من أتعب نفسه بعمل فأدى تعبه به إلى النار،

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

نعوذ بالله من ذلك ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف، كأنه قيل: من هم؟ فقيل: هم الذين ضل؛ أي: ضاع وبطل سعيهم وجهدهم في إقامة الأعمال الحسنة ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلق بالسعي لا بالضلالة، لأن بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا ﴿وَهُمْ﴾ أي: ضل سعيهم والحال أنهم ﴿يَحْسَبُونَ﴾؛ أي: يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾؛ أي: يعملون عملاً ينفعهم في الآخرة؛ أي[1]: يحسبون أنهم يعملون ذلك، على الوجه اللائق، وذلك لإعجابهم بأعمالهم التي سعوا في إقامتها، وكابدوا في تحصيلها.

وفي الآية: إشارة إلى أهل الأهواء والبدع، وأهل الرياء والسمعة، فإن اليسير من الرياء شرك، وإن الشرك محبط الأعمال، لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ والمعنى[2]: قل لهم يا محمد: هل نخبركم بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ثواباً وفضلاً، فنالوا به هلاكاً وبواراً، كالمشتري سلعةً يرجو بها ربحاً، فخاب رجاؤه، وخسر بيعته، ووكس في الذي رجا فضله.

وخلاصة ذلك: أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به، وظنوا أنهم بفعلهم هذا مطيعون له، وأنهم يحسنون صنعاً، ثم استبان لهم أنهم كانوا مخطئين، وفي ضلال مبين، وأن سعيهم الذي سعوه في الدنيا ذهب هباءً، فلم يجدهم نقيراً ولا قطميراً.

ثم بيَّن السبب في بطلان سعيهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر من ضلال سعيهم مع الحسبان المذكور هم ﴿الذين كفروا بآيات ربهم﴾؛ أي: بدلائله الداعية إلى توحيده عقلاً ونقلاً ﴿و﴾ كفروا بـ﴿لقائه﴾ سبحانه وتعالى بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة، على ما هي عليه ﴿فَحَبِطَتْ﴾؛ أي: ضاعت وبطلت بذلك ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ التي عملوها مما يحسبونها حسنة حبوطاً كلياً، فلا يثابون عليها، وذلك خسران وضلالٌ مبين.

وقرأ ابن عباس وأبو السمال[3]: ﴿فحبطت﴾ بفتح الباء، والجمهور

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

بكسرها، ثم حكم عليهم بقوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ﴾؛ أي: فلا نجعل لأولئك الموصوفين بما مر من حبوط الأعمال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ وقدراً؛ أي[1]: فنزدري بهم، ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً، لأن مداره الأعمال الصالحة، وقد حبطت بالمرة، ولما كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال.. عطف عليه بطريق التفريع، وأما ما هو من أجزية الكفر، فسيجيء بعد ذلك.

والمعنى[2]: أن هؤلاء الأخسرين أعمالاً، هم الذين كفروا بالدلائل المنبثة في الآفاق والأنفس، التي تدعو إلى توحيده، وكفروا بالبعث والحساب، وما يتبع ذلك من أمور الآخرة، ومن ثم حبطت أعمالهم، فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها، بل لهم منها عذاب وخزي طويل، ولا تثقل بها موازينهم، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وليس لهم منها شيء.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿فَلَا نُقِيمُ﴾ بالنون ﴿وَزْنًا﴾ بالنصب، ومجاهد، وعبيد بن عمير ﴿فلا يقيم﴾ بالياء لتقدم قوله ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وعن عبيد أيضاً ﴿يقوم﴾ بفتح الياء كأنه جعل قام متعدياً، وعن مجاهد، وابن محيصن، ويعقوب بخلاف عنهم ﴿فلا يقوم﴾ مضارع قام ﴿وزنٌ﴾ مرفوع به وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: «اقرؤوا - إن شئتم -: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» متفق عليه.

ثم بيَّن مآلهم بسبب كفرهم، وسائر معاصيهم إثر بيان أعمالهم المحبطة بذلك الكفر فقال: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة[4] إلى ما ذكر، من حبوط أعمالهم، وخسة قدرهم عند الله، فاسم الإشارة خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك؛ أي: أمر هؤلاء المذكورين، وشأنهم ذلك الذي ذكرناه، وقوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان جزائهم؛ أي: جزاء هؤلاء المذكورين نار جهنم، وقيل:

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) البحر المحيط.
(٤) الخازن.

المعنى: ذلك التصغير لهم، وجزاؤهم جهنم، فأضمرت واو الحال، ذكره ابن الجوزي ﴿بِمَا كَفَرُواْ وَاتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ الدالة على وحدانيتي ﴿وَرُسُلِي﴾ المؤيدين بالمعجزات ﴿هُزُوًا﴾؛ أي: مهزوءاً بها؛ أي: جزاؤهم[1] جهنم بسبب كفرهم وإنكارهم لما يجب إيمانهم وإقرارهم به، واتخاذهم القرآن وغيره من الكتب الإلهية ورسل الله وأنبيائه سخرية واستهزاء، وهذا من قبيل الوصف بالمصدر للمبالغة، يعني: أنهم بالغوا في الاستهزاء بآيات الله ورسله، فكأنهم جعلوها وإياهم عين الاستهزاء، أو المعنى مهزوءاً بهما كما مر، أو مكان هزء ثم ذكر سبحانه بعد هذا الوعيد لهؤلاء الكفار، الوعد للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بآيات ربهم ولقائه في الدنيا ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال وهي ما كانت خالصةً لوجه الله تعالى ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله تعالى في الأزل، وإنما قدرنا ذلك جواباً عما يقال المقام للمضارع، فما وجه المعنى هنا؟

وحاصل الجواب: أن الكينونة المذكورة بحسب علم الله الأزلي وإن كانت الكينونة المقارنة بالدخول ستحصل، ذكره في «الفتوحات» ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾؛ أي: ثمار بساتين الفردوس ﴿نُزُلًا﴾ معداً لهم مبالغةً في إكرامهم حالة كونهم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: مقدرين الخلود في تلك الجنات حالة كونهم ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ مصدر كالصغر؛ أي: لا يطلبون تحولاً وانتقالاً عنها إلى غيرها، كما ينتقل الرجل في الدنيا من دار إذا لم توافقه إلى دار، إذ لا مزيد عليها وفيها كل المطالب، والمراد بنفي التحويل تأكيد الخلود، والفردوس[2]: ربوة خضراء في الجنة أعلاها وأحسنها، يقال: لها سرة الجنة، وفي حديث[3] عبادة: «الفردوس أعلاها»؛ يعني: أعلا الجنة، قال قتادة: وربوتها ومنها تفجر أنهار الجنة، قال أبو هريرة: جبل تتفجر منه أنهار الجنة، وفي حديث أبي أمامة «الفردوس سرة الجنة» قال المبرد: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب: الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب، وقال مجاهد: الفردوس البستان باللغة الرومية، واختار

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

الزجاج ما قاله مجاهد.

ومعنى الآي: أي[1] إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وصدقوا المرسلين فيما جاؤوا به، وعملوا صالح الأعمال، ابتغاء المثوبة من ربهم، لهم بساتين الفردوس في أعلى الجنة وأوسطها منزلاً، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنها أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقها عرش الرحمٰن تبارك وتعالى ومنه تفجر الأنهار».

حالة كونهم خالدين ولابثين فيها أبداً، لا يبغون تحولاً عنها إلى غيرها، قال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه، إلى دار أخرى، وخلاصة هذا: أنه لا مكان أعز منها عندهم، ولا أرفع شأناً. حتى تنازعهم إليه أنفسهم، وتطمح إليه أبصارهم، ثم نبه إلى عظيم شأن القرآن بقوله: ﴿قُل﴾ يا محمد لهؤلاء المجادلين لك ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾؛ أي: جنس ماء البحر ﴿مِدَادًا﴾ وحبراً ﴿لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى﴾؛ أي: لكتابتها وهي حكمه وعجائبه، والكلمات هي: العبارات عنها كما في «الجلالين» ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾؛ أي: لفنى جنس ماء البحر بأسره، مع كثرته ولم يبق فيه شيء، لأن كل جسم متناه ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ وتفنى ﴿كَلِمَـٰتُ رَبِّى﴾؛ أي: من غير[2] أن تفنى معلوماته وحكمه، فإنها غير متناهية لا تنفد، كعلمه فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر.

و﴿قَبْلَ﴾ هنا بمعنى غير أو بمعنى دون، وإنما اختار جمع القلة على الكثرة، وهي الكلم ـ تنبيهاً على أن ذلك لا يقابل بالقليل، فكيف بالكثير كما في «بحر العلوم» ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾؛ أي: بمثل ماء البحر الموجود ﴿مَدَدًا﴾ تمييز؛ أي: زيادة ومعونة.. ما نفدت كلمات ـ الله تعالى ـ لأن كلمات الله غير متناهية، فلا نفاد لها، فحذف جواب الشرط الثاني لدلالة الأول عليه، والواو[3] لعطف ما بعده على جملة مقدرة مدلول عليها بما قبلها؛ أي: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

كلماته لو لم يجيء بمثله مدداً ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

والمعنى[١]: قل لهم أيها الرسول: لو كان ماء البحر مدداً للقلم الذي تكتب به كلمات ربي وعلومه.. لنفد ماء البحر قبل أن تنفد تلك الكلمات ولو مددنا ماء البحر بمثل ما فيه من الماء مدداً وعوناً، لأن مجموع المتناهيين متناه وعلوم الله وحكمته لا نهاية لها، والمتناهي لا يفي البتة بغير المتناهي، ونحو الآية قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ وقرأ عبد الله[٢]، وابن عباس، والأعمش، ومجاهد، والأعرج، والحسن، والمنقري عن أبي عمرو ﴿مددا لكلمات ربي﴾ بدل ﴿مِدَادًا﴾ وقرأ[٣] ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم ﴿تَنفَدَ﴾ بالتاء الفوقانية وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وعمرو بن عبيد، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى ﴿ينفد﴾ بالياء التحتانية، قال أبو علي: التأنيث أحسن لأن المسند إليه الفعل مؤنث، والتذكير حسن لأن التأنيث ليس بحقيقي، وإنما لم تنفد كلمات الله، لأن كلامه صفة من صفات الله، ولا يتطرق على صفاته النفاد.

وقرأ السلمي[٤]: ﴿أن تنفد﴾ بتشديد الفاء على وزن تفعل على المضي، وجاء كذلك عن عاصم، وأبي عمرو، فهو مطاوع من نفَّد مشدداً، نحو كسرته فتكسّر، وفي قراءة الجماعة مطاوع، لأنفد وقرأ الجمهور: ﴿بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ بفتح الميم والدال بغير ألف، والأعرج بكسر الميم، وقرأ ابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والأعمش بخلاف عنه، وأبو رجاء، وقتادة، وابن محيصن، والتيمي، وحميد، والحسن في رواية، وأبو عمرو في رواية، وحفص في رواية: ﴿بمثله مداداً﴾ بألف بين الدالين وكسر الميم.

فإن قيل[٥]: لِمَ قال في أول الآية ﴿مِدَادًا﴾ وفي آخرها ﴿مَدَدًا﴾ وكلاهما

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

(٣) زاد المسير والبحر المحيط.

(٤) البحر المحيط.

(٥) زاد المسير.

بمعنى واحد، واشتقاقهما غير مختلف، فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: لما كان الثاني آخر آية وأواخر الآيات هاهنا أتت على الفعل، والفعل كقوله نزلاً هزواً حولاً، كان قوله: ﴿مدداً﴾ أشبه بهؤلاء الألفاظ من المداد واتفاق المقاطع عند أواخر الآيي، وانقضاء الأبيات، وتمام السجع في النثر، أخف على الألسن وأحلى موقعاً في الأسماع، فاختلفت اللفظتان لهذه العلة، وفي «الفتوحات»: المعنى مختلف كاللفظ، فلا اعتراض كما عُلم من هذا ومما سبق.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المجادلين لك بعد ما بينت لهم شأن كلمات الله تعالى، ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ أي: ما أنا إلا آدمي مثلكم في الصورة، ومساويكم في الصفات البشرية؛ أي: إنَّ حالي[1] مقصور على البشرية، لا يتخطاها إلى الملكية، ومن كان هكذا فهو لا يدَّعي الإحاطة بكلمات الله، إلا أنه امتاز عنهم بالوحي إليه من الله سبحانه، كما قال: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ من ربي من بعض تلك الكلمات، وكفى بهذا الوصف فارقاً بينه وبين سائر أنواع البشر، ثم بيَّن أن الذي أوحي إليه هو قوله: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ ومعبودكم الذي يستحق منكم العبادة ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ أي: منفرد في ألوهيته وربوبيته، لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله، يعني: أنا معترف ببشريتي ولكن الله منّ عليّ من بينكم بالنبوة والرسالة، وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن بني آدم في البشرية واستعداد الإنسانية سواء، النبي والولي والمؤمن والكافر، والفرق بينهم بفضيلة الإيمان والولاية والنبوة والوحي والمعرفة، بأن إله العالمين إله واحد صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد .اهـ.

وفي هذا: إرشاد إلى التوحيد، ثم أمرهم بالعمل الصالح والتوحيد، فقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾ ويطمع شرط جزاؤه ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾ قال في «الإرشاد» (كان) للاستمرار، والرجاء: توقع وصول الخير في المستقبل؛ أي: فمن كان يرجو ويأمل ويطمع ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، أي: رؤية ربه أو كرامة ربه وثوابه، أو من كان يخاف

(١) روح البيان.

لقاء ربه والمصير إليه للمجازاة.. ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾ لتحصيل ذلك المطلوب العزيز ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ لائقاً بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من قبل.

وقال الإمام[1]: حمل أصحابنا لقاء الرب على رؤيته، والمعتزلة على لقاء ثوابه، يقال: لقيه كرضيه رآه، كما في «القاموس» والرجاء: يكون بمعنى الخوف، وبمعنى الأمل، كما في «البغوي».

والمعنى[2]: من كان له هذا الرجاء الذي هو شأن المؤمنين، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو ما دل الشرع على أنه عمل خير يثاب عليه فاعله وقال في «التأويلات النجمية» العمل الصالح متابعة النبي ﷺ والتأسي بسنته ظاهراً وباطناً، فأما سُنَّة باطنِهِ فالتبتل إلى الله تعالى وقطع النظر عما سواه.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ من المخلوقات سواء كان صالحاً أو طالحاً حيواناً أو جماداً قال أبو البقاء[3]: أي: في عبادة ربه، ويجوز أن تكون الباء على بابها؛ أي بسبب عبادة ربه .اهـ.

ومعنى الآية: أي فمن كان يطمع في ثواب الله على طاعته.. فليخلص له العبادة وليفرد له الربوبية، ولا يشرك به سواه لا إشراكاً جلياً كما فعل الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، ولا إشراكاً خفياً كما فعل أهل الرياء ممن يطلب بعمله وعلمه الدنيا، أو الجاه، أو التسمية، أو الوظيفة، أو الشهرة، وهذا هو الشرك الأصغر، كما صح في الحديث وروي مستفيضاً في الأخبار من أن كل عمل أريد به الدنيا لا يُقبل، فقد أخرج أحمد، ومسلم، وغيرهما، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ يرويه عن ربه قال: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك».

وقرأ الجمهور[4]: ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ بياء الغائب كالأمر في قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾ وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي عنه ﴿ولا تشرك﴾ بالتاء خطاباً للسامع والتفاتاً من

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراغي.

(٤) البحر المحيط.

ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب، وهو المأمور بالصالح، ثم عاد إلى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، في قوله: ﴿بربه﴾ ولم يأت التركيب بربك إيذاناً بأنَّ الضميرين لمدلولٍ واحد، وهو ﴿من﴾ في قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾.

خاتمة

وقد ورد في فضائل هذه الآية بخصوصها: ما أخرجه الطبراني، وابن مردويه، عن أبي حكيم قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم ينزل على أمتي إلا خاتمة سورة الكهف لكفتهم».

وأخرج ابن راهويه، والبزار، والحاكم وصححه، والشّيرازي في «الألقاب» وابن مردويه، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ في ليلة ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ . . .﴾ الآية كان له نور من عدن أبين إلى مكة حشوه الملائكة» قال ابن كثير بعد إخراجه: غريب جداً.

وأخرج ابن الضريس، عن أبي الدرداء قال: «من حفظ خاتمة الكهف كان له نور يوم القيامة من لدن قرنه إلى قدمه» وفي «تفسير الحدادي» عن أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف. . فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون فيها، ومن قرأ الآية التي في آخرها حين يأخذ من مضجعه. . كان له نور يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة، يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه، وإن كان مضجعه بمكة فتلاها. . كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور، حشو ذلك النور ملائكة، يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ».

وفي «تفسير البيضاوي» عن النبي ﷺ «من قرأ عند مضجعه ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾. . كان له نور في مضجعه، يتلألأ إلى مكة، حشو ذلك النور ملائكة، يصلون عليه حتى يستيقظ».

وفي «فتح القريب» من قرأ عند إرادة النوم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الخ. ثم قال: اللهم أيقظني في أحب الأوقات إليك، واستعملني

بأحب الأعمال إليك.. فإنه سبحانه يوقظه، ويكتبه من قوّام الليل. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا أردت أن تقوم أية ساعة شئت من الليل.. فاقرأ إذا أخذت مضجعك ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ الآية. فإن الله يوقظك متى شئت من الليل.

وتكلموا في القراءة في الفراش مضطجعاً[1]: قال في «الفتاوي الحمدية»: لا بأس للمضطجع بقراءة القرآن. انتهى. والأولىٰ أن لا يقرأ وهو أقرب إلى التعظيم، كما في «شرح الشرعة» ليحيى الفقيه وعن ظهير الدين المرغيناني لا بأس للمضطجع بالقراءة مضطجعاً إذا أخرج رأسه من اللحاف، لأنه يكون كاللبس وإلا فلا نقله قاض خان وفي «المحيط»: لا بأس بالقراءة إذا وضع جنبيه على الأرض لكن يضم رجليه إلى نفسه. انتهى. نسأل الله تعالى أن يوقظنا من الغفلة قبل انقضاء الأعمار، ويؤنسنا بالقرآن آناء الليل وأطراف النهار، آمين.

الإعراب

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١﴾.

﴿وَعَرَضْنَا﴾ الواو: عاطفة ﴿عرضنا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿تركنا﴾ ﴿جَهَنَّمَ﴾: مفعول به ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف مضاف إلى مثله متعلق بـ ﴿عرضنا﴾ و﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ متعلق بـ ﴿عرضنا﴾ أيضاً ﴿عَرْضًا﴾: مفعول مطلق. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: صفة ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أو بدل منه ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ فعل ناقص واسمه ﴿فِى غِطَآءٍ﴾ جار ومجرور خبر كان ﴿عَن ذِكْرِى﴾ صفة لـ﴿غِطَآءٍ﴾ أو متعلق به وجملة كان صلة الموصول ﴿وَكَانُوا۟﴾ فعل ناقص واسمه ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ فعل وفاعل ومفعول به والجملة الفعلية خبر ﴿كان﴾ وجملة ﴿كَانُوا۟﴾ معطوفة على جملة ﴿كان﴾ الأولى على كونها صلة الموصول.

---

(١) روح البيان.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿أَفَحَسِبَ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري التوبيخي داخلة على محذوف ﴿والفاء﴾ عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أكفر الذين كفروا بي مع جلالة شأني فحسبوا ﴿حسب﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فعل وفاعل والجملة معطوفة على ذلك المحذوف والجملة المحذوفة مستأنفة ﴿أَن يَتَّخِذُواْ﴾ فعل وفاعل ﴿عِبَادِى﴾ مفعول أول لاتخذ ﴿مِن دُونِىٓ﴾ جار ومجرور حال من ﴿أَوْلِيَآءَ﴾. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ مفعول ثان له وجملة ﴿اتخذ﴾ مع ﴿أن﴾ المصدرية في تأويل مصدر سَدّ مسد مفعولي ﴿حسب﴾. ﴿إِنَّآ﴾ ناصب واسمه ﴿أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة، مسوقة لتعليل الإنكار المفهوم من الاستفهام ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ حال من ﴿نُزُلًا﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿نُزُلًا﴾ حال من ﴿جَهَنَّمَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة: مستأنفة ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم﴾ ﴿هَلْ﴾ حرف للاستفهام الاستعلامي ﴿نُنَبِّئُكُم﴾ فعل وفاعل مستتر ومفعول أول ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ﴾ الباء داخلة على مضمون المفعولين الثاني والثالث، وجملة ﴿نبأ﴾ في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾ ﴿أَعْمَٰلًا﴾: تمييز ﴿الأخسرين﴾: منصوب به وجمع التمييز، والأصل فيه الافراد، لمشاكلة المميز، وللإيذان بأن خسرانهم، إنما كان من جهاتٍ شتى، لا من جهة واحدة، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم ﴿ٱلَّذِينَ﴾ والجملة: مستأنفة استئنافاً بيانياً واقعاً في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: من هم الأخسرون أعمالاً؟ فقيل: هم ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ فعل وفاعل والجملة: صلة الموصول ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَآ﴾ متعلق بالسعي ﴿وَهُمْ﴾ ﴿الواو﴾: حالية ﴿هم﴾: مبتدأ وجملة ﴿يَحْسَبُونَ﴾ خبره والجملة الإسمية: في محل النصب، حال من ضمير

﴿سَعْيُهُمْ﴾. ﴿أَنَّهُمْ﴾ ناصب واسمه ﴿يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة: في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ وما في خبرها سد مسد مفعولي ﴿يَحْسَبُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ وخبر والجملة: مستأنفة استئنافاً بيانياً ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل وفاعل والجملة: صلة الموصول ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿كَفَرُواْ﴾. ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ معطوفة على ﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾. ﴿فَحَبِطَتْ﴾ ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع ﴿حبطت أعمالهم﴾: فعل وفاعل والجملة، معطوفة على جملة ﴿كَفَرُواْ﴾. ﴿فَلَا﴾ ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع ﴿لا﴾: نافية ﴿نُقِيمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة: معطوفة على جملة ﴿حبطت﴾ ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نُقِيمُ﴾ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ظرف متعلق بـ﴿نُقِيمُ﴾ ﴿وَزْنًا﴾ مفعول به.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره الأمر ذلك أي أمر هؤلاء الكفرة، وشأنهم ذلك الذي ذكرناه من حبوط أعمالهم، وخسة قدرهم، والجملة مستأنفة ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مبتدأ وخبر والجملة مستأنفة مسوقة لبيان جزاء الذين حبطت أعمالهم، ويجوز أن يعرب ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ و﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ مبتدأ ثان و﴿جَهَنَّمُ﴾ خبر ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ والجملة: خبر المبتدأ الأول، وهو ﴿ذَٰلِكَ﴾، ويجوز أن يعرب ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ و﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ خبر و﴿جَهَنَّمُ﴾ بدل أو عطف بيان لقوله ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾. ﴿بِمَا﴾ ﴿الباء﴾: حرف جر ﴿ما﴾ مصدرية ﴿كَفَرُواْ﴾ فعل وفاعل صلة ﴿ما﴾ المصدرية ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالباء، الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من ضمير ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾، أي: حالة كونهم مجزيين بها بسبب كفرهم أو متعلق بـ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ لأن الخبر من معمولات المبتدأ فليس أجنبياً كما في «الجمل» ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿وَرُسُلِى﴾: معطوف على ﴿ءَايَٰتِى﴾. ﴿هُزُوًا﴾ مفعول ثان والجملة: معطوفة على جملة ﴿كَفَرُواْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿إِنَّ﴾ حرف نصب وتوكيد ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمها ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ءَامَنُواْ﴾ ﴿كَانَتْ﴾ فعل ناقص ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور حال من ﴿نُزُلًا﴾. ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ اسمها ﴿نُزُلًا﴾ خبرها وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ وهذا أيضاً باعتبار الأزل؛ أي: حال كونهم محكوماً لهم في الأزل بالخلود فيها، كما في «الجمل» ﴿فِيهَآ﴾: متعلق بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿لَا يَبْغُونَ﴾: فعل وفاعل ﴿عَنْهَا﴾ متعلق بـ﴿حِوَلًا﴾. ﴿حِوَلًا﴾ مفعول به والجملة الفعلية في محل النصب حال من الضمير المستكن في ﴿خَٰلِدِينَ﴾ ﴿قُل﴾: فعل أمر وفاعله: ضمير يعود على محمد والجملة. مستأنفة لو كان البحر إلى آخر الآية مقول محكي وإن شئت قلت: ﴿لَّوْ﴾: حرف شرط غير جازم ﴿كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره والجملة: فعل شرط لـ﴿لَّوْ﴾ لا محل لها من الإعراب ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ جار ومجرور صفة لـ﴿مِدَادًا﴾ ومضاف إليه ﴿لَنَفِدَ﴾ ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لَّوْ﴾ ﴿نفد البحر﴾: فعل وفاعل ﴿قَبْلَ﴾: ظرف متعلق به والجملة الفعلية جواب ﴿لَّوْ﴾ لا محل لها من الإعراب وجملة ﴿لَّوْ﴾: في محل النصب مقول لـ﴿قُل﴾ لنفد البحر قبل أن تنفد ناصب وفعل وفاعل ومضاف إليه والجملة الفعلية مع ﴿أن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه تقديره قبل نفاد ﴿كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ ﴿وَلَوْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ما بعدها على جملة مقدرة مدلول عليها بما قبلها تقديرها ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ كلماته لو لم يجيء بمثله مددا والجملة المحذوفة في محل النصب حال من ﴿رَبِّي﴾ ﴿لَّوْ﴾ حرف شرط ﴿جِئْنَا﴾: فعل وفاعل ﴿بِمِثْلِهِۦ﴾ متعلق به ﴿مَدَدًا﴾ تمييز ﴿بِمِثْلِهِۦ﴾ منصوب به وجواب ﴿لَّوْ﴾ محذوف تقديره ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ لنفد ولم تفرغ وجملة

﴿لو﴾ الشرطية معطوفة على جملة لو المحذوفة.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد والجملة مستأنفة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ إلى آخر الآية. مقول محكي لـ﴿قُلْ﴾ وإن شئت قلت: ﴿إِنَّمَآ﴾ أداة حصر ﴿أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ مبتدأ وخبر ﴿مِّثْلُكُمْ﴾ صفة لـ﴿بَشَرٌ﴾ والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ﴿إِلَىَّ﴾: متعلق به ﴿أَنَّمَآ﴾ ﴿أن﴾ حرف نصب ومصدر ﴿ما﴾ كافة لكفها ما قبلها عما بعدها ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾: مبتدأ ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبره ﴿وَٰحِدٌ﴾: صفة ﴿إِلَٰهٌ﴾ والجملة الاسمية: صلة ﴿أن﴾ المكفوفة لأن ما الكافة وإن كفتها عن العمل لا تخرجها عن المصدرية، و﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مرفوع، على كونها نائب فاعل ليوحى، تقديره: يوحى إليّ وحدانية الله سبحانه وجملة يوحى في محل الرفع صفة ثانية لبشر والمعنى[1] لم يوح إليّ إلا وحدانية إلا ﴿إِلَٰهٌ﴾؛ أي: لا تعدده، فالحصر نسبي .اهـ شيخنا. ﴿فَمَن﴾ ﴿الفاء﴾: استئنافية ﴿من﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ والخبر: جملة الجواب، أو الشرط أو هما، ﴿كَانَ﴾: فعل ناقص في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها واسمها: ضمير يعود على ﴿من﴾ ﴿يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة الفعلية: في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقديره فمن كان راجياً لقاء ربه ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً لكون الجواب جملةً طلبيةً ﴿واللام﴾ حرف أمر وجزم ﴿يعمل﴾: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وفاعله: ضمير يعود على ﴿من﴾ ﴿عَمَلًا﴾ مفعول به أو مطلق ﴿صَٰلِحًا﴾ صفة له والجملة الفعلية: في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها وجملة ﴿من﴾ الشرطية مستأنفة ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾: ﴿لا﴾ ناهية جازمة ﴿يُشْرِكْ﴾ مجزوم بلا الناهية وفاعله: ضمير يعود على

---

(١) الفتوحات.

﴿من﴾ ﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾: متعلق بـ﴿يُشْرِكْ﴾ ﴿أَحَدًا﴾ مفعول به وجملة ﴿لا يشرك﴾ في محل الجزم معطوفة على جملة قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾ على كونها جواب ﴿من﴾ الشرطية.

التصريف ومفردات اللغة

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾؛ أي: أعددنا وهيأنا ﴿نُزُلًا﴾: والنزل: الطعام النفيس يعد للضيف إكراماً وقال في «القاموس»: النزل[1] بضمتين المنزل، وما يهيأ للضيف أن ينزل عليه والجمع: أنزال والطعام ذو البركة كالنزيل والفضل والطعام .اهـ. ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾: قال في «الجلالين» الإضافة فيه للبيان، ولعل وجه الجمع حينئذٍ اعتبار ما فيه؛ أي: في الفردوس من القصور وغيرها فكأنه جنان متعددة .اهـ. شيخنا.

في «القاموس» و«التاج»: الفردوس: بالكسر الأودية التي تنبت ضروباً من النبت، والبستان: يجمع كل ما يكون في البساتين، تكون فيه الكروم، وقد يؤنث عربيةً، أو روميةً نقلت، أو سريانيةً، وروضةً دون اليمامة لبني يربوع، وماء لبني تميم، قرب الكوفة وقلعة فردوس بقزوين، إلى أن يقول والفردسة: السعة، وصدر مفردس: واسع أو ومنه الفردوس، قال شارحه، قوله: أو ومنه الفردوس؛ أي: ومن اشتقاقه كما نقله ابن القطاع، وهذا يؤيد كونه عربياً، ويدل له أيضاً قول حسان رضي الله عنه:

وَإِنَّ ثَوَابَ ٱللَّهِ كُلَّ مُوَحِّدٍ ... جِنَانٌ مِنَ ٱلْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ

قال أبو حيان[2]: قيل: ولم يسمع الفردوس في كلام العرب، إلا في هذا البيت، بيت حسان وهذا لا يصح، فقد قال أمية بن أبي الصلت:

كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ إِذْ ذَاكَ ظَاهِرَةً ... فِيهَا ٱلْفَرَادِيسُ ثُمَّ ٱلْفُومُ وَٱلْبَصَلُ

والفراديس: جمع فردوس والظاهر: أن معنى جنات الفردوس: بساتين

---

(١) القاموس.

(٢) البحر المحيط.

حول الفردوس، ولذلك أضاف الجنات إليه، ويقال: كرم مفردس؛ أي: معرش، وكذلك سميت الروضة التي دون اليمامة فردوساً، لاجتماع نخلها، وتعريشها على أرضها، وفي دمشق، باب الفراديس، يخرج منه إلى البساتين. انتهى.

﴿حِوَلًا﴾؛ أي: تحولاً إلى غيرها، فحول مصدر سماعي التحول. انتهى. شيخنا. وفي «السمين» «الحول» قيل: مصدر بمعنى التحول، يقال: حال عن مكانه ﴿حِوَلًا﴾ فهو مصدر كالعوج والصغر. انتهى.

قال الزمخشري: يقال: حال عن مكانه حولا كقوله عادني حبها عوداً، يعني لا مزيد عليها، حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم، وهذه غاية الوصف، لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان.. فهو طامح الطرف إلى أرفع منه، ويجوز أن يراد نفي التحول، وتأكيد الخلود. انتهى.

وقال ابن عطية: والحول بمعنى التحول، قال مجاهد: متحولاً وقال الشاعر:

لِكُلِّ دَوْلَةٍ أَجَلُ ... ثُمَّ يُتَاحُ لَهَا حِوَلُ

﴿مِدَادًا﴾ والمداد: ما يمد به الشيء، واختص به تمد به الدواة من الحبر، وما يمد به السراج من السليط، ويقال: السماد مداد الأرض ﴿لِكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾؛ أي: معلوماته غير المتناهية ﴿يَرْجُواْ﴾ والرجاء: طمع حصول ما فيه مسرة مستقبلة.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من البلاغة، وضروباً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى﴾؛ أي: كانوا ينظرون فلا يعتبرون، وتعرض عليهم الآيات الكونية فلا يؤمنون، ولم تكن أعينهم حقيقةً في غطاءٍ وحجاب، وإنما هو بطريق التمثيل، وكذا قوله: ﴿وَكَانُواْ لَا

﴿يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ لأن هذا تمثيل لإعراضهم عن الأدلة السمعية، كما أن الأول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالأبصار.

ومنها: الاستفهام الإنكاري الذي يفيد التوبيخ والتقريع في قوله: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾.

ومنها: التهكم في قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾.

ومنها: جناس التصحيف في قوله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ويسمى الجناس الناقص، وهو أن يكون النقط فيه فارقاً بين الكلمتين على حد قول البحتري:

وَلَمْ يَكُنِ ٱلْمُغْتَرُّ بِٱللَّهِ إِذْ سَرَىٰ   لِيُعْجِزَ وَٱلْمُعْتَزُّ بِٱللَّهِ طَالِبُهْ

والجناس ويقال له: التجنس والمجانسة والتجانس لغةً مشتق من الجنس واصطلاحاً تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، وفائدته: أن يميل بالسامع إلى الإصغاء، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاءً إليها.

ومنها: الجناس المماثل في قوله: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ والمغاير في قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

إجمال ما تضمنته السورة من الأغراض والمقاصد

١ ـ وصف الكتاب الكريم بأنه قيم، لا عوج فيه، جاء للتبشير والإنذار.

٢ ـ جعل ما على ظهر الأرض زينة لها، وقد خلقه الله تعالى ابتلاءً للإنسان، ليرى كيف ينتفع به.

٣ ـ ما جاء من قصص أهل الكهف، ليس بالعظيم إذا قيس بما في ملكوت السموات والأرض.

٤ ـ وصف الكهف وأهله، ومدة لبثهم فيه، وبيان عدد أهله.

٥ ـ أمر النبي ﷺ بالجلوس مع الفقراء المؤمنين، وعدم الفرار منهم إلى أغنيائهم إجابةً لدعوتهم.

٦ ـ ذكر ما يلاقيه الكفار من الوبال والنكال يوم القيامة.

٧ ـ ضرب مثل، بين حال فقراء المؤمنين، وأغنياء المشركين.

٨ ـ ضرب المثل لحال الدنيا.

٩ ـ عرض كتاب المرء عليه في الآخرة وخوف المجرمين منه.

١٠ ـ عداوة إبليس لآدم وبنيه.

١١ ـ قصص موسى والخضر.

١٢ ـ وصف أعمال المشركين وأنها ضلال وخيبة في الآخرة.

١٣ ـ قصص ذي القرنين وسدُّ يأجوج ومأجوج وكيف صنعه ذو القرنين.

١٤ ـ ما يلقاه المؤمنون من النعيم في الآخرة.

١٥ ـ علومُ الله تعالى لا نهاية لها[1].

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

---

(١) تم بعون الله تعالى وتوفيقه، تفسير سورة الكهف، في الساعة الخامسة، من ليلة الخميس، الثامن عشر من شهر صفر، من شهور سنة ألف وأربع مئة واثنتي عشرة سنة من التاريخ الهجري ١٨/ ٢/ ١٤١٢هـ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل أعمالنا مقبولة، وسعينا مشكوراً، وذنبنا مغفوراً، بمنه وكرمه وجوده وإحسانه وصلى الله على سيدنا، وحبيبنا، خاتم النبيين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، آمين آمين.

يَا مَنْ يُضِيْعُ عُمْرَهُ فِيْ ٱللَّهْوِ أَمْسِكْ   وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ ذَاهِبٌ كَذَهَابِ أَمْسِكْ

سورة مريم

سورة مريم مكيَّة كلها، أو إلا آيتين هما: (٥٨) و(٧١) فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية، وكلماتها تسع مئة واثنتان وستون كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وثلاث مئةٍ وحرفان، وسميت سورة مريم، لذكر مريم فيها، ولم[١] تذكر امرأة باسمها صريحاً في القرآن إلا مريم، فقد ذكرت فيه في ثلاثين موضعاً.

ومن فضائلها: ما روي[٢] عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة مريم أُعطي عشر حسنات، بعدد من كذب زكريا وصدق به، ويحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ المذكورين فيها، وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع» ولكنه موضوع لا أصل له.

وروى محمد بن إسحاق في السيرة، من حديث أم سلمة، وأحمد بن حنبل، عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة: أن جعفر بن أبي طالب، قرأ صدر هذه السورة على النجاشي فبكى حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. وقد ذكر ابن إسحاق القصة بطولها.

ومناسبتها لسورة الكهف[٣]: اشتمالها على نحو ما اشتملت عليه من أعاجيب القصص، كقصة ولادة يحيى، وقصة ولادة عيسى عليهما السلام.

وقال أبو حيان[٤]: مناسبتها لما قبلها: أنه تعالى ضمّن السورة قبلها قصصاً عجباً، كقصة أهل الكهف، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين، وهذه

---

(١) الفتوحات.

(٢) البيضاوي.

(٣) المراغي.

(٤) البحر المحيط.

السورة تضمنت قصصاً عجباً، من ولادة يحيى بين شيخٍ فانٍ وعجوزٍ عاقرٍ، وولادة عيسى من غير أب، فلما اجتمعا في هذا الشيء المستغرب.. ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك.

الناسخ والمنسوخ من هذه السورة: قال أبو عبد الله محمد بن حزم الأندلسي: في سورة مريم خمس آيات من المنسوخ.

أولاهن: قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ (٣٩) الآية. نسخ الإنذار هنا بآية السيف.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (٥٩) الآية. نسخت بالاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ (٦٠).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ (٧٥) الآية. نسخت بآية السيف.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية (٨٤). نسخ أولها بآية السيف.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ الآية (٥٩). نسخت بالاستثناء، وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ (٦٠). وفيها تقديم في النظم. انتهى.

والله أعلم

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (٩) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)﴾.

المناسبة

قد سبق لك بيان مناسبة جملة هذه السورة للسورة السابقة آنفاً، وأما مناسبة

أول هذه السورة لآخر السابقة، فلأنه سبحانه ذكر في آخر السابقة الرحمة في ضمن قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: يرجو رحمة ربه وثوابه يوم لقائه وعرضه عليه للمجازاة، وبدأ هذه السورة بقوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ فذكر الرحمة هنا صريحاً هذا ما ظهر لي بعد التأمل.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنه ـ تعالى ـ لما ذكر قصة زكريا وطلبه الولد، وإجابة الله إياه، فوُلد له من شيخ فانٍ وعجوزٍ له عاقرٍ، وكان ذلك مما يتعجب منه.. أردفَه بما هو أعظم في الغرابة والعجب، وهو وجود ولد من غير ذكر، فدل ذلك على عظم قدرة الله تعالى وحكمته، ذكره في «البحر».

التفسير وأوجه القراءة

قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾[1] قرأ ابن كثير ﴿كهيعص ذكر﴾ بفتح الهاء والياء، وتبيين الدال التي في هجاء ﴿صاد﴾، وقرأ أبو عمرو: ﴿كهيعَصّ﴾ بكسر الهاء وفتح الياء ويدغم الدال في الذال، وكان نافع يلفظ بالهاء والياء بين الكسر والفتح، ولا يُدغم الدال التي في هجاء (صاد) في الذال من ﴿ذِكْرُ﴾، وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي: بكسر الهاء والياء، إلا أن الكسائي لا يبين الدال، وعاصم يبينها، وقرأ ابن عامر، وحمزة: بفتح الهاء وكسر الياء ويدغمان، وقرأ أبي بن كعب: ﴿كهُيعَصّ﴾ برفع الهاء وفتح الياء، وقد ذكرنا في أول البقرة ما يشتمل على بيان هذا الجنس ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ هذه الأحرف الخمسة يتعين في الكاف والصاد منها المد المطول المذكور باتفاق السبعة، وهو ثلاث ألفات، ويتعين في الهاء والياء المد الطبيعي باتفاقهم أيضاً، وهو قدر ألف، ويجوز في العين المد المطول المذكور وقصره بقدر ألفين، القراءتان سبعيتان، ويتعين في النون من عين إخفاؤها في الصاد وغنها، ويجوز في الدال من صاد إظهارها وإدغامها في ذال ذكر والقراءتان سبعيتان. انتهى. شيخنا. وقد خص المفسرون

---

(١) زاد المسير.

هذه الحروف المذكورة هاهنا بأربعة أقوال:

أحدهما[1]: أنها حروف من أسماء الله تعالى، قاله الأكثرون، ثم اختلف هؤلاء في الكاف من أيِّ اسم هو على أربعة أقوال:

أحدها: أنه من اسم الله الكبير.

والثاني: من الكريم.

والثالث: من الكافي، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والرابع: أنه من الملك، قاله محمد بن كعب، فأما الهاء.. فكلهم قالوا: هي من اسمه الهادي، إلا القرظي فإنه قال: من اسمه الله.

وأما الياء: ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها من حكيم.

والثاني: من رحيم.

والثالث: من أمين، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيد بن جبير عن ابن عباس، فأما العين ففيها أربعة أقوال:

أحدها: أنها من عليم.

والثاني: من عالم.

والثالث: من عزيز رواها أيضاً سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والرابع: أنها من عدل، قاله الضحاك.

---

(١) زاد المسير.

وأما الصاد ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها من صادق.

والثاني: من صدوق، رواهما سعيد بن جبير أيضاً عن ابن عباس.

والثالث: من الصمد، قاله محمد بن كعب.

والقول الثاني: إن ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ قسم أقسم الله تعالى به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وروي عن عليّ ـ عليه السلام ـ أنه قال: هو اسم من أسماء الله تعالى، وروي عنه أنه كان يقول: يا ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ اغفر لي، قال الزجاج: والقسم بهذا الدعاء به لا يدل على أنه اسم واحد، لأن الداعي إذا علم أن الدعاء بهذه الحروف يدل على صفات الله فدعا بها.. فكأنه قال: يا كافي، يا هادي، يا عالم، يا صادق، وإذا أقسم بها.. فكأنه قال: والكافي، الهادي، العالم، الصادق، وأسكنت هذه الأحرف لأنها حروف تهج، النية فيها الوقف.

والثالث: أنه اسم للسورة، قاله الحسن ومجاهد.

والرابع: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة، فإن[1] قيل لِمَ قالوا: هايا، ولم يقولوا في الكاف: كا، وفي العين: عا، وفي الصاد: صا، لتتفق المعاني كما اتفقت العلل.. فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: حروف المعجم التسعة والعشرون تجري مجرى الرسالة والخطبة، فيستقبحون فيها اتفاق الألفاظ، واستواء الأوزان، كما يستقبحون ذلك في خطبهم ورسائلهم، فيغيِّرون بعض الكلم ليختلف الوزن وتتغير المباني، فيكون ذلك أعذب على الألسن، وأحلى في الأسماع، وعبارةُ «المراغي» هنا: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾. تقدم الكلام في المراد من أوائل السور، وأن المختار أن المقصود بها التنبيه، كحروف التنبيه التي تقع أول الكلام، نحو: ألا و يا، وغيرهما، وتقرأ بأسمائها فيقال: ﴿كاف ها يا عين صاد﴾. انتهت.

---

(١) زاد المسير.

قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ قال الزجاج[1]: الذكر: مرفوع بالمضمر؛ والمعنى: هذا الذي نتلوه عليك يا محمد، ذكر رحمة ربك عبده ﴿ذِكْرُ﴾ مضاف إلى مفعوله ﴿عَبْدَهُۥ﴾ مفعول ﴿رَحْمَتِ﴾، ﴿زَكَرِيَّآ﴾: بدل منه وقال الفراء: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى هذا الذي نتلوه عليك ذكر ربك عبده زكريا بالرحمة.

والحاصل: أن ﴿ذِكْرُ﴾[2]: مصدر مضاف إلى مفعوله، وفاعله: محذوف؛ أي: ذكر الله رحمة عبده زكريا، و﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾: مضاف لفاعله، و﴿عَبْدَهُۥ﴾: مفعوله، وهذه التاء لا تمنع من عمل المصدر، لأنه مبني عليها، أي: مقترن بها وضعاً، فليست للوحدة والمرة، والتاء التي تمنع من عمل المصدر هي التي يؤتىٰ بها للدلالة على المرة؛ والمعنى: هذا الذي نتلوه عليك يا محمد في هذه السورة، ذكر إجابة ربك عبده زكريا دعاءه إياه، حين دعاه وسأله الولد نداءً خفياً ودعاءً سرّاً؛ ومعنى ذكر الرحمة: ذكر بلوغها وإصابتها له، وإجابته دعائه، و﴿زَكَرِيَّآ﴾ يمد ويقصر، ابن آزر، قال الإمام: زكريا من ولد هارون أخي موسى، وهما من ولد لاوى بن يعقوب بن إسحاق ـ عليهم السلام ـ وقرأ الحسن[3]، وابن يعمر: ﴿ذكر﴾ فعلاً ماضياً ﴿رحمة﴾، أي: هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وذكر الداني عن ابن يعمر: ﴿ذكر﴾ فعل أمر من التذكير ﴿رحمة﴾ بالنصب، و﴿عَبْدَهُۥ﴾ نصب بالرحمة وذكر صاحب «اللوامح» أن: ﴿ذكر﴾ بالتشديد ماضياً، عن الحسن باختلاف وهو صحيح عن ابن يعمر، معناه: أنَّ المتلو أي القرآن ذكَّر برحمة ربك، فلما نزع الباء.. انتصب، ويجوز أن يكون معناه: أن القرآن ذكر الناس تذكيراً أن رحم الله عبده، فيكون المصدر عاملاً في عبده ﴿زَكَرِيَّآ﴾ لأنه ذكَّرهم بما نسوه من رحمة، فتجدد عليهم بالقرآن ونزوله على النبي ﷺ ويجوز أن يكون ذكر على المضي مسنداً إلى الله سبحانه، وقرأ الكلبي: ﴿ذكر﴾ على المضي خفيفاً من الذكر ﴿رحمة ربك﴾: بنصب التاء

---

(١) زاد المسير.
(٢) الفتوحات.
(٣) البحر المحيط.

﴿عبده﴾ بالرفع على إسناد الفعل إليه، وقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾؛ أي: دعا: ظرف لرحمة ربك؛ أي: دعا ﴿رَبَّهُۥ﴾ في المحراب ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾؛ أي: دعاءً سراً من قومه في جوف الليل، ولقد[1] راعى ـ عليه السلام ـ في إخفاء دعائه، حسن الأدب، لأن الجهر والإسرار عند الله تعالى سيَّان، لكنِ الإخفاء أولى، لأنه أبعد عن الرياء، وأدخل في الإخلاص، وقيل: أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في غير وقته، وكان سنه وقتئذٍ تسعاً وتسعين على ما اختاره الكاشفيّ، ولكونه من أمور الدنيا، وقيل أخفاه مخافةً من قومه الذين خافهم أن يطلعوا عليه، وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه لكونه قد صار ضعيفاً هرماً لا يقدر على الجهر، كما يدل عليه قوله الآتي ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾، وقيل لأن الإخفاء سنة الأنبياء، والجهر به يعدّ من الإعتداء، فإن قلت[2]: شرط النداء الجهر، فكيف يكون خفياً؟

قلت: دعا في الصلاة فأخفاه، قال بعضهم: النداء وإن كان بمعنى الصوت، لكن الصوت قد يتصف بالضعف، ويقال: صوت خفيٌّ وهو الهمس، فكذا النداء، والوجه في عبارة النداء الإشارة إلى شدة الإقبال والتوجه في الأمر المتوجه إليه، كما هو شأن الأنبياء ومن له بهم أسوة من كُمَّلِ الأولياء؛ والمعنى: أي: مما نقص عليك يا محمد، ذكر رحمة ربك عبده زكريا، حين دعا ربه دعاءً خفياً مستوراً عن أعين الناس، وإنما أخفىٰ دعاءه، لأنه أدل على الإخلاص، وأبعد من الرياء، وأقرب إلى الخلاص من لائمة الناس، على طلب الولد وقت الكبر والشيخوخة، وقصارى ذلك: أن في هذه السورة ذكر الرحمة التي رحم الله بها عبده زكريا، حين أسرَّ بدعائه إليه، ثم فصل كيفية دعائه بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ استئناف وقع بياناً للنداء؛ أي: قال زكريا: يا رب ﴿إِنِّي وَهَنَ﴾ وضعف ﴿ٱلْعَظْمُ﴾ حالة كونه كائناً ﴿مِنِّي﴾ فالجملة[3] مفسرة لقوله: ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ يقال: وهن يهن وهناً، إذا ضعف فهو واهن، وقرىء: بالحركات الثلاث، كما سيأتي، أراد أن عظامه فترت وضعفت قوته، وإنما أسند الوهن إلى العظم، لأنه عمود

---

(١) روح البيان والخازن.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

بيت البدن، وبه قوامه، وهو أصل بنائه، فإذا أصابه الضعف مع صلابته وقلة تأثره بالعلل.. أصاب سائر الأجزاء، وتساقطت قوته، ولأن أشد ما في الإنسان صلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، وأفرد العظم قصداً إلى الجنس المفيد لشمول الوهن لكل فرد من أفراد العظام، وقال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس كما في «البغوي».

وقرأ الجمهور[١]: ﴿وَهَنَ﴾ بفتح الهاء وقرأ الأعمش: بكسرها، وقرىء: بضمها لغاتٌ ثلاثٌ ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ منِّي: حذف اكتفاءً بما سبق؛ أي: وابيضَّ الشعر مني. ﴿شَيْبًا﴾؛ أي: أخذ رأسي شمطاً، وقد صار مثل شواظ النار، شبّه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار، وانتشاره وفشوِّه في الشعر باشتعالها مبالغةً[٢]، وإشعاراً لشمول الشيب جميع الرأس، حتى لم يبق من السواد شيء، وجعل الشيب تمييزاً إيضاحاً، للمقصود، والأصل اشتعل شيب رأسي، فوزانه بالنسبة إلى الأصل وزان اشتعل بيته ناراً، بالنسبة إلى اشتعل النار في بيته.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾؛ أي: ولم أكن بدعائي إياك يا ربي خائباً في وقت من أوقات هذا العمر الطويل، بل كلما دعوتك استجبت لي، وهذا توسّلٌ منه بما سلف من الاستجابة عند كل دعوة، إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة، من كبر السن، وضعف الحال، فإنه تعالى بعدما عوّد عبده بالإجابة دهراً طويلاً، لا يخيبه أبداً لا سيما عند اضطرارٍ وشدة افتقارٍ؛ والمعنى: أي: قد أحسنت إليّ فيما سلف، وسعدت بدعائي إياك، فالإنعام يقتضي أن تجيبني آخراً كما أجبتني أولاً، ذكره في «البحر».

قال العلماء[٣]: يستحب للمرء أن يجمع في دعائه بين الخضوع وذكر نعم الله عليه، كما فعل زكريا هاهنا، فإن في قوله: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ غاية الخضوع والتذلل وإظهار الضعف والقصور عن نيل مطالبه وبلوغ

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

مآربه وفي قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ ذكر ما عوده الله من الإنعام عليه، بإجابة أدعيته، يقال: شقي بكذا؛ أي: تعب فيه ولم يحصل مقصوده منه، ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾؛ أي: خفت جور مواليّ وورثتي وبني عمّي الذين يخلفونني في السياسة وفي القيامة بأمر الدين ﴿مِن وَرَآءِى﴾؛ أي: بعد موتي، فلا بدّ لي من الخلف، وهم بنو عمّه، وكانوا أشرار بني إسرائيل، فخاف ـ عليه السلام ـ أن لا يُحسنوا خلافته في أمته، ويبدّلوا عليهم دينهم، وقوله: ﴿مِن وَرَآءِى﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: فعل الموالي، أو جور الموالي، كما قدرنا آنفاً لا بـ﴿خِفْتُ﴾ لفساد المعنى، والجملة[1]: معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ مترتب مضمونها على مضمونها، فإن ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه ممن يلي أمره بعد موته.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ بكسر الخاء وسكون الفاء، على أن فاعله ضمير يعود إلى ﴿زَكَرِيَّآ﴾ ومفعوله ﴿ٱلْمَوَٰلِيَ﴾، وأسكن الزهري ياء ﴿الموالي﴾ وقرأ عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وسعيد بن العاص، وابن يعمر، وابن جبير، وعلي بن الحسين، وولده محمد، وزيد، وشبيل بن عزرة، والوليد بن مسلم ﴿خفت الموالي﴾ بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر تاء التأنيث وسكون ياء ﴿الموالي﴾ على أنه فاعل ﴿خفت﴾؛ أي: قلوا وعجزوا عن القيام بأمر الدين بعدي، أو انقطعوا بالموت مأخوذاً، من خفت القوم إذا ارتحلوا، وهذه قراءة شاذة بعيدة عن الصواب، وقرأ الجمهور: ﴿وَرَآءِى﴾ بالهمز والمد وسكون الياء، وقرأ ابن كثير: بالهمز والمد وفتح الياء، وروي عنه أنه قرأ بالقصر مفتوح الياء، مثل عصاي، واختلفوا في وجه المخافة من زكريا لمواليه من بعده، فقيل: خاف أن يرثوا ماله، وأراد أن يرثه ولده، فطلب من الله سبحانه أن يرزقه ولداً، وقال آخرون: إنهم كانوا مهملين لأمر الدين، فخاف أن يضيع الدين بموته، فطلب ولياً يقوم به بعد موته، وهذا القول أرجح من الأول، لأن الأنبياء لا يورثون، وهم أجل من أن يعتنوا بأمور الدنيا،

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط والشوكاني.

فليس المراد هنا وراثة المال، بل المراد وراثة العلم والنبوة والقيام بأمر الدين، وقد ثبت عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: «نحن ـ معاشر الأنبياء ـ لا نورث، ما تركناه صدقة».

﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾؛ أي: لا تلد من حين شبابها، اسمها إيشاع بنت فاقوذ بن فيل، وهي أخت حنّة بنت فاقوذ أم مريم، والعاقر من الرجال والنساء: من لا يولد له ولد، وكان سنّها حينئذٍ ثمان وتسعين على ما اختاره الكاشفي، ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ﴾؛ أي: أعطني من محض فضلك الواسع، وقدرتك الباهرة، ﴿وَلِيّٗا﴾؛ أي: ولداً من صلبي ﴿يَرِثُنِي﴾ من حيث العلم والدين والنبوة، فإن الأنبياء لا يورّثون المال كما مر آنفاً، ولم يصرّح بطلب الولد، لما علم من نفسه بأنه قد صار هو وامرأته في حالة لا يجوز فيها حدوث الولد بينهما وحصوله منهما.

فإن قلت[1]: وقد وصف الوليَّ بالوراثة ولم يستجب له في ذلك، فإنَّ يحيى خرج من الدنيا قبل زكريا على ما هو المشهور.

قلتُ: الأنبياء وإن كانوا مستجابي الدعوة، لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات، حسبما تقتضيه المشيئة الإلهية المبنية على الحكم البالغة، ألا ترى إلى دعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في حق أبيه وإلى دعوة النبي ﷺ حيث قال: «وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها». وقد كان من قضائه تعالى: أن يهبه يحيى نبياً مرضياً ولا يرثه، فاستُجيب دعاؤه في الأول دون الثاني ﴿وَيَرِثُ﴾ الملك ﴿مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ وآل الرجل خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة والصحبة، أو الموافقة في الدين، وقال[2] الكلبي ومقاتل: هو يعقوب بن ماثان، أخو عمران بن ماثان، من نسل سليمان بن أبو مريم عليه السلام، وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا، قال الكلبي: كان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم، وكان زكريا رئيس الأحبار يومئذٍ، فأراد

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.

أن يرث ولده حبورته ـ وكان حبرا ـ ويرث من بني ماثان ملكهم.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة[1]: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ برفع الفعلين صفةً للولي، فالمعنى عليه: هب لي ولياً وارثاً، وقرأ النحويان أبو عمرو، والكسائي، والزهري، والأعمش، وطلحة، واليزيدي، وابن عيسى الأصبهاني، وابن محيصن، وقتادة: بجزمهما على جواب الأمر، كقولك إن وهبته لي ورثني، ورجح أبو عبيد القراءة الأولى، وقرأ عليّ، وابن عباس، والحسن، وابن يعمر، والجحدري، وقتادة، وأبو حرب بن أبي الأسود، وجعفر بن محمد، وأبو نهيك: ﴿يَرِثُنِي﴾ بالرفع والياء ﴿وارث﴾ جعلوه فعلاً مضارعاً من ورث، قال صاحب «اللوامح»: وفيه تقديم؛ فمعناه: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ من آل يعقوب ﴿يرثني﴾ إن متّ قبله؛ أي: نبوتي، وأرثه إن مات قبلي؛ أي: ماله، وهذا معنى قول الحسن وقرأ علي، وابن عباس، والجحدري ﴿يرثني وأرث من آل يعقوب﴾ قال أبو الفتح: هذا هو التجريد. التقدير: يرثني منه وأرث، وقال الزمخشري: وأرث؛ أي: يرثني به وارث، ويسمى التجريد في علم البيان، لأنه جرد عن المذكور أولاً مع أنه المراد.

وقرأ مجاهد: ﴿أو يرث من آل يعقوب﴾ على التصغير، وأصله وُوَيْرِث، فأبدلت الواو همزة على اللزوم، لاجتماع الواوين، وهو وارث؛ أي: غُلَيْم صغير، وعن الجحدري: ﴿وارث﴾ بكسر الواو؛ يعني به: الإمالة المحضة لا الكسر الخالص، وهذه القراءات في غاية الشذوذ لفظاً ومعنًى، ﴿وَٱجْعَلْهُ﴾؛ أي: الولد الموهوب لي يا ﴿رَبِّ رَضِيًّا﴾؛ أي: مرضياً عندك قولاً وفعلاً، وتوسيط[2] ﴿رب﴾ بين مفعولي الجعل، كتوسيطه بين كان وخبرها فيما سبق لتحريك سلسلة الإجابة بالمبالغة في التضرع، ولذلك قيل: إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه.. فليدع الله بما يناسبه من أسمائه وصفاته.

واعلم: أن الله تعالى لا يمكن العبد من الدعاء إلا لإجابته كلاً أو بعضاً،

---

(١) البحر المحيط وزاد المسير. (٢) روح البيان.

كما وقع لزكريا ـ عليه السلام ـ وفي الحديث: «من فتح له باب الدعاء.. فتحت له أبواب الرحمة» ومعنى الآية؛ أي: أعطني من واسع فضلك، وعظيم جودك وعطائك، لا بطريق الأسباب العادية ولداً من صلبي، يرث الحبورة مني ويرث من آل يعقوب ملكهم وكان زكريا رئيس الأحبار يومئذٍ ويكون براً تقياً مرضياً عندك وعند خلقك، تحبه ويحبونه لدينه وخلقه ومحاسن شيمته.

ونحو الآية قوله تعالى في سورة آل عمران حكايةً عنه: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ وقوله في سورة الأنبياء: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

والحاصل: أن زكريا ـ عليه السلام ـ قد عرف ببعض الأمارات، أن عصبته وهم إخوته وبنو عمه ربما استمروا على عادتهم في الشر والفساد، فخافهم أن يغيروه، وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته، فطلب عقباً من صلبه يقتدى به في إحيائه، وينهج نهجه فيه، فدعا بهذا الدعاء، ثم أخبر سبحانه أنه أجاب دعاءه، وتولى تسمية الولد بنفسه، فقال: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾ وفي الكلام حذف تقديره؛ أي: فاستجاب له دعاءه، فقال بوساطة الملك، يا زكريا، كما قال في سورة آل عمران، ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾؛ أي: بولد ذكر يرث العلم والنبوة في حياتك، فإنه قتل قبل موت أبيه، وبين هذه البشارة ووجود الغلام في الخارج بالفعل، ثلاث عشرة سنة كما تقدم في سورة آل عمران، وإن طلب زكريا للولد والبشارة به كان في صغر مريم وهي في كفالته، وإن الحمل بيحيى كان مقارناً للحمل بعيسى، وكانت مريم إذ ذاك بنت ثلاث عشرة سنة، وتقدم أن أشاع حملت بيحيى قبل حمل مريم بعيسى بستة أشهر .اهـ. شيخنا.

والبشارة بكسر الباء: الإخبار بما يظهر سروراً في المخبر ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ سمي به لإحيائه رحم أمه بعد موته بالعقم، أو لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيها، وتولّى الله تسميته بنفسه تشريفاً له. ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ﴾؛ أي: ليحيى ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل ولادته ﴿سَمِيًّا﴾؛ أي: شريكاً له في هذا الاسم، حيث لم

يكن قبل يحيى أحد يسمى بيحيى، وقيل؛ أي: شبيهاً في الفضل والكمال، فإنه لم يعص، ولم يهم بمعصية من حال الصغر، وأنه صار سيدَ الشهداء على الإطلاق، والأظهر[1]: أن يحيى أعجمي، وإن كان عربياً فهو منقول عن الفعل، كيعمر ويعيش، وهذا شاهد بأن التسمية بالأسامي الغريبة تنويه للمسمّىٰ وإياها كانت العرب تعني لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النير.

وفي إخباره سبحانه بأنه لم يسمَّ بهذا الاسم قبله أحد فضيلة له من جهتين[2]:

الأولى: أن الله سبحانه هو الذي تولى تسميته به، ولم يكلها إلى الأبوين.

والجهة الثانية: أن تسميته باسم لم يوضع لغيره، يفيد تشريفه وتعظيمه ﴿قَالَ﴾ زكريا، استئناف بياني على سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا قال زكريا حينئذ، فقيل: قال: ﴿رَبِّ﴾ ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى إليه، بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة، والجد في التبتل إليه تعالى، والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم أن علمه بما صدر منه متوقف على توسطه، كما أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه، متوقف على ذلك في عامة الأوقات ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾؛ أي: كيف يكون لي غلام!؟ أو من أين يحدث لي غلام!؟ وليس معنى هذا الاستفهام الإنكار، بل التعجب من قدرة الله تعالى، وبديع صنعه، حيث يخرج ولداً من امرأة عاقر، وشيخ كبير، ﴿و﴾ الحال أنه قد ﴿كانت امرأتي عاقراً﴾؛ أي: لم تلد في شبابها وشبابي، فكيف وهي عجوز الآن ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ﴾ أنا ﴿مِنَ ٱلْكِبَرِ﴾؛ أي: من أجل كبر السن ﴿عِتِيًّا﴾؛ أي[3]: يبوسةً وجفافاً، كالعود اليابس، من قولهم عتاالعود إذا يبس، وعتا الشيخ إذا كبر وهرم وولى، ويقال لكل شيء انتهى قد عتا، وإنما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافاً بأن المؤثر فيه كمال قدرته، وأن الوسائط عند التحقيق

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

ملغاة، فـ﴿أنَّى﴾ استعجاب واستبعاد من حيث العادة لا من حيث القدرة.

وقرأ أبو بحرية، وابن أبي ليلى، والأعمش، وحمزة، والكسائي: ﴿عِتِيًّا﴾ و﴿بكياً﴾ و﴿صِلِيًّا﴾ بكسر أوائلها، ووافقهم حفص عن عاصم، إلا في قوله: ﴿بكيا﴾ فإنه ضم أوله، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بضم أوائلها، وقرأ عبد الله: ﴿عتياً﴾ و﴿صلياً﴾ بفتح العين والصاد، وعن عبد الله ومجاهد ﴿عسيا﴾ بضم العين والسين.

قال الإمام[1]: فإن قيل: لم تعجَّب زكريا بقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ مع أنه طلبه؟

قلنا: تعجب من أن يجعلهما شابين، ثم يرزقهما الولد، أو يتركهما شيخين، ويلدان مع الشيخوخة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾؛ أي: أعدنا له قوة الولادة. انتهى.

وفي «الأسئلة المقحمة»: أراد من التي يكون منه هذا الولد، أمن هذه المرأة وهي عاقر أم من امرأة أخرى أتزوج بها، أو مملوكة؛ أي: ومن أي وجه يكون لي ذلك، وامرأتي عاقر لا تحبل، وقد ضعفت من الكبر عن مباضعة النساء، أبأن تقويني على ما ضعفت عنه من ذلك، وتجعل زوجي ولوداً، وأنت القادر على ما تشاء، أم بأن أتزوج زوجاً غير تلك العاقر؟.

وخلاصة ذلك: أنه يستثبت ربه الخبر عن الوجه الذي يكون من قبلها الولد الذي بشره به، لا إنكار منه لذلك، وكيف يكون منه الإنكار لذلك، وهو المبتدىء مسألة ربه بقوله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾؟.

وإجمال المعنى: أنه تعجب حين أجيب إلى ما سأل وبشر بالولد، وفرح فرحاً شديداً، وسأل عن الوجه الذي يأتيه منه الولد، مع أن امرأته عاقر لم تلد

---

(١) روح البيان.

من أول عمرها، والآن قد كبرت وهو قد كبر وعتا؛ أي: يبس عظمه ونحل، ولم يبق له قدرة على قربان النساء، وكأنه يقول: إني حين كنت شاباً وكهلاً لم أرزق الولد، لاختلال أحد السببين، وهو: عقم المرأة، أفحين اختل السببان أرزقه؟

ثم أجاب الله سبحانه على هذا السؤال المشعر بالتعجب والاستبعاد بقوله: ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه وتعالى الأمر: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما قلنا لك من خلق ولد من بينكما، فسنهب لك الولد مع ما أنتما عليه من العقم والشيخوخة؛ أي: أمرنا وشأننا ذلك الذي قلنا لك وهذا تصديق له.

ثم علل هذا بقوله: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾؛ أي: قال ربك الذي عودك الإحسان ﴿هُوَ﴾؛ أي: خلق ولد منكما على هذه الحال ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ أي: سهل علي خاصةً، وإن كان في العادة مستحيلاً، فإني إذا أردت شيئاً كان دون توقف على الأسباب العادية التي رسمتها للحمل والولادة، وهذه الجملة مقررة للوعد المذكور بقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾دالة على إنجازه، وقرأ[1] معاذ القاريّ، وعاصم الجحدري. ﴿هين﴾ بإسكان الياء، ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ يا زكريا ﴿مِن قَبْلُ﴾ يحيى في تضاعيف خلق آدم. ﴿وَلَمْ تَكُ﴾ يا زكريا إذ ذاك ﴿شَيْئًا﴾ موجوداً أصلاً بل عدماً صرفاً، فخلق يحيى من البشرين، أهون من خلقك مفرداً والمراد خلق آدم، لأنه أنموذج مشتمل على جميع الذرية، قال الإمام: وجه الاستدلال بقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ الخ. أن خلقه من العدم الصرف، خلق للذات والصفات، وخلق الولد من شيخين لا يحتاج إلا إلى تبديل الصفات، والقادر على خلق الذات والصفات، أولى أن يقدر على تبديل الصفات. انتهى.

وخلاصة ذلك: أن من قدر على خلق الذوات والصفات والآثار من العدم، أجدر بأن يكون قادراً على تبديل الصفات، فيعيد إليه وإلى زوجه القوة وسائر الوسائل التي بها يمكن أن ينشأ منهما الولد، كما قال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ

---

(١) المراغي. (٢) زاد المسير.

يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ وقرأ الجمهور[1]: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ بتاء المتكلم وقرأ الأعمش، وطلحة، وابن وثاب، وحمزة، والكسائي: ﴿خلقناك﴾ بنون العظمة، وقال الزمخشري: وإنما قال: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ لأن المعدوم ليس بشيء أو شيئاً يعتد به.

ثم أخبر سبحانه: أن زكريا تاقت نفسه إلى سرعة وجود المبشر به، ليطمئن قلبه بما وعد به، لا لتوقف عن صدق ما وعد به، ولا لتوهم أن ذلك من عند غير الله، لعصمة الأنبياء عن مثل ذلك ﴿قَالَ﴾ زكريا ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۚ﴾؛ أي: علامةً على تحقق المسؤول في زمن معين، إذ كانت البشارة غير مقيدة بوقت، والحمل خفي في مبدئه، ولا سيما ممن انقطع حيضها لكبرها، إلا أنه أراد أن يطلعه على ذلك ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر حين حدوثها، ثم بين أنه أجابه إلى ما طلب فقال: ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه ﴿ءَايَتُكَ﴾؛ أي: علامتك على وجود المبشر به، وحصول الحمل: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: أن لا تقدر على تكليم الناس بكلامهم المعروف في محاوراتهم ومخاطباتهم، مع القدرة على التسبيح والذكر، كما هو المفهوم من تخصيص الناس ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ مع أيامها وإنما قيدنا بالأيام، لأن الليالي الثلاث قد تكون من يومين، لأن الليل سابق على النهار، فحينئذٍ يحصل التعارض بين ما هنا وبين الآية الأخرى، وإنما عبر هنا بالليالي وهناك بالأيام، لأن هذه السورة مكيّة، والمكي سابق على المدني والليل سابق على النهار، فأُعطي السابق للسابق، وسورة آل عمران مدنية، والمدني متأخر عن المكي، والنهار متأخر عن الليل، فأعطى المتأخر للمتأخر سلوكاً مسلك التناسب، ذكره في «الفتوحات». حالة كونك ﴿سَوِيًّا﴾؛ أي: سوي الخلق تامه، سليم الجوارح صحيحها، ليس بك علة ولا مرض ولا شائبة بكم ولا خرس؛ أي: علامتك امتناعك من كلامهم حالة كونك صحيحاً سليماً، قالوا: رجع تلك الليلة إلى امرأته فقربها، ووقع الولد في رحمها فلما أصبح امتنع عليه الكلام مع الناس ﴿فَخَرَجَ﴾ زكريا صبيحة حمل امرأته ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾؛ أي: من

---

(١) البحر المحيط.

المصلى، أو من الغرفة، والمحراب هنا: هو المسمى[1] عند أهل الكتاب بالمذبح، وهو مقصورة في مقدم المعبد، لها باب يصعد إليه بسلم ذي درج قليلة، يكون من فيه محجوباً عمن في المعبد؛ أي: خرج عليهم من المحراب متغير اللون، منطلق اللسان بذكر الله منحبسه عن كلام الناس، وقد كانوا ينتظرون أن يفتح لهم الباب إذ كانَ من عادتهم أن يصلوا معه صلاتي الغداة والعشي في محرابه، فأنكروه صامتاً، وقالوا: مالك يا زكريا ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: أشار إليهم لقوله تعالى: ﴿إِلَّا رَمْزًاۗ﴾؛ أي: أومأ زكريا إلى قومه برأسه ويده ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ أن إما مصدرية أو مفسرة، لأوحى، والمعنى؛ أي: صلوا أو بأن صلوا ﴿بُكْرَةً﴾؛ أي: من طلوع الفجر إلى وقت الضحى، ﴿وَعَشِيًّا﴾: هو من وقت زوال الشمس إلى أن تغرب وهما ظرفا زمان التسبيح، وعن أبي العالية: أن المراد بها صلاة الفجر، وصلاة العصر، أو سبحوا ربكم ونزهوه عن الشريك والولد، وعن كل نقص، طرفي النهار، وقولوا: سبحان الله، ولعله[2] كان مأموراً بأن يسبح شكراً، ويأمر قومه بذلك، كما في «الإرشاد».

يقول الفقير: هو الظاهر لأن معنى التسبيح في هذا الموضع تنزيه الله تعالى عن العجز عن خلق ولد يُستبعد وقوعه من الشيخين، لأن الله تعالى على كل شيء قدير، وقد ورد في «الأذكار»: «لكل أُعجوبة سبحان الله» وقد كان أخبرهم بما بشر به قبل وجود الآية، فلما تعذر عليه الكلام.. أشار إليهم بحصول ما بشر به من ذلك الأمر العجيب في مجرى العادة فسروا به.

وقرأ طلحة[3]: ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ بهاء الضمير عائدة على الله تعالى، وروى ابن غزوان عن طلحة: ﴿أن سبحن﴾ بنون مشددة من غير واو، ألحق فعل الأمر نون التوكيد الثقيلة، وقوله: ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ على إرادة القول؛ أي: ووهبنا له يحيى، وقلنا له بعدما بلغ سناً يؤمر فيه مثله يا يحيى ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: خذ التوراة التي هي نعمة الله على بني إسرائيل ﴿بِقُوَّةٍۖ﴾؛ أي: بجد واجتهاد وحرص على العمل

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) البحر المحيط.

بها، ثم وصفه الله تعالى بصفاتٍ كلها مناهج للخير، ووسائل للطاعة:

١ ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾؛ أي: وأعطينا يحيى ﴿ٱلْحُكْمَ﴾؛ أي: الفهم في التوراة، والفقه في الدين، والإقبال على الخير حالة كونه ﴿صَبِيًّا﴾؛ أي: صغيراً لم يتم سبع سنين، وروي: أنه ـ عليه السلام ـ دعاه الصبيان إلى اللعب فقال: ما للّعبِ خُلقنا، اذهبوا بنا نصلي، وعن بعض السلفِ: من قرأ القرآن قبل أن يبلغ، فهو ممن أوتي الحكم صبياً، وقال ابن عباس: الحكم: النبوة، استنبأه الله تعالى وهو ابن ثلاث سنين أو سبع، وإنما سمِّيت النبوة حكماً لأن الله تعالى أحكم عقله في صباه، وأوحي إليه.

٢ ـ **وقوله**: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ معطوف على الحكم وتنوينه للتفخيم، وهو في الأصل التحنن والاشتياق، يقال: حن؛ أي: ارتاح واشتاق، ثم استعمل في العطف والرأفة؛ أي: وآتيناه رحمةً عظيمةً عليه، كائنة من جنابنا، أو رحمة في قلبه، وشفقةً على أبويه وغيرهما. أو المعنى[1]: أي وجعلناه ذا حنانٍ وشفقة على الناس، وحسن نظر فيما وليه من الحكم فيهم، وقد وصف الله سبحانه نبيه ﷺ بمثل هذا في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ وقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

٣ ـ ﴿وَزَكَوٰةً﴾؛ أي: وآتيناه طهارةً من الدنس، وبعداً من اجتراح الذنوب والآثام، قال الإمام: لم تدعه شفقته إلى الإخلال بواجب، لأن الرأفة ربما أورثت ترك الواجب، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ فالمعنى: جمعنا له التعطف عليهم مع الطهارة عن الإخلال بالواجبات انتهى. أو جعلناه صدقةً؛ أي: تصدق الله به على أبويه، أو وفقناه للتصدق على الناس.

٤ ـ ﴿وَكَانَ﴾ يحيى ﴿تَقِيًّا﴾؛ أي: مطيعاً لما أمر به، ومتجنباً عن المعاصي لم يعمل خطيئةً قط، ولم يهم بها، ومن جملة تقواه: أنه كان يتقوت بالعشب، وكان كثير البكاء، فكان لدمعه مجار على خده .اهـ شيخنا.

---

(١) المراغي.

٥ ـ ﴿و﴾ كان ﴿براً بوالديه﴾ عطف على تقياً؛ أي: براً بهما، لطيفاً بهما، محسناً إليهما، والمعنى؛ أي: كان كثير البر بهما، والإحسان إليهما، والحدب عليهما، بعيداً عن عقوقهما قولاً وفعلاً، وقد جعل الله طاعة الوالدين في المرتبة التي تلي مرتبة طاعته فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وقرأ[1] الحسن، وأبو جعفر في رواية، وأبو نهيك، وأبو مجلز: ﴿وبراً﴾ في الموضعين بكسر الباء؛ أي: وذا برّ.

٦ ـ ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾؛ أي: ولم يكن يحيى متكبراً على الناس، بل كان لين الجانب، متواضعاً لهم، وقد أمر الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ بمثل هذا في قوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ ووصفه بقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ ومن ثم لما تجبر إبليس وتمرد.. صار مبعداً من رحمة ربه، وقال في «بحر العلوم[2]»: الجبار المتكبر، وقيل: هو الذي يضرب ويقتل على الغضب، لا ينظر في العواقب وقيل: هو المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله .اهـ.

٧ ـ ولم يكن: ﴿عَصِيًّا﴾؛ أي: عاصياً لربه، مخالفاً له فيما أمر به ونهى عنه، عاقاً بوالديه ثم ذكر سبحانه جزاءه على ما قدم من عمل صالح، وأسلف من طاعة ربه، فقال: ﴿سَلَٰمٌ﴾؛ أي: سلامة من الله تعالى وأمان ﴿عَلَيْهِ﴾؛ أي: على يحيى، أصله[3]: وسلمنا عليه في هذه الأحوال الثلاثة، وهي أوحش المواطن، لكن نقل إلى الجملة الاسمية، للدلالة على ثبات السلام واستقراره، فإن وحشتها لا تكاد تزول إلا بثبات السلام فيها ودوامه ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ وخرج من رحم أمه، من طعن الشيطان كما يطعن سائر بني آدم ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ بموت الطبيعي، من هول الموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ﴾ من القبر حال كونه ﴿حَيًّا﴾ من هول القيامة وعذاب النار، والمعنى[4]: وتحية من الله عليه أول ما يرى

---

(١) البحر المحيط.
(٢) السمرقندي.
(٣) روح البيان.
(٤) المراغي.

الدنيا، وأول يوم يرى فيه أمر الآخرة، وأول يوم يرى فيه الجنة والنار، وإنما خص هذه المواضع الثلاثة لأن العبد أحوج ما يكون إلى رضا ربه فيها، لضعفه، وحاجته، وقلة حيلته، وافتقاره إلى رحمة ربه ورأفته به.

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يا محمد للناس ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: في القرآن وفي هذه السورة الكريمة، فإنها بعض من الكتاب، فصح إطلاقه عليها ﴿مَرْيَمَ﴾؛ أي: خبر مريم بنت عمران وقصتها، فإن الذكر لا يتعلق بالأعيان، ومريم بمعنى العابدة.

فائدة: قال بعض العلماء[1] في حكمة ذكر مريم في القرآن باسمها دون غيرها من النساء: إن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأ، ولا يبتذلون أسماءَهن، بل يكنون عن الزوجة بالعرس والعيال والأهل ونحو ذلك، فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن، ولم يصونوا أسماءَهن عن الذكر والتصريح بها، فلما قالت النصارى في حق مريم ما قالت وفي ابنها.. صرح الله تعالى باسمها ولم يكنّ عنها تأكيداً للأمة والعبودية التي هي صفة لها، وإجراءً للكلام على عادة العرب في ذكر إمائها، ومع هذا فإن عيسى ـ عليه السلام ـ لا أب له، واعتقاد هذا واجب، فإذا تكرّر ذكرهُ منسوباً إلى الأم.. استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه، وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود ـ لعنهم الله تعالى ـ كذا في «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي.

وقال في «أسئلة الحكم»: سميت مريم[2] في القرآن باسمها لأنها أقامت نفسها في الطاعة كالرجل الكامل، فذكرت باسمها كما يذكر الرجال، من موسى وعيسى ونحوهما ـ عليهم السلام ـ وخوطبت كما خوطب الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ولذا قيل بنبوتها، وقوله: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ وابتعدت، ظرف لذلك المضاف المقدر، من النبذ وهو الطرح، والانتباذ انفعال منه ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾؛ أي: من قومها متعلق بانتبذت ﴿مَكَانًا

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

﴿شَرۡقِيّٗا﴾ مفعول به لانتبذت، باعتبار ما في ضمنه من معنى الإتيان؛ أي: مكاناً في الدار، مما يلي الشرق، والشرق: بسكون الراء المكان الذي تشرق فيه الشمس عند الطلوع، وإنما[1] خص المكان بالشرق، لأنهم كانوا يعظمون جهة الشرق، لأنها مطلع الأنوار. حكى معناه ابن جرير.

ومن ثمة اتخذ النصارى المشرق قبلةً، كما اتخذ اليهود المغرب قبلةً، لأن الميقات وإيتاء التوراة واقعان في جانب الجبل الغربي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾.

والمعنى: أي[2] واذكر يا محمد لقومك قصة مريم بنت عمران، حين اعتزلت وانفردت وتباعدت من قومها، فأتت مكاناً شرقياً من دار خالتها إيشاع، زوجة زكريا فإن موضعها كان المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، وإذا طهرت عادت إلى المسجد، فاحتاجت يوماً إلى الاغتسال، وكان الوقت وقت الشتاء، فجاءت إلى ناحيةٍ شرقيةٍ من الدار، وموضع مقابل للشمس، لأن ذلك اليوم كان شاتياً، شديدَ البرد.

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ﴾؛ أي: فأرخت من أدنى مكان أهلها ﴿حِجَابٗا﴾؛ أي: ستراً تتستّر به حال التطهر من الحيض؛ أي: أرخت بينها وبين أهلها حجاباً يسترها عنهم، لئلا يروها حال التطهر من الحيض، فبينما هي في مغتسلها وقد تطهرت ولبست ثوبها.. أتاها الملك في صورة آدميٍّ شابٍّ أمرد، وضيىء الوجه، جعد الشعر، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا﴾؛ أي: إلى مريم في مغتسلها ذلك ﴿رُوحَنَا﴾؛ أي: رسولنا جبريل ـ عليه السلام ـ فإنه كان روحانياً، فأطلق عليه الروح للطافته مثله، ولأن الدين يحيى به ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾؛ أي: فتصور وتشبه لأجلها وانتصاب قوله: ﴿بَشَرٗا﴾ على أنه مفعول به؛ أي: تشبه لأجلها آدمياً ﴿سَوِيّٗا﴾؛ أي: تام الخلق، كامل البنية، لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئاً،

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.

وقيل: تمثل لها في صورة تِرْبٍ لها اسمه يوسف، من خدم بيت المقدس، وتتلقى منه ما يلقى إليها من كلماته تعالى، إذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه، ولم تستطع استماع كلامه، ولأنه جاء للنفخ المنتج للبشر فتمثّل بشراً، ولو جاء على صورة الملك لجاء عيسى على صورة الروحانيين كما لا يخفى، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ القربان بعد الطهر التام أطهر والولد إذن أنجب، فافهم.

وقرأ أبو حيوة وسهل[1]: ﴿روحنا﴾ بفتح الراء، لأنه سبب لما فيه روح العباد، وإصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾؛ أي: مقربنا وذا روحنا، وذكر النقاش: أنه قرىء: ﴿روحنا﴾ بتشديد النون: اسم ملك من الملائكة، فلما رأته في صورة إنسان حسن كامل الخلق، قد خرق عليها الحجاب.. ظنت أنه يريدها بسوءٍ فاستعاذت بالله منه و﴿قَالَتْ﴾؛ أي: مريم ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ﴾ وأتحصن وامتنع ﴿بِـ﴾ عصمة ﴿الرحمٰن من﴾ شر﴿ك﴾ يا شاب، ذكره[2] تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى، واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها، قال في «الكشاف»: دل على عفافها وورعها، أنها تعوذت الله من تلك الصورة الجميلة ﴿إِن كُنتَ﴾ أيها الشاب ﴿تَقِيًّا﴾ تتقي الله وتبالي الاستعاذة به، وقيل[3]: إن ﴿تَقِيًّا﴾: اسم رجل صالح، فتعوذت منه تعجباً، وقيل: إنه اسم رجل فاجر معروف في ذلك الوقت، يتبع النساء، فظنت مريم أنَّ ذلك المشاهد هو ذلك التقي، فمن ذلك تعوذت منه، وخصت الرحمٰن بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه، والأول أولى، وجواب الشرط: محذوف ثقةً بدلالة السياق عليه؛ أي: فإني عائذة به أو فلا تتعرض.

والمعنى: أي فلما رأته فزعت منه وقالت: إني أستجير بالرحمٰن منك أن تنال مني ما حرم الله عليك، إن كنت ذا تقوى له، تتقي محارمه، وتجتنب معاصيه، فمن يتق الله.. يجتنب ذلك.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

وإجمال المعنى: أنه لما تبدى لها في صورة البشر، وهي في مكان منفرد، وبينها وبين قومها حجاب.. خافته وظنت أنه يريدها على نفسها، فقالت: إني أعوذ بالله منك، إن كنت تخافه، وقد فعلت المشروع في الدفع، وهو أن يكون بالهوينى، والأسهل فالأسهل.

وخلاصة ذلك: أن الاستعاذة لا تؤثر إلا في التقي، لأن الله تعالى يخشى في حال دون حال، فهو كقوله تعالى ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إن الإيمان يوجب ذلك، فلما علم جبريل خوفها.. ﴿قَالَ﴾ مجيباً لها، ومزيلاً لما حصل لها من الخوف على نفسها ﴿إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الناظر في مصلحتك، والمالك لأمرك، ولست ممن تظنّين، ولا يقع مني ما تتوهمين من الشر، ولكن رسول ربك، بعثني إليك.

﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾؛ أي: ولداً طاهراً مبرأً من العيوب، وقد أضاف الهبة إلى نفسه من قبل أنها جرت على يده، بأن نفخ في جيبها بأمر الله تعالى، أو لكونه سبباً فيها من جهة كون الإعلام لها من جهته، والزكي: الطاهر من الذنوب، الذي ينمو على النزاهة والعفة، وقيل: المراد بالزكيّ: النبي.

وقرأ شيبة(1)، وأبو الحسن، وأبو بحرية، والزهري، وابن مناذر، ويعقوب، واليزيديّ، ومن السبعة نافع، وأبو عمرو: ﴿ليهب﴾؛ أي: ليهب ربك وقرأ الجمهور، وباقي السبعة، ﴿لِأَهَبَ﴾ بهمزة المتكلم فلما عجبت مريم مما سمعت.. ﴿قَالَتْ﴾ مستبعدةً متعجبةً من حيث العادة، لا مستبعدةً من حيث القدرة؛ أي: قالت لجبريل: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾؛ أي: من أي وجه يكون لي ولد كما وصفت ﴿و﴾ الحال أني ﴿لم يمسسني بشر﴾؛ أي: لم يباشرني، ولم يقربني رجل بنكاح، ولست بذات زوج ﴿و﴾ الحال أني أيضاً ﴿لم أك بغياً﴾؛ أي: فاجرةً تبغي الرجال، ولا يتصور منِّي الفجور، تريد أنَّ الولد إما أن يكون من نكاح، أو سفاح ولم يكن هٰهنا واحد منهما، ولم يقل(2) بغية، لأنه وصف

---

(1) البحر المحيط.
(2) روح البيان.

غالب على المؤنث، كحائض؛ أي: فاجرة تبغي الرجال، يريد نفي الوطأ مطلقاً وأن الولد إما من النكاح الحلال أو الحرام، أما الحلال فلأنها لم يمسها بشر، وأما الحرام فلأنها لم تك بغياً، فإذا انتفى السببان جميعاً.. انتفى الولد.

﴿قَالَ﴾ جبريل مجيباً لها عما سألت ﴿كَذَٰلِكِ﴾؛ أي: الأمر كما قلت لك من هبة الولد لك، أو الأمر كما قلت[1] لي من أنه لم يمسسك رجل نكاحاً أو سفاحاً ولكن ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ ومالك أمرك الذي أرسلني إليك ﴿هُوَ﴾؛ أي: هبة الولد لك، وخلقه منك من غير أن يمسك بشر أصلاً ﴿عَلَيَّ﴾ خاصةً ﴿هَيِّنٌ﴾؛ أي: سهل وإن كان مستحيلاً عادةً، لأني لا أحتاج إلى الوسائط.

والمعنى[2]: أي قال الملك مجيباً لها عما سألت إن الله قد قال: إنه سيوجد منك غلام، ولم تكوني ذات بعلٍ ولا تقترفين فاحشةً، فإنه تعالى على ما يشاء قدير، ولا يمتنع عليه فعل ما يريده، ولا يحتاج في إنشائه إلى المواد والآلات، ونحو الآية قوله في سورة آل عمران: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ﴾ معطوف على علةٍ محذوفة لمعلول محذوف، تقديره: فعلنا ذلك لنبين به قدرتنا، ولنجعل هذا الغلام أو خلقه من غير أب ﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: برهاناً يستدلون به على كمال قدرتنا، وباهر حكمتنا، أو علة لمعلول محذوف متأخر، تقديره؛ أي: ولنجعله آيةً للناس خلقناه.

والمعنى: وفعلنا ذلك لنجعل خلقه من غير أبٍ برهاناً على قدرتنا، فقد خلقنا أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلقنا عيسى من أنثى من غير ذكر، وخلقنا حواء من ذكر من غير أنثى، وخلقنا بقية بني آدم من ذكر وأنثى، فجمله أنواع خلق البشر أربعة، وإلى الأولين أشار القائل:

أَلاَ رُبَّ مَوْلُوْدٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ ... وَذِيْ وَلَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبَوَانِ

وقوله: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: معطوف على ﴿آية﴾؛ أي: وخلقناه لنجعله رحمة

---

(١) النسفي. (٢) المراغي.

عظيمةً كائنةً منا للناس، لما يناله منه من الهداية، والخير الكثير، لأن كل نبي رحمةٌ لأمته لأنه يدعوهم إلى توحيده وعبادته ﴿وَكَانَ﴾ خلقه بلا فحلٍ ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ قضيت به في سابق علمي، وحكمت بوقوعه لا محالة، فيمتنع خلافه، فلا فائدة في الحزن لأنه لا يبدّل ولا يغيّر ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.

قوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ قبله كلام مطوي والتقدير: فلما قال لها جبريل ما قال.. استسلمت لقضاء الله، واطمأنت إلى قوله، فدنا منها فنفخ في جيب درعها - الفتحة التي في القميص من الأمام - فوصلت النفخة إلى بطنها، فحملته، قاله ابن عباس، وقيل[1]: كانت النفخة في ذيلها، وقيل: في فمها، والقرآن قد أثبت النفخ فقال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ ولم يعين موضع النفخة، فلا نجزم بشيء من ذلك إلا بالدليل القاطع، قيل: إن وضعها كان متصلاً بهذا الحمل، من غير مضي مدة للحمل، ويدل على ذلك قوله: ﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾ ابتعدت واعتزلت وتنحت من الناس ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالذي حملته، وهو عيسى - عليه السلام - حيث أتى بفاء التعقيب، وقيل[2]: كانت مدة الحمل ثلاث ساعات، وقيل حمل في ساعة، وصور في ساعة، ووضعته في ساعة، وقيل: ستة أشهر، وقيل: سبعة أشهر، كما قاله أبو العالية، والضحاك، وعطاء، وقيل: ثمانية أشهر، ولم يعش مولود وضع لثمانية أشهر إلا عيسى، وهذه أقوال مضطربة متناقضة، كان ينبغي أن يضرب عنها صفحاً، إلا أن المفسرين ذكروها وسودوا بها الورق.

والقرآن الكريم لم يعين مدة الحمل، ولا حاجة إليها في العبرة، فنقول: إنها كانت كما يكون غيرها من النساء، إلا إذا ثبت غيره، وكذلك لا حاجة إلى تعيين سنها حينئذ، إذ لا يتعلق به كبير فائدة، لأنه قيل: كانت بنت أربع عشرة سنة، وقيل: بنت خمس عشرة سنة، وقيل: بنت ثلاث عشرة، وقيل: بنت اثنتي عشرة سنة، وقيل: عشر سنين: وقيل: بعد أن حاضت حيضتين. ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾؛

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

أي: مكاناً قصياً بعيداً عن أهلها، قيل: كان هذا المكان وراء الجبل، وقيل: أبعد مكان في تلك الدار، وقيل: أقصى الوادي وقيل: إنها فرت إلى مصر: وقيل: إلى موضع يعرف ببيت لحم، بينه وبين إيلياء أربعة أميال، ولا حاجة إلى تعيينه، وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة ﴿قاصيا﴾ ذكره ابن الجوزي.

وإنما اتخذت المكان البعيد حياءً من قومها، وهي من سلائل بيت النبوة، ولأنها استشعرت منهم باتهامها بالريبة، فرأت أن لا تراهم، وأن لا يروها.

قال وهب بن منبه[1]: لما حملت مريم بعيسى.. كان معها ابن عم لها، يقال له يوسف النجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان يوسف ومريم يخدمان ذلك المسجد، ولا يُعلم في أهل زمانهما أحد أشد عبادةً منهما، وأوَّل من علم حمل مريم هو يوسف، فتحيَّر في أمرها فكلما أراد أن يتهمها.. ذكر عبادتها، وأنها لم تغب عنه ساعةً قطّ، وإذا أراد أن يبرئها.. رأى الذي ظهر بها من الحمل، فأول ما تكلم به أن قال: قد وقع في نفسي من أمرك شيء، وقد حرصت على كتمانه، فغلبني ذلك، فرأيت أن الكلام فيه أشفى لصدري، فقالت: قل: قولاً جميلاً، قال: أخبريني يا مريم، هل ينبت زرع بغير بذر، وهل تنبت شجرة من غير غيث، وهل يكون ولد من غير ذكر، قالت: نعم ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث، وبالقدرة جعل الغيث حياةَ الشجرة، بعدما خلق كل واحد منهما على حدة، أو نقول: إن الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباتها، فقال يوسف: لا أقول هذا، ولكني أقول: إن الله قادر على ما يشاء، فيقول له: كن فيكون، فقالت له مريم: ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى، فعند ذلك زالت التهمة عن قلبه، وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل، وضيق القلب، فلما دنت ولادتها.. أوحى الله إليها أن أخرجي من أرض قومك، فخرجت إلى أقصى الدار ﴿فَأَجَآءَهَا

---

(١) الخازن.

﴿ٱلْمَخَاضُ﴾؛ أي: فألجأها وجع الولادة وألم الطلق، يقال: جاء بها، وأجاءها، فهو تعدية جاء بالهمزة، ويقال: مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿فَأَجَآءَهَا﴾؛ أي: ساقها واضطرها، وقال الشاعر:

وجَــارٌ سَــارَ مُــعْــتَــمِــداً إِلَــيْــكُــم   أَجَــاءَتْــهُ ٱلْــمَــخَــافَــةُ والــرَّجَــاءُ

وأمال فتحة الجيم الأعمش، وطلحة، وقرأ حماد بن سلمة عن عاصم: قال ابن عطية، وشبيل بن عزرة: ﴿فاجأها﴾ من المفاجأة، وقال صاحب «اللوامح» شبيل بن عزرة: ﴿فاجأها﴾ فقيل: هو من المفاجأة، بوزن فاعلها وروي عن مجاهد: كقراءة حماد عن عاصم، وقرأ[2] عكرمة، وإبراهيم النخعي، وعاصم الجحدري ﴿المِخَاض﴾ بكسر الميم؛ أي: فألجأها واضطرها وجه الولادة أن تستند ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾؛ أي: إلى[3] أصل نخلة يابسة، لا رأس لها للتشبث به، لتسهل الولادة، كما أن الحامل تتعلق لشدة وجع الولادة بشيء مما تجد عندها، وكان الوقت شتاءً شديد البرد، فلما اعتمدت عليه بصدرها أخضر، وأطلع الجريد والخوص والثمر رطباً في وقت واحد، كما أن حمل عيسى وتصويره وولادته في وقت واحد، وكأن الله أرشدها إلى النخلة ليريها من آياته ما يسكن روعتها، وليطعمها الرطب الذي هو أشد الأشياء موافقة للنفساء، فهو خرسة لها.

والخرسة بالتاء: طعام النفساء، وبدونها طعام الولادة، ولأن النخلة من أقل الأشجار صبراً على الأرض، ولأنها لا تثمر إلا عند اللقاح من ذكر النخل، وإذا قطعت رأسها ماتت، فكأنه تعالى قال: كما أن الأنثى لا تلد إلا مع الذكر، فكذا النخلة لا تثمر إلا عند اللقاح، ثم إني أظهر الرطب من غير اللقاح، ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر، فحملها بمجرد هزها أنسب شيء بإتيانها بولد من غير والد.

---

(١) البحر المحيط.
(٢) زاد المسير.
(٣) المراح.

والجذع ما بين العرق والغصن؛ أي: أسفلها ما دون الرأس الذي عليه الثمر ﴿قَالَتْ﴾ مريم لما خافت أن يظن بها السوء في دينها، فيقع في المعصية من يتكلم فيها، وهي راضية بما بشرها به جبريل:

﴿يا﴾؛ أي: أنبهك يا أيها المخاطب، أو يا هؤلاء ﴿ليتني مت﴾؛ أي: أتمنى موت نفسي ﴿قَبْلَ هَٰذَا﴾ الوقت الذي رأيت فيه ما رأيت من الأمر العظيم، وقرأ[1] نافع، وحفص، وحمزة، والكسائي: ﴿مِتُّ﴾ بكسر الميم، والباقون بالضم ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾؛ أي: شيئاً تافهاً حقيراً، شأنه أن ينسى، ولا يعتد به أصلاً، كخرقة الطمث ونحوها، وقرأ حفص، وحمزة، وابن وثاب، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى: بفتح النون، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، والكسائي: بكسر النون، وهو فعل بمعنى مفعول، كالذبح وهو ما من شأنه أن يذبح، وقرأ محمد بن كعب القرظي ﴿نساءً﴾ بكسر النون والهمز مكان الياء، وهي: قراءة نوف الأعرابي، وقرأ بكر بن حبيب السهمي، ومحمد بن كعب، أيضاً: ﴿نسأ﴾ بفتح النون والهمزة، وهو مصدر من نسأت اللبن، إذا صببت عليه ماءً، فاستهلك اللبن فيه لقلته، فكأنها تمنت أن تكون مثل ذلك اللبن، الذي لا يرى ولا يتميز من الماء، وقال ابن عطية: وقرأ بكر بن حبيب ﴿نسأ﴾ بفتح النون والسين من غير همز، بناه على فعل كالقبض والنقض، بمعنى المقبوض والمنقوض ﴿مَّنسِيًّا﴾؛ أي: متروكاً لا يخطر ببال أحد من الناس، وهو نعت للمبالغة.

وهذا جري على عادة الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم[2]، فإنهم يقولون مثل ذلك، كما روي عن أبي بكر: أنه نظر إلى طائر على شجرة فقال: طوبى لك يا طائر، تقع على الشجرة وتأكل من الثمر، وددت أني ثمرةٌ ينقرها الطائر. وعن عمر أنه أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنة ولم أك شيئاً. وعن علي

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراح.

أنه قال يوم الجمل: يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. وعن بلال أنه قال: ليت بلالاً لم تلده أمه.

وقرأ الأعمش، وأبو جعفر في رواية[1]: ﴿منسيا﴾ بكسر الميم إتباعاً لحركة السين، كما قالوا: منتن باتباع حركة الميم لحركة التاء.

﴿فَنَادَىٰهَا﴾؛ أي: فنادى جبريل مريم ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾؛ أي: من تحت مريم من مكان أسفل منها، تحت الأكمة، حين سمع جزعها، لأن عيسى لم يتكلم حتى أتت به قومها، وقال في[2] القصص من تحت النخلة، أو فناداها[3] عيسى ـ عليه السلام ـ كما قال الحسن البصري، وسعيد بن جبير: وقد أنطقه الله حين وضعته تطييباً لقلبها، وإزالةً للوحدة عنها، حتى تشاهد بادىء ذي بدءٍ علو شأن ذلك المولود الذي بشرها جبريل به.

وقرأ ابن عباس[4]: ﴿فناداها ملك من تحتها﴾ وقرأ البراء بن عازب، وابن عباس، والحسن، وزيد بن علي، والضحاك، وعمرو بن ميمون، ونافع، وحمزة، والكسائي، وحفص ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾ بكسر الميم والتاء حرف جر، وقرأ الابنان: ابن كثير، وابن عامر، والأبوان: أبو عمرو، وأبو بكر، وعاصم وزر ومجاهد، والجحدري، والحسن، وابن عباس في رواية عنهما: ﴿مَنْ تحتَها﴾ بفتح الميم والتاء بمعنى الذي، وتحت: ظرف منصوب صلة لـ(من)، قال ابن الجوزي[5]: فمن قرأ بكسر الميم ففيه وجهان:

أحدهما: ناداها الملك من تحت النخلة، وقيل: كانت على نشز فناداها الملك أسفل منها.

والثاني: ناداها عيسى لما خرج من بطنها. قال ابن عباس: كل ما رفعت إليه طرفك فهو فوقك، وكل ما خفضت إليه طرفك فهو تحتك.

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.
(٤) البحر المحيط وزاد المسير.
(٥) زاد المسير.

ومن قرأ بفتح الميم ففيه الوجهان المذكوران، وكان الفراء يقول: ما خاطبها إلا الملك على القراءتين جميعاً. انتهى.

﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ أن إما مفسرة للنداء؛ أي: لا تحزني يا مريم بولادة عيسى وبمكان القحط، أو لا تحزني يا أمي، أو مصدرية على حذف الباء؛ أي: بأن لا تحزني والحزن[1]: غم يلحق لوقوعه من فوات نافع، أو حصول ضار ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ﴾ المحسن إليك ﴿تَحْتَكِ﴾؛ أي في مكان أسفل منك، أو قريب منك، أو تحت ذيلك ﴿سَرِيًّا﴾؛ أي: نهراً صغيراً، أو غلاماً رفيع الشأن، سامي القدر، ذا سخاء في مروءةٍ.

قال جمهور المفسرين[2]: السري: النهر الصغير، والمعنى قد جعل ربك تحت قدمك نهراً، قيل: كان نهراً قد انقطع عنه الماء فأرسل الله فيه الماء لمريم، وأحيا به ذلك الجذع اليابس، الذي اعتمدت عليه، حتى أورق وأثمر، وقيل: المراد بالسريّ هنا عيسى، والسريّ العظيمُ من الرجال، ومنه قولهم: فلان سريّ؛ أي: عظيم، ومن قومٍ سراةٍ؛ أي: عظام.

والمعنى على قراءة ﴿مِنْ﴾ الجارَّة: فناداها[3] جبريل من مكان أسفل منها تحت الأكمة؛ أي: لا تحزني يا مريم على ولادة عيسى، قد جعل ربك بمكان أسفل منك، أو قريباً منك، نهراً صغيراً، أو إنساناً شريفاً جليلاً، ويدل على ذلك قراءة من قرأ: ﴿فناداها ملك من تحتها﴾ أو ناداها المولود كائناً من تحت ذيلها؛ أي: لا تحزني يا أمي قد جعل ربك تحتك جدولاً يجري، ويمسك بأمرك، أو نبياً مرتفعَ القدر، وعلى قراءة: ﴿مَنْ﴾ الموصولة فناداها عيسى الذي كان تحت ذيلها؛ أي: لا تحزني قد جعل ربك تحتك رئيساً عزيزاً، لا يكاد يوجد له نظير، أو جدولاً بضرب جبريل الأرض برجله، أو فناداها جبريل من تحتها يقبل الولد كالقابلة، أو من تحت النخلة، بأن لا تحزني قد جعل ربك قربك عين ماء عذب،

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراح.

تعظيماً لشأنك، فإن الله تعالى أرسل جبريل إليها ليناديها بهذه الكلمات، كما أرسل إليها في أول الأمر، ليكون ذلك تذكيراً لها ما تقدم من أصناف البشارات.

أو يقال: إن الله تعالى أنطق عيسى لها حين وضعته، تطييباً لقلبها، وإزالةً للوحشة عنها، حتى تشاهد في أول الأمر ما بشرها به جبريل، من علو شأن ذلك المولود، كما قال الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: إن عيسى ـ عليه السلام ـ لو لم يكن كلمها لما علمت أنه ينطق، فما كانت تشير إلى عيسى بالكلام.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ﴾؛ أي: حركي وأميلي ﴿إِلَيۡكِ﴾؛ أي: إلى جهتك يا مريم ﴿بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾، أي: جذع النخلة، فالباء صلة للتأكيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾؛ أي: حركي أصل النخلة تحريكاً عنيفاً إلى جهتك ﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ﴾؛ أي: تسقط النخلة ﴿عَلَيۡكِ﴾ إسقاطاً متواتراً بحسب تواتر الهز.

﴿رُطَبٗا﴾؛ أي: بسراً ناضجاً ﴿جَنِيّٗا﴾؛ أي: صالحاً للأجناء، والجني فعيل بمعنى مفعول؛ أي: رطباً مجنياً؛ أي: صالحاً للاجتناء، قد بلغ الغاية، قال الربيع بن خيثم: ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل.

والمعنى: أي[1] أميلي إليك جذع النخلة واجذبيه بتحريكه، يسقط عليك رطباً جنياً تأكلين منه ما تشائين، وتلك آية أخرى لها، روي أنها كانت نخلةً يابسةً لا رأس لها ولا ثمر، وكان الوقت شتاءً، فأنزل الله لها رزقاً، فجعل للنخلة رأساً وخوصاً، وجعل لها ثمراً رطباً، وهذه رواية يعوزها الدليل.

وفي هذا إيماءٌ وتنبيه إلى أن من يقدر أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء، يقدر أن يجعلها تحمل من غير السنن العادية، وإلى أن السعي في الرزق مطلوب، ولا ينافي التوكل، ولله درّ القائل:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ ٱللَّـهَ أَوْحَـىٰ لِـمَـرْيَـمِ   وَهُزِّيْ إِلَيْكِ ٱلْجِذْعَ يُسَاقِطِ ٱلرُّطَبْ
وَلَوْ شَاءَ أَحْنَىٰ ٱلْجِذْعَ مِنْ غَيْرِ هَزِّهِ   إِلَـيْـهَـا وَلَـكِـنْ كُـلُّ شَـيْءٍ لَـهُ سَـبَـبْ

---

(١) المراغي.

وقرأ ابن كثير[1]، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿تَسَّاقَط﴾ بفتح التاء والسين وشدها بعدها ألف وفتح القاف، وقرأ حمزة، والأعمش، وطلحة، وابن وثاب، ومسروق ﴿تساقط﴾ كذلك إلا أنهم خففوا السين وقرأ حفص عن عاصم: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ بضم التاء وكسر القاف مخففة السين، مضارع ساقطت، وقرأ يعقوب، وأبو زيد عن المفضل، والبراء بن عازب، والأعمش في رواية: ﴿يساقط﴾ بالياء مفتوحةً وتشديد السين وفتح القاف، فهذه القراءات المشاهير، وقرأ أبي بن كعب، وأبو حيوة، ومسروق: ﴿تسقط﴾ بالتاء من فوق مضمومة وكسر القاف، وعن أبي حيوة كذلك إلا أنه بالياء من تحت، وعنه أيضاً: ﴿تسقط﴾ بالتاء من فوق مفتوحةً وضمّ القاف، وعنه كذلك إلا أنه بالياء من تحت، وقال بعضهم في قراءة أبي حيوة هذه: أنه قرأ: ﴿رطب جني﴾ بالرفع على الفاعلية، وقرأ أبو السماك العدوي، وابن حزام: ﴿تتساقط﴾ بتاءَين مفتوحتين وبألف، وقرأ معاذ القارىء، وابن يعمر ﴿نساقط﴾ بالنون.

وقال الزجاج[2]: من قرأ ﴿يساقط﴾. فالمعنى: يتساقط فأدغمت التاء في السين، ومن قرأ ﴿تساقط﴾.. فكذلك أيضاً، وأنَّث لأن لفظ النخلة يؤنث، ومن قرأ ﴿تساقط﴾ بالتاء والتخفيف.. فإنه حذف من تتساقط اجتماع التاءَين، ومن قرأ ﴿يساقط﴾.. ذهب إلى معنى تساقط الجذع عليك، ومن قرأ ﴿نساقط﴾ بالنون.. فالمعنى: نحن نساقط عليك فنجعله لك آيةً، وقرأ[3] طلحة بن سليمان ﴿جنياً﴾ بكسر الجيم اتباعاً لحركة النون ﴿فَكُلِي﴾ يا مريم من ذلك الرطب ﴿وَٱشۡرَبِي﴾ من ماء النهر، أو فكلي من ذلك الرطب، واشربي من عصيره، وكان[4] ذلك إرهاصاً لعيسى، أو كرامةً لأمه، وليس معجزة لفقد شرطها وهو: التحدي كما في «بحر العلوم».

قال الإمام: وقدم الأكل على الشرب لأن حاجتها إليه أشد من حاجتها إلى

---

(١) البحر المحيط وزاد المسير.
(٢) زاد المسير.
(٣) البحر المحيط.
(٤) روح البيان.

الماء، لكثرة ما سال منها من الدماء ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي وطيبي نفساً، وبردي قلبك، وارفضي عنه ما أحزنك، وأهمك، فإن الله تعالى قد نزه ساحتك بالخوارق، من جرى النهر المنقطع، واخضرار النخلة اليابسة، وإثمارها قبل وقتها، لأنهم إذا رأوا ذلك، لم يستبعدوا ولادة ولد بلا فحل، واشتقاقه من القرار، فإن العين إذا رأت ما يسر النفس.. سكنت إليه من النظر إلى غيره، يقال: أقر الله عينيك؛ أي: صادف فؤادك ما يرضيك، فيقر عينك من النظر إلى غيره.

والمعنى: أي طيبي نفساً بولدك عيسى، فالعين إذا رأت ما يسر النفس.. سكنت إليه من النظر إلى غيره، وإنّ دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة، ولذلك يقال للمحبوب: قرة العين وللمكروه سخنة العين، فإن الله قدير أن ينزه ساحتك، ويبعد عنك تخرصات المبطلين، الذين يتقيدون بالسنن التي جعلها الله تعالى الطريق للولادة في البشر، ويرشدهم إلى الوقوف على سريرة أمرك حتى يثبتوا لك القداسة والطهر، وقرأ الجمهور[1]: ﴿قرّي﴾ بفتح القاف، وحكىٰ ابن جرير: أنه قرىء بكسرها، قال وهي لغة نجدٍ.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾؛ أي: فإن تري أحداً من البشر كائناً من كان، فيسألك عن شأنك وشأن ولدك، و(ما) مزيدة لتأكيد معنى الشرط، وهي بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت على الفعل.. دخلت معها النون المؤكدة ﴿فَقُولِيٓ﴾ له باللسان أو فأشيري له بالأركان: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ وأوجبت على نفسي ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ سبحانه ﴿صَوْمًا﴾؛ أي: صمتاً عن الكلام، أو صياماً، وكان صيام المجتهدين في بني إسرائيل بالإمساك عن الطعام والكلام حتى يمسي، وقد نسخ في هذه الأمة، لأنه ﷺ نهى عن صوم الصمت.

أي: قولي إن طلب منك الكلام أحد من الناس ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ وصمتاً ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾؛ أي: آدمياً بعد أن أخبرتك بنذري، وإنما

---

(١) الشوكاني.

أكلم الملائكة وأناجي ربي، وإنما منعت مريم من الكلام ليكون عيسى المتكلم عنها، فيكون أقوى لحجتها في إزالة التّهمَة عنها، ولكراهة مجادلة السفهاء.

والمعنى: أي فإن رأيت أحداً من بني آدم يسألك عن أمرك وأمر ولدك وكيف ولدته.. فأشيري إليهم: أني أوجبت على نفسي لله صمتاً ألا أكلم اليوم أحداً فإن كلامي يقبل الرد والجدل، ولكن يتكلم عني هذا المولود، الذي لا يقبل كلامه الدفع والرد، وإني أنزه نفسي مجادلة السفهاء، ولا أكلم إلا الملائكة أو أناجي الخالق، وفيه أن السكوت عن السفيه واجب، ومن أذل الناس: سفيه لم يجد مسافهاً، وفي الآية إشارة إلى الصوم عن الالتفات لغير الله تعالى، كما قال بعض السلف: الدنيا يوم ولنا فيه صوم، ولا يكون إفطار إلا على مشاهدة الهلال.

والظاهر[1]: أن الآمر لها بالأكل والشرب وذلك القول هو ولدها، وقيل: جبريل ـ عليه السلام ـ على الخلاف المار، وليس الصمت عن الكلام من شريعة الإسلام، فقد روي أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ دخل على امرأة قد نذرت أن لا تتكلم، فقال: إن الإسلام قد هدّم هذا فتكلمي.

وقرأ ابن عباس[2]، وأبو مجلز، وابن السميقع، والضحاك، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: ﴿ترئنَّ﴾ بهمزة مكسورة من غير ياءٍ، وقرأ أبو عمرو فيما روى عنه ابن رومي: ﴿ترئن﴾ بالإبدال من الياء همزةً وروي عنه: ﴿لترؤن﴾ بالهمزة أيضاً، بدل الواو، قال ابن خالويه: وهو عند أكثر النحويين لحن، وقرأ أبو جعفر، وشيبة: ﴿ترين﴾ بسكون الياء وفتح النون خفيفةً، قال ابن جنّي: وهي شاذة؛ يعني: لأنه لم يؤثر الجازم فيحذف النون، وقرأ[3] أبي: ﴿إني نذرت للرحمٰن صوماً صمتاً﴾ بالجمع بين اللفظين، وكذا روي عن أنس، وروي عنه أنه قرأ: ﴿صوماً وصمتاً﴾ بالواو.

---

(١) البحر المحيط.
(٢) زاد المسير.
(٣) البحر المحيط.
(٤) الشوكاني.

الإعراب

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣﴾.

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾: إن قلنا إنه من الأمور التي استأثر الله سبحانه بعلمها.. فلا محل له من الإعراب، لأن الإعراب فرع عن المعنى، والمعنى لم يعرف، وإن قلنا: إنه علم على السورة.. فيجري عليه من الإعراب، ما يجري على أسماء التراجم من الأوجه الخمسة أو السبعة، كما ذكرناها في «مناهل الرجال على لامية الأفعال» ﴿ذِكۡرُ﴾: خبر لمبتدء محذوف تقديره هذا المتلو عليك من القرآن ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ أو مبتدأ محذوف الخبر تقديره فيما يتلى عليكم ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾: والجملة الإسمية: مستأنفة ﴿ذِكۡرُ﴾ مضاف ﴿رَحۡمَتِ﴾: مضاف إليه وهو من إضافة المصدر لمفعوله، والفاعل، محذوف تقديره ذكر الله رحمة عبده زكريا ﴿رَحۡمَتِ﴾ مضاف، ﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه وهو من إضافة المصدر لفاعله ﴿عَبۡدَهُۥ﴾: مفعول به لرحمة ﴿زَكَرِيَّآ﴾ بدل من عبده أو عطف بيان له ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، متعلق برحمة ربك؛ أي: رحمة الله إياه وقت ندائه ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ فعل ومفعول وفاعله: ضمير يعود على عبده ﴿نِدَآءً﴾: مفعول مطلق ﴿خَفِيّٗا﴾: صفة له والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذۡ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله: ضمير يعود على ﴿زَكَرِيَّآ﴾ والجملة الفعلية: في محل الجر بدل من جملة نادى ﴿رَبِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ مقول محكي وإن شئت قلت ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، حذف منه حرف النداء، وجملة النداء: في محل النصب مقول قال ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ﴾: فعل وفاعل ﴿مِنِّي﴾: حال من ﴿ٱلۡعَظۡمُ﴾ والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر إن وجملة، إن في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء، ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ﴾.

﴿شَيۡبٗا﴾: تمييز محول عن الفاعل منصوب بـ﴿اشتعل﴾ والتقدير: واشتعل شيب الرأس ﴿وَلَمۡ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿لم﴾: حرف جزم ﴿أَكُنۢ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، واسمها: ضمير يعود على ﴿زَكَرِيَّآ﴾ تقديره: أنا ﴿شَقِيّٗا﴾: خبرها ﴿بِدُعَآئِكَ﴾: متعلق بـ﴿شَقِيّٗا﴾ ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وجملة ﴿لم أكن﴾ في محل الرفع معطوف على جملة قوله ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ﴾ على كونها خبر إن.

﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦﴾.

﴿وَإِنِّي﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿إني﴾: ناصب واسمه ﴿خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿مِن وَرَآءِي﴾: جار ومجرور حال من ﴿ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾. ﴿مِن﴾: متعلق بمحذوف أو بما تضمنه ﴿ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾ من معنى الفعل تقديره: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ﴾ فعل ﴿ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾ أو ﴿خِفۡتُ﴾ الذين يلون الأمر ﴿مِن وَرَآءِي﴾ ولا يصح تعلقه بخفت لفساد المعنى، كما في «السمين» ووجه فساده: أن الخوف واقع في الحال لا فيما يستقبل، فلو جعل ﴿مِن وَرَآءِي﴾ متعلقاً بخفت.. لزم أن يكون الخوف واقعاً في المستقبل؛ أي: بعد موته وهو كما ترى ظاهر الفساد، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر إن وجملة إن: في محل النصب معطوفة على جملة إن في قوله: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾. ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره والجملة: في محل النصب حال من فاعل خفت ﴿فَهَبۡ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا علمتَ يا إلهي شكواي إليك، وأردت بيان مسألتي منك فأقول لك ﴿هب﴾ فعل دعاء وفاعله ضمير يعود على الله ﴿لِي﴾ جار ومجرور متعلق به ﴿مِن لَّدُنكَ﴾: جار ومجرور حال من ﴿وَلِيّٗا﴾ ﴿وَلِيّٗا﴾: مفعول به منصوب بهب والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة وجملة: إذا المقدرة: في محل النصب مقول قال ﴿يَرِثُنِي﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول أول والثاني محذوف. تقديره: النبوة والحبورة، والجملة في محل النصب صفة لـ﴿وَلِيّٗا﴾ ﴿وَيَرِثُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر

ومفعوله محذوف، تقديره، العلم، والدين، والجملة: معطوفة على جملة ﴿يَرِثُنِي﴾ ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يرث﴾ ﴿وَٱجْعَلْهُ﴾: فعل ومفعول أول وفاعله ضمير يعود على الله ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف ﴿رَضِيًّا﴾: مفعول ثان لـ﴿جعل﴾ والجملة الفعلية: معطوفة على جملة قوله ﴿هَبْ لِي﴾.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾ منادى مفرد العلم مبني على الضم المقدر، أو الظاهر وجملة النداء وما بعده: في محل النصب مقول لقول محذوف تقديره: قال الله سبحانه ﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾ وجملة القول المحذوف: مستأنفة ﴿إِنَّا﴾ ناصب واسمه ﴿نُبَشِّرُكَ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله ﴿بِغُلَٰمٍ﴾ متعلق به والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول القول المحذوف، على كونها جواب النداء ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ مبتدأ وخبر والجملة، في محل الجر صفة أولى لـ﴿غلام﴾ ﴿لَمْ نَجْعَل﴾ جازم ومجزوم وفاعله ضمير يعود على الله ﴿لَّهُۥ﴾: جار ومجرور في محل النصب مفعول ثان لجعل ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور حال من ﴿سَمِيًّا﴾. ﴿سَمِيًّا﴾: مفعول أول لجعل وجملة ﴿نَجْعَل﴾ في محل جر صفة ثانية لـ﴿غلام﴾.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله: ضمير يعود على ﴿زَكَرِيَّآ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم استفهام للتعجب في محل النصب الظرفية المكانية بمعنى أين، أو في محل النصب على الحالية بمعنى كيف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به خبر يكون ﴿لِي﴾: خبر ﴿يَكُونُ﴾ مقدم ﴿غُلَٰمٌ﴾: اسمه مؤخر وجملة ﴿يَكُونُ﴾: في محل النصب مقول قال ﴿وَكَانَتِ﴾ ﴿الواو﴾ واو الحال ﴿كانت امرأتي عاقراً﴾: فعل ناقص واسمه وخبره والجملة: في محل النصب حال من الياء في ﴿لِي﴾ ﴿وَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾:

حالية ﴿قد﴾: حرف تحقيق ﴿بَلَغْتُ﴾ فعل وفاعل ﴿مِنَ ٱلْكِبَرِ﴾: حال من ﴿عِتِيًّا﴾. ﴿عِتِيًّا﴾: مفعول به لـ﴿بَلَغْتُ﴾: والجملة الفعلية: في محل النصب حال ثانية من الياء في ﴿لِى﴾ أو من الياء في ﴿ٱمْرَأَتِى﴾ لأن المضاف كالجزء من المضاف إليه لأن المرأة كاللباس للرجل. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الله أو على جبريل والجملة: مستأنفة ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور خبر لمبتدء محذوف تقديره، الأمر كذلك والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾: فعل وفاعل كرره للتأكيد ﴿هُوَ﴾: مبتدأ ﴿عَلَىَّ﴾ متعلق بـ﴿هَيِّنٌ﴾. ﴿هَيِّنٌ﴾: خبر المبتدأ والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: حالية ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿خَلَقْتُكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق بخلقتك والجملة الفعلية: في محل النصب حال من الياء في ﴿عَلَىَّ﴾ ﴿وَلَمْ﴾ ﴿الواو﴾: حالية ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم ﴿تك﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وعلامة جزمه سكون ظاهر على النون المحذوفة للتخفيف، واسمها ضمير يعود على زكريا ﴿شَيْـًٔا﴾: خبرها وجملة تكون في محل النصب حال من كاف ﴿خَلَقْتُكَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿زَكَرِيَّآ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ﴿ٱجْعَل﴾: فعل دعاء ﴿لِّىٓ﴾ جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ﴿جعل﴾، ﴿ءَايَةً﴾ مفعول أول لجعل والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الله والجملة مستأنفة ﴿ءَايَتُكَ﴾ مبتدأ ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿لَا﴾: نافية ﴿تُكَلِّمَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أَن﴾ وفاعله ضمير يعود على زكريا ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿تُكَلِّمَ﴾. ﴿سَوِيًّا﴾: حال من فاعل تكلم أي حالة كونك سليماً بلا علة ولا مرض، أو منصوب على كونه صفة لثلاث بمعنى أنها كاملات، وجملة ﴿تُكَلِّمَ﴾: في محل

الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾.

﴿فَخَرَجَ﴾ الفاء: استئنافية ﴿خرج﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على زكريا ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿خرج﴾ وكذا قوله: ﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ متعلق بـ﴿خرج﴾. ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿أوحى﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على زكريا ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلق به والجملة معطوفة على جملة ﴿خرج﴾ ﴿أَن﴾: مفسرة، أو مصدرية على تقدير الباء ﴿سَبِّحُوا۟﴾ فعل أمر وفاعل ومفعول مبني على حذف النون ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: منصوبان على الظرفية الزمانية، متعلقان بـ﴿سَبِّحُوا۟﴾ والجملة: جملة مفسرة لـ﴿أوحى﴾ لا محل لها من الإعراب، أو في محل الجر بالباء المقدرة المتعلقة بـ﴿أوحى﴾ ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ ﴿يا﴾ أداة نداء ﴿يَحْيَىٰ﴾: منادى مفرد العلم في محل النصب مبني على الضم المقدرة للتعذر وجملة النداء: في محل النصب مقول لقول محذوف معطوف على مقدر، تقديره: فحملت به ووضعته ومضى عليه سنتان مثلاً، فقال له الرب ـ جل جلاله ـ على لسان الملك ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على يحيى ﴿بِقُوَّةٍ﴾: متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿خُذِ﴾؛ أي: حالة كونك متلبساً بجدٍ واجتهادٍ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾: فعل وفاعل ومفعولان لأن آتى بمعنى أعطى والجملة مستأنفة أو معطوفة على قولٍ محذوف؛ أي: فقلنا له: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ﴿صَبِيًّا﴾: حال من الهاء في ﴿آتيناه﴾.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَحَنَانًا﴾: معطوف على ﴿ٱلْحُكْمَ﴾؛ أي: وآتيناه ﴿حناناً﴾؛ أي: رحمةً ورقةً في قلبه وعطفاً على الآخرين ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿حناناً﴾ ﴿وَزَكَوٰةً﴾ معطوف على ﴿حناناً﴾. ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ فعل ناقص وخبره واسمه ضمير يعود على ﴿يَحْيَىٰ﴾ والجملة معطوفة على ﴿آتيناه﴾ ﴿وَبَرًّۢا﴾ معطوفة على ﴿تَقِيًّا﴾

﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾: متعلق بـ﴿براً﴾ ﴿وَلَمۡ يَكُن﴾: جازم ومجزوم وهي فعل من الأفعال الناقصة، واسمها ضمير يعود على ﴿يَحۡيَىٰ﴾. ﴿جَبَّارًا﴾: خبرها ﴿عَصِيًّا﴾ صفة ﴿جَبَّارًا﴾ وجملة ﴿يَكُن﴾: معطوفة على جملة ﴿كان﴾، ﴿وَسَلَٰمٌ﴾: مبتدأ وسوغ الابتداء بالنكرة، قصد الدعاء ﴿عَلَيۡهِ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ والجملة مستأنفة ﴿يَوۡمَ﴾. ظرف متعلق بالسلام. ﴿وُلِدَ﴾ فعل ماض مغير الصيغة ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿يَحۡيَىٰ﴾ والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوۡمَ﴾ ﴿وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ﴾: معطوفان على ﴿يَوۡمَ وُلِدَ﴾. ﴿حَيًّا﴾: حال من نائب فاعل ﴿يُبۡعَثُ﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية ﴿اذكر﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد والجملة مستأنفة ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: متعلق بـ﴿اذكر﴾ ﴿مَرۡيَمَ﴾: مفعول به ولكنه على حذف مضاف؛ أي: قصة مريم وخبرها ﴿إِذِ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بالمضاف المحذوف؛ أي: واذكر قصة مريم وقت انتباذها من أهلها ﴿ٱنتَبَذَتۡ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿مَرۡيَمَ﴾. ﴿مِنۡ أَهۡلِهَا﴾: متعلق به والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذ﴾ ﴿مَكَانًا﴾: ظرف مكان متعلق بـ﴿ٱنتَبَذَتۡ﴾؛ أي: في مكان شرقي ﴿شَرۡقِيًّا﴾: صفة لـ﴿مَكَانًا﴾: ويجوز أن يعرب ﴿مَكَانًا﴾ مفعولاً به على أن معنى ﴿ٱنتَبَذَتۡ﴾ أتت.

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾.

﴿فَٱتَّخَذَتۡ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿اتخذت﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿مَرۡيَمَ﴾. ﴿مِن دُونِهِمۡ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لاتخذ ﴿حِجَابًا﴾: مفعول أول لـ﴿اتخذ﴾ والجملة: في محل الجر معطوفة على جملة ﴿ٱنتَبَذَتۡ﴾ ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿أرسلنا﴾: فعل وفاعل والجملة معطوفة على جملة ﴿اتخذت﴾ ﴿إِلَيۡهَا﴾: متعلق بـ﴿أرسلنا﴾. ﴿رُوحَنَا﴾ مفعول به. ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿تمثل﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الروح ﴿لَهَا﴾ متعلق بـ﴿تمثل﴾ والجملة: معطوفة على جملة ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾. ﴿بَشَرًا﴾: حال

من فاعل ﴿تمثل﴾ ﴿سَوِيًّا﴾: صفة لـ﴿بَشَرًا﴾ وسوغ وقوع الحال جامدةً وصفها بما بعدها ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿مَرْيَمَ﴾ والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه ﴿أَعُوذُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على ﴿مَرْيَمَ﴾. ﴿بِالرَّحْمَٰنِ﴾: متعلق بـ﴿أَعُوذُ﴾. ﴿مِنكَ﴾: متعلق به أيضاً والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة: ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِن﴾ حرف شرط ﴿كُنتَ﴾ فعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها ﴿تَقِيًّا﴾: خبرها وجواب الشرط محذوف تقديره: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ لله تعالى فاتركني وانته عني، والجملة الشرطية: في محل النصب مقول قال.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الملك، والجملة: مستأنفة ﴿إِنَّمَآ﴾ أداة حصر ﴿أَنَا۠﴾: مبتدأ ﴿رَسُولُ رَبِّكِ﴾ خبره والجملة: في محر النصب مقول قال ﴿لِأَهَبَ﴾ ﴿اللام﴾، حرف جر وتعليل ﴿أهب﴾: منصوب بأن مضمرة بعد لام كي وفاعله: ضمير يعود على الملك، ﴿لَكِ﴾ متعلق به ﴿غُلَٰمًا﴾: مفعول به ﴿زَكِيًّا﴾: صفة له والجملة الفعلية: صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره لهبتي ﴿لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ الجار والمجرور متعلق بـ﴿رَسُولُ رَبِّكِ﴾. ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على مريم، والجملة: مستأنفة ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم استفهام تعجب بمعنى. كيف في محل النصب على الحال مبني على السكون ﴿يَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص ﴿لِي﴾: خبر ﴿يَكُونُ﴾ مقدم ﴿غُلَٰمٌ﴾ اسمها مؤخر وجملة ﴿يَكُونُ﴾: في محل النصب مقول قال ﴿وَلَمْ﴾ ﴿الواو﴾: حالة لم حرف نفي وجزم ﴿يَمْسَسْنِي﴾: مضارع مجزوم بـ﴿لم﴾ والنون نون الوقاية والياء ضمير المتكلم في محل النصب على المفعولية ﴿بَشَرٌ﴾: فاعل والجملة: في محل النصب حال من الياء في ﴿لِي﴾. ﴿وَلَمْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿لم﴾ حرف نفي وجزم ﴿أَكُ﴾: فعل مضارع ناقص

مجزوم بـ﴿لم﴾ وعلامة جزمه سكون ظاهر على النون المحذوفة للتخفيف، واسمها ضمير يعود على مريم تقديره ﴿وَلَمْ أَكُ﴾ أنا ﴿بَغِيًّا﴾: خبرها منصوب والجملة الفعلية: في محل النصب على الحال معطوفة على جملة ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي﴾.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الملك والجملة: مستأنفة ﴿كَذَٰلِكِ﴾: جار ومجرور خبر لمبتدأ محذوف تقديره الأمر كذلك والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة معللة للجملة التي قبلها كأنه قيل: الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ لأنه علينا ﴿هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ...﴾ إلخ. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ ﴿عَلَيَّ﴾ متعلق بـ﴿هَيِّنٌ﴾. ﴿هَيِّنٌ﴾: خبر والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة على علة محذوفة لمعلول محذوف تقديره: فعلنا ذلك لنبين به قدرتنا ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ ﴿لنجعله﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل ﴿نجعله﴾: فعل مضارع ومفعول أول منصوب بأن مضمرة بعد لام كي وفاعله ضمير يعود علي الله سبحانه ﴿ءَايَةً﴾: مفعول ثان لجعل ﴿لِّلنَّاسِ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿ءَايَةً﴾ والجملة الفعلية مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل والتقدير ولجعلنا إياه ﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: الجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور في قولنا لنبين به قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً﴾ معطوف على ﴿ءَايَةً﴾. ﴿مِّنَّا﴾ صفة لـ﴿رحمة﴾. ﴿وَكَانَ أَمْرًا﴾: فعل ناقص وخبره واسمه ضمير مستتر يعود على خلقه ﴿مَّقْضِيًّا﴾: صفة ﴿أَمْرًا﴾: والجملة: مستأنفة.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره فنفخ جبريل في جيب

درعها ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ ﴿حملته﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على مريم ومفعول به والجملة الفعلية معطوفة على الجملة المحذوفة ﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة ﴿انتبذت﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على مريم والجملة: معطوفة على جملة ﴿حملت﴾ ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرو حال من فاعل ﴿انتبذت﴾؛ أي: حالة كونه منتبذةً بالمولود ﴿مَكَانًا﴾: مفعول فيه أو مفعول به ﴿قَصِيًّا﴾ صفة لـ﴿مَكَانًا﴾ ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ فعل وفاعل مؤخر و﴿الفاء﴾ للتعقيب ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ متعلق بمحذوف حال ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على مريم، والجملة: مستأنفة ﴿يَٰلَيْتَنِى﴾ ﴿يا﴾ حرف نداءٍ والمنادى محذوف تقديره: يا هؤلاء أو يا مخاطب أو يا لمجرد التنبيه ﴿ليتني﴾ ﴿ليت﴾ حرف تمنٍ ونصبٍ والنون للوقاية، والياء ضمير المتكلم اسمها ﴿مِتُّ﴾ فعل وفاعل ﴿قَبْلَ هَٰذَا﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿مِتُّ﴾ وجملة ﴿مِتُّ﴾: في محل الرفع خبر ليت وجملة ﴿ليت﴾ في محل النصب مقول قال ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره معطوف على ﴿مِتُّ﴾. ﴿مَّنسِيًّا﴾: خبر ثان لكان مؤكد لـ﴿نَسْيًا﴾، لأنه بمعناه ولك أن تعربه نعتاً له.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿فَنَادَىٰهَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿ناداها﴾ فعل ومفعول به وفاعله ضمير يعود على الملك أو على عيسى أو الجملة: معطوفة على جملة ﴿قَالَتْ﴾ ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: متعلق بـ﴿ناداها﴾؛ أي: في مكانٍ أسفل من مكانها، أو متعلق بمحذوف حالٍ من فاعل ﴿ناداها﴾؛ أي: ناداها وهو تحتها ﴿أَلَّا﴾ ﴿أَن﴾: مفسرة لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه، و﴿لَا﴾ ناهية ﴿تَحْزَنِى﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية والجملة جملة مفسرة لـ﴿ناداها﴾: لا محل لها من الإعراب، ويجوز أن تكون ﴿أَن﴾ مصدرية و﴿لا﴾: نافية تحزني فعل وفاعل منصوب بها و﴿أَن﴾ المصدرية وما بعدها: في تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة المتعلقة بالنداء؛ أي: و﴿ناداها﴾ بعدم الحزن، والأول أسهل وأوضح ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق ﴿جَعَلَ رَبُّكِ﴾ فعل وفاعل ﴿تَحْتَكِ﴾: ظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لـ﴿جَعَلَ﴾

﴿سَرِيًّا﴾: مفعول أول له والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَهُزِّىٓ﴾: فعل وفاعل مبني على حذف النون معطوف على قوله ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾. ﴿إِلَيْكِ﴾: متعلق به. ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والباء: زائدة ﴿تُسَٰقِطْ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلنَّخْلَةِ﴾؛ أي: تسقط ﴿عَلَيْكِ﴾: متعلق بـ﴿تُسَٰقِطْ﴾. ﴿رُطَبًا﴾: مفعول به ﴿جَنِيًّا﴾ صفة لـ﴿رُطَبًا﴾. ﴿فَكُلِى﴾ الفاء: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا تم لك هذا المذكور كله وأردت بيان ما هو الأصلح لك فأقول لك ﴿كلي﴾. ﴿كلي﴾: فعل وفاعل مبني على حذف النون والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة ﴿وَٱشْرَبِى﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿كلي﴾ وكذلك ﴿وَقَرِّى﴾: معطوف عليه ﴿عَيْنًا﴾: تمييز محول عن الفاعل إذ الأصل لتقرَّ عينك ﴿فَإِمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿إن﴾ حرف شرط جازم مبني بسكون على النون المدغمة في ميم ﴿ما﴾ الزائدة ﴿ما﴾ زائدة زيدت لتأكيد معنى الشرط مبني على السكون ﴿تَرَيِنَّ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها وعلامة جزمه حذف النون والياء ضمير للمؤنثة المخاطبة: في محل الرفع فاعل والنون المشددة نون التوكيد مبني على الفتح وأصله: ترأيينن بهمزة هي عين الفعل، وياء مكسورة هي لامه وأخرى ساكنة هي ياء الفاعل والنون الأولى: نون علامة الرفع حذفت هنا للجازم، والنون المشددة نون التوكيد، وإنما أُعرب الفعل هنا بالجزم لعدم مباشرة نون التوكيد به ﴿مِنَ ٱلْبَشَرِ﴾: حال من ﴿أَحَدًا﴾: لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به لأن ترى هنا بصرية تتعدى لمفعول واحد ﴿فَقُولِىٓ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب إن الشرطية وجوباً لكون الجواب جملةً طلبيةً ﴿قولي﴾ فعل أمر مبني على حذف النون والياء فاعل والجملة الفعلية: في محل الجزم بأن الشرطية على كونها جواب الشرط وجملة إن الشرطية: في محل

النصب معطوفة على جملة ﴿كلي﴾ على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه ﴿نَذَرْتُ﴾: فعل وفاعل ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلق به، ﴿صَوْمًا﴾ مفعول به والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قولي﴾. ﴿فَلَنْ﴾ ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع ﴿لن﴾: حرف نفي ونصب ﴿أُكَلِّمَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿لن﴾ وفاعله: ضمير يعود على مريم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ظرف متعلق بـ﴿أُكَلِّمَ﴾ ﴿إِنسِيًّا﴾: مفعول به وجملة ﴿أُكَلِّمَ﴾: في محل الرفع معطوفة مفرعة على جملة ﴿نَذَرْتُ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿زَكَرِيَّآ﴾: يمد ويقصر من ولد سليمان بن داود ـ عليهم السلام ـ وكان نجاراً.

﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾؛ أي: مستوراً عن الناس لم يسمعه أحدٌ منهم.

﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ ضعف ورق من الكبر إذ قد بلغ خمساً وسبعين سنةً أو ثمانين.

وفي «المصباح»: وهن يهن: من باب وعد ضعف، فهو واهن في الأمر، أو العمل، أو البدن، ووهنته: أضعفته، يتعدى ولا يتعدى في لغة، فهو موهون البدن والعظم، والأجود أن يتعدى بالهمزة، فيقال أوهنته، والوهن: بفتحتين لغةٌ في المصدر، ووهن يهن بالكسر: فيهما لغة قال أبو زيد: سمعت من العرب من يقرأ فما وهنوا بالكسر اهـ. وفي «البيضاوي»: وقرىء وهن بالضم ووهن بالكسر، ونظيره كمل في الحركات الثلاث انتهى.

وفي «القاموس» وغيره: وهنه يهنه وهنا، وأوهنه أضعفه، ووهن وأوهن الرجل، دخل في الوهن من الليل، ووهن ووهن يهن ووهن يوهن وهناً ووهنا ووهن يوهن، وهنا ضعف في الأمر أو العمل، أو البدن، وتوهن البعير. اضطجع، والطائر: أثقل من أكل الجيف، فلم يقدر على النهوض، والوهن

مصدر، ومن الرجال أو الإبل الغليظ القصير، والوهن من الليل: نحو منتصفه أو بعد ساعة منه، والوهن من الليل كالوهن، والوهانة من النساء الكسلى عن العمل تنعماً.

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾؛ أي: صار الشيب كالنار، والشعر كأنه الحطب، ولقوتها وشدتها أحرقت الرأس نفسه.

﴿شَقِيًّا﴾؛ أي: خائباً يقال: شقي بكذا؛ أي: تعب فيه ولم يحصل مقصوده منه، والمراد: أنه خائب غير مستجاب الدعوة.

﴿ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ والموالى هنا: هم الأقارب الذين يرثون الرجل وسائر العصبات من بني العم ونحوهم، والعرب تسمى هؤلاء موالى قال الشاعر:

مَهْلاً بَنِيْ عَمِّنَا مَهْلاً مَوَالِيْنَا ... لاَ تَنْشُرُوْا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُوْنَاً

فالموالي: جمع مولى وهو العاصب، قال في «القاموس»: المولى، المالك والعبد والمعتِق، والمعتق والصاحب والقريب، كابن العم ونحوه، والجار والحليف والابن، والعم والنزيل والشريك، وابن الأخت والولي والرب والناصر، والمنعم والمنعم عليه، والمحب والتابع والصهر انتهى.

﴿مِن وَرَآءِى﴾؛ أي: من بعدي.

﴿عَاقِرًا﴾؛ أي: لا تلد يقال: رجل عاقر وامرأة عاقر، إذا كانا عقيمين، وقال في «القاموس»: عقرت المرأة تعقر عقراً: من باب ضرب وعقراً وعقاراً، وعقرت تعقر: من باب نصر عقراً وعقارةً، وعقرت المرأة أو الناقة، صارت عاقراً؛ أي: حبس رحمها فلم تلد، وعقر الأمر عقراً لم ينتج عاقبةً، وعقر عقراً: من باب فرح الرجل دهش اهـ.

﴿وَلِيًّا﴾؛ أي: ابنا، وهو أحد معانيه السابقة عن «القاموس».

﴿يَحْيَىٰ﴾: ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وتقول في تثنية: يحييان رفعاً، ويحيين نصباً وجراً، على حد قوله:

وَٱحْذِفْ مِنَ ٱلْمَقْصُوْرِ فِيْ جَمْعٍ عَلَىٰ   حَدِّ ٱلْمُثَنَّىٰ مَا بِهِ تَكَمَّلاَ

﴿سَمِيًّا﴾: السمي المسمى؛ أي: شريكاً له في الاسم، فلم يسم أحدٌ بهذا الاسم قبله، وهو فعيل بمعنى مفعول، أصله. سميو، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء.

﴿عِتِيًّا﴾: من عتا يعتو عتواً، والعتو اليبس في العظم والعصب والجلد، وفي «المختار»: عتا من باب سما يعتو عتواً وعتياً بضم العين وكسرها، وهو عات فالعاتي: المجاوز للحد في الاستكبار وعتا الشيخ يعتو عتواً بضم العين وكسرها، كبر وولى عتياً أصله: عتوو، كقعودٍ فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين، فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولى ياءً لمناسبة الكسرة، ثم قلبت الثانية ياءً لتدغم فيها الياء، وكسرت الفاء تخفيفاً.

﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾: قال في «القاموس»: المحراب الغرفة وصدر البيت، وأكرم مواضعه، ومقام الإمام من المسجد، والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس، ومحاريب بني إسرائيل: مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها اهـ. وفي «الشهاب» وأما المحراب المعروف الآن وهو طاقٌ مجوفٌ في حائط المسجد، يصلي فيه الإمام.. فهو محدث لا تعرفه العرب، فتسميته محراب اصطلاح للفقهاء اهـ.

وقوله: اصطلاح للفقهاء، ممنوع بل هو معنى لغوي إذ هو من أفراد المعنى اللغوي الذي ذكره في «القاموس» بقوله: ومقام الإمام من المسجد اهـ. ذكره في «الفتوحات».

﴿عَصِيًّا﴾: صيغة مبالغة، وأصل عصياً: عصييٌ بوزن فعيل، أدغمت الياء فيه وأتي بصيغة المبالغة لمراعاة الفواصل، لأن المنفي أصل العصيان، لا المبالغة فيه.

﴿ٱنتَبَذَتْ﴾ الانتباذ: الاعتزال والانفراد، فقد تخلت مريم للعبادة في مكانٍ مما يلي شرقي بيت المقدس، أو من دارها معتزلةً عن الناس، وقيل: غير ذلك

وفي «المصباح»: وانتبذت مكاناً اتخذته بمعزل يكون بعيداً عن القوم.

﴿بَغِيًّا﴾ البغي: الفاجرة التي تبغي الرجال، وأصله: بغوي بزنة فعول، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما ـ وهي الواو ـ بالسكون، فقلبت ياءً على القاعدة، وأدغمت في الياء وكسرت الغين لتصح الياء، فلما كان بزنة فعول.. لم تلحقه التاء، كما قال في الخلاصة:

وَلاَ تَلِي فَارِقَةٌ فَعُوْلاَ أَصْلاً وَلاَ ٱلْمِفْعَالَ وَٱلْمِفْعِيْلاَ

اهـ شيخنا

وفي «القاموس» و«شرحه»: بغي يبغي من باب ضرب الشيء بغاءً بضم الفاء، وبغياً بفتحها وبغىً وبغيةً: طلبه، وبغى الرجل: عدل عن الحق، وعصى وبغى عليه: استطال عليه، وظلمه، فهو باغ فلعل إطلاقهم كلمة البغاء على العهر والزنا، مأخوذٌ من هذا المعنى، لأنه من دواعي ما يطلبه أهل الخنا والفجور.

﴿قَصِيًّا﴾؛ أي: بعيداً من أهلها.

﴿فَأَجَآءَهَا﴾ يقال: جاء وأجاء لغتان بمعنى واحد، والأصل في جاء: أن يتعدى لواحد بنفسه، فإذا دخلت عليه الهمزة.. كان القياس يقتضي تعديته، لاثنين، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل، فصار بمعنى ألجأ إلى كذا، ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد، كما تقول بلغته وأبلغنيه، ونظيره أتى حيث لم يُستعمل إلا في الإعطاء، ولم تقل أتيت المكان وآتانيه فلان.

﴿ٱلْمَخَاضُ﴾: المخاض وجع الولادة، وفي «القاموس» مخض يمخض بتثليث الخاء في المضارع مخضاً اللبن استخرج زبده، فهو لبن مخيض وممخوض، ومخض الشيء حركه شديداً، ومخض الرأي قلبه وتدبر عواقبه حتى ظهر له الصواب، ومخضت بكسر الخاء تمخض بفتحها الحامل مخاضاً بكسر الميم، ومخاضاً بفتحها، ومخضت بالبناء للمجهول، ومخضت بتشديد الخاء، وتمخضت الحامل: دنا ولادها وأخذها الطلق، فهي ماخض، والجمع مخض بضم الميم، وتشديد الخاء ومواخض.

﴿مِتُّ﴾: بكسر الميم وضمها، يقال: مات يمات كخاف يخاف، ومات يموت كقال يقول. ﴿نَسْيًا﴾: النسي: بفتح النون وكسرها بمعنى المنسي: الذبح بمعنى المذبوح، وكل ما من حقه أن يطرح ويُرمى ويُنسى ﴿مَّنسِيًّا﴾؛ أي: شيئاً متروكاً حقيراً كالوتد وقطع الحبل وخرق الحيض، من كل شيءٍ حقيرٍ، فهو تأكيد لـ ﴿نسيا﴾.

﴿سَرِيًّا﴾: وفي «المصباح»: والسري، الجدول، وهو النهر الصغير، والجمع: سريان، مثل: رغيف ورغفان، والسريّ: الرئيس والجمع سراة، وهو عزيز لا يكاد يوجد له نظير، لأنه لا يُجمع فعيل على فعلة، وجمع السراة سروات، والسري فيه قولان:

أحدهما: أنه الرجل المرتفع القدر، من سرو يسرو كشرف يشرف، فهو سري، وأصله: سريو، فأعل إعلال سيد، فلامه واو، والمراد به في الآية: عيسى ـ عليه السلام ـ وقيل: السري، من سريت الثوب؛ أي: نزعته وسررت الحبل عن الفرس؛ أي: نزعته، كأن السري سرى ثوبه، بخلاف المد ثرو المزمل، قاله الراغب.

والثاني: أنه النهر الصغير، ويناسبه ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ واشتقاقه من سرىٰ يسري، لأن الماء يسري فيه، فلامه على هذا ياء انتهى «سمين».

﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾: الرطب بضم ففتح: ما نضج من البسر قبل أن يصير ثمراً، والجنيّ: فعيل بمعنى فاعل؛ أي: صار طرياً صالحاً للاجتناء، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾؛ أي: طيبي نفساً ولا تغتمي، وارفضي ما أحزنك، وفي «المصباح»: وقرّت العين: من باب ضرب قرة بالضم وقرورا بردت سروراً، وفي لغةٍ أخرى من باب تعب: وأقر الله العين بالولد وغيره إقراراً في التعدية اهـ.

والمعنى: أعطاه الله ما يسكن عينه، فلا تطمح؛ أي: لا تلتفت إلى غيره.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾: أصله: ترأيينن بهمزة هي عين الفعل، وياء مكسورة هي لامه، وأخرى ساكنة هي ياء الضمير، والنون الأولى: علامة الرفع، والثانية: نون

التوكيد الثقيلة، وطريق حذل اللام أنها تحركت وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فالتقت ساكنة مع ياء الضمير، فحذفت لالتقاء الساكنين، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وهو الراء، ثم حذفت الهمزة ثم حذفت نون الرفع للجازم وهو إن الشرطية، ثم حركت ياء الضمير لالتفاءِ الساكنين، هما ياء الضمير والنون الأولى من نوني التوكيد فإنها بنونين، فصار ترين بوزن تفين.

والحاصل: أن الأعمال ستة أو سبعة: قلب الياء ألفاً، ثم حذفها، ثم نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وحذفها، ثم حذف نون الرفع، ثم إدخال نون التوكيد، ثم تحريك ياء الضمير اهـ. شيخنا.

﴿فَقُولِىٓ﴾؛ أي: أشيري إليهم، قال الفراء: العرب تسمي كل ما أفهم الإنسان شيئاً كلاماً بأيّ طريق كان، إلا إذا أكد بالمصدر، فيكون حقيقة في الكلام، كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الاحتراس في قوله: ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ وهو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل أو لبس أو إيهام، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي في صلب الكلام بما يخلصه من ذلك كله، فاحترس هنا بقوله: ﴿خَفِيًّا﴾ مما يوهم الرياء أمام الناس الذين يحكمون على الظاهر، أو اللوم على طلب الولد في إبّانِ الكبر والشيخوخة، وقيل: احتراس من مواليه الذين خافهم.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ فإنه كناية عن ذهاب القوة وضعف الجسم.

ومنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ شبه انتشار الشيب وكثرته في الرأس باشتعال النار في الحطب، واستُعير الاشتعال للانتشار، واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر على طريق الاستعارة التبعية.

ومنها: الجناس المغاير في قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً﴾ والجناس المماثل بين ﴿ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ و﴿وَلِيًّا﴾.

ومنها: المبالغة في التضرع والدعاء، بتوسيط النداء بين جعل ومفعوله الثاني في قوله: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ كتوسيطه بين كان وخبرها في قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ كما في «روح البيان».

ومنها: التجريد في قوله: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ والتجريد معناه أن ينتزع المتكلم من أمرٍ ذي صفة أمراً آخر يماثله في تلك الصفة مبالغةً لكمالها، فكأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة إلى حيث يصح أن يُنتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة، وهو أقسام، منها: ما يكون بمن التجريدية كقولهم: لي من فلان صديق حميم.

ومنها: الآية الكريمة كما ذكر في «إعراب القرآن».

ومنها: الاستفهام التعجبي في قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾.

ومنها: الكناية اللّطيفة في قوله: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ فإن المسّ كناية عن الوطْءِ الحلال، أما الزنا فإنما يقال فيه، خبث بها، أو فجر أو زنى.

ومنها: الحصر في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾.

ومنها: الزيادةُ والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا (٢٧) يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣٨) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا (٤٢) يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا (٤٣) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة مريم، واختلاف النصارى في شأن عيسى حتى عبدوه من دون الله تعالى.. أعقبها بذكر قصة إبراهيم عليه السلام وتحطيمه الأصنام لتذكير الناس بما كان عليه خليل الرحمٰن، من توحيد الرب الديان، وسواء في الضلال من عبد بشراً أو عبد حجراً، والنصارى عبدوا

المسيح، ومشركو العرب عبدوا الأوثان، وعبارة أبي حيان هنا: مناسبة[1] هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى، واختلاف الأحزاب فيهما وعبادتهما من دون الله، وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة.. ذكر الفريق الضال الذي عبد جماداً، والفريقان وإن اشتركا في الضلال، فالفريق العابد الجماد منهما أضل، ثم ذكر قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، تذكيراً للعرب بما كان إبراهيم عليه من توحيد الله تعالى، وتبيين أنهم سالكوا غير طريقه، وفيه صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به، وأن ذلك متلقى بالوحي.

التفسير وأوجه القراءة

ولما اطمأنت مريم بما رأت من الآيات، وفرغت من نفاسها.. جاءت قومها مع ولدها، راجعةً إليهم عندما طهرت من نفاسها، ومضى لها أربعون يوماً، كما قال سبحانه ﴿فَأَتَتْ﴾؛ أي: جاءت مريم ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: مع ولدها عيسى، فالباء بمعنى مع، وجعلها الكاشفي للتعدية ﴿قَوْمَهَا﴾؛ أي: أهلها من المكان القصي الذي اعتزلت فيه للوضع، قيل: في يوم الوضع، وقيل: بعد أربعين يوماً كما سيأتي، وجملة قوله: ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾: في محل النصب حال من فاعل ﴿أتت﴾؛ أي: حالة كونها حاملةً له؛ أي: فجاءتهم مع ولدها عيسى حاملةً له، وهو ابن أربعين يوماً، روي[2] عن ابن عباس أن يوسف انتهى بمريم إلى غار، فأدخلها فيه أربعين يوماً، حتى طهرت من النفاس، ثم حملته إلى قومها فكلمها عيسى في الطريق، فقال: يا أُمّاه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي.. بكوا وحزنوا، وكانوا أهل بيتٍ صالحين.

وروي عن ابن عباس أيضاً[3]: أنها خرجت من عندهم حين شرقت الشمس، وجاءتهم عند الظهر ومعها الولد، والله أعلم.

وروي: أنّ زكريا افتقد مريم فلم يجدها في محرابها، فاغتمّ غماً شديداً

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراح.
(٣) روح البيان.

وقال لابن خالها يوسف: اخرج في طلبها، فخرج يقص أثرها حتى لقيها تحت النخلة، فلما رجعت إلى قومها ـ وهم أهل بيت صالحون ـ وزكريا جالس معهم.. بكوا وحزنوا ثم ﴿قَالُوا۟﴾ موبخين لها ﴿يَـٰمَرْيَمُ﴾ والله ﴿لَقَدْ جِئْتِ﴾ وفعلت ﴿شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾؛ أي: منكراً عظيماً حين ولدت ولداً بغير أب؛ أي: إن مريم حين أمرت أن تصوم يومها، ولا تكلم أحداً من البشر، وأنها ستكفى أمرها، ويقام بحجّتها، سلمت أمرها إلى الله تعالى، واستسلمت لقضائه، فأخذت ولدها وأتت به قومها تحمله، فلما رأوها كذلك.. أعظموا ما رأوا واستنكروا، وقالوا: يا مريم، لقد جئت أمراً عظيماً منكراً، ثم زادوا تأكيداً في توبيخها وتعييرها فقالوا:

﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾؛ أي: يا شبيهة هارون في العبادة، وكان هارون هذا رجلاً صالحاً من أفضل الناس من بني إسرائيل، ينسب إليه كل من عرف بالصلاح، وهارون هذا لما مات تبع جنازته أربعون ألفاً كلهم يسمون هارون، تبركاً به وباسمه، والمراد: إنك يا مريم كنت في الزهد كهارون، فكيف صرت هكذا؟ وأخرج أحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وغيرهم، عن المغيرة بن شعبة قال: (بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا: أرأيت ما تقرؤون ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا بكذا، فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم». وهذا التفسير النبوي، يغني عن سائر ما روي عن السلف في ذلك، أو المعنى: يا من أنت نسل هارون أخي موسى، كما يقال للتميمي يا أخا تميم، وللمصري يا أخا مصر.

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾؛ أي: ما كان أبوك عمران رجلاً زانياً، والمرء[1] مع ألف الوصل الإنسان أو الرجل، ولا يُجمع من لفظه كما في «القاموس» وسوء بفتح السين، وبإضافة ﴿ٱمْرَأَ﴾ إليه وهي أكثر استعمالاً من الصفة.

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ حنة بنت فاقوذ ﴿بَغِيًّا﴾؛ أي: امرأةً زانيةً، فمن أين لك

---

(١) روح البيان.

هذا الولد من غير زوج؟ وهو تقرير لكون ما جاءت به فرياً منكراً، وتنبيهٌ على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أفحش ﴿فَأَشَارَتْ﴾ مريم ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى عيسى، أن كلموه ليجيبكم، ويكون كلامه حجةً لي، والظاهر أنها حينئذ بينت نذرها، وأنها بمعزل عن محاورة الإنس، قال ابن مسعود: لما لم يكن لها حجة.. أشارت إليه ليكون كلامه حجةً لها، وقيل: لما أشارت إليه.. غضب القوم وقالوا: فعلت ما فعلت وتسخرين بنا، ثم ﴿قَالُوا﴾ منكرين لجوابها موبخين لها: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ﴾ ونحدث ﴿مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ﴾؛ أي: في الحجر أو السرير حالة كونه ﴿صَبِيًّا﴾؛ أي: صغيراً ابن أربعين يوماً، والاستفهام[1] هنا للإنكار والتعجب من إشارتها إلى ذلك المولود بأن يكلمهم، قيل: أراد بالمهد حجرها، وقيل المهد بعينه وهو شيء معروف يتخذ لتنويم الصبي، أو سرير له، ولم نعهد فيما سلف صبياً رضيعاً في الحجر يكلمه عاقل، لأنه لا قدرة له على فهم الخطاب، ورد الجواب، روي أن عيسى كان يرضع، فلما سمع ذلك.. ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه، واتكأ على يساره، وأشار بسبابة يمينه، فتكلم ووصف نفسه بصفاتٍ ثمانيةٍ، أولها عبودية الله وآخرها تأمين الله له في أخوف المقامات:

١ - ﴿قَالَ﴾ عيسى: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ الذي له صفات الكمال، لا أعبد غيره، فاعترف له بالعبودية، لئلا يتخذوه إلّهاً، وإنما[2] نص عيسى على إثبات عبودية نفسه، لأن إزالة التهمة عن الله تعالى تفيد إزالة التهمة عن الأم، لأن الله تعالى لا يخص الفاجرة بولدٍ في هذه الدرجة العالية، أما التكلم بإزالة التهمة عن الأم لا يفيد إزالة التهمة عن الله تعالى، فكان الاشتغال بذلك أولى، قال الجنيد[3]: المعنى: إني عبد الله ولست بعبد سوء، ولا عبد طمع، ولا عبد شهوة، وفيه

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراح.

(٣) روح البيان.

إشارة إلى أن أفضل أسماء البشرية العبودية، وقال بعضهم: إن عبد الله فوق عبد الرحمٰن، وهو فوق عبد الرحيم، وهو فوق عبد الكريم، ولذا جعل رسول الله ﷺ عبد الله، وكذا عبد الحي وعبد الحق أعلى الأسماء وأمثلها، لأن بعض الأسماء الإلٰهية يدل على الذات، وبعضها على الصفات، وبعضها على الأفعال، والأولى أرفع من الثانية، وهي أرفع من الثالثة.

٢ - ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: الإنجيل؛ أي: حكم لي بإيتائي الكتاب في الأزل، وإن لم يكن قد نزل عليه في تلك الحال، وقيل: إنه آتاه الكتاب في تلك الحال وهو بعيد، والمعنى: سيؤتيني الكتاب، وسكن ياء ﴿أتاني﴾ حمزة.

٣ - ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾؛ أي: وسيجعلني نبياً، وفي هذا براءة لأمه، لأن الله سبحانه لا يصطفي لنبوته أولاد سفاح.

٤ - ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾؛ أي: نفاعاً للناس، معلماً للخير آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾؛ أي: في أي مكان كنت فيه؛ أي: سيجعلني نفاعاً للعباد، هادياً لهم إلى طريق الرشاد في أي مكان كنت فيه، وهذه[1] الأفعال الماضية هي من باب تنزيل ما لم يقع منزلة الواقع، تنبيهاً على تحقق وقوعه، لكونه قد سبق في القضاء المبرم.

٥ - ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: أمرني بأدائها في وقتها المحدد، أمراً مؤكداً ما دمت حياً، إذ في إقامتها وإدامتها على الوجه الذي سنه الدين تطهير النفوس من الأرجاس، ومنع لها من ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ﴿و﴾ أمرني بـ﴿الزكاة ما دمت حيا﴾ في الدنيا؛ أي: وأمرني بإعطاء جزء من المال للبائس والمحتاج ما دمت حياً في الدنيا، لما في ذلك من تطهير المال، وقال بعضهم: والظاهر[2] أن إيصاءه بها لا يستلزم غناه، بل هي بالنسبة إلى أغنياء أمته، وعموم الخطابات الإلهية منسوب إلى الأنبياء، تهييجاً للأمة على الائتمار والانتهاء، قيل: المعنى أمرني بأداء الصلاة والزكاة إذا بلغت، وقيل أن أفعلهما

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

من الآن، قولان للمفسرين اهـ. شيخنا. وقيل: المراد أن الله تعالى صيَّره حين انفصل من أمه بالغاً عاقلاً، وهذا القول أظهر اهـ. «خازن».

قال في «بحر العلوم» وفي قوله: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ دلالة بينة على أن العبد ما دام حياً لا يسقط عنه التكاليف والعبادات الظاهرة، فالقول بسقوطها كما نقل عن بعض الإباحيين كفر وضلال، انتهى. وقال[1] ابن عطية، وقرأ: ﴿دِمت﴾ بضم الدال عاصم وجماعة، وقرأ: ﴿دِمْتُ﴾ بكسر الدال أهل المدينة، وابن كثير، وأبو عمرو، انتهى. والذي في كتب القراءات أن القراء السبعة قرؤوا ﴿دُمْتُ حَيًّا﴾ بضم الدال، وقد طالعنا جملةً من الشواذ، فلم نجدها لا في شواذ السبعة، ولا في شواذ غيرهم، على أنها لغة.

٦ - ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾؛ أي: وجعلني باراً بوالدتي، محسناً إليها، مطيعاً لها، وفي هذا إشارة إلى أنه بلا فحل، وفيه أيضاً إيماء إلى نفي الريبة عنها، إذ لو لم تكن كذلك.. لما أمر الرسول المعصوم بتعظيمها، وقد سبق[2] لك أنه قرىء ﴿وبِراً﴾ بكسر الباء فإما على حذف مضاف؛ أي: وذا برّ، وإما على المبالغة، جعل ذاته من فرط برّه، ويجوز أن يضمر فعل في معنى أوصاني، وهو كلفني، لأن أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد، ومن قرأ ﴿براً﴾ بفتح الباء، فقال الحوفي وأبو البقاء: إنه معطوف على ﴿مُبَارَكًا﴾ وفيه بعد الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالجملة التي هي ﴿أوصاني﴾ ومتعلقها، والأولى إضمار فعل؛ أي: جعلني ﴿برّاً﴾ وحكى الزهراوي، وأبو البقاء، أنه قرىء ﴿وبرٍ﴾ بكسر الباء والراء عطفاً على ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾.

٧ - ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾؛ أي: متكبراً مترفعاً متعاظماً على الناس ﴿شَقِيًّا﴾؛ أي: عاصياً لربه، والجبار المتعظم: الذي لا يرى لأحد عليه حقاً، والشقي: العاصي لربه، وقيل: الخائب، وقيل: العاق.

٨ - ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾؛ أي: الأمان من الله ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾؛ أي: حين ولدت

---

(١) البحر المحيط. (٢) البحر المحيط.

بلا والدٍ طبيعي، من طعن الشيطان ﴿و﴾ السلام علي ﴿يوم أموت﴾ من شدائد الموت وضغطة القبر ﴿و﴾ السلام علي ﴿يوم أبعث﴾ من القبر حالة كوني ﴿حَيًّا﴾ من هول القيامة وعذاب النار، وإنما خص هذه المواضع الثلاثة لكونها أخوف من غيرها، وإنما عرَّف السلام هنا بإدخال الألف واللام عليه، بخلافه في يحيى، لأنه[1] قد تقدم لفظه في قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ فهو نظير قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾؛ أي: ذلك السلام الموجه إلى يحيى، موجه ﴿إلي﴾ وهذا على أن التعريف للعهد، والأظهر[2] على أنه للجنس والتعريف باللعن على أعدائه، فإن إثبات جنس السلام لنفسه، تعريض لإثبات ضده لأضداده، كما قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى، فلما كلمهم عيسى بهذا الكلام.. أيقنوا ببراءة أمه، وأنها من أهل العصمة والبعد من الريبة، ولم يتكلم بعد حتى بلغ سن الكلام.

والمعنى: أي والأمنة من الله عليّ فلا يقدر أحد على ضري في هذه المواطن الثلاثة، التي هي أشق ما تكون على العباد، وقرأ[3] زيد بن علي: ﴿يوم ولدت﴾؛ أي: يوم ولدتني، جعله ماضياً لحقته تاء التأنيث، ورجح ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ على ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ لكونه من الله تعالى، وهذا من قول عيسى عليه السلام، وقيل: سلام عيسى أرجح، لأنه تعالى أقامه في ذلك مقام نفسه، فسلم نائباً عن الله.

﴿ذلك﴾ المذكور الذي فصلنا خصاله الحميدة هو ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ فكذلك[4] اعتقدوه، لا كما تقول اليهود إنه لغير رشيدة، وإنه ابن يوسف النجّار، ولا كما قالت النصارى، إنه الإله أو ابن الإله ﴿قولُ الحق﴾ بالرفع، قال الكسائي: نعت لعيسى؛ أي: ذلك المذكور هو عيسى ابن مريم قول الله الحق؛ أي: الثابت الوجود، وكلمته، وسمي قول الحق، كما سمي كلمة الله، لوقوعه بكلمة كن بلا وساطة أبٍ، والقول والقيل والمقال والقال والقول: بمعنى واحد،

---

(١) الفتوحات.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

(٤) القرطبي.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ صفة لعيسى أيضاً؛ أي: ذلك عيسى ابن مريم ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ قول الحق وكلمته، ومعنى ﴿يَمْتَرُونَ﴾: يختلفون، على أنه من المماراة، أو يشكون، على أنه من المرية، وقد وقع الاختلاف في عيسى، فقالت اليهود: هو ساحر، وقالت النصارى: هو ابن الله، وكذا وقع الشك فيه من النصارى، هل هو ابن الله، أو كلمته ألقاها إلى مريم؟.

وقيل: يحتمل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: قوله السابق من الصفات الثمانية القول الحق؛ أي: الصدق الذي فيه يمترون، والحق بمعنى الصدق، وإضافة القول إليه من إضافة الموصوف إلى الصفة، مثل حقّ اليقين، والموصول على هذا صفة للقول.

وعلى قراءة نصب القول يكون القول مفعولاً مطلقاً، لقوله: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ اعتراض؛ أي: قال: إني عبد الله قول الحق؛ أي: القول الصدق الذي فيه يمترون.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي: ﴿قول الحق﴾ برفع اللام، وقرأ زيد بن علي، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، وابن أبي إسحاق، والحسن، ويعقوب ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ بنصب اللام، وانتصابه على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة، وقرأ[1] ابن مسعود والأعمش: ﴿قال﴾ بألف ورفع اللام وقرأ الحسن: ﴿قول﴾ بضم القاف ورفع اللام، وهي مصادر كالرهب والرهب والرهب، وقرأ طلحة، والأعمش في رواية زائدة: ﴿قال﴾ بألف جعله فعلاً ماضياً ﴿الحق﴾ برفع القاف على الفاعلية، والمعنى: قال الحق وهو الله ذلك الناطق الموصوف بتلك الأوصاف هو عيسى ابن مريم، و﴿ٱلَّذِى﴾: على هذا خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، وقرأ علي - كرم الله وجهه - وأبو مجلز، ومعاذ القارىء، وابن يعمر، وأبو رجاء، والسلمي، وداود بن أبي هند، ونافع في روايةٍ، والكسائي وفي رواية: ﴿تمترون﴾ بتاء الخطاب، والجمهور:

(١) البحر المحيط.
(٢) البحر المحيط.

بياء الغيبة.

والمعنى: أي[1] ذلك الذي فصلت نبوته، وذكرت مناقبه وأوصافه، هو عيسى ابن مريم، نقول ذلك قول الصدق الذي لا ريب فيه، لا كما يقول اليهود من أنه ساحر وحاشاه، ولا كما تقول طائفة من النصارى إنه ابن الله، ولا كما تزعم طائفة أخرى أنه هو الله، ويخلعون عليه من صفات الألوهية ما هو منه براء، ثم أكد ما دل عليه سياق الكلام، من كونه ابناً لمريم لا لغيرها، بقوله: ﴿مَّا كَانَ لِلَّهِ﴾؛ أي: ما صح ولا استقام لله سبحانه وتعالى ﴿أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾؛ أي: أن يتخذ ولداً، لأنه يلزم من اتخاذه ولداً الحاجة، وهو نقص، فـ﴿من﴾[2] صلة للكلام، و(أن) في موضع رفع اسم ﴿كَانَ﴾؛ أي: ما كان اتخاذ ولد من صفته، وقال الزجاج ﴿مِن﴾ في ﴿مِن وَلَدٍ﴾ مؤكدةٌ تدل على نفي الواحد والجماعة.

ثم نزه نفسه سبحانه فقال: ﴿سُبْحَانَهُ﴾؛ أي: تنزه الله سبحانه وتقدس عن مقالتهم هذه، ثم صرح سبحانه بما هو شأنه تعالى سلطانه، فقال: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ من الأمور؛ أي: إذا أراد أن يحدث أمراً من الأمور، وأن يوجد شيئاً من الكائنات ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾؛ أي: احدث ﴿فَيَكُونُ﴾؛ أي: فيوجد ذلك الأمر كما قال لعيسى كن فكان من غير أب، والقول[3] هنا مجاز عن سرعة الإيجاد، والمعنى: أنه تعالى إذا أراد تكوين الأشياء لم تمتنع عليه، ووجدت كما أرادها على الفور من غير تأخير في ذلك، كالمأمور المطيع الذي إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع.. كان المأمور به مفعولاً، لا حبس ولا إبطاء، وهو المجاز الذي يسمى التمثيل، وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبلة ﴿فيكونَ﴾ بالنصب.

والخلاصة[4]: لا يليق بحكمة الله وكمال ألوهيته، أن يتخذ الولد، لأنه لو أراده.. لخلقه بقوله: ﴿كُن﴾ فلا حمل ولا ولادة، ولأن الولد إنما يُرغب فيه

---

(١) المراغي.
(٢) القرطبي.
(٣) روح البيان.
(٤) المراغي.

ليكون حافظاً لأبيه، يعوله وهو حي، وذكراً له بعد الموت، والله تعالى لا يحتاج إلى شيء من ذلك، فالعالم كله خاضع له لا حاجة له إلى ولد ينفعه، وهو حيٌّ أبداً، ومن كان هذا شأنه، فكيف يتوهم أن يكون له ولد؟ لأن ذلك من أمارات النقص والاحتياج ﴿و﴾ قال عيسى أيضاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى هو ﴿رَبِّى﴾ أي مالكي وخالقي ومعبودي ﴿وَرَبُّكُمْ﴾؛ أي: مالككم وخالقكم ومعبودكم، ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ والخطاب فيه لمعاصري رسول الله ﷺ من اليهود والنصارى، أمر الله تعالى أن يقول لهم: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أي: قل لهم يا محمد هذا الكلام، وقيل: الخطاب للذين خاطبهم عيسى بقوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ الآية. ذكره في «البحر» وقرأ الجمهور[1]؛ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ بكسر همزة ﴿إِنَّ﴾ عطفاً على قوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أو على الاستئناف، ويؤيده قراءة أبيّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ بالكسر بغير واو، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، ﴿وأن الله﴾ بالواو وفتح الهمزة، وخرج على حذف حرف الجر متعلقاً بما بعده؛ أي: ولأن الله، أو بسبب أنه تعالى ﴿رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾على ما قاله الخليل، وسيبويه، وأجاز الفراء أن يكون في موضع خفض، عطفاً على الصلاة في قوله: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وبـ﴿أن الله ربي وربكم﴾.

﴿هَٰذَا﴾ الذي[2] ذكرته من التوحيد ونفي الولد والزوجة ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ إلى الجنة وإلى رضا الله سبحانه وتعالى لا يضل سالكه، وسمي هذا القول صراطاً مستقيماً تشبيهاً له بالطريق، لأنه المؤدي إلى الجنة.

والمعنى: أي[3] هذا الذي أوصيتكم أن الله أمرني به، هو الطريق المستقيم، فمن سلكه.. نجا، ومن اتبعه.. اهتدى، لأنه هو الدين الذي أمر به أنبياءه، من خالفه.. ضل وغوى وسلك سبيل الردىٰ، ثم أشار إلى أنه مع وضوح الأمر في شأن عيسى، وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، اختلفوا فيه كما قال: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ والجماعة ﴿مِن﴾ اليهود

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

والنصارى في شأن عيسى فيما ﴿بَيْنِهِمْ﴾ فاليهود قالوا: إنه ساحر، وقالوا: إنه ابن يوسف النجار، والنصارى اختلفت فرقهم فيه، فقالت النسطورية منهم ـ نسبة إلى عالم يسمى نسطور ـ: هو ابن الله، أظهره ما شاء، ثم رفعه إليه، وقالت الملكانية ـ نسبة إلى الملك قسطنطين وكان فيلسوفاً عالماً ـ: إنه عبد الله كسائر خلقه، وهذا الرأي هو الذي نصره الملك، ونصره غيره من شيعته، وقالت اليعقوبية ـ نسبة إلى عالم منهم يسمى يعقوب ـ: هو الله هبط إلى الأرض، ثم صعد إلى السماء، فأفرطت النصارى وغلت، وفرّطت اليهود وقصّرت.

ومن في قوله: ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾[1]: زائدة؛ أي: فاختلف الأحزاب بينهم أو حال[2] من الأحزاب، والمعنى: حال كون الأحزاب بعضهم؛ أي: بعض النصارى، إذ بقيت منهم فرقة مؤمنةٌ يقولون: إنه عبد الله ورسوله، وقيل: البين هنا بمعنى البعد، ومن بمعنى اللام؛ أي: اختلفوا فيه لبعدهم عن الحق، ذكره في «البحر»، ﴿فَوَيْلٌ﴾؛ أي: فشدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ واختلفوا في شأن عيسى ـ عليه السلام ـ من اليهود والنصارى، والويل: الهلاك وهو نكرة وقعت مبتدأ وخبره ما بعده، وسوّغ الابتداء بالنكرة قصد الدعاء، ونظيره سلام عليك، فإن أصله: منصوب نائب مناب فعله لكنه عدل به إلى الرفع على الابتداء للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: من شهود وحضور يوم عظيم، هو له، وما يجري فيه من الحساب والجزاء، وهو يوم القيامة، أو من مكان الشهود فيه للحساب، وهول الموقف أو من وقت حضوره، أو من[3] شهادة ذلك اليوم عليهم، وهو شهادة الملائكة والأنبياء، وشهادة ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر، وسوء الأعمال، وقيل: فويل لهم من حضورهم المشهد العظيم الذي اجتمعوا فيه للتشاور.

---

(١) الشوكاني.

(٢) الفتوحات.

(٣) المراح.

(٤) الخازن.

وقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ صيغة تعجبٍ لفظه لفظ الأمر، ومعناه الماضي، فعجب الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه ﷺ منهم؛ أي[1]: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر، أخبر ـ سبحانه ـ أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا أو يبصروا في الدنيا، وقيل: معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدّع قلوبهم. وعبارة النسفي هنا: الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التعجب، والله تعالى لا يوصف بالتعجب، ولكن المراد أن أسماعهم وأبصارهم جدير بأن يُتعجب منهما بعدما كانوا صمّاً وعمياً في الدنيا، قال قتادة: إن عموا وصموا عن الحق في الدنيا.. فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم و﴿بِهِمْ﴾ مرفوع المحل على الفاعلية كأكرم بزيد، فمعناه كرم زيد جداً ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ﴾ أقيم الظاهر مقام المضمر؛ أي: لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يُجدي عليهم، ووضعوا العبادة في غير موضعها ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ وخطأٍ عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾؛ أي: ظاهر وهو اعتقادهم عيسى إلهاً معبوداً مع ظهور آثار الحدوث فيه، إشعاراً بأن لا ظلم أشدّ من ظلمهم.

والمعنى: أي[2] لئن كان هؤلاء الكفار الذين جعلوا لله أنداداً، وزعموا أن له ولداً عمياً في الدنيا عن إبصار الحق، والنظر إلى حجج الله التي أودعها في الكون دالةً على وحدانيته، وعظيم قدرته، وبديع حكمته، صماً عن سماع آي كتبه، وما دعتهم إليه الرسل مما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.. فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة، وما أبصرهم حينئذ حيث لا يُجدي السماع والإبصار شيئاً، ويعضون على أناملهم حسرةً وأسفاً ويتمنون على الله الأمانيّ، فيودّون الرجوعَ إلى الدنيا، ليتداركوا ما فاتهم من صالح العمل، ولكن هيهات هيهات، فقد فات الأوان.

صَاحِ هَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ   رَدَّ فِيْ ٱلضَّرْعِ مَا قَرَىٰ فِيْ ٱلْحِلَابِ

---

(١) مدارك التنزيل.   (٢) المراغي.

ومن ثم لا يجاب لهم طلب، بل يقال لكل أفاك أثيم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾.

ثم أمر ـ سبحانه ـ نبيه ﷺ أن ينذر قومه المشركين جميعاً، فقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾؛ أي: وخوّف يا محمد كفار مكة والناس جميعاً ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾؛ أي: أهوال يوم الحسرة والندامة، ليتوبوا عما هم عليه من الكفر والعصيان، وهو يوم القيامة سمي بذلك، لأن المسيء يتحسر هلا أحسن العمل والمحسن هلا زاد في الإحسان، وقوله: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: بدل من يوم الحسرة، أي: إذ فرغ من الحكم لأهل النار بالخلود فيها، ولأهل الجنة بالخلود فيها، بذبح الموت، وذبحه تصوير لأن كلاً من الفريقين يفهم فهماً لا لبس فيه، أنه لا موت بعد ذلك، وقوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عن ذلك اليوم وأهواله في الدنيا وكذا قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لا يصدقون بالقيامة والبعث والمجازاة: جملتان[1] حاليتان من مفعول أنذرهم؛ أي: وأنذرهم وهم على هاتين الحالتين، أو حالان من الضمير المستتر في قوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: استقروا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وهم على هاتين الحالتين السيئتين، وعلى هذا يكون قوله ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ اعتراضاً.

والمعنى: أي[2] وأنذر يا محمد الناس جميعاً، يوم يتحسر الظالمون على ما فرّطوا في جنب الله، حين فرغ من الحساب، وذهب أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، ونودي كلٌّ من الفريقين: لا خروج من هذا بعد اليوم، ولا موت بعد اليوم، وهم في الدنيا غافلون عن ذلك اليوم غير مصدقين به.

روى الشيخان، والترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتىٰ بالموت كهيئة كبش أملح يخالط بياضه سواد، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئبون فيشرفون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي منادٍ: يا أهل النار

(١) الفتوحات. (٢) المراغي.

فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلّهم قد رآه، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» ثم قرأ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾، زاد الترمذي: «ولو أنّ أحداً مات فرحاً.. لمات أهل الجنة، ولو أن أحداً مات حزناً.. لمات أهل النار».

ثم سلّىٰ رسوله وتوعد المشركين فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾. تأكيد للضمير في ﴿إِنَّا﴾ لأنه بمعناه، فإن قيل: ما الفائدة في ﴿نَحْنُ﴾ وقد كفت عنها ﴿إِنَّا﴾.. فالجواب: أنه لما جاز في قول المعظم ﴿إِنَّا﴾ نفعل أن يوهم أن أتباعه فعلوا.. أبانت (نحن) بأنّ الفعل مضاف إليه حقيقةً، ذكر الجواب عنه ابن الأنباري، ذكره ابن الجوزي ﴿نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: نميت سكان الأرض جميعاً، فلا يبقى بها أحد يرث الأموات، فكأنه سبحانه ورث الأرض ومن عليها حيث أماتهم جميعاً، فإن قيل: فلم قال ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ وهو يرث الآدميين وغيرهم.. فالجواب أن ﴿مَن﴾ تختص أهل التمييز، وغير المميزين يدخلون في معنى الأرض، ويجرون مجراها، ذكر الجواب عن هذا السؤال لابن الأنباري أيضاً.

﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾؛ أي: يردون إلينا يوم القيامة، لا إلى غيرنا، فنجازي كلاً بعمله.

والمعنى: أي لا يحزنك أيها الرسول تكذيب المشركين لك فيما أتيتهم به من الحق، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير الخلق أجمعين، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس بعد فنائهم، ثم نجازي كلّ نفسٍ بما عملت حينئذٍ، فنجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وقرأ الجمهور[1]: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالياء من تحت مبنياً للمفعول، والأعرج: بالتاء من فوق، وقرأ السلميّ، وابن أبي إسحاق، وعيسى: بالياء من تحت مبنياً للفاعل، وحكى الدانيّ عنهم بالتاء.

---

(١) الجمهور.

قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾؛ أي: واتل يا محمد على قومك في القرآن، أو في هذه السورة ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي: قصة إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ونبأه وبلغها إياهم، كقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ وذلك[1] أن أهل الملل كانوا يعترفون بفضله، ومشركو العرب يفتخرون بكونهم من أبنائه، فأمر الله تعالى حبيبه ـ عليه السلام ـ أن يخبرهم بتوحيده الذي هو ملة إبراهيم، ليقلعوا عن الشرك، فعساهم باستماع قصته يتركون ما هم فيه من القبائح، وجملة قوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾؛ أي: إن إبراهيم كان ﴿صِدِّيقًا﴾؛ أي: ملازماً للصدق في كل ما يأتي وما يذر، مبالغاً فيه قائماً به في جميع الأوقات ﴿نَّبِيًّا﴾؛ أي: رفيع القدر عند الله، وعند الناس، فلا رفعة أعلى من رفعة من جعله الله واسطةً بينه وبين عباده، تعليل[2] لما تقدم من الأمر لرسول الله ﷺ بأن يذكره، وهي معترضة بين البدل الآتي والمبدل منه، وقرأ أبو البرهشيم ﴿إنه كان صادقاً﴾ وقوله: ﴿نَّبِيًّا﴾ خبر آخر لكان مقيد[3] للأول، مخصص له أي: كان جامعاً بين الصديقية والنبوة، وذلك أن الصديقية تلو النبوة، ومن شرطها أن لا يكون نبياً إلا وهو صديق، وليس من شرط الصديق أن يكون نبياً، ولأرباب الصدق مراتب: صادق، وصدوق، وصديق، فالصادق من صدق في قيامه مع الله بالله وفي الله، وهو الفاني عن نفسه، والباقي بربه، والفرق بين الرسول والنبي: أن الرسول من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً، بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان.

فائدة[4]: عاش إبراهيم ـ عليه السلام ـ من العمر مئةً وخمساً وسبعين سنةً، وبينه وبين آدم ألفا سنةٍ، وبينه وبين نوح ألف سنة، كما ذكره السيوطي في «التحبير».

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ بدل اشتمالٍ من إبراهيم؛ أي: من خبره المقدر، والمبدل منه محذوف، والبدل باعتبار ما أضيف إليه الظرف، وهو قوله: ﴿قَالَ

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.
(٤) الفتوحات.

﴿لِأَبِيهِ﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قصة إذ قال إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأبيه آزر متلطفاً في الدعوة، مسهلاً له ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾؛ أي: يا أبي فإن التاء عوض عن ياء الإضافة، ولذلك لا يجتمعان في أفصح اللغات، فلا يقال: يا أبتي لامتناع الجمع بين العوض والمعوض عنه، ولا يقال أيضاً: يا أبتا في أفصح اللغات، لكون الألف بدلاً من الياء، كما بسطنا البحث عن ذلك في رسالتنا «هدية أولي العلم والإنصاف في إعراب المنادى المضاف» وقرأ ابن عامر، والأعرج، وأبو جعفر. ﴿يا أبت﴾ بفتح التاء، وقد لحن هارون هذه القراءة، وفي مصحف عبد الله ﴿وا‌أبت﴾ بواوٍ بدل ياءٍ، ذكره في «البحر».

والاستفهام في قوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ﴾ للإنكار والتوبيخ، واللام فيه حرف جر دخلت على ما الاستفهامية، كما يدخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: بم، وعلام، وفيم، وإلام، وِمم، وعم، وحذفت ألفها فرقاً بينها وبين ما الموصولة، إذا دخل عليها حرف الجر وقلّ استعمال الأصل فيها، و(ما) في قوله: ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾ عبارةٌ[1] عن الصور والتماثيل؛ أي: يا أبي لم تعبد الأصنام والتماثيل التي لا تسمع ثناءَك وتضرعك لها عند عبادتك لها، مريداً بها الثواب ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ خضوعك وخشوعك بين يديه، وما تفعله من عبادته مريداً بها الثواب، ويجوز[2] أن يُحمل نفي السمع والإبصار على ما هو أعم من ذلك؛ أي: لا يسمع شيئاً من المسموعات، ولا يُبصر شيئاً من المبصرات ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾؛ أي: ولا ينفعك شيئاً من الأشياء، فلا يجلب لك نفعاً، ولا يدفع عنك ضرراً، أو ولا يدفع عنك شيئاً من عذاب الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فـ﴿شَيْـًٔا﴾ مفعول به، أو ولا يغنيك شيئاً من الإغناء، وهو القليل منه، فـ﴿شَيْـًٔا﴾ مصدر؛ أي: ولأي شيء، ولأي سببٍ تعبدها، مع أن فيها ما يقتضي عدم عبادتها، وهو عدم سمعها وبصرها اهـ. شيخنا.

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

ومعنى الآية: أي[1] واتل أيها الرسول على قومك الذين يعبدون الأصنام، ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمٰن الذين هم من ذريته، ويدعون أنهم على ملته وهو الصديق النبي حين نهى قومه عن عبادتها، وقال لأبيه: ما الذي حبب إليك أن تعبد ما لا يسمع ثناءك على حين عبادتك له، ولا يبصر خشوعك وخضوعك بين يديه، ولا ينفعك فيدفع عنك ضراً إذا استنصرت به.

وقد سلك عليه السلام في دعوته أجمل الآداب في الحجاج، واحتج بأروع البرهانات، ليرده عن غيه، ويقفه على طريق الهدى والرشاد، فاستهجن منه أن يعبد ما يستخف به كل ذي لب، ويأبىٰ الركون إليه كل ذي عقل، فالعبادة هي القصوى في التعظيم، فلا يستحقها إلا الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب، لا الأصنام التي لا تسمع الأصوات، ولا تنظر الأشياء، وتعجز عن جلب المنافع ودفع المضار.

وقصارى ما قال: أن الإنسان السميع البصير، يأنف أن يعبد نظيره، فكيف تعبد ما خرج عن الألوهية بفقره وضعفه واحتياجه إلى من يصنعه، وعن الإنسانية بفقد العقل، وعن الحيوانية بفقد الحواس، أما كان لك عبرة في حاجته وفقده السمع والبصر.

واعلم: أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أورد على أبيه الدلائل والنصائح، وصدر كلاً منها بالنداء المضمن للرفق واللين، استمالةً لقلبه، وامتثالاً لأمر ربه، ثم كرر دعوته إلى الحق فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي﴾؛ أي: قد وصل إلي بطريق الوحي ﴿مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ بالله ومعرفته ﴿مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾؛ أي: نصيب لم يصل إليك، وأنه قد تجدد لي حصول ما أتوصل به منه إلى الحق، وأقتدر به على إرشاد الضالّ ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾ على ديني من الإيمان والتوحيد، ولا تستنكف عن التعلم مني ﴿أَهۡدِكَ﴾ وأدلك ﴿صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾؛ أي: طريقاً مستقيماً موصلاً إلى أسنى المطالب منجياً من الضلال والمعاطب[2]، ولم يشافهه بالجهل المفرط، وإن كان في أقصاه، ولم

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

يصف نفسه بالعلم الفائق، وإن كان كذلك، بل جعل نفسه في صورة رفيق له في مسير يكون أعرف، وذلك من باب البِرِّو الرفق واللطف.

والمعنى: أي[1] يا أبي إني وإن كنت من صلبك، وتراني أصغر منك، لأني ولدك، فاعلم أني قد اطلعت من العلم ما لم تعلمه أنت، ولا اطلعت عليه، فاتبعني أهدك طريقاً مستقيماً لا زيغ فيه، يوصلك إلى نيل المطلوب، وينجيك من كلّ مرهوب.

وفي قوله: ﴿قَدْ جَآءَنِى﴾ إيماء إلى أن هذه المحاورة كانت بعد أن نبىء، ولم يعين ما جاءه ليشمل كل ما يوصله إلى الجنة ونعيمها، ويبعد به عن النار وعذابها.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ فإن عبادتك للأصنام عبادة له، إذ هو الذي يزينها لك، ويغريك عليها، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾؛ أي: عاصياً له، مخالفاً لأمره، حين ترك ما أمره به من السجود لآدم، ومن أطاع من هو عاص لله سبحانه.. فهو عاص لله، ومعلوم أن طاعة العاصي تورث النقم، وتسلب النعم والتعرض[2] لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه، قال الكسائي: العصي والعاص بمعنى واحد، ثم بين له الباعث على هذه النصائح فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ إن مت على ما أنت عليه من متابعة الشيطان، وعصيان الرحمٰن ﴿أَن يَمَسَّكَ﴾ ويصيبك ﴿عَذَابٌ﴾ كائن ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ﴾ يا أبي ﴿لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾؛ أي: مقارناً له في اللعن المخلد، والعذاب المؤبد، أو قريباً منه في النار، تليه ويليك من الولي وهو القرب، قال الفراء[3]: معنى ﴿أخاف﴾ هنا: أعلم، وقال الأكثرون، إن الخوف هنا محمول على ظاهره، لأن إبراهيم غير جازم بموت أبيه على الكفر، إذ لو كان جازماً بذلك لم يشتغل بنصحه، ومعنى الخوف على الغير هو: أن يظن وصول الضرر إلى ذلك الغير.

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

والمعنى: يا أبي إني أخاف لمحبتي لك، وغيرتي عليك، أن يصيبك عذاب من الرحمن على شركك وعصيانك ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾؛ أي: قريناً وتابعاً له في النار.

وقصارىٰ ذلك: إني أخاف أن تكون تابعاً للشيطان في الدنيا، فيمسك عذابٌ من الرحمن في العقبىٰ.

ولما دعا إبراهيم أباه إلى التوحيد، وذكر الدلائل على فساد عبادة الأوثان، وأردف ذلك بالوعظ واللطف.. قابله أبوه بجواب هو على الضد من ذلك، حيث قابله بالغلظة والفظاظة والقسوة ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ استئنافٌ بيانيٌ كأنه قيل: فماذا قال أبوه عندما سمع منه هذه النصائح الواجبة القبول؟ فقيل: قال أبوه آزر مصراً على عناده، ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾ أي: أمعرض أنت عن عبادة آلهتي، وأصنامي، ومنصرف إلى غيرها يا إبراهيم؛ أي[1]: أتاركها أنت، وتارك عبادتها، والاستفهام فيه للتقريع والتوبيخ والتعجيب، وَجْهُ الإنكار[2] إلى نفسه الرغبةُ مع ضرب من التعجب، كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل، فضلاً عن ترغيب الغير عنها، قدم الخبر على المبتدأ للاهتمام به، والأولى كونه مبتدأ، وأنت فاعله سد مسد الخبر، لئلا يلزم الفصل بين الصفة وما يتعلق بها، وهو (عن).

والخلاصة: أتكره آلهتي ولا ترغب في عبادتها يا إبراهيم، ثم توعده فقال: والله ﴿لئن لم تنته﴾ وتنزجر يا إبراهيم، وترجع عما أنت فيه من النهي عن عبادتها والدعوة إلى ما دعوتني إليه.. ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة، وأرمينك بها حتى تموت، أو تبعد عني، وقيل[3] باللسان فيكون معناه لأشتمنك، وقيل: معناه لأضربنك، وقيل: لأظهرن أمرك، وقوله: ﴿وَٱهْجُرْنِي﴾: معطوف على ما دل عليه، لأرجمنك؛ أي: فاحذرني واتركني ﴿مَلِيًّا﴾؛ أي: زماناً طويلاً سالماً مني، ولا تكلمني؛ أي: فاحذرني وأبعد عني بالمفارقة من الدار والبلد دهراً طويلاً، من الملاوة وهو الدهر، ومنه قول مهلهل:

---

(١) الخازن.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.
(٤) الشوكاني.

فَتَصَدَّعَتْ صُمُّ ٱلْجِبَالِ لِمَوْتِهِ   وَبَكَتْ عَلَيْهِ ٱلْمُرْمِلَاتُ مَلِيًّا

وقيل معناه: اعتزلني سالم العرض، لا تصيبك مني معرة، واختار هذا ابن جرير، فـ﴿ملياً﴾ على هذا: منتصب على الحال من إبراهيم، وعلى القول الأول منتصب على الظرفية.

وقد قابل[1] الأب رفق الابن بالعنف، فلم يقل: يا بني، كما قاله الابن ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ وقابل وعظه بالسفاهة إذ هدده بالشتم أو بالضرب بالحجارة بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وفي ذلك تسليةٌ للنبي ﷺ وتأسية له بإبراهيم فيما كان يلقى من الأذى من قومه، ويقاسيه منهم، ومن عمه أبي لهب من العنت والمكروه. فلما رأى إبراهيم إصرار أبيه على العناد.. ﴿قَالَ﴾ إبراهيم استئناف بياني ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾؛ أي: سلام توديع مني، وتحية مفارقة لك، ومشاركةٍ لك على ما أنت عليه، كائن عليك، لا سلام لطفٍ وإحسان لأنه ليس بدعاءٍ له كقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة، ودل على جواز مشاركة المنصوح له إذا أظهر اللجاج.

والمعنى: سلمت مني لا أصيبك بمكروه بعد، ولا أشافهك بما يؤذيك ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ والسين فيه للاستقبال، أو لمجرد التأكيد؛ أي: أدعو لك ربي أن يهديك إلى الإيمان، فإن حقيقة الاستغفار للكافر: طلب التوفيق للإيمان المؤدي إلى المغفرة، كما يلوح به تعليل قوله ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾ بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ والاستغفار[2] بهذا المعنى للكافر قبل تبيين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه، وإنما المحظور استدعاؤه له مع بقائه على الكفر، فإنه مما لا مساغ له عقلاً ولا نقلاً، وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا تأباه قضية العقل، وإنما الذي يمنعه السمع، ألا ترى إلى أنه عليه السلام قال لعمه أبي طالب: «لا أزال أستغفر لك ما لم أُنه عنه» فنزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ...﴾ الآية. ولا اشتباه في أن هذا الوعد من

---

(١) المراغي.   (٢) روح البيان.

إبراهيم، وكذا قوله ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ وما ترتب عليهما من قوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾ إنما كان قبل انقطاع رجاءه عن إيمانه، لعدم تبيّن أمره، كما قال: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾.

والمعنى: سأطلب لك من ربي الغفران، بأن يوفقك للهداية، أو ينير بصيرتك لقبول الحق، ويرشدك إلى ما فيه الخير، وجملة قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ أي: بليغاً في البر والإلطاف تعليل لما قبلها، والمعنى: سأطلب لك المغفرة من الله فإنه كان بي كثير البر واللطف. وقال الفراء: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾؛ أي: عالماً لطيفاً، يجيبني إذا دعوته.

والمعنى[1]: أنه سبحانه للطفه بي، وإنعامه علي، عودني الإجابة، فإذا أنا استغفرت لك.. أغاثك بجوده وكرمه وغفر لك ذنوبك إن تبت إليه وأنبت، ثم بيّن ما بيَّت النية عليه، وعزم على إنفاذه فقال: ﴿أَعْتَزِلُكُمْ﴾؛ أي: أتباعد عنك، وعن قومك، بالمهاجرة بديني، حيث لم يؤثر فيكم نصائحي ﴿و﴾ أتباعد عـ﴿ما تدعون﴾ وتعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى من الأوثان والأصنام، وأفر بديني وأتشاغل بعبادة ربي الذي ينفعني ويضرني، وقد روي أنه عليه السلام هاجر إلى بلاد الشام، وفي هجرته هذه تزوج سارة، ولقي الجبار الذي أخدم سارة هاجر ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾؛ أي: وأعبد ربي سبحانه وحده، وأجتنب عبادة غيره من المعبودات ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ﴾؛ أي: أترجّىٰ أن لا أكون ﴿بِدُعَآءِ رَبِّي﴾ المنعم علي ﴿شَقِيًّا﴾؛ أي: خائباً؛ أي: أترجّىٰ عدم كوني خائباً محروماً بسبب دعائي وعبادتي إياه، كما خبتم أنتم وشقيتم بعبادة تلك الأوثان، التي لا تجيب دعاءَكم ولا تنفعكم ولا تضركم، وفيه تعريض[2] لشقائهم في عبادتهم آلهتهم، وفي تصدير الكلام بـ﴿عسى﴾: إظهار التواضع، ومراعاة حسن الأدب، والمراد بالدعاء هنا العبادة، لأن «الدعاء مخ العبادة» قيل أراد بهذا الدعاء هو أن يهب الله له ولداً وأهلاً يستأنس بهم في اعتزاله، ويطمئن إليهم عند وحشته، وقيل: أراد دعاءَه

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

لأبيه بالهداية، وقد حقق ما عزم عليه، فحقق الله سبحانه رجاءه، وأجاب دعاءه فقال: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ﴾؛ أي: فلما اعتزل إبراهيم أباه وقومه ﴿و﴾ اعتزل ﴿ما يعبدون من دون الله﴾ سبحانه وتعالى بالمهاجرة إلى الشام، فارتحل من كوثي إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ بعد الهجرة ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولده، أي: آنسنا وحشته من فراقهم بأولادٍ أكرم على الله من أبيه وقومه الكفرة، لأنه عاش حتى رأى يعقوب، لا عقيب المجاوزة والمهاجرة، فإن المشهور، أن الموهوب حينئذٍ إسماعيل، لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ إثر دعائه بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ ولعل[1] تخصيصهما بالذكر أنهما شجرة الأنبياء، أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضل على انفراده؛ أي: اعتزل أباه وقومه الكفرة، وأصنامهم بالمهاجرة إلى الأرض المقدسة، ولم يضره فراقهم لا في دين ولا في دنيا، بل نفعه ذلك إذ أبدله[2] بهم من هم خير منهم، ووهبه بنين وحفدة هم آباء الأنبياء من بني إسرائيل، ولهم الشأن الخطير والقدر العظيم، فقد وهبه إسحاق وولد لإسحاق يعقوب، وقاما مقامه بعد موته وورثا منه النبوة، أما إسماعيل.. فتولى الله سبحانه تربيته بعد نقله رضيعاً إلى المسجد الحرام، فأحيا تلك المشاعر العظام، ومن ثم أفرده بالذكر بقوله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ...﴾ الآية.

﴿وَكُلًّا﴾؛ أي: وكل[3] واحد من إسحاق ويعقوب، وقال مقاتل: ﴿وَكُلًّا﴾: يعني: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب؛ أي: وكل واحد منهم ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ بنبئهم[4] الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعلوم المعارف، وهم ينبئون الخلق بتوحيد الله، وبالإسلام، وانتصاب[5] ﴿كُلًّا﴾ على أنه المفعول الأول لـ﴿جعلنا﴾، قدم عليه للتخصيص، لكن بالنسبة إليهم أنفسهم لا بالنسبة إلى من عداهم؛ أي: كل واحد منهم ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ لا بعضهم دون بعض ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾؛ أي: لهؤلاء الثلاثة ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾؛ أي: كل خير ديني ودنيوي، مما لم يوهب لأحد من العالمين من المال

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) زاد المسير.
(٤) المراح.
(٥) الشوكاني.

والجاه والأتباع والذرية الطيبة؛ أي: وآتيناهم من فضلنا الديني والدنيوي ما لم نؤته أحداً من العالمين، فآتيناهم النسل الطاهر، والذرية المباركة، وإجابة الدعاء، واللطف في القضاء، والبركة في المال والأولاد، إلى نحو أولئك من خيري الدنيا والآخرة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ﴾؛ أي: لهؤلاء المذكورين ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾؛ أي: ثناءً صادقاً ﴿عَلِيًّا﴾؛ أي: رفيعاً مشهوراً دائماً إلى يوم القيامة، يفتخر بهم الناس، ويثنون عليهم، وتذكرهم الأمم كلها إلى يوم القيامة، بما لهم من الخصال المرضية، وتقول هذه الأمة في الصلوات الخمس: «كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» إلى قيام الساعة، إجابةً لدعوته بقوله: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤)﴾.

والمراد بلسان الصدق(١): الثناء الحسن، عبَّر عنه باللسان لكونه يوجد به، كما عُبِّر باليد عن العطية، وإضافته إلى الصدق، ووصفه بالعلو، للدلالة على أنهم أحقاء بما يقال فيهم من الثناء على ألسن العباد، وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار، وتحول الدول، وتبدل الملل.

وهذا(٢): توبيخ لكفار مكة، إذ كان مقتضى ترضيهم وثنائهم على المذكورين، أن يتبعوهم في الدين، مع أنهم لم يفعلوا اهـ. شيخنا.

الاعراب

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧)﴾.

﴿فَأَتَتْ﴾ الفاء: استئنافية ﴿أتت﴾: فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿مَرْيَمَ﴾ ﴿بِهِ﴾ متعلق بمحذوف حال من ضمير الفاعل المستتر في ﴿أتت﴾؛ أي: حالة كونها مصحوبةً به، كما قاله أبو البقاء، وهو حسن ولا نرى مانعاً من تعلقه بـ﴿أتت﴾ و﴿قَوْمَهَا﴾: مفعول به والجملة، مستأنفة ﴿تَحْمِلُهُ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول والجملة. في محل النصب حال ثانية من فاعل ﴿أتت﴾ ﴿قَالُوا﴾: فعل

---

(١) البيضاوي والشوكاني. (٢) الفتوحات.

وفاعل والجملة، مستأنفة ﴿يَٰمَرْيَمُ﴾: منادى مفرد العلم، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قال﴾ ﴿لَقَدْ﴾ اللام موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿جِئْتِ﴾: فعل وفاعل ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به ﴿فَرِيًّا﴾ صفة لـ﴿شَيْـًٔا﴾ ويجوز إعراب ﴿شَيْـًٔا﴾ على المصدرية، أي: نوعاً من المجيء غريباً، والجملة الفعلية: جواب القسم المحذوف وجملة القسم: في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾ على كونها جواب النداء.

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾: منادى مضاف وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾. ﴿مَا﴾ نافية ﴿كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾ على كونها جواب النداء ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿ما﴾: نافية ﴿كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة، معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿فَأَشَارَتْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية ﴿أشارت﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿مَرْيَمَ﴾ ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق به والجملة معطوفة مفرعة على ﴿قَالُواْ﴾. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل والجملة: مستأنفة ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام في محل النصب على الحال ﴿نُكَلِّمُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على المتكلمين ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾. ﴿كَانَ﴾: فعل ناقص، واسمها ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾: جار ومجرور حال من اسم ﴿كَانَ﴾. ﴿صَبِيًّا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾: صلة الموصول.

﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على عيسى والجملة: مستأنفة ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾: ناصب واسمه وخبره، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: فعل ماض ونون وقاية ومفعولان وفاعله ضمير يعود على الله،

والجملة الفعلية، في محل النصب حال من اسم ﴿إن﴾. ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾: فعل ونون وقاية وفاعل مستتر يعود على الله ومفعولان والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وكذا جملة قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾: معطوفة على جملة قوله: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾. ﴿أَيْنَ مَا﴾ اسم شرط جازم في محل النصب على الظرفية المكانية مبني على الفتح، والظرف متعلق بفعل الشرط أو بالجواب المحذوف، و﴿كُنتُ﴾: تامة والتاء فاعلها وهو في محل الجزم بـ﴿أين﴾ على كونه فعل شرط لها، ويجوز أن تكون ناقصة، والتاء اسمها و﴿أَيْنَ مَا﴾: متعلق بمحذوف خبرها المقدم، وجواب الشرط: محذوف دل عليه ما قبله تقديره: أينما كنت جعلني مباركاً أو جوابه هو نفس المتقدم عند من يرى ذلك، وجملة الشرط في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ولا يجوز أن تكون استفهامية، لأنه يلزم أن يعمل فيها ما قبلها، وأسماء الاستفهام لها صدر الكلام، فتعين أن تكون شرطية لأنها منحصرة في هذين المعنيين اهـ. «كرخى» ﴿وَأَوْصَٰنِي﴾: فعل وفاعل مستتر ونون وقاية معطوفة على ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾. ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾: متعلق به ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾: معطوف على ﴿الصلاةِ﴾. ﴿مَا﴾ مصدرية ظرفية ﴿دُمْتُ حَيًّا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره وجملة ﴿دام﴾: صلة ﴿مَا﴾ المصدرية ما مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف المقدر إليه والظرف المقدر متعلق بـ﴿أوصاني﴾ والتقدير، ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ مدة دوامي ﴿حَيًّا﴾.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَبَرًّا﴾ معطوف على ﴿مُبَارَكًا﴾؛ أي: وجعلني بارا ﴿بِوَٰلِدَتِي﴾: متعلق بـ﴿براً﴾. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ جازم وفعل مجزوم وفاعل مستتر ونون وقاية ومفعولان معطوف على ﴿وَجَعَلَنِي﴾. ﴿شَقِيًّا﴾ صفة لـ﴿جَبَّارًا﴾. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ مبتدأ ﴿عَلَيَّ﴾ خبره والجملة: معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية ﴿وُلِدتُّ﴾: فعل ونائب فاعل والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾ والظرف: متعلق بالاستقرار الذي

تعلق به الخبر أعني ﴿عَلَيَّ﴾ وقوله: ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ﴾: معطوفان على ﴿يَوْمَ وُلِدتُّ﴾. ﴿حَيًّا﴾: حال من فاعل ﴿أُبْعَثُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى﴾ مبتدأ وخبر والجملة: مستأنفة ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ صفة أولى لـ﴿عِيسَى﴾ ﴿قَوْلَ﴾: صفة ثانية له ﴿ٱلْحَقِّ﴾: بمعنى الله مضاف إليه؛ أي: كلمة الله ﴿ٱلْحَقِّ﴾ كما مر في مبحث التفسير ﴿ٱلَّذِى﴾ صفة ثالثة لـ﴿عِيسَى﴾. ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿يَمْتَرُونَ﴾ وجملة ﴿يَمْتَرُونَ﴾: صلة الموصول هذا على قراءة الرفع، وأما على قراءة النصب فـ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾: منصوب بفعل محذوف تقديره. قال: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾، ﴿ٱلْحَقِّ﴾ بمعنى الصدق ﴿ٱلَّذِى﴾ في محل النصب صفة لـ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ وجملة ﴿يَمْتَرُونَ﴾: صفة له ﴿مَا﴾: نافية ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿كَانَ﴾ ﴿أَن﴾: حرف نصب ﴿يَتَّخِذَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾ وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿مِن﴾ زائدة ﴿وَلَدٍ﴾: مفعول به لـ﴿يَتَّخِذَ﴾ وجملة ﴿يَتَّخِذَ﴾: مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مرفوع على كونه اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخراً تقديره ما كان اتخاذ ولد لائقاً بالله وجملة ﴿كَانَ﴾: مستأنفة ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره سبح ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: فعل ومفعول مفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾ والجملة الفعلية: في محل الجر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها ﴿فَإِنَّمَا﴾ الفاء: رابطة لجواب ﴿إِذَا﴾ جوازاً ﴿إنما﴾: أداة حصر ﴿يَقُولُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله ﴿لَهُۥ﴾: متعلق بيقول وجملة ﴿يَقُولُ﴾: جواب إذا لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾: مستأنفة ﴿كُن﴾: فعل أمر تام بمعنى أحدث، وفاعله: ضمير يعود على ذلك الأمر وجملة ﴿كُن﴾ في محل النصب مقول ﴿يَقُولُ﴾. ﴿فَيَكُونُ﴾: بالرفع الفاء: استئنافية ﴿يكون﴾: فعل مضارع تام وفاعله ضمير يعود على ذلك الأمر والجملة: في محل الرفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره (فـ) هو ﴿يَكُونُ﴾ والجملة: مستأنفة وبالنصب هو منصوب بأن

مضمرة وجوباً بعد (الفاء) السببية الواقعة في جواب الأمر والجملة: في تأويل مصدر معطوف على مصدر مقيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى تقديره ليكن تكوينه فكونه.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وَإِنَّ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية أو عاطفة ﴿إن الله ربي﴾ ناصب واسمه وخبره ﴿وَرَبُّكُمْ﴾ معطوف على ﴿رَبِّي﴾ والجملة: مستأنفة أو معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ كما مر في محبث التفسير، هذا على قراءة كسر همزة ﴿إن﴾ وأما على فتحها فعلى تقديره حرف جر متعلق بما بعده، تقديره: و﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾. ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره إذا عرفتم أن الله ربي وربكم وأردتم بيان ما هو اللازم لكم فأقول لكم: ﴿اعبدوه﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ﴾: مبتدأ وخبر ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: صفة ﴿صِرَاطٌ﴾ والجملة الاسمية: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿فَاخْتَلَفَ﴾ ﴿الفاء﴾: استئنافية ﴿اختلف الأحزاب﴾: فعل وفاعل والجملة: مستأنفة ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: جار ومجرور حال من ﴿الْأَحْزَابُ﴾ تقديره: حالة كون المختلفين بعضهم ﴿فَوَيْلٌ﴾ الفاء: عاطفة ﴿ويل﴾ مبتدأ وسوّغ الابتداء بالنكرة قصد الدعاء عليهم ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ والجملة الاسمية: معطوفة على الجملة الفعلية قبلها أعني قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ عطف اسمية على فعلية ﴿كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول ﴿مِنْ مَشْهَدِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ويل﴾ ﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة لـ﴿يَوْمٍ﴾ ﴿أَسْمِعْ﴾ فعل تعجب لفظه لفظ الأمر، ومعناه المضي مبني على السكون نظراً للفظ أو بفتح مقدر على الآخر الساكن نظراً لمعناه ﴿بِهِمْ﴾ الباء: زائدة زيدت وجوباً لرفع قبح رفع ما لفظه

أمر للضمير البارز والهاء: ضمير الغائبين في محل الرفع فاعل والجملة الفعلية: جملة تعجبية لا محل لها من الإعراب ﴿وَأَبْصِرْ﴾: معطوف على ﴿أَسْمِعْ﴾. ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿أسمع﴾ أو بـ﴿أبصر﴾: على سبيل التنازع ﴿يَأْتُونَنَا﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة: في محل الجر مضاف إليه ليوم ﴿لَٰكِنِ﴾ حرف استدراك ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: مبتدأ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بالاسقرار الذي تعلق به الخبر ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿ضَلَٰلٍ﴾ والجملة، الاستدراكية: مستأنفة.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾: فعل أمر ومفعول به وفاعله ضمير يعود على محمد والجملة. مستأنفة ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ ظرف ومضاف إليه متعلق بأنذرهم ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾. ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: فعل أمر ونائب فاعل والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذ﴾. ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ والجملة، في محل النصب حال من مفعول ﴿أنذرهم﴾ أو من الضمير المستتر ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ كما مر في مبحث التفسير ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: في محل النصب معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿إِنَّا﴾ ناصب واسمه ﴿نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم ﴿إِنَّ﴾ الذي هو بمعنى ﴿نَحْنُ﴾ لأنه بمعناه ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله ﴿وَمَنْ﴾ اسم موصول معطوف على الأرض ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور صلة الموصول والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة. ﴿وَإِلَيْنَا﴾ متعلق بـ﴿يُرْجَعُونَ﴾ ﴿يُرْجَعُونَ﴾: فعل ونائب فاعل والجملة الفعلية في محل النصب حال من ﴿مَنْ﴾ الموصولة أو في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿نَرِثُ﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ﴾ الواو: استئنافية ﴿اذكر﴾: فعل أمر وفاعله ضمير يعود على

محمد، والجملة: مستأنفة ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ متعلق به ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: مفعول به ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص واسمه ضمير يعود على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ﴿صِدِّيقًا﴾: خبر أول لـ﴿كَانَ﴾. ﴿نَّبِيًّا﴾: خبر ثان لها وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة: ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، بدل اشتمال من المضاف المقدر في ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، والتقدير: واذكر قصة إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ﴾، ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿لِأَبِيهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالَ﴾ والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾ ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ﴾: مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿يا﴾: حرف نداء ﴿أبت﴾: منادى مضاف منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المعوضة عنها تاء التأنيث للتفخيم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالفتحة المجلوبة لمناسبة التاء، لأن التاء لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ﴿أب﴾: مضاف وياء المتكلم المعوضة عنها تاء التأنيث في محل الجر مضاف إليه، مبنية على السكون لشبهها بالحرف شبهاً وضعياً، وتاء التأنيث المعوضة عن الياء المحذوفة حرف لا محل لها من الإعراب مبنية على الكسر، وإنما حركت لكونها على حرف واحد، وكانت الحركة كسرةً قصداً لتعويض كسرها عن الكسر الذي كان يستحقه ما قبل الياء في الأصل، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لِمَ﴾ اللام: حرف ﴿مَ﴾ اسم استفهام في محل الجر باللام مبني على السكون الظاهر على الألف المحذوفة، فرقا بينها وبين ما الموصولة الجار والمجرور متعلق بـ﴿تَعْبُدُ﴾. ﴿تَعْبُدُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على أبي إبراهيم، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول ﴿تَعْبُدُ﴾. ﴿لَا﴾ نافية ﴿يَسْمَعُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾ والجملة: صلة لـ﴿مَا﴾ أو صفة، لها ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ معطوف على قوله ﴿لَا يَسْمَعُ﴾ وكذا جملة قوله ﴿وَلَا يُغْنِى﴾ معطوفة عليه ﴿عَنكَ﴾ متعلق بـ﴿يُغْنِى﴾. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به منصوب على المصدرية أي شيئاً من الإغناء.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ

لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: منادى مضاف والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّى﴾ ناصب واسمه ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق ﴿جَآءَنِى﴾: فعل ماض ونون وقاية ومفعول به ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: متعلق بـ﴿جَآءَنِى﴾. ﴿مَا﴾: موصولة أو موصوفة في الرفع فاعل ﴿جاء﴾، ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ﴿يَأْتِكَ﴾: فعل ومفعول به مجزوم بـ﴿لَمْ﴾ وجزمه حذف حرف العلة، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَا﴾: والجملة: صلة لـ﴿مَا﴾ أو صفة لها، وجملة ﴿جَآءَنِى﴾: في محل الرفع خبر إنَّ، وجملة إن في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾: على كونها جواب النداء. ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت أنه قد جاءني من العلم، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لك: ﴿اتبعني﴾. ﴿اتبعني﴾: فعل أمر ونون وقاية وياء المفعول وفاعله ضمير يعود على أبي إبراهيم، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة وجملة إذا المقدرة، في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَهْدِكَ﴾: فعل مضارع ومفعول أول مجزوم بالطلب السابق وجزمه حذف حرف العلة وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿صِرَٰطًا﴾: مفعول ثان ﴿سَوِيًّا﴾: صفة ﴿صِرَٰطًا﴾. ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: منادى مضاف ﴿لَا﴾: ناهية جازمة ﴿تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ فعل ومفعول مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية وفاعلة ضمير يعود على أبي إبراهيم، والجملة: في محل النصب مقول قال على كونها جواب النداء. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص واسمه ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾. ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلق بـ﴿عَصِيًّا﴾. ﴿عَصِيًّا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾: وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها على كونها مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾.

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: منادى مضاف ﴿إِنِّى﴾: ناصب واسمه ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ وجملة ﴿أَخَافُ﴾: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَن يَمَسَّكَ﴾: ناصب وفعل

مضارع ومفعول به ﴿عَذَابٌ﴾: مفعول به ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: صفة لـ﴿عَذَابٌ﴾ وجملة ﴿يَمَسَّكَ﴾: في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿أَخَافُ﴾ تقديره: إني أخاف مس عذاب الرحمٰن إياك ﴿فَتَكُونَ﴾ الفاء: عاطفة ﴿تكون﴾: فعل مضارع ناقص معطوف على ﴿يَمَسَّكَ﴾: واسمها ضمير يعود على أبي إبراهيم ﴿لِلشَّيْطَٰنِ﴾: متعلق بـ﴿أَخَافُ﴾. ﴿وَلِيًّا﴾: خبر ﴿تكون﴾.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على أبي إبراهيم، والجملة: مستأنفة ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾ إلى قوله، ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾: مقول محكي وإن شئت قلت: ﴿أَرَاغِبٌ﴾ ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الإنكاري ﴿راغب﴾: مبتدأ وسوَّغ الابتداء بالنكرة اعتماده على همزة الإستفهام ﴿أَنتَ﴾: فاعل سد مسد الخبر ﴿عَنْ ءَالِهَتِي﴾ متعلق بـ﴿راغب﴾ والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾: منادى مفرد العلم ﴿لَئِن لَّمْ﴾ اللام: موطئة للقسم ﴿إن﴾: حرف شرط جازم ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم ﴿تَنتَهِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَمْ﴾ وجزمه حذف حرف العلة، وفاعله: ضمير يعود على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، والجملة: في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: اللام: موطئة للقسم مؤكدة للأولى. ﴿أرجمن﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والكاف: مفعول به وفاعله ضمير يعود على أبي إبراهيم، والجملة الفعلية، جواب القسم لا محل لها وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ وجواب ﴿إن﴾ الشرطية، محذوف دل عليه جواب القسم، تقديره: إن لم تنته أرجمك وجملة ﴿إن﴾: الشرطية معترضة بين القسم وجوابه لا محل لها من الإعراب ﴿وَٱهْجُرْنِي﴾: فعل أمر ونون وقاية وياء مفعول، وفاعله، ضمير يعود على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ والجلمة الفعلية، معطوفة على جملة محذوفة، تقديرها: فاحذرني واهجرني عند من يمنع عطف الإنشائية على الخبرية على أن سيبويه يجيز عطف الجملة الخبرية على الإنشائية، فليس هذا التقدير بلازم، فيجوز عطفها على ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾. ﴿مَلِيًّا﴾: ظرف زمان متعلق بـ﴿اهجرني﴾ وقيل: هو حال من فاعل ﴿اهجرني﴾ ومعناه: سالماً سوياً لا

يصيبك مني معرة.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾، والجملة: مستأنفة ﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ وسوّغ الابتداء بالنكرة، ما فيه من معنى الدعاء ﴿عَلَيۡكَۖ﴾: خبر المبتدأ والجملة الاسمية. في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ﴾ (السين) حرف تنفيس للاستقبال القريب ﴿أستغفر﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾. ﴿لَكَ﴾: متعلق بـ﴿أستغفر﴾. ﴿رَبِّيٓ﴾: مفعول به والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض واسمه ضمير يعود على الله ﴿بي﴾: متعلق بـ﴿حَفِيّٗا﴾. ﴿حَفِيّٗا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة كان في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، على كونها معللةً لما قبلها ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ﴾: فعل مضارع ومفعول به وفاعله: ضمير يعود على ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾، والجملة الفعلية: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أستغفر﴾ ﴿وَمَا﴾: موصولة أو موصوفة، في محل النصب معطوفة على كاف المخاطبين ﴿تَدۡعُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها والعائد أو الرابط، محذوف تقديره: ما تدعونه. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من فاعل ﴿تَدۡعُونَ﴾: أي: حالة كونكم مجاوزين الله ﴿وَأَدۡعُواْ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾. ﴿رَبِّي﴾: مفعول به والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أستغفر لك﴾. ﴿عَسَىٰٓ﴾: فعل ماض ناقص من أفعال الرجاء واسمها ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره: هو يعود على الشأن ﴿أَلَّآ﴾ ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿لَآ﴾ نافية ﴿أَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ﴿أن﴾ واسمه ضمير يعود على المتكلم ﴿بِدُعَآءِ رَبِّي﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿شَقِيّٗا﴾، ﴿شَقِيّٗا﴾: خبر ﴿أَكُونَ﴾، وجملة ﴿أَكُونَ﴾: في تأويل مصدر منصوب على كونه خبر ﴿عَسَىٰٓ﴾؛ تقديره عسى هو ـ أي: الشأن ـ عدم كوني ﴿شَقِيّٗا﴾ بدعاء ربي، وجملة ﴿عَسَىٰٓ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: استئنافية ﴿لما﴾: ظرفية شرطية غير جازمة متعلقة بجوابها ﴿ٱعْتَزَلَهُمْ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ والجملة: فعل شرط لـ﴿لما﴾ ﴿وَمَا﴾ موصولة أو موصوفة في محل النصب معطوف على ضمير المفعول ﴿يَعْبُدُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول أو صفة الموصوفة والعائد أو الرابط محذوف تقديره: وما يعبدونه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور حال من فاعل ﴿يَعْبُدُونَ﴾؛ أي: حالة كونهم مجاوزين الله ﴿وَهَبْنَا﴾ فعل وفاعل جواب ﴿لما﴾ وجملة ﴿لما﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مستأنفة ﴿لَهُۥ﴾ متعلق بـ﴿وَهَبْنَا﴾. ﴿إِسْحَٰقَ﴾ مفعول به ﴿وَيَعْقُوبَ﴾: معطوف عليه ﴿وَكُلًّا﴾: مفعول أول لـ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل ﴿نَبِيًّا﴾: مفعول ثان له، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَهَبْنَا﴾ على كونه جواب ﴿لما﴾. ﴿وَوَهَبْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿وَهَبْنَا﴾، الأول ﴿لَهُم﴾: متعلق بـ﴿وَهَبْنَا﴾. ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ متعلق به أيضاً ﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿وَهَبْنَا﴾. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ هو المفعول الأول لـ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿عَلِيًّا﴾ صفة لـ﴿لِسَانَ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿فَرِيًّا﴾؛ أي: شيئاً عظيماً خارقاً للعادة، وهي الولادة بلا أب، والفري: البديع من فرى الجلد، والفري: العظيم من الأمر، يقال: في الخير والشر، وقيل: الفرى: العجيب، وقيل: المفتعل، ومن الأول الحديث في وصف عمر بن الخطاب «فلم أر عبقرياً يفري فريه» والفرى: قطع الجلد للخرز والإصلاح، وفي «المختار» فرى الشيء قطعه لإصلاحه، وبابه رمى، وفرى كذباً خلقه وافتراه واختلقه، والاسم الفرية وقوله: ﴿شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾؛ أي: مصنوعاً مختلقاً، وقيل عظيماً، وأفرى الأوداج: قطعها، وأفرى الشيء: شقّه فانفرى وتفرى، أي: انشق، وقال الكسائي: أفرى الأديم: قطعه على جهة الإفساد وفراه قطعه على

جهة الإصلاح.

﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾: والمهد: الموضع يهيأ للصبي، ويوطأ له، والجمع: مهود ومهده كمنعه بسطه، وككتاب الفراش، والأرض كالمهاد والجمع: أمهدة ومهد اهـ. «قاموس» ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾؛ أي: نفاعاً للناس حيثما توجه، لأنه كان يحيى الموتى، ويبرىء الأكمه والأبرص، ويرشد ويهدي ﴿جَبَّارًا﴾، الجبار، المتعظم الذي لا يرى لأحد عليه حقاً ﴿شَقِيًّا﴾: والشقي: العاصي لربه ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾: جمع حزبٍ وهم الجماعة و﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: مشهد مفعل، إما من الشهادة وإما من الشهود، وهو: الحضور ومشهد يجوز أن يراد به الزمان أو المكان أو المصدر، فإذا كان من الشهادة كان المراد به الزمان، فتقديره: من وقت شهادة يوم، وإن أريد به المكان فتقديره من مكان شهادة يوم، وإن أريد به المصدر فتقديره: من شهادة ذلك اليوم، وأن تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم والملائكة والأنبياء، وإذا كان من الشهود وهو الحضور فتقديره: من شهود الحساب والجزاء يوم القيامة أو من مكان الشهود فيه، وهو الموقف أو من وقت الشهود، وإذا كان مصدراً بحالتيه المتقدمتين فتكون إضافته إلى الظرف من باب الاتساع، كقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ ويجوز أن يكون المصدر مضافاً لفاعله على من يجعل اليوم شاهداً بينهم، إما حقيقةً وإما مجازاً اهـ «سمين».

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: في الدنيا ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾؛ أي: يوم الندامة، هو يوم القيامة حين يندم الناس على ما فرّطوا في جنب الله ﴿صِدِّيقًا﴾؛ أي: مبالغاً في الصدق لم يكذب قط في أقواله وأفعاله وأحواله، وفي تصديق غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله، والصديق: من أبنية المبالغة، ونظيره الضحيك والنطيق، والمراد: أنه بليغ الصدق في أقواله ﴿صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾؛ أي: طريقاً مستقيماً موصلاً إلى نيل السعادة ﴿وَلِيًّا﴾ تليه ويليك في العذاب ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى﴾؛ أي: كاره لها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾؛ أي: لأشتمنك باللسان، أو لأرجمنك بالحجارة، من رجم يرجم من باب نصر ﴿مَلِيًّا﴾؛ أي: زمناً طويلاً، ﴿بِى حَفِيًّا﴾؛ أي: مبالغاً في بري

وإكرامي من حفي بكذا حفاوةً، إذا اعتنى به وبالغ في إكرامه اهـ. شيخنا. وفي «المختار» حفي به بالكسر حفاوةً بفتح الحاء فهو حفي، أي: بالغ في إكرامه وإلطافه والعناية بأمره، والحفي أيضاً المستقصى في السؤال، ومن الأول قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ومن الثاني قوله تعالى: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ﴾ اهـ. ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ﴾؛ أي: أترككم بالارتحال من بلادكم، وقد فعل وارتحل من بابل إلى الأرض المقدسة، وفي «القاموس» وبابل كصاحب: موضع بالعراق، وفيه أيضاً وكوثى بالضم بلدة بالعراق اهـ.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التشبيه في قوله: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾، أي: شبيهة هارون في صلاحها وعبادتها.

ومنها: الاستفهام التعجبي في قوله: ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾.

ومنها: التعبير بالماضي عما في المستقبل في قوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ إشارةً إلى تحقق وقوعه.

ومنها: التعريض في قوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ إن قلنا إن الألف واللام فيه للجنس، لأن فيه تعريضاً باللعنة على متَّهمي مريم وأعدائها من اليهود، لأن المعنى حينئذ وجنس السلام عليَّ خاصةً فقد عرَّض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ اهـ «سمين» وقيل: التعريف فيه للعهد لأنه قد تقدم لفظه في قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ كما مر في مبحث التفسير.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إيذاناً بكفرهم جميعاً، وإشعاراً بعلة الحكم، كما في «أبي السعود» لأن حق المقام أن يقال فويل لهم؛ أي: للأحزاب المختلفين فيه.

ومنها: التعجب في قوله: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾.

ومنها: المجاز بالحذف في قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾؛ أي: أهوال يوم الحسرة.

ومنها: التعبير بالماضي عما في المستقبل في قوله: ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ إشعاراً بتحقق وقوعه.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ وقوله: ﴿بِدُعَآءِ رَبِّى﴾.

ومنها: التهديد والتقريع في قوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى﴾.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ والمراد جهنم فأطلق الحال وأريد المحل، لأن الضلال لا يحل فيه وإنما يحل في مكانه والعلاقة الحالية، وكذلك قوله: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ والغفلة: لا يحل فيها أيضاً، وإنما يحل أصحابها في أسبابها من الكفر والمعاصي.

ومنها: المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ من إطلاق اسم الآلة وهي: اللسان لأنها آلة الكلام وإرادة ما ينشأ عنها، فعبر باللسان عما يوجد باللسان، كما عبر باليد عما يُفعل باليد وهو العطاء، فهو مجاز علاقته السببية.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ فإن لفظ نحن تأكيد للضمير في ﴿إِنَّا﴾ لأنه بمعناه.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ...﴾ قدم[1] الكلام في موسى على الكلام في إسماعيل ليكون الحديث عن يعقوب وبنيه في نسقٍ واحد دون فاصل بينهما، وإسماعيل هو إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمٰن ـ عليهما السلام ـ وقد أثنى عليه ربه بما هو أهله ووصفه بصفاتٍ هي مفخرة البشر ومنتهى السمو والفضل في هذه الدنيا.

---

(١) المراغي.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما أفرد كل رسول من رسله العشرة الذين سبق ذكرهم بالثناء عليه بما هو جدير به.. أردفه بذكر بعض ما جازاهم به من النعم، فقد هداهم إلى سبل الخير واصطفاهم من سائر خلقه.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر حزب السعداء وهم الأنبياء، ومن تبعهم بإحسان ممن قاموا بحدود الدين، فاتبعوا أوامره وأدوا فرائضه، وتركوا نواهيه.. أردف هذا بذكر من خلفهم ممن أضاعوا واجباته، وأقبلوا على شهوات الدنيا ولذاتها، وأعقب هذا بذكر ما ينالهم من النكال والوبال في الآخرة، إلا من تاب وأناب فإن الله يقبل توبته، ويحسن عاقبته، ويجعله من ورثة جنة النعيم، ولا ينقصه شيئاً من جزاء أعماله.

قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ...﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها: لما ذكر سبحانه أنه يدخل التائبين الجنة.. وصف هذه الجنة بجملة أوصافٍ كلها غاية في تعظيم أمرها، وشريف قدرها، وجليل خطرها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصص الأنبياء - عليهم السلام - تثبيتاً له ﷺ وأعقبه بذكر ما أحدثه الخلف بعدهم، وذكر جزاء الفريقين.. أعقب ذلك بقصص تأخر نزول جبريل على النبي ﷺ إذ زعم المشركون أن الله ودَّعه وقلاه، وقد رد عليهم زعمهم وأبان لهم أن الأمر على غير ما زعموا.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما[1] أمر بالعبادة، والمصابرة عليها، على ما فيها من مشاق وشدائد.. أبان فائدة ذلك وهي أنها تنجيهم يوم الحشر ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾

---

(1) المراغي.

وهو يوم لا ريب فيه، ولا وجه لإنكاره، فإن إعادة الإنسان أهون من بدئه، ثم ذكر ما يلقاه الكافرون يومئذٍ من الذل والهوان، ثم أردف ذلك ببيان أن جميع الخلائق ترد على النار، ولا ينجو منها إلا من اتقى ربه وأخلص عمله.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ . . .﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية[1]: ما أخرجه البخاري عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عكرمة قال: أبطأ جبريل في النزول أربعين يوماً، فذكر نحوه. وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: سأل النبي ﷺ جبريل: «أي البقاع أحب إلى الله، وأي البقاع أبغض إلى الله» فقال: ما أدري حتى أسأل، فنزل جبريل وكان قد أبطأ عليه، فقال: «لقد أبطأت عليَّ حتى ظننتُ أن بربي عليَّ موجدةً، فقال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ . . .﴾» الآية.

وأخرج ابن أبي إسحاق عن ابن عباس أن قريشاً سألوا رسول الله ﷺ عن قصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح، ولم يدر كيف يجيب، فحزن واشتد عليه ذلك، وقال المشركون: إن ربه ودَّعه وقلاه، ومكث خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً، فنزل جبريل فقال له: «يا جبريل احتبست عني حتى ساء ظني واشتقت إليك» فقال: إني إليك لأشوق ولكني عبد مأمور، إذا بعثت.. نزلت، وإذا حبست.. احتبست، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ. . .﴾ الآية، روى الكلبي[2]: أنها نزلت في أبيّ بن خلف، أخذ عظماً بالياً، فجعل يفته بيده، ويذريه في الريح، ويقول: زعم فلان أنّا نبعث بعد أن نموت، ونكون مثل هذا! إن هذا لن يكون أبداً!!

التفسير وأوجه القراءة

ولما فرغ سبحانه عن قصة إبراهيم.. أردفه بقصة موسى لأنه يتلوه في

---

(١) لباب النقول.

(٢) المراغي.

الشرف والفضل وقدم موسى على إسماعيل لئلا يفصل بينه وبين ذكر يعقوب، فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: واتل يا محمد على قومك، وعلى سائر الناس في القرآن، أو في هذه السورة قصة موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: موسى ـ عليه السلام ـ ﴿كَانَ مُخۡلَصٗا﴾ قرأ أهل الكوفة: عاصم، وحمزة، والكسائي، وكذا أبو رزين، ويحيى، وقتادة: بفتح اللام؛ أي: مصطفًى مختاراً، اختاره الله تعالى[1] ثم استخلصه واصطفاه على عالمي زمانه لرسالة رب العالمين، وكلامه، وقرأ الباقون: بكسر اللام؛ أي: مخلصاً في طاعته وعبادته لله تعالى، ولم يراء ولم يشرك، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله.

والمعنى[2]: واتل أيها الرسول على قومك ما اتصف به موسى ـ عليه السلام ـ من صفات الجلال والكمال، التي سأقصها عليك، ليستبين لك علو قدره، وعظيم شأنه، وتلك الأوصاف:

أولها: ما ذكره بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾؛ أي: إن الله تعالى أخلصه واصطفاه، وأبعد عنه الرجس وطهره من الذنوب والآثام، كما جاء في الآية الأخرى ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾.

وثانيها وثالثها: ما ذكره بقوله: ﴿وَكَانَ﴾ موسى ـ عليه السلام ـ ﴿رَسُولٗا﴾ أرسله الله سبحانه إلى الخلق داعياً ومبشراً ونذيراً، والرسول: هو من أرسله الله إلى الناس، ومعه كتاب فيه شريعته التي أرسله بها، كموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وقيل: الرسول إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى الخلق، كهؤلاء المذكورين، وارتضى هذا القول بعضهم، وكان موسى ـ عليه السلام ـ ﴿نَّبِيّٗا﴾ فأنبأهم عن الله، ولذلك قدم ﴿رَسُولٗا﴾ مع كونه أخص وأعلى، وقال بعضهم: تأخير ﴿نَّبِيّٗا﴾ لأجل رعاية الفواصل، والنبي هو الذي ينبىء عن الله، ويخبر قومه عنه، وليس معه كتاب كيوشع ـ عليه السلام ـ وقيل: النبي: إنسان أوحي إليه بشرع يعمل به في حق نفسه، ولم يؤمر بتبليغه، كالخضر ـ عليه

---

(١) الخازن.
(٢) المراغي.

السلام ـ لأنه نبي على ما رجحه أكثر العلماء، كما مر في مبحثه، فبين الرسول والنبي عموم وخصوص وجهي، فكل رسول نبي ولا عكس، وقال النيسابوري[1]: الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء، والنبي: الذي ينبىء عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب، وكان المناسب ذكرالأعم قبل الأخص، إلا أن رعاية الفاصلة اقتضت عكس ذلك، كقوله في طه: ﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ انتهى.

ورابعها: ما ذكره بقوله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾؛ أي: نادينا موسى ودعوناه وكلمناه ليلة الجمعة، بقولنا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾؛ أي: من ناحية جبل الطور اليمنى فالأيمن صفة للجانب، أي: ناديناه من ناحيته اليمنى، وهي التي تلي يمين موسى حين أقبل من مدين إلى مصر، إذ لا يمين ولا شمال للجبل، والمراد بالطور[2]: الجبل الذي عند بيت المقدس، لا الطور الذي عند السويس، لأنه يكون على يسار المتوجه من مدين إلى مصر، كما هو محسوس مشاهد، أو المعنى: ناديناه من جانبه الميمون؛ أي: المبارك لموسى، من اليمن بمعنى البركة، لأنه سمع عنده كلام الله تعالى؛ أي: وكلمناه من الجانب الأيمن للطور؛ أي: الذي عن يمين موسى حين أقبل من مدين متوجهاً إلى مصر، وأنبأناه بأنه رسولنا، ثم واعدناه إليه؛ أي: عنده بعد إغراق آل فرعون، ورحمنا بني إسرائيل بإنزال الكتاب عليهم.

وخامسها: ما ذكره بقوله: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾؛ أي: وقربنا موسى إلينا تقريب تشريفٍ وإجلالٍ وإكرام، حالة كونه نجياً؛ أي: مناجياً معنا تلك الليلة؛ أي: مستمعاً كلامنا، فهو حال من أحد الضميرين في ﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾: فقد شبه حاله ـ عليه السلام ـ مع ربه بحال من قَرَّبَهُ الملك لمناجاته، واصطفاه لمصاحبته، ورفع الوسائط، وقيل معناه[3]: ورفعناه مكاناً عالياً فوق السموات، حتى سمع صرير القلم، حيث كتبت التوراة في الألواح، وفي «القاموس»: ناجاه مناجاةً، إذا سارّه ونجيّ: فعيل من المناجاة، بمعنى: مناجٍ، كالجليس، وهو: المنفرد

(١) الشوكاني.
(٢) الفتوحات.
(٣) المراح.

بالمناجاة، وهي المسارة بالقول.

وقصارىٰ ذلك[1]: أنه تجاوز العالم المادي، وانغمس في العالم الروحي، فقرب من ربه، وارتقت نفسه، حتى بلغت أقصى مناها، واستعدت للاطلاع على عالم الملكوت، ورؤية ما غاب عن عالم المادة.

وسادسها: ما ذكره بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا﴾؛ أي: لموسى ﴿مِن رَّحْمَتِنَا﴾؛ أي: من أجل رحمتنا ورأفتنا ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ أخاه مفعول ﴿وَهَبْنَا﴾ و﴿هَٰرُونَ﴾: عطف بيان لـ﴿أَخَاهُ﴾، حالة كون هارون ﴿نَبِيًّا﴾ من الأنبياء، ليكون معه وزيراً كما سأل ذلك ربه فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾﴾ فالهبة على ظاهرها، كما في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ فإن هارون كان أسنَّ من موسى، فوجب الحمل على المعاضدة والموازرة.

والمعنى: أي[2] وجعلنا أخاه هارون نبياً من أجل رأفتنا به، ليكون وزيراً له ومعيناً له في تبليغ الرسالة، وهذا إشارة إلى أن النبوة ليست كسبية، بل هي من مواهب الله تعالى، يهب لمن يشاء النبوة والرسالة، وإشارة إلى أن لموسى إختصاصاً بالقربة والقبول عند الله تعالى، حتى يهب أخاه هارون النبوة والرسالة بشفاعته، كما يهب الأنبياء والرسل بشفاعة سيدنا محمد ﷺ لقوله ﷺ: «الناس يحتاجون إلى شفاعتي حتى إبراهيمَ الخليل عليه السلام». قال بعض السلف[3]: ما شفع أحد في أحد في الدنيا أعظم من شفاعة موسى في هارون أن يكون نبياً، قال ابن عباس: كان هارون أكبر من موسى بأربع سنين.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾؛ أي: واتل يا محمد في القرآن قصة جدك إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ على قومك، وبلغها إليهم، فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه لإبراز كمال الإعتناء بأمره، بإيراده مستقلاً، ولم يخالف أحد في أنه إسماعيل بن إبراهيم، إلا من لا يعتد به، فقال: هو إسماعيل بن حزقيل، بعثه الله إلى

---

(١) المراغي.
(٢) المراح.
(٣) المراغي.

قومه، فسلخوا جلدة رأسه، فخيَّره الله فيما شاء من عذابهم، فاستعفاه ورضي بثوابه ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن إسماعيل ﴿كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾؛ أي: وافيه فيما بينه وبين الله، وكذا فيما بينه وبين الناس، ووصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ إسماعيل بصدق الوعد، مع كون جميع الأنبياء كذلك، لأنه كان مشهوراً بذلك، مبالغاً فيه، وناهيك بأنه وعد الصبر من نفسه على الذبح، فوفى بذلك حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قيل[1] إنه لم يعد شيئاً إلا وفى به. قيل: إنه وعد رجلاً أن يقوم مكانه حتى يرجع الرجل، فوقف إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع إليه الرجل، وقيل: إنه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به، فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف، سئل الشعبي عن الرجل يعد الرجل ميعاداً إلى أي وقت ينتظر، فقال: إن وعده نهاراً.. فكل النهار، وإن وعده ليلاً.. فكل الليل، وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال: إن وعده في وقت صلاة ينتظر إلى وقت صلاة أخرى.

والوعد[2]: عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها، والوعيد الإخبار بإيصال الضرر قبل وقوعه، والعرب لا تعد عيباً ولا خلفاً، إن يعد أحد شراً.. لا يفعله، بل ترى ذلك كرماً وفضلاً، كما قيل.

وَإِنِّـــيْ إِذَا أَوْعَـــدْتُـــهُ أَوْ وَعَـــدْتُـــهُ ... لَـمُـخْـلِـفُ إِيـعَـادِيْ وَمُـنْـجِـزٌ وَعْـدِيْ

وقيل:

إِذَا وَعَـــدَ ٱلـسَّـــرَّاءَ نَـــجَّـــزَ وَعْـــدَهُ ... وَإِنْ أَوْعَـدَ ٱلـضَّـرَّاءَ فَـٱلْـعَـقْـلُ مَـانِـعُـهْ

وفي الحديث: «من وعد لأحد على عمله ثواباً.. فهو منجز له، ومن أوعده على عمله عقاباً.. فهو بالخيار». وفي الآية حث على صدق الوعد والوفاء به، والأصل فيه: نيته؛ لقوله ـ عليه السلام ـ: «إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي فلم يف ولم يجىء للميعاد.. فلا إثم عليه».

ومعنى الآية: واتل[3] أيها الرسول على قومك صفات أبيهم إسماعيل،

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

علهم يهتدون بهديه، ويحتذون حذوه، ويتخلقون بمثل ما له من مناقب وفضائل منها:

١ ـ ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾؛ أي: وافي الوعد، فما وعد عدةً إلا وفى بها، حتى وعد أباه بالصبر على الذبح فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فصدق في ذلك ووفى بما قال، وامتثل حتى جاءه الفداء، وصدق الوعد[1] من الصفات التي حث عليها الدين وشدد فيها، أيّما تشديد، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ وقال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث.. كذب، وإذا وعد.. أخلف، وإذا أؤتمن.. خان» وقد فقدت هذه الصفة من كثير من المسلمين، فلا تجد عالماً ولا جاهلاً إلا وهو بمنأىً عنها، ولا سيما التجار والصناع والعمال.

٢ ـ ﴿وَكَانَ﴾ إسماعيل ـ عليه السلام ـ ﴿رَسُولًا﴾ إلى جرهم، الذين حلوا بمكة معه ومع أمه، وإلى العماليق، وإلى قبائل اليمن، بتبليغ شريعة إبراهيم، زمن أبيه إبراهيم ـ عليهما السلام ـ قال في «القاموس» جرهم كقنفذ حيٌّ من اليمن، تزوج فيهم إسماعيل اهـ. وقد استدل[2] بقوله تعالى في إسماعيل ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ على أن الرسول لا يجب أن يكون صاحب شريعة، فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته، وقيل إنه وصفه بالرسالة، لكون إبراهيم أرسله إلى جرهم، وكان إسماعيل ﴿نَّبِيًّا﴾ يخبر عن الله تعالى، وكان على شريعة أبيه إبراهيم، فنبأ بها قومه، وأنذرهم وخوفهم، ولم يكن له كتابٌ أُنزل إليه بإجماع العلماء، وكذا لوط وإسحاق، ويعقوب، ومن هذا يعلم أن الرسول لا يجب أن ينزل عليه كتاب مستقل.

٣ ـ وكان إسماعيل ﴿يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ الخاص[3]: وهو من اتصل به بجهة الزوجية والولادة، والعام: وهو من اتصل به بجهة الدعوة، وهم قومه، ويجوز أن يرجح الأول، لأن الأهم أن يقبل الرجل بالتكميل على نفسه، وعلى من هو

---

(١) المراغي.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.

أقرب الناس إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ وقال ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ وقال: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ فإنهم إذا صلحوا.. صلح الكل، وتزيَّا بزيهم بالخير والصلاح ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ التي هي أشرف العبادات البدنية ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ التي هي أفضل العبادات المالية، وفيه إشارة إلى أن من حق الصالح أن ينصح للأقارب والأجانب، ويحظيهم بالفوائد الدينية.

٤ - ﴿وَكَانَ﴾ إسماعيل ﴿عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ في الأقوال والأفعال والأحوال؛ أي: مرضياً عمله عند ربه، محموداً فيما كلّفه به، غير مقصرٍ في طاعته، فائزاً في كل طاعاته بأعلى الدرجات، فاقتد أيها الرسول به لأنه من أجل أبائك، وعن[1] بعض الصالحين، أنه قال: نزل عندي أضياف، وعلمت أنهم أبدال من عباد الله الصالحين، فقلت لهم: أوصوني بوصية بالغة، حتى أخاف الله، قالوا: نوصيك بستة أشياء:

أولها: من كثر نومه.. فلا يطمع في رقة قلبه.

وثانيها: من كثر أكله.. فلا يطمع في قيام الليل.

وثالثها: من اختار صحبة ظالم.. فلا يطمع في استقامة دينه.

ورابعها: من كان الكذب والغيبة عادته.. فلا يطمع في أن يخرج من الدنيا مع الإيمان.

وخامسها: من كثر اختلاطه بالناس.. فلا يطمع في حلاوة العبادة.

وسادسها: من طلب رضىٰ الناس.. فلا يطمع في رضىٰ الله تعالى.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿مَرْضِيًّا﴾ وهو اسم مفعل أصله مرضوو فأُعِلّ بقلب واوه ياءً، كما سيأتي في مبحث التصريف، وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿مرضوا﴾ مصححاً، وقالت العرب أرض مسنية ومسنوَّة، وهي التي تسقى بالسواني.

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يا محمد ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: في القرآن ﴿إِدْرِيسَ﴾؛ أي: قصته؛

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

أي: واتل يا محمد في القرآن قصة إدريس - عليه السلام - على قومك بالثناء، والنسابون يقولون: إنه[1] جد أبي نوح، فإن نوحاً بن لمك، بن مشوشلخ، بن أخنوخ وهو إدريس النبي - عليه السلام - بن يرد، بن مهلاييل، بن قينان، بن أنوش، بن شيث، بن آدم - عليه السلام - ولد إدريس وآدم حي قبل أن يموت بمئة سنة، كذا في «روضة الخطيب» ويقولون: إنه أول من وضع الميزان والمكيال، وأول من اتخذ السلاح، وجاهد في سبيل الله، وسبى واسترق بني قابيل، وأول من خط بالقلم، ونظر في علم الحساب والنجوم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وكانوا قبله يلبسون الجلود، وأول من لبس ثوب القطن، واشتقاقه من الدرس، فلُقِّب به لكثرة دراسته، إذ رُوي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفةً، وجعل الله ذلك من معجزاته، وإن تقادم العهد، وطول الزمن، وعدم وجود السند الصحيح الذي يعوَّل عليه في الرواية يجعلنا في شكٍ من كل هذا، فعلينا أن نكتفي بما جاء به الكتاب الكريم في شأنه، وقد وصفه الله بجملة صفاتٍ كلها مفاخر، ومناقب إعظام وإجلالٍ:

١ - ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن إدريس - عليه السلام - ﴿كَانَ صِدِّيقًا﴾؛ أي: ملازماً للصدق في أحواله.

٢ - ﴿نَّبِيًّا﴾ ينبىء عن الله تعالى - خبر آخر لـ﴿كان﴾ مخصص للأول - إذ ليس كل صديق نبياً، قال عباس بن عطاءٍ: أدنى منازل المرسلين أعلى مراتب النبيين، وأدنى مراتب النبيين أعلى مراتب الصديقين، وأدنى مراتب الصديقين أعلى مراتب المؤمنين ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾؛ أي[2]: أعلينا قدره، ورفعنا ذكره في الملأ، ونحو هذا قوله لنبيه محمد ﷺ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ وقيل: إن معنى رفعه ما أعطي من شرف النبوة، وقيل: إنه رفع إلى الجنة، وقيل: معنى قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾؛ أي: رفعناه إلى السماء الرابعة، وهذا القول أصح. ويدل عليه ما روى أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، عن النبي ﷺ «أنه

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

رأى إدريس في السماء الرابعة، ليلة المعراج» متفق عليه.

وكان سبب رفعه إليها[1]: أنه سار ذات يوم في حاجة، فأصابه وهج الشمس، فقال: يا رب إني قد مشيت فيها يوماً فأصابني منها ما أصابني، فكيف من يحملها مسيرة خمس مئة في يوم واحد؟ اللهم خفف عنها من ثقلها وحرها، فلما أصبح الملك.. وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف، فقال: يا رب خففت عني حر الشمس، فما الذي قضيت فيه، قال: إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها، فأجبته، قال: يا رب اجعل بيني وبينه خلةً، فأذن الله تعالى له حتى أتىٰ إدريس ورفعه إلى السماء.

واختلف القائلون بأنه في السماء[2]، أهو حيٌّ فيها أم ميت، فالجمهور: على أنه حيٌّ وهو الصحيح، وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء: اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى، كما في «بحر العلوم».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ العشرة المذكورون في هذه السورة من زكريا إلى إدريس - عليهم الصلاة والسلام - هم ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿عَلَيۡهِم﴾ بأنواع النعم الدينية والدنيوية، حال كونهم ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ والمرسلين بيان للوصول حالة كون بعضهم ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ بدل من النبيين، بإعادة الجار، ويجوز[3] أن تكون ﴿مِن﴾ فيه للتبعيض لأن المنعم عليهم أعم من الأنبياء، وأخص من الذرية؛ يعني به إدريس ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ﴾؛ أي: ومن ذرية من حملنا مع نوح في سفينته؛ يريد: إبراهيم، لأنه من ذرية سام بن نوح ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾؛ يعني: إسحاق وإسماعيل ويعقوب ﴿وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ عطف على إبراهيم؛ أي: ومن ذرية إسرائيل؛ أي: يعقوب وكان منهم موسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية، لأن عيسى من مريم، وهي من نسل يعقوب ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا﴾؛

---

(١) المراح.
(٢) روح البيان.
(٣) البيضاوي.

أي: وحالة كونهم من جملة من هديناهم، وأرشدناهم إلى الحق ﴿و﴾ من جملة من ﴿اجتبينا﴾ هم واصطفيناهم للنبوة والكرامة، قالوا: ﴿من﴾ فيه للتبيين، إن عطف على ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وللتبعيض إن عطف على و﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ﴾ وتقرأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على هؤلاء الأنبياء ﴿ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: آيات الترغيب والترهيب في كتبهم المنزلة عليهم ﴿خَرُّوا۟﴾؛ أي: سقطوا على الأرض حال كونهم ﴿سُجَّدًا﴾؛ أي: ساجدين جمع ساجد ﴿وَبُكِيًّا﴾؛ أي: باكين جمع باكٍ، وأصله بكوياً؛ يعني[1]: إن الأنبياء قبلكم مع مالهم من علو المرتبة في شرف النسب، وكمال النفس، والزلفى من الله تعالى، كانوا يسجدون ويبكون لسماع آيات الله تعالى، فكونوا مثلهم وفي الحديث: «اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» وعن ابن عباس: إذا قرأتم سجدة سبحان.. فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم.. فليبك قلبه. قال صالح المريّ: قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام، فقال: يا صالح هذه القراءة فأين البكاء اهـ. وقد استدل بهذه الآية على مشروعية سجود التلاوة.

والمعنى: أي[2] إذا تتلى على هؤلاء الأنبياء الذين أنعم الله عليهم أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه.. خروا لله سجداً استكانةً له وتذللاً وخضوعاً لأمره، وانقياداً له وهم باكون خشيةً منه، وحذراً من عقابه، وقصارى ذلك إنه سبحانه أبان علو أمرهم في الدين والنسب والقرب منه. ويقول في سجود التلاوة: سبحان ربي الأعلى ثلاثاً. ذكره النسفي في «تفسيره» في هذا الموضع.

فصل

وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن[3]، فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه السجدة، وقيل: يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد أن يدعو بما يناسب تلك السجدة، فإن قرأ سجدةَ سبحان.. قال: اللهم اجعلني من

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) الخازن.

الباكين إليك والخاشعين لك، وإن قرأ سجدة مريم.. قال: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم، الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك، وإن سجد سجدة ﴿آلم﴾ السجدة... قال: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك، المسبحين بحمدك، وأعوذ بك أن أكون من المتكبرين عن أمرك.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿تُتْلَىٰ﴾ بتاء التأنيث، وقرأ عبد الله، وأبو جعفر، وشيبة، وشبل بن عباد، وأبو حيوة، وعبد الله بن أحمد العجلي، عن حمزة، وقتيبة في رواية، وورش في رواية النحاس، وابن ذكوان في رواية الثعلبي: بالياء، وقرأ الجمهور ﴿بكيا﴾ بضم الباء، وعبد الله، ويحيى، والأعمش، وحمزة، والكسائي: بكسرها اتباعاً لحركة الكاف، كعسيّ ودليّ، والظاهر أنه جمع لمناسبة الجمع قبله، وقال ابن عطية: ﴿وبكياً﴾ بكسر الباء هو مصدر لا يحتمل غير ذلك. انتهى.

ولما مدح سبحانه هؤلاء الأنبياء بهذه الأوصاف ترغيباً لغيرهم في الاقتداء بهم، وسلوك طريقتهم.. ذكر أضدادهم تنفيراً للناس عن طريقتهم، فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: جاء ووجد من بعد هؤلاء الأنبياء المذكورين وعقب عنهم ﴿خلف﴾؛ أي: عقب سوءٍ من أولادهم، وفي «الجلالين»: بقي من بعد هؤلاء قوم سوء يعني اليهود والنصارى والمجوس. انتهى. قال أهل اللغة: يقال لعقب الخير: خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بسكون اللام، واختلفوا[2] فيمن نزلت هذه الآية فيه، فقيل: في اليهود، وقيل: في النصارى، وقيل في قوم من أمة محمد ﷺ يأتون في آخر الزمان؛ أي: جاء من بعد هؤلاء المذكورين قوم سوء ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: تركوها أو أخروها عن وقتها، أو ضيّعوا ثوابها بعد الأداء، بالنميمة والغيبة والكذب ونحوها، أو شرعوا فيها بلا نيةٍ، وقاموا لها بلا خضوع ولا خشوع، وقيل: كفروا بها وجحدوا وجوبها، وقيل: لم يأتوا بها على الوجه المشروع، وقيل: إقامتها في غير الجماعات، وقيل: تعطيل المساجد

---

(١) البحر المحيط. (٢) الشوكاني.

والاشتغال بالصنائع والأسباب، والظاهر: أن من أخر الصلاة عن وقتها، أو ترك فرضاً من فروضها، أو شرطاً من شروطها، أو ركناً من أركانها، فقد أضاعها، ويدخل تحت الإضاعة من تركها المرة أو حجدها دخولاً أولياً. وقرأ عبد الله، والحسن، وأبو رزين العقيلي، والضحاك، وابن مقسم ﴿الصلوات﴾ جمعاً ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾؛ أي: ارتكبوا شهوات أنفسهم، وآثروها على طاعة الله تعالى؛ أي: فعلوا ما تشتهيه أنفسهم، وترغب إليه من المحرمات، كشرب الخمر، والدخان، والحشيش، وفعل الزنا، واللواط، وإدمان النظر إلى الأجنبيات، والاختلاط بهن، وإضاعة الوقت في استماع الملاهي والنظر إليها، كالتلفزيون والفيديو، والاشتغال بما لا يغني، من إكثار قيل وقال، والولع بقراءة الجرائد والأخبار عن تلاوة كتاب الله تعالى وقراءة الحديث، إلى نحو أولئك من الشهوات التي انهمك فيها أهل الزمان، حتى يظنونها من الأمور الدينية، لجهلهم أو لعدم مبالاتهم بدينهم، وبالجملة فالشهوات عام في كل مشتهًى يشغل عن الصلاة، وذكر الله تعالى، كاللعب بالكريات مما لا ينفع في الحرب.

والمعنى: أي[1] فجاء من بعد الأنبياء الذين ذكروا، خلف سوءٍ خلفوهم في الأرض، كاليهود والنصارى، ومن على شاكلتهم من أهل الضلال، إذ تركوا الصلوات المفروضة عليهم، وآثروا شهواتهم على طاعة الله تعالى، فانكبوا على شرب الخمور، وشهادة الزور، ولعب الميسر، وإتيان الفاحشة خفيةً وعلانيةً.

وأخرج أحمد، وابن حبان، والحاكم، في جماعة آخرين، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ وتلا هذه الآية قال: «يكون خلف من بعد ستين سنة، أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غياً، ثم يكون خلف يقرؤون القرآن، لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن، ومنافق، وفاجر».

وأخرج أحمد، والحاكم وصححه، عن عقبة بن عامر، قال: سمعت

---

(١) المراغي.

رسول الله ﷺ قال: «سيهلك من أمتي أهل الكتاب، وأهل اللبن» قلت: يا رسول الله، ما أهل الكتاب؟ قال: «قوم يتعلمون الكتاب يجادلون به الذين آمنوا» قلت: وما أهل اللبن؟ قال: «قوم يتبعون الشهوات، ويضيعون الصلوات» ثم ذكر عاقبة أعمالهم وسوء مآلهم فقال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿غَيًّا﴾؛ أي: شراً وخسراناً لإهمالهم أداء واجبات الدين، وانهماكهم في المعاصي والآثام، فإن كلّ[1] شر عند العرب غي، فكل خير رشاد، وعن الضحاك: أي جزاءَ غي، كقوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾؛ أي: جزاءَ أثام وقيل ﴿غَيًّا﴾؛ أي: وادياً في جهنم، يستعيذ من حرّه أوديتها، أعد للزاني، وشارب الخمر، وآكل الربا، وشاهد الزور، ولأهل العقوق، وتارك الصلاة، وقيل: الغيّ الضلال، وقيل: الخيبة، وقرىء فيما حكىٰ الأخفش: ﴿يُلَقَّوْنَ﴾ بضم الياء وفتح اللام وشد القاف ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ منهم ورجع مما فرط منه من تضييع الصلوات، واتباع الشهوات، إلى طاعة الله تعالى ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله من الكفر ﴿وَعَمِلَ﴾ عملاً ﴿صَٰلِحًا﴾ بعد التوبة والندم، وفي هذا[2] الاستثناء دليل على أن الآية في الكفرة، لا في المسلمين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بالتوبة، والإيمان والعمل الصالح ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ بموجب الوعد المحتوم، قرأ أبو جعفر، وشيبة، وابن كثير، وابن محيصن، وأبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر ﴿يدخلون﴾ بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم الخاء وقرأ ابن غزوان عن طلحة: ﴿سيدخلون﴾ بسين الاستقبال مبنياً للفاعل.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا ينقص من أجورهم شيء، وإن كان قليلاً، فإن الله سبحانه وتعالى يوفي إليهم أجورهم، وانتصاب ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ على البدل من الجنة بدل البعض لكون جنات عدن بعضاً من الجنة، ويكون قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ اعتراضاً، أو حالاً كما في «البحر» قال الزجاج: ويجوز ﴿جنات عدن﴾ بالرفع وقرىء كذلك؛ يعني: على الابتداء، والخبر ﴿التي﴾، وقرأ الجمهور[3]

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) البحر المحيط.

﴿جَنَّٰتِ﴾ نصباً جمعاً بدلاً من الجنة كما مر آنفاً، وقرأ الحسن، وأبو حيوة، وعيسى بن عمر، والأعمش، وأحمد بن موسى عن أبي عمرو ﴿جنات﴾ رفعاً جمعاً؛ أي: تلك جنات أو الخبر (التي) وقرأ الحسن بن حي وعلي بن صالح ﴿جنة عدن﴾ نصباً مفرداً، ورويت عن الأعمش، وهي كذلك في مصحف عبد الله، وقرأ اليماني، والحسن، وإسحٰق الأزرق عن حمزة ﴿جنة عدن﴾ رفعاً مفرداً وقرىء بصرف ﴿عَدْنٍ﴾ ومنعه، على أنها علم لمعنى العدن وهو: الإقامة، أو علم لأرض الجنة، ومعنى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ إلخ؛ أي: لكن[1] من أنابوا إلى ربهم، وأقلعوا عن ذنبهم، وآمنوا بالله ورسوله، وأطاعوه فيما أمر به، وأدوا فرائضه، فأولئك يدخلهم ربهم جناته، ويغفر لهم حوباتهم، فالتوبة تجبُّ ما قبلها، كما جاء في الحديث «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾؛ أي: ولا ينقصون شيئاً من ثواب أعمالهم، إذ أفعالهم السابقة ذهبت هباءً، وصارت نسياً منسياً بكرم اللطيف الخبير، وعظيم حلمه على عباده، ولما ذكر أن التائب يدخل الجنة.. وصف هذه الجنة بأمورٍ فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾؛ أي: هذه الجنة هي جنات إقامة مؤبدة، لا كجنات الدنيا، وجنات عدن علم لجنة مخصوصة، كشهر رمضان، وقد يحذف فيقال: جاء رمضان، وقيل: جنات عدن: علم لدار الثواب جميعاً، والعدن: الإقامة وهو الأنسب بمثل هذا المقام، فإن جنة عدن المخصوصة، وجنة الفردوس لا يدخلها العوام بالأصالة، لأنهما مقام المقربين ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾؛ أي: وعدها إياهم حالة كونها متلبسة ﴿بِالْغَيْبِ﴾ عنهم؛ أي: والحال أنها غائبة[2] عنهم غير حاضرة، أو حالة كونهم غائبين عنها لا يرونها، وإنما آمنوا بها بمجرد الأخبار، والتعرض لعنوان الرحمة للإيذان بأن وعدها وإنجازه لكمال سعة رحمته تعالى، وفي الإضافة في قوله: ﴿عِبَادَهُۥ﴾ إشارة إلى أن المراد من يعبده مخلصاً له في العبودية، لا يعبد الدنيا، والنفس والهوى، إذ كمال التشريف بالإضافة، إنما يحصل بهذا المعنى، فله جنة عدن المخصوصة ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾؛ أي: موعوده

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

الذي هو الجنة ﴿مَأۡتِيّٗا﴾؛ أي: يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف، لأن وعده تعالى لا يخلف، فالمأتي بمعنى المفعول من الإتيان؛ أي: مفعولاً أو بمعنى الفاعل؛ أي: جائياً آتياً ألبتة.

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الجنان ﴿لَغۡوًا﴾؛ أي: فضول كلامٍ لا طائل تحته، وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن أهلها، وفيه تنبيه على أن اللغو مما ينبغي أن يُجتنب عنه في هذه الدار ما أمكن ﴿إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن يسمعون تسليم الملائكة، أو تسليم بعضهم على بعض، والمعنى: إن[1] أهل الجنة لا يسمعون ما يؤلمهم، وإنما يسمعون ما يسلمهم ﴿وَلَهُمۡ﴾؛ أي: ولأولئك الموصوفين بالتوبة والإيمان والعمل الصالح ﴿رِزۡقُهُمۡ﴾؛ أي: ما يشتهون من المطاعم والمشارب ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في جنات عدن ﴿بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾؛ أي: في قدر وقت البكرة ووقت العشي من نهار أيام الدنيا؛ أي: إن[2] الذي بين غدائهم وعشائهم في الجنة قدر ما بين غداء أحدنا في الدنيا وعشائه، إذ لا نهار ثمة ولا ليل، بل هم في نور أبداً، وإنما وصف الجنة بذلك لأن العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي.

وخلاصة ذلك: أنه لا بكرة في الجنة ولا عشي، إذ لا ليل ولا نهار، وإنما يؤتون بأرزاقهم في مقدار طرفي النهار، كما كانوا في الدنيا، ولما ذكر أن هذه الجنة تخالف جنات الدنيا.. ذكر الدواعي التي توجب استحقاقها فقال: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ﴾؛ أي: هذه الجنة التي وصفت بهذه الصفات الشريفة هي ﴿ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾؛ أي: مجتنباً عن الشرك والمعاصي، مطيعاً لله تعالى؛ أي: نورثها ونعطيها بغير اختيار الوارث من كان من أهل التقوى من عبادنا؛ أي: هي التي نجعلها ملكاً وميراثاً لعبادنا المتقين، الذين يطيعون الله في السر والعلن، ويحمدونه على السراء والضراء، كملك الميراث الذي هو أقوى تمليك، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: نورث من كان تقياً من عبادنا، والمعنى[3]:

---

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به، قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف قال ﴿نُورِثُ﴾ والميراث ما انتقل من شخص إلى شخص؟ والجواب أن هذا على وجه التشبيه، أراد أن الأعمال سبب لها، كالنسب سبب ملك بلا كسب ولا تكلف، وكذا الجنة عطاء من الله ورحمة منه، خلافاً للقدرية. انتهى.

وجاء بمعنى الآية قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى أن قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿نُورِثُ﴾ مضارع أورث وقرأ الأعمش: ﴿نورثها﴾ بإبراز الضمير العائد على الموصول، وقرأ الحسن، والأعرج، وقتادة، ورويس، وحميد، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة، ومحبوب عن أبي عمرو: بفتح الواو وتشديد الراء المكسورة، من ورث المضعف.

قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾؛ أي: قال الله سبحانه: قل يا جبريل لمحمد جواباً عن استبطائه لنزولك: وما تتنزل الملائكة يا محمد بالوحي على الرسل وقتاً بعد وقت ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وإذنه وإرادته على ما تقتضيه حكمته، وتدعو إليه مصلحة عباده، ويكون فيه الخير لهم. في دينهم ودنياهم، وقرأ الجمهور: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ بالنون عن جبريل نفسه والملائكة، وقرأ الأعرج ﴿يتنزل﴾ بالياء على أنه خبر من الله تعالى، ذكره في «البحر» ثم علل الملك ذلك بقوله: ﴿لَهُۥ﴾ سبحانه وتعالى لا لغيره ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من الأزمنة المستقبلة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من الأزمنة الماضية ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بين الأيدي والخلف من الأزمنة الحاضرة فلا ننزل في زمانٍ دون زمان إلا بإذنه، فهو المدبر لنا في جميع الأزمنة، أو المعنى[2]؛ أي: لربك ما قدامنا وما خلفنا من الجهات، وما نحن فيه فلا ننتقل من جهة إلى جهة، ومن مكان إلى مكان، إلا بأمره ومشيئته.

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراح.

وقصارى ذلك: أن أمرنا موكول إلى الله تعالى، يتصرف فينا بحسب مشيئته وإرادته، لا اعتراض لأحد عليه، فلا ننتقل من مكان إلى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان إلا بإذنه عز وجل، وقيل المعنى[1]: له ما سلف من أمر الدنيا، وما يستقبل من أمر الآخرة، وما بين ذلك، وهو ما بين النفختين، وقيل: الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا، والسماء التي وراءنا، وما بين السماء والأرض، وقيل: ما مضى من أعمارنا وما غبر منها، والحالة التي نحن فيها، وعلى هذه الأقوال كلها يكون المعنى: أن الله سبحانه هو المحيط بكل شيء، لا يخفى عليه خافيةٌ ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة، فلا نقدم على أمر إلا بإذنه، وقال: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ولم يقل: وما بين ذينك بالتثنية، لأن المراد: وما بين ما ذكرنا كما في قوله سبحانه ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿نَسِيًّا﴾؛ أي: تاركاً لك بتأخير الوحي عنك، فعدم النزول لعدم الأمر به لحكمةٍ بالغةٍ فيه، قال أهل التفسير[2]: ﴿نَسِيًّا﴾ فعيل بمعنى فاعل من النسيان بمعنى: الترك؛ أي: تاركاً لك كما زعمت الكفرة، وإن تأخر الوحي عنك لمصلحة، أو بمعنى نقيض الذكر الذي هو الغفلة؛ أي: غافلاً عنك، والمعنى؛ أي: إنه[3] تعالى لإحاطة علمه بملكه لا يطرأ عليه غفلة ولا نيسان، حتى يغفل عنك، وعن الإيحاء إليك، وإنما كان تأخير الوحي لحكمة علمها جل شأنه.

أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني في جماعة آخرين، عن أبي الدرداء مرفوعاً قال: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرمه فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً، ثم تلا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾».

ثم أقام الدليل على ما تقدم بقوله هو سبحانه ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مالكهما وخالقهما، فهو: خبر لمبتدأ محذوف كما قدرنا ﴿وَ﴾ خالق ﴿مَا

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.

بينهما﴾؛ أي: ما بين السموات والأرض، ومالكه، ومن كان كذلك فالنسيان محال عليه، فإن من بيده ملكوت كل شيء، كيف يتصور أن تحوم حوله الغفلة والنسيان: ثم بيَّن ما ينبغي لرسوله أن يفعله بعد أن عرف هذا من عبادته والصبر عليها، فقال: ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ (الفاء) فيه فاء الفصيحة؛ أي: إذا عرفت يا محمد أنه الرب المسيطر على ما في السموات والأرض، وما بينهما، والقابض على أعنتها، وأردت بيان ما ينبغي لك.. فأقول لك أعبده ـ سبحانه وتعالى ـ واثبت على عبادته، والعبادة: قيام العبد بما تعبد به وتكلف من امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ بجسدك ونفسك وقلبك وسرك وروحك، فعبادة جسدك إياه بأركان الشريعة، وهي الائتمار بما أمرك الله به، والانتهاء عما نهاك عنه، وعبادة نفسك بآداب الطريقة، وهي ترك موافقة هواها، ولزوم مخالفة هواها، وعبادة القلب الإعراض عن الدنيا وما فيها، والإقبال على الآخرة ومكارمها، وعبادة السر خلوّه عن تعلقات الكونين اتصالاً بالله تعالى، ومحبةً. وعبادة الروح: ببذل الوجود لنيل الشهود ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: واصبر على مشاقها وشدائدها، ولا تحزن بإبطاء الوحي واستهزاء الكفرة، وشماتتهم بك، فإنه يراقبك ويراعيك، ويلطف بك في الدنيا والآخرة، وإياك أن يصدك عنها ما يحدث من إبطاء الوحي وتقوُّل المشركين الخراصين عن سببه.

وتعدية[1] الاصطبار باللام، لا بحرف الاستعلاء كقوله: ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَآ﴾ لتضمنه معنى الثبات للعبادة، فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق، كقولك للمبارز اصطبر لقرنك؛ أي: أثبت له فيما يورد عليك من شدائده وحملانه.

ثم أكد الأمر بالعبادة بقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾؛ أي: هل تعلم يا محمد للرب سبحانه ﴿سَمِيًّا﴾؛ أي: مشاركاً له في اسمه؛ أي: في تسميته بلفظ الجلالة، أو برب السموات والأرض، والاستفهام[2] فيه للإنكار، والمعنى: أنه ليس له مثل

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

ولا نظير حتى يشاركه في العبادة، فيلزم من ذلك أن تكون غير خالصة له سبحانه، فلما انتفى المشارك استحق الله سبحانه أن يفرد بالعبادة، وتخلص له، وهذا مبني على أن المراد بالسمي هو الشريك في المسمى، وقيل: المراد به: الشريك في الاسم كما هو الظاهر من لغة العرب، فقيل: المعنى إنه لم يسم شيء من الأصنام ولا غيرها بالله قط، يعني: بعد دخول الألف واللام التي عوّضت عن الهمزة، ولزمت، وقيل: المراد هل تعلم أحداً اسمه الرحمٰن غيره.

قال الزجاج: تأويله ـ والله أعلم ـ هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له خالق، وقادر، وعالم بما كان وبما يكون، وعلى هذا لا سمي لله في جميع أسمائه، لأن غيره وإن سمي بشيء من أسمائه فلله سبحانه حقيقة ذلك الوصف، والمراد بنفي العلم المستفاد من الإنكار هنا نفي المعلوم على أبلغ وجه وأكمله.

والمعنى[1]: هل تعلم له سبحانه شبيهاً ومثلاً يستحق العبادة، لكونه منعماً متفضلاً بجليل النعم وحقيرها، ومن ثم يجب تعظيمه غاية التعظيم، بالاعتراف بربوبيته، والخضوع لسلطانه، روي[2] أن بعض الجبابرة سمى نفسه بلفظ الجلالة فصهر ما في بطنه من دبره، وهلك من ساعته. وقال فرعون مصر للقبط: أنا ربكم الأعلى، ولم يقدر أن يقول أنا الله.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ﴾ بإظهار اللام عند التاء، وقرأ الأخوان حمزة، والكسائي، وهشام وعلي بن نصر، وهارون كلاهما عن أبي عمرو، والحسن، والأعمش، وعيسى، وابن محيصن: بالإدغام فيهما قال أبو عبيدة: لغتان، وعلى الإدغام أنشدوا بيت مزاحم العقيلي:

فَـذَرْ ذَا وَلَـكِـنْ هَـلْ تُـعِـيْـنُ مُـتَـيَّـمَـاً   عَـلَىٰ ضَـوْءِ بَـرْقٍ آخِـرَ ٱللَّـيْـلِ نَـاصِـبِ

﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ بطريق الإنكار والاستبعاد للبعث، وهو أبيّ بن خلف حين فتّ عظماً بالياً فقال: يزعم محمد أنا نبعث بعدما نموت ونصير إلى هذه الحال!

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) البحر المحيط.

فأل فيه للتعريف العهدي وقيل[1]: اللام في الإنسان للجنس بأسره وإن لم يقل هذه المقالة إلا البعض وهم الكفرة، فقد يسند للجماعة ما قام بواحدٍ منهم ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ وكنت رميماً ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ﴾ من القبر حالة كوني ﴿حَيًّا﴾ وتقديم[2] الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار، لما أن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة، وانتصابه بفعلٍ دل عليه ﴿أُخْرَجُ﴾ وهو البعث لا به فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها لصدارتها، وهي في الأصل: للحال، وهٰهنا للتأكيد المجرد؛ أي: لتأكيد معنى همزة الإنكار في ﴿أَءِذَا﴾ ولذا جاز اقترانها بسوف الذي هو حرف الاستقبال، وفي «التكملة» اللام في قوله تعالى: ﴿لَسَوْفَ﴾ ليست للتأكيد فإنه منكر، فكيف يحقق ما ينكر، وإنما كلامه حكاية لكلام النبي ﷺ كأنه ﷺ قال: إن الإنسان إذا مات لسوف يخرج حياً، فأنكل الكافر ذلك، وحكى قوله فنزلت الآية على ذلك. حكاه الجرجاني في كتاب «نظم القرآن».

قال في «بحر العلوم[3]»: لما كانت هذه اللام لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة، ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر.. وجب تقدير مبتدأ وخبر، وأن يكون أصله لأنا سوف أخرج حياً وما في ﴿أَءِذَا مَا﴾ للتوكيد أيضاً وتكرير التوكيد إنكار على إنكار. انتهى ﴿والهمزة﴾ في قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ للاستفهام الإنكاري التوبيخي، داخلة على محذول و(الواو) عاطفة للجملة المنفية على ذلك المحذوف، والذكر في الأصل هو العلم بما قد علم من قبل، ثم تخلله سهو وهم ما كانوا عالمين، فالمراد به هنا التذكر والتفكر، والتقدير: أيقول الإنسان ذلك الكلام؛ أعني قوله: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾؛ أي: أيقول ذلك ولا يتفكر ولا يتذكر ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ﴾ وأوجدناه من نطفة منتنة ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هذه الحالة التي هو فيها الآن، وهي حالة بقائه ﴿و﴾ الحال أنه ﴿لم يك شيئاً﴾ موجوداً بل كان عدماً صرفاً، فيعلم أن من قدر على الابتداء من غير سبق مادة قدر على الإعادة بجمع المواد بعد تفريقها، وفي

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.
(٣) السمرقندي.

هذا دليل على صحة القياس، حيث، أنكر عليه جهله في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى، فيستدل به على البعث والإعادة، قيل: لو اجتمع الخلق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار.. ما قدروا.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ﴾ أصله[1]: لم يكن، حذفت النون تخفيفاً لكثرة الاستعمال، أو تشبيهاً بحروف العلة في امتداد الصوت، وقال الرضي: النون مشابه للواو في الغنة.

والمعنى: أي[2] أيقول ذلك ولا يتفكر الإنسان المجترىء على ربه المنكر لتلك الإعادة بعد الفناء، وللأحياء بعد الممات، أن الله خلقه من قبل مماته، فأنشأه بشراً سوياً من غير شيءٍ، فليعتبر بذلك، وليعلم أن من أنشأه كذلك لا يعجز عن إحيائه بعد مماته، وإيجاده بعد فنائه.

والخلاصة: أي[3] ألا يتفكر هذا الجاحد في أول خلقه، فيستدل بالابتداء على الإعادة، والابتداء أعجب وأغرب من الإعادة، لأن النشأة الأولى هي إخراج لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود، ابتداعاً وإختراعاً، لم يتقدم عليه ما يكون كالمثال له، وأما النشأة الآخرة، فقد تقدم عليها النشأة الأولى، فكانت كالمثال لها.

وقرأ الجمهور[4]: ﴿أَءِذَا﴾ بهمزة الاستفهام وقرأت فرقة ـ منهم ابن ذكوان بخلافٍ عنه ـ: ﴿إذا﴾ بدون همزة الاستفهام، وقرأ الجمهور: ﴿لَسَوْفَ﴾ باللام، وقرأ طلحة بن مصرف ﴿سأخرج﴾ بغير لام وسين الاستقبال عوض سوف، فعلى قراءته تكون إذا معمولاً لقوله: ﴿سأخرج﴾ لأن حرف التنفيس لا يمنع من عمل ما بعده من الفعل فيما قبله، على أن فيه خلافاً شاذاً، وصاحبه محجوج بالسماع، قال الشاعر:

فَلَمَّا رَأَتْهُ آمِناً هَانَ وَجْدُهَا وَقَالَتْ أَبُوْنَا هَكَذَا سَوْفَ يَفْعَلُ

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) الشوكاني.

(٤) البحر المحيط.

فهكذا منصوب بيفعل، وهو بحرف التنفيس، وحكى الزمخشري: أن طلحة بن مصرف قرأ: ﴿لسأخرج﴾ وقال الزمخشري: فإن قلت: لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال، فكيف جامعت حرف الاستقبال؟ قلت: لم تجامعها إلا مخلصةً للتوكيد، كما أخلصت الهمزة في يا ألله للتعويض واضمحلّ عنها معنى التعريف. انتهى وقرأ الجمهور ﴿أُخْرَجُ﴾ مبنياً للمفعول، وقرأ الحسن، وأبو حيوة: مبنياً للفاعل، وقرأ أبو بحرية، والحسن، وشيبة، وابن أبي ليلى، وابن مناذر، وأبو حاتم، ومن السبعة عاصم، وابن عامر، ونافع ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ خفيفاً مضارع ذكر، وقرأ باقي السبعة، بفتح الذال والكاف وتشديدهما، أصله: يتذكر أدغم التاء في الذال، وقرأ أبيّ ﴿يتذكر﴾ على الأصل، قال الزمخشري: الواو عاطفة ﴿لا يذكر﴾ على يقول، ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف.

وهذا رجوع منه إلى مذهب الجماعة، من أن حرف العطف إذا تقدمته الهمزة فإنما عطف ما بعدها على ما قبلها، وقدمت الهمزة لأن لها صدر الكلام، وكان مذهبه أن يقدر بين الهمزة والحرف ما يصلح أن يُعطف عليه ما بعد الواو، فيُقرَّ الهمزة على حالها، وليست مقدمةً من تأخير، وقد رددنا عليه هذه المقالة، ثم لما جاء ـ سبحانه وتعالى ـ بهذه الحجة التي أجمع العقلاءُ على أنه لم يكن في حجج البعث حجة أقوى منها. . أكدها بالقسم باسمه سبحانه مضافاً إلى رسوله تشريفاً وتعظيماً، فقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾؛ أي: فأقسمت لك يا محمد بربك ومالك أمرك لنحشرن هؤلاء القائلين بعدم البعث، أي: لنجمعنهم بالسوق إلى المحشر، ومعنى[1]: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ لنسوقنهم إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياءً، كما كانوا، (والواو) في قوله: ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ للعطف على الضمير المنصوب، أو بمعنى مع، روي أن كل كافر يحشر مع شيطانه الذي يضله في سلسلة.

---

(١) الشوكاني.

والمعنى: أن هؤلاء الجاحدين يحشرهم الله تعالى مع شياطينهم الذين أغووهم وأضلوهم، وهذا ظاهر على جعل اللام في الإنسان للعهد، وهو الإنسان الكافر، وأما على جعلها للجنس فلكونه قد وُجد في الجنس من يحشر مع شيطانه ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ بعد الوقوف الطويل في المحشر ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها حال كونهم ﴿جِثِيًّا﴾؛ أي: جالسين[1] على الركب إهانةً لهم، أو لما يعرضهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم، جمع جاث، من جثا يجثو ويجثى جثواً وجثياً فيهما، جلس على ركبتيه، كما في «القاموس» وعن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿جِثِيًّا﴾؛ أي: جماعات جماعاتٍ، جمع جثوة وهي الجماعة أو المجموع، من الشراب أو الحجارة ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾؛ أي: لنأخذن ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾؛ أي: من كل فرقةٍ وجماعة منهم ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: من هو أشد على الرحمٰن الذي غمرهم إحسانه ﴿عِتِيًّا﴾؛ أي: تكبراً وجراءةً على المعاصي ومجاوزة للحدود التي سنها لخلقه، والشيعة: الفرقة تبعت ديناً من الأديان، وخصص ذلك الزمخشري فقال: هي الطائفة التي شايعت؛ أي: تبعت غاوياً من الغواة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ ومعنى ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾؛ أي: ثم لنخرجن من كل أمة من كان أعصى لله وأعتى، فإنه ينزع من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم وأعتاهم، فإذا اجتمعوا طرحهم في جهنم، والعتي ها هنا مصدر كالعتو، وهو: التمرد في العصيان، وقيل: المعنى: لننزعن من كل أهل دين قادتهم ورؤساءَهم في الشر، وقصارى[2] ذلك أن الله تعالى يحضرهم أولاً حول جهنم، ثم يميز بعضهم عن بعض، فمن كان أشدهم تمرداً في كفره.. خص بعذاب أعظم، فعذاب الضال المضل فوق عذاب من يضل بالتبع لغيره.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص[3]: ﴿جِثِيًّا﴾ و﴿عِتِيًّا﴾ و﴿صِلِيًّا﴾ بكسر الجيم والعين والصاد، والجمهور: بضمها وقرأ الجمهور ﴿أَيُّهُمْ﴾ بالرفع، وهي حركة

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

بناء على مذهب سيبويه، وحركة إعراب على مذهب الخليل ويونس، وقرأ طلحة بن مصرف، ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء، وزائدة، عن الأعمش ﴿أيهم﴾ بالنصب مفعولاً بـ﴿لننزعن﴾ ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ﴾ وأحق ﴿بِهَا﴾؛ أي: بجهنم ﴿صِلِيًّا﴾؛ أي: دخولاً، فنبدأ بهم وهم المنتزعون من كل شيعة، والمعنى؛ أي: ثم لنحن العالمون بظواهر أعمالهم وبواطنها، وبما اجترحوا من السيئات، وبما دسوا به أنفسهم من الموبقات، وبمن هم أولى بجهنم دخولاً واحتراقاً، فنبدأ بهم أولاً، ثم بمن يليهم.

وخلاصة ذلك: أنهم جميعاً يستحقون العذاب، لكنا ندخلهم في جهنم بحسب عتيهم وتجبرهم في كفرهم، ثم خاطب سبحانه الناس جميعاً، فقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾؛ أي: وما منكم أيها الناس، وقيل: القسم فيه مضمر؛ أي: والله ما منكم من أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾؛ أي: واصل جهنم وداخلها ﴿كَانَ﴾ ورودهم إياها ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿حَتْمًا﴾؛ أي: أمراً محتوماً، أوجبه الله سبحانه على نفسه، بمقتضى وعيده ﴿مَّقْضِيًّا﴾؛ أي: مفروغاً منه قضاؤه، حتى إنه لا بد من وقوعه البتة؛ أي[1]: وما أحد منكم أيها الناس إلا يدنو من جهنم، ويصير حولها، قد قضى ربك بذلك، وجعله أمراً محتوماً مفروغاً منه، روى السدي عن ابن مسعود قال: «يرد الناس جميعاً الصراط، ويقومون حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل...» في حديث طويل، وقال رسول الله ﷺ: «يرد الناس كلهم النار ثم يصدرون بأعمالهم».

ولا يخفى[2] أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط، أو الورود على جهنم وهي خامدة فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة، فينبغي حمل هذه الآية على ذلك، لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار، مع كون الداخل من المؤمنين مبعداً من عذابها، أو بحمله على المضي فوق الجسر

(١) المراغي.
(٢) الشوكاني.

المنصوب عليها وهو الصراط.

﴿ثُمَّ﴾ إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة، على قدر ما اجترحوا من الآثام والذنوب ﴿نُنَجِّى﴾ نحن ونسلم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ الشرك والمعاصي منها بحسب أعمالهم ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: ونترك الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في نار جهنم ﴿جِثِيًّا﴾؛ أي: جاثين جالسين على الركب كما جاؤوا، فإن قلت[1]: إذا لم يكن في دخول المؤمنين عذاب، فما الفائدة فيه؟.

قلت: فيه وجوه:

الأول: أن يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه.

الثاني: يزيد غم أهل النار، لظهور فضيحتهم عند المؤمنين الذين يخوفونهم بالنار.

والثالث: يرون أعداءَهم المؤمنين قد تخلصوا منها، وهم يبقون فيها.

والرابع: أن المؤمنين إذا كانوا معهم فيها.. بكتوهم فيزداد غمهم.

والخامس: أن مشاهدة عذابهم توجب مزيد التذاذهم بنعيم الجنة.

وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وجماعة[2]: ﴿وإن منهم﴾ بالهاء للغيبة على ما تقدم من الضمائر، وقرأ الجمهور: ﴿ثُمَّ﴾ بحرف العطف، وهذا يدل على أن الورود عام، وقرأ عبد الله، وابن عباس، وأبي، وعلي، والجحدري، وابن أبي ليلى، ومعاوية بن قرة، ويعقوب ﴿ثَمَّ﴾؛ أي: هناك، ووقف ابن أبي ليلى ﴿ثمة﴾ بهاء السكت، وقرأ الجمهور: ﴿نُنَجِّى﴾ بفتح النون وتشديد الجيم، وقرأ يحيىٰ، والأعمش، والكسائي، وابن محيصن: بإسكان النون وتخفيف الجيم، وقرأ فرقة ﴿نجي﴾ بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة وقرأ علي ﴿ننحي﴾ بحاء مهملة مضارع نحَّى.

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

الإعراب

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿اذكر﴾: فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ متعلق بـ﴿اذكر﴾، ﴿مُوسَىٰٓ﴾: مفعول به ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾. ﴿مُخْلَصًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾: فعل ناقص وخبره واسمه ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾ والجملة: معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾ الأولى ﴿نَّبِيًّا﴾ خبر ثان لـ﴿كَانَ﴾ ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾ الأولى ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿ناديناه﴾. ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ صفة لـ﴿جَانِبِ﴾ ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿ناديناه﴾. ﴿نَجِيًّا﴾ حال من أحد الضميرين في ﴿ناديناه﴾ ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾ وهو فعيل بمعنى فاعل؛ أي: مناجياً ﴿وَوَهَبْنَا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿ناديناه﴾. ﴿لَهُۥ﴾ متعلق بـ﴿وَهَبْنَا﴾. ﴿مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ متعلق بـ﴿وَهَبْنَا﴾ أيضاً ومعنى ﴿مِن﴾ هنا للتبعيض؛ أي: بعض رحمتنا، أو للتعليل؛ أي: من أجل رحمتنا إياه ﴿أَخَاهُ﴾ مفعول به لـ﴿وَهَبْنَا﴾. ﴿هَٰرُونَ﴾ بدل من ﴿أَخَاهُ﴾. ﴿نَبِيًّا﴾ حال من ﴿هَٰرُونَ﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ﴾ فعل أمر ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ متعلق به وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ مفعول به والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه ﴿كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾: فعل ناقص وخبره واسمه ضمير يعود على إسماعيل وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ فعل ناقص وخبره ﴿نَّبِيًّا﴾: خبر ثان له واسمه

ضمير يعود على ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾ الأولى ﴿وَكَانَ﴾: فعل ناقص معطوف على ﴿كَانَ﴾: الأولى واسمه ضمير يعود على ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾. ﴿يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾: فعل ومفعول به وفاعله ضمير يعود على ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ وجملة ﴿يَأْمُرُ﴾ في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ متعلق بـ﴿يأمر﴾ ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾: معطوف على ﴿الصلاةِ﴾، ﴿وَكَانَ﴾: فعل ناقص معطوف على ﴿كَانَ﴾ الأولى واسمه ضمير يعود على ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾. ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿مَرْضِيًّا﴾. ﴿مَرْضِيًّا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ﴾ فعل أمر معطوف على ﴿اذكر﴾ الأول وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: متعلق به ﴿إِدْرِيسَ﴾: مفعول به ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ صِدِّيقًا﴾: فعل ناقص وخبره ﴿نَّبِيًّا﴾: خبر ثان له واسمه ضمير يعود على ﴿إِدْرِيسَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها ﴿وَرَفَعْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به ﴿مَكَانًا﴾: منصوب على الظرفية المكانية متعلق بـ﴿رفعناه﴾. ﴿عَلِيًّا﴾: صفة لـ﴿مَكَانًا﴾ وجملة ﴿رفعناه﴾ في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ والخطاب لمحمد ﷺ واسم الإشارة: واقع على الأنبياء المذكورين في هذه السورة، وهم عشرة: أولهم في الذكر زكريا وآخرهم إدريس ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع خبر المبتدأ، أو بدل من اسم الإشارة، والجملة الاسمية، مستأنفة ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلق بـ﴿أَنْعَمَ﴾: والجملة صلة الموصول ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ حال من الموصول ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾: بدل ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ بإعادة الجار، ﴿وَمِمَّنْ﴾: جار ومجرور معطوف على الجار والمجرور في قوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾. ﴿حَمَلْنَا﴾: فعل وفاعل والجملة: صلة الموصول، والعائد: محذوف تقديره: وممن حملناه ﴿مَعَ نُوحٍ﴾ ظرف متعلق

بـ﴿حَمَلْنَا﴾ ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، معطوف على قوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾: معطوف على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ معطوف على قوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ ﴿هَدَيْنَا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول والعائد محذوف تقديره: هديناهم ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾: معطوف على ﴿هَدَيْنَا﴾. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿تُتْلَىٰ﴾ فعل مضارع مغير الصيغة ﴿عَلَيْهِمْ﴾، متعلق به ﴿ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ نائب فاعل ومضاف إليه، والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذَا﴾ على كونه فعل شرط لها والظرف متعلق بالجواب الآتي ﴿خَرُّوا۟﴾ فعل وفاعل ﴿سُجَّدًا﴾ حال من فاعل ﴿خَرُّوا۟﴾. ﴿وَبُكِيًّا﴾ معطوف على ﴿سُجَّدًا﴾ وجملة ﴿خَرُّوا۟﴾: جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب وجملة ﴿إِذَا﴾ مع جوابها: مستأنفة لا محل لها من الإعراب إذا أعربنا ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبراً وإذا أعربنا ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلاً فتكون هي الخبر.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾.

﴿فَخَلَفَ﴾ (الفاء) عاطفة أو استئنافية ﴿خلف﴾: فعل ماض ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خلف﴾ أو حال من ﴿خَلْفٌ﴾. ﴿خَلْفٌ﴾: فاعل والجملة: معطوفة على جملة الصلة في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾: أو مستأنفة ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به والجملة في محل الرفع صفة لـ﴿خَلْفٌ﴾. ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. ﴿فَسَوْفَ﴾ الفاء: فاء الفصيحة لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره إذا عرفت قبائح هؤلاء الخلف وأردت بيان عاقبتهم.. فأقول لك ﴿سوف يلقون﴾. ﴿سوف﴾: حرف تنفيس واستقبال ﴿يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة: إذا المقدرة: مستأنفة ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء متصل على الراجح ﴿مَن﴾ اسم موصول في محل النصب على الاستثناء من فاعل ﴿يَلْقَوْنَ﴾ مبني على السكون ﴿تَابَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾ والجملة صلة الموصول ﴿وَءَامَنَ﴾ فعل ماض معطوف على ﴿تَابَ﴾ وكذلك ﴿وَعَمِلَ﴾: معطوف عليه ﴿صَٰلِحًا﴾: مفعول به أو مفعول مطلق؛

أي: عملاً صالحاً ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت هذا الاستثناء وأردت بيان عاقبتهم.. فأقول لك ﴿أولئك﴾. ﴿أولئك﴾: مبتدأ ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول والجملة: في محل الرفع خبر المبتدأ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿يَدْخُلُونَ﴾. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول مطلق ولك أن تجعله مفعولاً ثانياً بتضمين ﴿يُظْلَمُونَ﴾ معنى ينقصون، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة استئنافاً بيانياً.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾.

﴿جَنَّٰتِ﴾: بدل من الجنة منصوب بالكسرة ﴿عَدْنٍ﴾: مضاف إليه من عدن بالمكان إذا أقام، وقد جرى مجرى العلم، ولذلك ساغ وصفها بالتي ﴿ٱلَّتِى﴾ صفة لـ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ ﴿وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول والجملة الفعلية: صلة الموصول والعائد محذوف تقديره: وعدها الرحمٰن عباده ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: جار ومجرور حال من ﴿عِبَادَهُۥ﴾؛ أي: وعدهم إياها وهم غائبون عنها لا يرونها، أو حال من ضمير ﴿الجنة﴾ العائد على الموصول؛ أي: وعدها إياهم وهي غائبة عنهم ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، والضمير في إنه يعود على ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ والمعنى. إن الرحمٰن كان وعده مأتياً، أو على الشأن، لأنه مقام تعظيم وتفخيم ﴿لَّا يَسْمَعُونَ﴾: فعل وفاعل والجملة: في محل النصب حال من ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: حالة كونهم في الجنة ﴿لَغْوًا﴾: مفعول به لـ﴿يَسْمَعُونَ﴾ ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع ﴿سَلَٰمًا﴾ منصوب على الاستثناء ﴿وَلَهُمْ﴾ خبر مقدم ﴿رِزْقُهُمْ﴾: مبتدأ مؤخر ﴿فِيهَا﴾: حال من ضمير ﴿رِزْقُهُمْ﴾؛ أي: حالة كونهم مستقرين فيها، والجملة: مستأنفة ﴿بُكْرَةً﴾ ظرف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر في قوله ﴿لَهُمْ﴾. ﴿وَعَشِيًّا﴾ معطوف على ﴿بُكْرَةً﴾.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾: مبتدأ وخبره، والجملة: مستأنفة ﴿ٱلَّتِى﴾: صفة لـ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾. ﴿نُورِثُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله ولجملة: صلة الموصول، والعائد: محذوف تقديره: نورثها ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ جار ومجرور حال من اسم ﴿كَانَ﴾ ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿نُورِثُ﴾ ﴿كَانَ﴾. فعل ماض ناقص واسمها ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿تَقِيًّا﴾ خبرها وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة الموصول.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ الواو: استئنافية ﴿مَا﴾ نافية ﴿نَتَنَزَّلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على جبريل ومن معه من الملائكة، والجملة: مستأنفة ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء من أعم الأحوال ﴿بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿نَتَنَزَّلُ﴾؛ أي: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ في حال من الأحوال إلا في حالة كوننا متلبسين ﴿بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وإذنه ﴿لَهُۥ﴾ جار ومجرور خبر مقدم ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر والجملة: في محل النصب حال من ﴿رَبِّكَ﴾. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ﴿أَيْدِينَا﴾: مضاف إليه للظرف ﴿وَمَآ﴾ (الواو) عاطفة ﴿مَا﴾ موصول في محل الرفع معطوف على ما الموصولة في قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ ﴿خَلْفَنَا﴾: ظرف ومضاف إليه صلة لـ﴿مَا﴾ ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: معطوف أيضاً على ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ ﴿وَمَا﴾ الواو: عاطفة ﴿كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة: معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿وَمَا﴾ اسم موصول في محل الجر معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾ ظرف ومضاف إليه، صلة الموصول ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾: (الفاء): فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره، إذا عرفت أنه مالك السموات والأرض، وأردت بيان ما هو اللازم لك في حقه سبحانه: فأقول لك ﴿اعبده﴾ ﴿أعبده﴾: فعل أمر ومفعول به وفاعله ضمير يعود على محمد،

والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾: فعل أمر معطوف على ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾. وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿اصطبر﴾. ﴿هَلۡ﴾: حرف للاستفهام الإنكاري ﴿تَعۡلَمُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني، لـ﴿تَعۡلَمُ﴾ ﴿سَمِيّٗا﴾ مفعول أول له والجملة الفعلية: جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب.

﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾﴾.

﴿وَيَقُولُ﴾ الواو: استئنافية ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ فعل وفاعل والجملة: مستأنفة ﴿أَءِذَا﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان متعلق بفعل محذوف دل عليه قوله ﴿لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ﴾؛ لأن (اللام): تمنع من تعلقه بـ﴿أُخۡرَجُ﴾ المذكور بعده لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها، والتقدير: أإذا ما مت أبعث ﴿مَا﴾: زائدة ﴿مِتُّ﴾ فعل وفاعل في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذا﴾ على كونه فعل شرط لها ﴿لَسَوۡفَ﴾: اللام حرف ابتداء جيء بها لمجرد تأكيد الإنكار ﴿سوف﴾ حرف استقبال ﴿أُخۡرَجُ﴾ فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله: ضمير يعود على الإنسان ﴿حَيًّا﴾: حال من فاعل ﴿أُخۡرَجُ﴾ وجملة ﴿أُخۡرَجُ﴾: دال على جواب إذا لا محل لها من الإعراب، أو هي الجواب، واللام زائدة، والتقدير: أأخرج حيا وقت موتي، وجملة ﴿إِذَا﴾ في محل النصب مقول ﴿يَقُولُ﴾ وساغ اجتماع اللام وهي تمحض الفعل للحال وسوف وهي تمحضه للاستقبال، لأن اللام هنا لمجرد التوكيد، وإنما جردت اللام من معناها لتلائم ﴿سوف﴾ دون أن تجرد ﴿سوف﴾ من معناها لتلائم اللام لأنه لو عُكس هكذا للغت ﴿سوف﴾ إذ لا معنى لها سوى الاستقبال، وأما اللام فإنها إذا جردت من الحال.. بقي لها التوكيد فلم تلغ، ﴿أَوَلَا﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، ﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف ﴿لا﴾ نافية ﴿يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: فعل وفاعل والجملة: معطوفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أيقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حياً، ولا يذكر أنا خلقنا.. إلخ. والجملة. المحذوفة: مستأنفة لا محل لها من الإعراب ﴿أَنَّا﴾: ناصب واسمه ﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾: فعل وفاعل

ومفعول ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلق بـ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ وجملة ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾: في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ وجملة: ﴿أن﴾ في تأويل مصدر منصوب على المفعولية فـ﴿يذكر﴾ والتقدير: أولا يذكر الإنسان خلقنا إياه من قبل ﴿وَلَمْ﴾ ﴿الواو﴾: حالية ﴿لم﴾ حرف نفي وجزم ﴿يَكُ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لم﴾: وعلامة جزمه سكون ظاهر على النون المحذوفة للتخفيف هي فعل من الأفعال الناقصة والناسخة، واسمها ضمير يعود على ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾. ﴿شَيْـًٔا﴾: خبرها والجملة في محل النصب حال من مفعول ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾.

﴿فَوَرَبِّكَ﴾ الفاء: استئنافية. ﴿الواو﴾: حرف جر وقسم ﴿رَبِّكَ﴾ مقسم به مجرور بواو القسم، الجار والمجرور متعلق بفعل قسم محذوف تقديره أقسم بربك يا محمد، والجملة المحذوفة: مستأنفة ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: اللام موطئة للقسم ﴿نحشرن﴾: فعل مضارع في محل الرفع، لتجرده عن الناصب والجازم، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله: ضمير يعود على الله، والهاء: ضمير الغائبين في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية: جواب القسم لا محل لها من الإعراب ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: معطوف على ضمير الغائبين، أو الواو واو المعية ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: مفعول معه ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف و﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ ﴿اللام﴾: موطئة للقسم ﴿نحضرنهم﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ونون توكيد ومفعول به معطوف على ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾. ﴿حَوْلَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ﴿نحضرن﴾ ﴿جَهَنَّمَ﴾: مضاف إليه ﴿جِثِيًّا﴾: حال من هاء ﴿نحضرنهم﴾.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ اللام: موطئة للقسم ﴿ننزعن﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله: ضمير يعود على الله والجملة: معطوفة على جملة ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾. ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: جار ومجرور إليه متعلق بـ﴿ننزعن﴾. ﴿أَيُّهُمْ﴾ ﴿أَيُّ﴾: اسم موصول بمعنى الذي في محل النصب مفعول به، مبني على الضم، لشبهه بالحرف شبهاً افتقارياً لافتقارها إلى جملة

الصلة، وإنما حركت ليعلم أن لها أصلاً في الإعراب، وكانت الحركة ضمة إيثاراً لها بأقوى الحركات، والهاء مضاف إليه، والميم للجمع ﴿أَشَدُّ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو أشد والجملة الاسمية: صلة لأي الموصولة ﴿عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ متعلق بـ﴿أَشَدُّ﴾ ﴿عِتِيًّا﴾: تمييز محول عن المبتدأ المحذوف الذي هو ﴿أَشَدُّ﴾: منصوب باسم التفضيل، والأصل عتوه، أي: جراءَته على الرحمٰن أشد من جراءة غيره.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف ﴿لَنَحْنُ﴾ (اللام) حرف ابتداء ﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ ﴿أَعْلَمُ﴾ خبر والجملة الاسمية: معطوفة على جملة ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾. ﴿بِٱلَّذِينَ﴾ متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾ ﴿هُمْ أَوْلَىٰ﴾: مبتدأ وخبر ﴿بِهَا﴾: متعلق بـ﴿أَوْلَىٰ﴾ ﴿صِلِيًّا﴾ تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل والجملة الاسمية صلة الموصول وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب، لا التخصيص بأصل العذاب لاشتراكهم فيه.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

﴿وَإِن﴾ الواو: استئنافية ﴿إِنْ﴾ نافية بمعنى: ما. ﴿مِّنكُمْ﴾: جار مجرور صفة لمبتدأ محذوف تقديره: وما أحد كائن منكم ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر ﴿وَارِدُهَا﴾ خبر المبتدأ، والجملة: مستأنفة ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير يعود على الورود ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ متعلق بـ﴿حَتْمًا﴾. ﴿حَتْمًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿مَّقْضِيًّا﴾ صفة ﴿حَتْمًا﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ مستأنفة ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب مع تراخ ﴿نُنَجِّي ٱلَّذِينَ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله والجملة: معطوفة على جملة قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ وما بينهما اعتراض ﴿ٱتَّقَوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فعل ومفعول معطوف على ﴿نُنَجِّي﴾: وفاعله ضمير يعود على الله ﴿فِيهَا﴾ متعلق بـ﴿نذر﴾ أو بـ﴿جِثِيًّا﴾. ﴿جِثِيًّا﴾: حال من ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أو مفعول ثان لـ﴿نذر﴾؛ أي: نتركهم فيها ﴿جِثِيًّا﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾؛ أي: إن الله أخلصه واصطفاه، وأبعد عنه الرجس، وطهره من الذنوب والآثام، كما جاء في الآية الأخرى ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ ﴿نَجِيّٗا﴾؛ أي: مناجياً مكلماً لله بلا واسطة، أصله: نجيو من نجا ينجو، اجتمعت حرفا علة فسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً، ثم أدغمت الياء في الياء فصار ﴿نَجِيّٗا﴾.

﴿مَرۡضِيّٗا﴾ العامة على قراءته كذلك معتلاً، وأصله: مرضووٌ بواوين الأولى زائدة كهي في مضروب، والثانية لام الكلمة لأنه من الرضوان، فأعل بقلب الواو الأخيرة ياءً، لوقوعها متطرفةً، فاجتمعت الياء والواو فسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً، فأدغمت الياء في الياء فصار ﴿مَرۡضِيّٗا﴾ ويجوز النطق بالأصل، وقرأ ابن أبي عبلة: بهذا الأصل وهو الأكثر اهـ. «سمين».

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ﴾ قيل سمي إدريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل، وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح، لأنه لو كان إفعيلاً من الدرس.. لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية، فكان منصرفاً، فامتناعه من الصرف دليل على عجمته، وكذلك إبليس أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون، ولا يعقوب من العقب، ولا إسرائيل بإسرال كما زعم ابن السكيت، ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة.. كثرت منه أمثال هذه الهنات، ويجوز أن يكون معنى إدريس في تلك اللغة قريباً من ذلك، فحسبه الراوي مشتقاً من الدرس، وما أجمل حرية الرأي .اهـ من «إعراب القرآن».

﴿سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾: جمع ساجدٍ وباكٍ والأول قياس كراكع وركع وعاذل وعذَّل، والثاني شاذ، لأن قياس فاعل من المنقوص أن يُجمع على فعلة، كقاضٍ وقضاةٍ وباغٍ وبغاةٍ ورامٍ ورماةٍ وساعٍ وسعاةٍ وطاغٍ وطغاةٍ، فقياس باكٍ هنا أن يجمع على بكاةٍ، كما قال ابن مالك.

فِـيْ نَـحْـوِ رَامٍ ذُوْ ٱطِّـرَادٍ فُـعَـلَـهْ

﴿فَخَلَفَ﴾؛ أي: وجد وحدث ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾؛ أي: من بعد النبيين

المذكورين ﴿خلف﴾؛ أي: عقب، وجماعة يستعملون الخلف بسكون اللام كما هنا في الشر، فيقال خلف سوءٍ وبفتحها في الخير، فيقال: خلف صالح قال في «الكشاف» خلفه إذا عقبه، ثم قيل: في عقب الخير خَلَف بالفتح، وفي عقب السوء خلْف بالسكون، كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر، وقال اللحياني: الخلف بفتحتين الولد الصالح، والخلف بفتح فسكون الرديء ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾: كلّ شرٍ عند العرب غي، وكل خيرٍ رشاد، قال المرقش الأصغر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ ٱلنَّاسَ أَمْرُهُ   وَمَنْ يَغْوَ لاَ يَعْدَمْ عَلَىٰ ٱلْغَيِّ لاَئِمَا

﴿جِثِيًّا﴾ على الركب يقال: جثا إذا قعد على ركبتيه، وهي قعدة الخائف الذليل، كما في «البحر» يجثو ويجثي جثواً وجثايةً فهو جمع جاثٍ، وأصله: جثوو إن قلنا من جثا يجثو بواوين قلت الواو الثانية ياءً ثم الأولى كذلك، وأدغمت الياء في الياء، أو جثوى إن قلنا من جثا يجثي، فقلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء، وعلى كلا الوجهين كسرت الثاء لتصح الياء، فالجيم مكسورة ومضمومة: قراءتان سبعيتان ﴿صِلِيًّا﴾؛ أي: دخولاً واحتراقاً، مصدر من صلي، يقال: صلي يصلى صلياً، مثل لقى يلقى لقياً، وصلى يصلي مثل مضى يمضي مضياً، أصله: صلوي اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء، وكسرت اللام لتصح الياء، ويقال: صلى بالنار إذا قاسى حرها ﴿وَارِدُهَا﴾؛ أي: مار عليها ﴿حَتْمًا﴾؛ أي: واجباً ﴿مَقْضِيًّا﴾؛ أي: قضي بوقوعه البتة.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الاستعارة في قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ شبه المكانة العظيمة، والمنزلة السامية بالمكان العالي بطريق الاستعارة.

ومنها: المبالغة في قوله: ﴿صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾؛ أي: مبالغةٌ في الصدق.

ومنها: الإشارة بالبعيد لعلو الرتبة في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ﴾ تنزيلاً لبعد المعنوي منزلة البعد الحسي.

ومنها: الجناس الناقص في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ لتغير الحركات والشكل.

ومنها: تأكيد المدح بما يشبه الذم في قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ وهو قسمان:

أحدهما: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء، صفة مدح لذلك الشيء بتقدير دخولها في صفة الذم المنفية، ومنه قول النابغة الذبياني:

وَلاَ عَيْبَ فِيْهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوْفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوْلٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

فقد جعل الفلول عيباً علي سبيل التجوز، بتاً لنفي العيب بالكلية، كأنه يقول: إن كان فلول السيف من القراع عيباً فإنهم ذوو عيب، معناه: إن لم يكن عيباً فليس فيهم عيب البتة، لأنه لا شيء سوى هذا، فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل.

وثانيهما: أن تثبت لشيء صفة مدحٍ وتعقب ذلك بأداة استثناء، يليها صفة مدحٍ أخرى لذلك الشيء، نحو «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش».

ومنها: التشبيه التمثيلي البليغ في قوله: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ فقد شبه عطاء الجنة لهم بالعطاء الذي لا يرد وهو: الميراث الذي يرثه الوارث، فلا يرجع فيه المورث؛ أي: نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم، كما يُبقى على الوارث مال مورثه، والوراثة أقوى لفظٍ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخٍ ولا استرجاع، ولا تبطل برد ولا إسقاط.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ وبين ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

ومنها: فن القسم في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ وهو: أن يريد المتكلم الحلف على شيء، فيحلف بما يكون فيه، فخر له وتعظيم لشأنه، أو تنويه لقدره، أو ما يكون ذماً لغيره، أو جارياً مجرى الغزل والترقق، أو خارجاً

مخرج الموعظة والزهد، فقد أفاد القسم هنا أمرين:

أحدهما: أن العادة جرت بتأكيد الخبر باليمين.

والثاني: أن في إقسام الله تعالى باسمه مضافاً إلى رسوله ﷺ رفعاً منه لقدره، وتنويهاً بشأنه، كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾.

ومنها: الافتنان في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ والافتنان أن يَفْتنَّ المتكلم، فيأتي في كلامه بفنَّين: إما متضادين أو مختلفين أو متفقين، والآية التي نحن بصددها جمعت بين المتضادين، جمعت بين الوعد والوعيد، وبين التبشير والتحذير، وما يلزم من هذين الفنين من المدح للمختصين بالبشارة، والذم لأهل النذارة.

ومنها: الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ففيه التفات من الغيبة في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ و﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وكان مقتضى السياق ﴿وإن منهم إلا واردها﴾ كما قرأ به عكرمة، وجماعة، لكن الأكثرون على أن المخاطب العالم كلهم كما في «الخازن».

ومنها: ذكر العام وإرادة الخاص في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المراد به الكافر، لأنه هو المنكر للبعث.

ومنها: الطباق بين ﴿مِتُّ﴾ و﴿حَيًّا﴾.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبيخي في قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا الشَّيَٰطِينَ عَلَى الْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما أقام الحجة على مشركي قريش، المتكبرين للبعث بعد الفناء، وللعودة إلى حياة أخرى.. أتبعه بذكر شبهة أخرى قالوها، وعارضوا بها حجة الله التي يشهد بصحتها كل منصف، ويعتقدها من له أدنى مسكة من عقل.

تلك أنهم قالوا: لو كنتم على الحق وكنا على الباطل.. لكان حالكم في

الدنيا أحسن وأطيب من حالنا، من قبل أن الحكيم لا يليق به أن يوقع المخلصين من أوليائه في الذل والمهانة، وأعدائه في العز والراحة، لكنا نجد الأمر على العكس من هذا، فإنا نحن الذين يمتعون برفاهية العيش والرخاء والنعيم، وأنتم في ضنكٍ وفقرٍ وخوفٍ وذلٍ، فهذا دليل على أنا على الحق وأنتم على الباطل وقد رد الله تعالى عليهم مقالتهم بأن الكافرين قبلكم وكانوا أحسن منكم حالاً، وأكثر أموالاً، قد أبادهم الله، وأهلكهم بعذاب الاستئصال، فدل هذا على أن نعيم الدنيا لا يرشد إلى محبة الله لمن أوتوه، ولا إلى أنهم مصطفون له من بين خلقه.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه[1] لما ذكر الدلائل على صحة البعث، ثم أورد شبه المنكرين له وأجاب عنها بما فيه مقنع لكل ذي لب.. أردف ذلك بذكر مقالتهم التي قالوها استهزاءً وطعناً في القول بالحشر والبعث.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر إنكار المشركين للبعث مع قيام الدليل على إمكانه بما نشاهد من أمر الخلق في النشأة الأولى.. أردف ذلك بالرد على عباد الأصنام، الذين اتخذوا أصنامهم آلهة ليعتزوا بهم يوم القيامة عند ربهم، ويكونوا شفعاء لهم لديه، فبيَّن أنهم سيكونون لهم أعداء، وأنه ما جرَّأهم على تلك الغواية إلا وسوسة الشيطان لهم، ثم طلب إلى رسوله أن لا يستعجل المشركين، فإنما هي أنفاس معدودات ثم يهلكون، ثم ذكر ما يحوط المؤمنين من الكرامة حين وفودهم إلى ربهم، وما يحيق بالمشركين من الإهانة حين يرِدون عليه.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما[2] رد على عبدة الأوثان، وأثبت لهم بقاطع

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

الأدلة أنهم في ضلالهم يعمهون، وأنهم عن الحق معرضون.. أردف ذلك بالرد على من أثبت له الولد، كاليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، والنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، والمشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ الآية، مناسبة الآية لما قبلها؛ أن الله سبحانه وتعالى، لما فصَّل أحوال الكافرين في الدنيا والآخرة، وبالغ في الرد عليهم.. ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين وبيّن أنه سبحانه سيغرس محبتهم في قلوب عباده، وبعد أن استقصى في السورة دلائل التوحيد والنبوة والحشر، ورد فيها على فرق المبطلين، بيّن أنه ذلك بلسان نبيه ﷺ ليبشر به المتقين، وينذر به قوماً من المشركين ذوي الجدل والمماراة.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾...﴾ الآية، سبب نزولها[1]: ما أخرجه البخاري في (ج٥/ ص٢٢١) قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن خباب قال: كنت قيناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله، ثم تبعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأوتى مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ والحديث رواه مسلم، والترمذي، وأحمد، والطيالسي، وابن سعد، وابن جرير، والطبراني، وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ الآية، سبب نزولها[2]: ما أخرجه ابن جرير، عن عبد الرحمٰن بن عوف لما هاجر إلى المدينة.. وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة، منهم شيبة وعتبة ابنا ربيعة

---

(١) البخاري. (٢) لباب النقول.

وأمية بن خلف، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ قال: محبةً في قلوب المؤمنين.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على المشركين ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ القرآنية الناطقة بحسن حال المؤمنين، وسوء حال الكفرة حالة كونها ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: مرتلاتِ الألفاظ، مبينات المعاني، واضحاتِ الإعجاز، وهي[1] حال مؤكدة، فإن آيات الله لا ينفك عنها الوضوح، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: الذين مردوا منهم على الكفر، ومرنوا على العناد، كنضر بن الحارث وأتباعه الفجرة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾؛ أي: لفقراء المؤمنين الذين هم في خشونة عيش، ورثاثة ثياب، وضيق منزل، - واللام فيه للتبليغ - لأنهم شافهوا المؤمنين وخاطبوهم بقولهم: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ منا ومنكم؛ أي: من المؤمنين والكافرين، كأنهم قالوا أينا ﴿خَيْرٌ﴾ وأحسن ﴿مَّقَامًا﴾؛ أي: منزلاً ومسكناً، أنحن أم أنتم، وهو موضع الإقامة ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾؛ أي: مجلساً ومجتمعاً؛ أي: أنحن أم أنتم، قال بعض المفسرين: الندي المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم، وقرأ الجمهور ﴿مَّقَامًا﴾ بفتح الميم وقرأ ابن كثير، وابن محيصن، وحميد، والجعفي، وأبو حاتم عن أبي عمرو: بضم الميم واحتمل الفتح والضم أن يكون مصدراً، أو موضع قيام، أو إقامةٍ وانتصابه على التمييز.

والمعنى: أي وإذا تتلى على المشركين آياتنا واضحات الدلالة.. قالوا مفتخرين على المؤمنين، ومحتجين على صحة ما هم عليه من الباطل: أي الفريقين منا ومنكم أوسع عيشاً، وأنعم بالاً، وأفضل مسكناً، وأحسن مجلساً، وأجمع عدداً، أنحن أم أنتم؟ فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل وأولئك المستخفون المستترون في دار الأرقم ابن أبي الأرقم ونحوها من الدور على الحق، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا

---

(١) روح البيان.

سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾.

روي[1]: أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنوها، ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة، فإذا سمعوا الآيات الواضحات، وعجزوا عن معارضتها، والدخل عليها.. قالوا مفتخرين بالحظوظ الدنيوية على فقراء المؤمنين: لو كنتم على الحق وكنا على الباطل.. لكان حالكم في الدنيا أحسن، لأن الحكيم لا يليق به أن يوقع أولياءه في العذاب والذل، وأعداءه في العز والراحة لكن الأمر بالعكس، وقصدهم بهذا الكلام، صرفهم عن دينهم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ وكم: خبرية بمعنى عدد كثير مفعول مقدم لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ و﴿مِّن قَرْنٍ﴾: بيان لإبهامها وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم، لأنهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة، وهو: مقدمها وقوله: و﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ في محل الجر على أنه صفة لقرن، وما في «الشوكاني» هنا أنه في محل نصب صفة لكم غير صواب ﴿أَثَٰثًا﴾ تمييز عن النسبة وهو متاع البيت ﴿وَرِءْيًا﴾ هو المنظر والهيئة؛ أي: وقد أهلكنا قبل هؤلاء المشركين كثيراً من أمةٍ عاتيةٍ، كعاد، وثمود، وغيرهما ﴿هُمْ﴾؛ أي: أولئك القرون أحسن من هؤلاء المشركين أثاثاً ورئياً؛ أي: أموالاً وأمتعةً، ومناظر ذات جمال وزخرف.

والمعنى[2]: كثيراً من القرون التي كانوا أفضل منهم فيما يفتخرون به، من الحظوظ الدنيوية، كعاد، وثمود، وأضرابهم من الأمم العاتية، قبل هؤلاء؛ أي: كفار قريش أهلكنا هم بفنون العذاب، ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا.. لما فعلنا بهم ما فعلنا؛ أي: فإن ما أنتم[3] أيها المشركون فيه من النعم محض استدراج لم ينفعكم الترفه شيئاً عند نزول البلاء بكم، كما وقع للأمم الماضية، حيث كانوا في رفاهيةٍ أكثر منكم، ومع ذلك أهلكهم الله بكفرهم، ولم ينفعهم الترفه شيئاً.

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) المراح.

وخلاصة هذا[1]: إن كثيراً ممن كانوا أعظم منكم نعمةً في الدنيا، كعاد، وثمود، وأضرابهم من الأمم العاتية، قد أهلكهم الله، فلو صدق ما تدعون من أن النعمة في الدنيا تدل على الكرامة عند الله.. ما أهلك أحداً من المتنعمين بها، وفي هذا من التهديد والوعيد ما لا يخفى، وكأنه قيل: فليترقب هؤلاء أيضاً مثل ذلك، فسيحل بهم مثل ما حل بمن قبلهم من المثلات.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿وَرِءْيًا﴾ بالهمزة من رؤية العين، فعل بمعنى مفعول، كالطحن بمعنى المطحون، والذبح بمعنى المذبوح، وقال ابن عباس: الرأي: المنظر، وقال الحسن: معناه صوراً، وقرأ الزهري، وأبو جعفر، وشيبة، وطلحة، في رواية الهمداني، وأيوب، وابن سعدان، وابن ذكوان، وقالون: ﴿وريا﴾ بتشديد الياء من غير همز، فاحتمل أن يكون مهموز الأصل من الرواء والمنظر، سهلت همزته بإبدالها ياءً، ثم أدغمت الياء في الياء، واحتمل أن يكون من الري ضد العطش، لأن الريان من الماء له من الحسن والنضارة ما يستحب ويستحسن، كما له منظر حسن من وجه آخر مما يرى ويقال، وقرأ أبو بكر في رواية الأعمش عن عاصم وحميد ﴿وريئاً﴾ بياء ساكنة بعدها همزة وهو على القلب ووزنه فلعاً، وكأنه من راء وقرىء ﴿ورياءً﴾ بياء بعدها ألف وبعدها همزة، حكاها اليزيدي، وأصله: ورئاء من المراآة؛ أي: يرى بعضهم بعضاً حسنه، وقرأ ابن عباس، فيما روى عن طلحة ﴿ورياً﴾ من غير همزٍ ولا تشديدٍ، فتجاسر بعض الناس وقال: هي لحن، وليس كذلك، بل لها توجيه: بأن تكون من الرواء وقلب فصار ﴿وَرِءْيًا﴾ ثم نقلت حركة الهمزة إلى الياء، وحذفت، أو بأن تكون من الري وحذفت إحدى الياءَين تخفيفاً كما حذفت في لا سيما، والمحذوفة الثانية، لأنها لام الكلمة، لأن الثقل إنما حصل للكلمة بانضمامها إلى الأولى، فهي أولى بالحذف، وقرأ ابن عباس أيضاً، وابن جبير، ويزيد البربري، والأعصم المكي ﴿وزيا﴾ بالزاي مشدد الياء، والزي: الهيئة الحسنة والآلات المجتمعة المستحسنة، من زويت بمعنى جمعت، فيكون أصلها: زوياً فقلبت الواو ياءً ثم

---

(1) المراغي.
(2) البحر المحيط.

أُدغمت في الياء، والزي محاسن مجموعة، وفي «التأويلات النجمية» في معنى الآية ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ من الحقائق والأسرار ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: ستروا الحق بالإنكار والاستهزاء ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ من أهل التحقيق إذا رأوهم مرتاضين مجاهدين مع أنفسهم، متحملين متواضعين متذللين متخاشعين، وهم متنعمون متمولون متكبرون متبعوا شهوات أنفسهم، ضاحكون مستبشرون ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ منا ومنكم ﴿خَيْرٌ﴾؛ أي: أفريقنا خير أم فريقكم خير ﴿مَّقَامًا﴾؛ أي: منزلةً ومرتبةً في الدنيا، ووجاهةً عند الناس، وتوسعاً في المعيشة ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾؛ أي: مجلساً ومنصباً وحكماً، فقال تعالى في جوابهم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾؛ أي: أهلكنا بحب الدنيا ونعيمها، إذ أغرقناهم في بحر شهواتها، واستيفاء لذاتها، والتعزز بمناصبها ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾؛ أي: استعداداً واستحقاقاً في الكمالات الدينية منكم، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ «خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية إذا فقهوا» اهـ.

ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يجيب هؤلاء المفتخرين بالمال والمنال بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين للمؤمنين: أي الفريقين خير مقاماً، وأحسن ندياً ﴿مَن﴾ شرطية ﴿كَانَ﴾ مستقراً ﴿فِى ٱلضَّلَٰلَةِ﴾؛ أي: في الكفر والجهل والغفلة عن عواقب الأمور ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ أمر بمعنى الخبر؛ أي: يمد له الرحمن، ويزيده في شهواته، ويمهله بطول العمر، وإعطاء المال، والتمكين من التصرفات؛ أي: يمد له الرحمن مداً، ويزيده في المال زيادةً، ويمهله في العمر إمهالاً، استدراجاً له وقطعاً للمعاذير يوم القيامة.

وإخراجه[1] على صيغة الأمر للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يُفعل بموجب الحكمة، لقطع المعاذير، أو للاستدراج، واعتبار الاستقرار في الضلالة، لما أن المد لا يكون إلا للمصرين عليها، إذ رب ضال يهديه الله، والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية.

---

(١) روح البيان.

وذكر الرحمن في هذه السورة في ستة عشر موضعاً اهـ شيخنا. وقيل[1]: المراد بالآية الدعاء بالمد، والنفيس، قال الزجاج: تأويله أن الله سبحانه جعل جزاء ضلالته أن يتركه ويمده فيها، لأن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر، كأن المتكلم يقول: أفعل ذلك وآمر به نفسي. انتهى.

وقال: بعضهم معنى ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾؛ أي[2]: فليستدرجه الرحمٰن استدراجاً بمد عمره، وتوسيع ماله، وتكثير ولده، أو فليمهله الرحمٰن إمهالاً بمد راحته على الطغيان، وإيصال نعمته على وجه الإحسان، حتى يقع في العقاب والعذاب، على سبيل التدريج لا التعجيل، فيكون عقابه وعذابه أكمل وأشمل أثراً وألماً، لأن الأخذ على طريق التدريج والنعمة، أشد منه على سبيل التعجيل والنقمة، مع أن مبدأ المد مطلقاً هو الرحمٰن دون القهار أو الجبار، لأن كلاً منهما مبدأ الشدة، ولذلك عبر به لا بغيره، هذا هو الخاطر ببالي في وجه التعبير بالرحمٰن، وإن كانت أشدية عقاب الرحمٰن وجهاً، لكن وجه أشدية عقابه ما ذكرنا، لأنه إذا أراد العقاب.. يأتي به على وجه الرحمة والنعمة، فيكون كدراً بعد الصفاء، وألماً بعد الراحة، وشدةً بعد الرخاء، فهذا أقوى أثراً، والحاصل: أنه لا يتصور وقوع المد المذكور، إلا من الرحمٰن، لأنه أصله ومنشؤه. انتهى كلامه.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾[3] غاية للمد الممتد، وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من، كما أن الإفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها؛ أي: من كان في الضلالة يمد له الرحمٰن مداً، ويستدرجهم استدراجاً، حتى إذا رأوا ما يوعدون من الله، وقوله: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ تفصيل للموعود على سبيل البدل، فإنه إما العذاب أو الساعة؛ أي: حتى إذا رأوا الموعود لهم، إما العذاب الدنيوي، بغلبة المسلمين، واستيلائهم عليهم، وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً، وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال، على طريقة الخلو

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.
(٣) روح البيان.

دون الجمع، فإن العذاب الأخروي لا ينفك عنهم بحال، وقوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ جواب الشرط؛ أي: حتى إذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي، أو الأخروي فقط.. فسيعلمون حينئذ ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ أي: منزلاً من الفريقين ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾؛ أي: أنصاراً وأعواناً منهما، بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يحسبونه فيعلمون أنهم شر مكاناً لا خير مقاماً ويرون أنهم أضعف جنداً وأعواناً وأنصاراً، لا أحسن ندياً كما كانوا يدعونه.

والمعنى: أنهم سيعلمون عند ذلك أنهم شر مكاناً لا خير مكاناً، وأضعف جنداً لا أقوى ولا أحسن من فريق المؤمنين، وليس المراد أن للمفتخرين هنالك جنداً ضعفاء، بل لا جند لهم أصلاً، كما في قوله سبحانه ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾.

ومعنى الآية[1]: أي قل يا محمد لهؤلاء المدعين أنهم على الحق، وأنكم على الباطل: إن ما افتخرتم به من زخرف الدنيا وزينتها، لا يدل على حسن الحال في الآخرة، فقد جرت سنة الله بأن من كانوا منهمكين في الضلالة، مرخين لأنفسهم الأعنة في سلوك المعاصي والآثام، يبسط لهم نعيم الدنيا، ويطيب عيشهم فيها، ويمتعهم بأنواع اللذات، ولا يزال يمهلهم استدراجاً لهم إلى أن يشاهدوا ما وعدوا به رأى العين، إما عذاباً في الدنيا كما حصل يوم بدر، وإما مجيء الساعة وهم بها مكذبون، وعن الاستعداد لها مفرطون، وإذ ذاك يعلمون من هو شرّ من الفريقين مكاناً، وأن الأمر على عكس ما كانوا يقدرون، وسيرون أنهم شر مكاناً، وأضعف جنداً، وأقل ناصراً من المؤمنين، وهذا رد على قولهم ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

وقصارى ذلك: أن من كان في الضلالة، فسنة الله أن يمد له، ويستدرجه ليزداد إثماً، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر، إما بعذاب في الدنيا يأتيه من حيث لا يحتسب، وإما بعذاب في الآخرة لا قبل له بدفعه، وحينئذ يعلم أنه كان في

---

(١) المراغي.

ضلال مبين، ويندم ولات ساعة مندم:

نَـدِمَ ٱلْـبُـغَـاةُ وَلاَتَ سَـاعَـةَ مَـنْـدَمِ   وَٱلْـبَـغْـيُ مَـرْتَـعُ مُـبْـتَـغِـيْـهِ وَخِـيْـمُ

ولا يجد عن النار محيصاً ولا مهرباً، ثم لما أخبر سبحانه عن حال أهل الضلالة.. أراد أن يبين حال أهل الهداية فقال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ بالإيمان ﴿هُدًىۗ﴾ بالإخلاص وبالعبادات المتفرعة على الإيمان، وبالثواب على ذلك الإيمان، وهذا كلام[1] مستأنف سيق لبيان حال المهتدين، إثر بيان حال الضالين؛ أي: ويزيد الله سبحانه وتعالى المؤمنين إيماناً، وعملاً ويقيناً ورشداً، كما زاد الضالين ضلالاً، ومدهم في استدراجهم، وذلك أن بعض الهدى يجر إلى البعض الآخر، والخير يدعو إلى الخير.

والمعنى: أي[2] ويزيد الله الذين اهتدوا إلى الإيمان هدىً بما ينزل عليهم من الآيات عوضاً مما منعوا من زينة الدنيا، كرامةً لهم من ربهم، كما بسط للضالين فيها لهوانهم عليه.

ومجمل هذا: أن من كان في الضلالة من الفريقين.. يمهله الله، وينفس له في حياته، ليزداد في الإثم والغي، ويجمع له عذاب الدارين، ومن كان في الهداية منهما.. يزيد الله في هدايته، ويجمع له خيري السعادتين.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾؛ أي: والأذكار التي يبقى ثوابها لصاحبها أبد الآباد والأعمال ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ التي تبقى عائدتها أبداً ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿ثَوَابًا﴾؛ أي: جزاءً مما يتمتع به الكفرة من النعم الفانية التي يفتخرون بها ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾؛ أي: مرجعاً وعاقبةً، لأن مآلها رضوان الله، والنعيم الدائم، ومآل هذه السخط والعذاب المقيم، والتفضيل[3]: للتهكم بهم، للقطع بأن أعمال الكفار لا خير فيها أصلاً والمرد هنا: مصدر كالرد، والمعنى: خير رداً للثواب على عامليها، فليست

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) الشوكاني.

كأعمال الكفار التي خسروها. فبطلت، ذكره ابن الجوزي.

واعلم: أن الباقيات الصالحات هي أعمال الآخرة كلها، ومنها الكلمات الطيبة، قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: جلس رسول الله ﷺ ذات يوم وأخذ عوداً يابساً، وأزال الورق عنه ثم قال: «إن قول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ليحط الخطايا كما يحط ورق هذه الشجرة الريح، خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن، فهن الباقيات الصالحات، وهي من كنوز الجنة».

والمعنى: أي[1] والطاعات التي بها تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، وتصل إلى القرب من الله، ونيل رضوانه خير عند ربك منفعةً وعاقبةً مما متع به أولئك الكفرة من النعم الفانية، التي يفخرون بها من مالٍ وولدٍ وجاهٍ ومنافعَ تحصل منها، فإن عاقبة الأولين السعادة الأبدية، وعاقبة أولئك الحسرة الدائمة، والعذاب المقيم.

وخلاصة هذا: أن الطاعات التي يبقى ثوابها لأهلها، خير عند ربهم جزاءً وخير عاقبةً من مقامات هؤلاء المشركين بالله، وأنديتهم التي يفخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا، ثم أردف سبحانه مقالة أولئك المفتخرين بأخرى مثلها على سبيل التعجب فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ (الهمزة) فيه[2] للاستفهام التعجبي من حاله، والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن يُرى ويقضى منها العجب داخلة على محذوف و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا التي من جملتها آيات البعث ﴿وَقَالَ﴾ مستهزئاً بها مصدراً كلامه باليمين والله ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾؛ أي: لأعطين في الآخرة إن بعثت ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾؛ أي: انظر إليه يا محمد فتعجب من حالته البديعة، وجراءَته الشنيعة، والغرض من هذا الاستفهام: التعجيب، فكأنه[3] قال: تعجب يا محمد

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) الفتوحات.

من قصة هذا الكافر، ومن مقالته المذكورة، وعطف هذه الجملة بالفاء إيذاناً بإفادة التعقيب، كأنه قيل: أخبر أيضاً بقصة هذا الكافر عقب قصة أولئك، وهذا الكافر هو العاص بن وائل، أبو سيدنا عمرو بن العاص، فهو جد عبد الله بن عمرو، أحد العبادلة المشهورة، كما مر في أسباب النزول.

وأرأيت بمعنى: أخبرني كما قد عرفته، والموصول هو المفعول الأول والثاني هو الجملة الاستفهامية من قوله ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ و﴿لَأُوتَيَنَّ﴾: جواب قسم محذوف، والجملة القسمية كأنها في محل نصب بالقول .اهـ شيخنا. والاستفهام في قوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ للإنكار، وأصله: أاطلع من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه، وطلع الثنية، فحذفت همزة الوصل وبقيت همزة الاستفهام المفتوحة؛ أي: أعلم ما غاب عنه حتى يعلم أنه في الجنة.

والمعنى: أقد بلغ من عظمة الشأن، إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به العليم الخبير، حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً، وأقسم عليه ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ على ذلك؛ أي: أو اتخذ من عالم الغيب عهداً بذلك، فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين: علم الغيب، وعهد من عالمه، وقيل، العهد[1]: كلمة الشهادة والعمل الصالح، فإن وعد الله بالثواب عليهما كالعهد الموثق عليه فمعنى ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؛ أي: أم قال: لا إله إلا الله فأرحمه بها، أو أم قدم عملاً صالحاً فهو يرجوه، وقيل: المعنى أنظر في اللوح المحفوظ ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

وقرأ الجمهور[2]، وابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿وَلَدًا﴾ أربعتهن هنا وفي الزخرف ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ بفتح الواو واللام، ويأتي الخلاف في الذي في نوح ﴿لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وابن أبي ليلى، وابن عيسى الأصبهاني: بضم الواو وإسكان اللام، وقال الفراء: وهما لغتان كالعدم والعدم، والعرب والعرب، وليس بجمع وقيل: يجعل الولد

---

(١) الشوكاني مع روح البيان.
(٢) البحر المحيط زاد المسير.

بالضم جمعاً، والولد بالفتح واحداً.

فعلى قراءة الجمهور[1]: يكون المعنى على الجنس، لا ملحوظاً فيه الإفراد، وإن كان مفرد اللفظ، وعلى قراءة غيرهم، فقيل: هو جمع كأَسَدْ وأُسْد، واحتج قائل ذلك بقول الشاعر:

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِراً قَدْ ثَمَّرُوْا مَالاً وَوُلْدا

وقيل: هو مرادف للولد بالفتحتين، واحتجوا بقوله:

فَلَيْتَ فُلاَنَاً كَانَ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فُلاَنَاً كَانَ وَلَدَ حِمَارِ

وقرأ عبد الله، ويحيىٰ بن يعمر: بكسر الواو وسكون اللام، والهمزة: في ﴿أَطَّلَعَ﴾ للاستفهام ولذلك عادلتها ﴿أَمِ﴾ وقرىء: بكسر الهمزة في الإبتداء وحذفها في الوصل، على تقدير: حذف همزة الاستفهام لدلالة ﴿أَمِ﴾ عليها كقوله:

بِسَبْعٍ رَمَيْنَ ٱلْجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ

يريد أبسبعٍ.

وقصارى ذلك: أوقد بلغ من عظم شأنه، أن ارتقى إلى علم الغيب الذي انفرد به الواحد القهار، أم أعطاه الله عهداً موثقاً، وقال له: إن ذلك كائن لا محالة، ثم زاد في تأكيد خطئه وهدده بقوله: ﴿كَلَّآ﴾ حرف ردع وزجر؛ أي: ليس الأمر على ما قال هذا الكافر من أنه يؤتى المال والولد، ويجوز[2] أن يكون معنى ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: إنه لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الله عهداً ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾؛ أي: سنأمر الحفظة بإثبات قوله، لنجازيه به، أو سنحفظ عليه ما يقوله من الكذب والكفر والاستهزاء، فنجازيه في الآخرة، أو سنظهر ما يقول، أو سننتقم منه انتقام من كتبت معصيته ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾؛ أي: نزيده من العذاب عذاباً فوق عذابه، مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد، أو

---

(١) البحر المحيط. (٢) زاد المسير.

نطوّل[1] له من العذاب ما يستحقه، ونضاعفه له جزاء كفره وافترائه على الله تعالى، واستهزائه بآياته، أو نجعل له بعض العذاب إثر بعض ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ إنه له[2] في الجنة، فنجعله لغيره من المسلمين، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء، أو نرث ما عنده من المال والولد، بإهلاكنا إياه، وإبطال ملكه، وهو مري عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة، قال الزجاج: المعنى سنسلبه المال والولد، ونجعله لغيره ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ وحيداً خالياً لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا، فضلاً أن يؤتى ثمة زائداً، وقيل: المعنى نحرمه ما تمناه من المال والولد، ونعطيه لغيره.

وفي الآية: إشارة إلى أن[3] أهل الغرور يدعون الإحراز للفضيلتين: المال والولد في الدنيا، والنجاة والدرجات في الآخرة، وينكرون على أهل التجرد في الإعراض عن الكسب، واعتزال النساء والأولاد، ولا يدرون أنهم يقعون بذلك في عذاب البعد، إذ لا سند لهم أصلاً.

وقرأ أبو نهيك: ﴿كلاً﴾ بالتنوين فيهما هنا، وهو مصدر من كل السيف كلاً إذا نبا عن الضرب، وانتصابه على إضمار فعل من لفظه، تقديره: كلوا كلاً عن عبادة الله، أو عن الحق ونحو ذلك.

وقرأ الجمهور[4]: ﴿سَنَكْتُبُ﴾ بالنون، والأعمش: بياءٍ مضمومةٍ والتاء مفتوحة مبنياً للمفعول، وذكرت عن عاصم، وقرأ أبو[5] العالية الرياحي، وأبو رجاء العطاردي: ﴿سيكتب﴾ ﴿ويرثه﴾ بياء مفتوحة، وقرأ علي بن أبي طالب ﴿ونمد له﴾ يقال مده وأمده بمعنىً.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾؛ أي: واتخذ مشركوا مكة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً﴾؛ أي: اتخذوا الأصنام آلهةً متجاوزين الله تعالى ﴿لِيَكُونُوا﴾؛ أي: ليكون الأصنام ﴿لَهُمْ﴾؛ أي:

---

(1) المراح.
(2) زاد المسير.
(3) روح البيان.
(4) البحر المحيط.
(5) زاد المسير.

للمشركين ﴿عِزًّا﴾؛ أي: منعةً؛ أي: ليكون الأصنام مانعين لهم من عذاب الله تعالى؛ أي: ليتعززوا بهم، بأن يكونوا لهم وصلةً إليه تعالى، وشفعاء عنده، وأنصاراً ينجون بهم من عذاب الله تعالى.

قال بعضهم[1]: كيف تظفر بالعز وأنت تطلبه في محل الذل ومكانه، إذ ذللت نفسك بسؤال الخلق، ولو كنت موفقاً لأعززت نفسك بسؤال الحق، أو بذكره، أو بالرضى لما يرد عليك منه، فتكون عزيزاً في كل حال: دنيا وآخرة.

﴿كَلَّاۚ﴾؛ أي: ليس الأمر على ما ظنوا ﴿سَيَكۡفُرُونَ﴾؛ أي: سيكفر الكفرة، وينكرون حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم، وينكرون ﴿بِعِبَادَتِهِمۡ﴾؛ أي: بعبادة الكفرة للأصنام ﴿وَيَكُونُونَ﴾؛ أي: ويكون الكفرة ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: على الأصنام ﴿ضِدًّا﴾؛ أي: أعداءً؛ أي: ويكون المشركون أعداءً لآلهتهم، كافرين بعبادتها، بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها.

والمعنى عليه: فيكون المشركون للآلهة ضداً وأعداءً يكفرون بها، بعد أن كانوا يحبونها ويؤمنون، ويصح أن يكون الضمير في ﴿يكفرون﴾ ﴿وَيَكُونُونَ﴾ للآلهة والمعنى حينئذٍ ﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ﴾؛ أي: سيجحد الأصنام ﴿بِعِبَادَتِهِمۡ﴾؛ أي: بعبادة المشركين لها بأن ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا ﴿وَيَكُونُونَ﴾؛ أي: وتكون الأوثان التي يرجون أن تكون لهم منعةً من العذاب ﴿ضِدًّا﴾؛ أي: أعداءً وأعواناً بالعذاب، فإنهم وقود النار، ولأنهم عذبوا بسبب عبادتهم، وذلك أن الله تعالى يحشر آلهتهم، فينطقهم ويركب فيهم العقول، فتقول: يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك، أو المعنى عليه وتكون هذه الآلهة التي ظنوها عزاً لهم، ضداً عليهم؛ أي: ضداً للعز وضد العز الذل، وقرأ ابن أبي نهيك ﴿كلاً﴾ بالتنوين وروى عنه مع ذلك ضم الكاف وفتحها، فعلى الضم هي بمعنى جميعاً، وانتصابها بفعل مضمر، كأنه قال: سيكفرون كلاً سيكفرون بعبادتهم، وعلى الفتح يكون مصدراً لفعل محذوف تقديره كل هذا الرأي ﴿كلا﴾ وقراءة الجمهور: هي الصواب وهي حرف ردع وزجر، ذكره الشوكاني، وبعد أن ذكر سبحانه ما لهؤلاء

---

(1) روح البيان.

الكفار مع آلهتهم في الآخرة.. ذكر مالهم مع الشياطين في الدنيا، وأنهم يتولونهم وينقادون لهم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي: ألم تعلم يا محمد ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾؛ أي: سلطنا الشياطين ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ومكناهم من إضلالهم بسبب سوء اختيارهم، حال كون تلك الشياطين ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾؛ أي: تؤز الكافرين وتغريهم وتهيجهم على المعاصي ﴿أَزًّا﴾؛ أي: تهييجاً شديداً. بأنواع الوساوس والتسويلات، فإن الأز والهز والاستفزاز أخوات، معناها: شدة الإزعاج وفي «العيون» الإز في الأصل: هو الحركة مع صوتٍ متصل من أزيز القدر؛ أي: غليانه.

والمعنى[1]: تحثهم وتحرضهم على المعاصي تحريضاً شديداً وفي الآية دليل على أن الله تعالى مدبر لجميع الكائنات.

وخلاصة ما سلف[2]: تعجيب رسوله محمد ﷺ مما حكته الآيات السالفة عن هؤلاء الكفرة، من تماديهم في الغي، وانهماكهم في الضلال، وتصميمهم على الكفر، بدون رادعٍ ولا زاجرٍ، ومدافعتهم للحق مع وضوحه، وتنبيه له إلى أن ذلك إنما كان بإضلال الشياطين وإغوائهم، لا لقصور في التبليغ، وفي هذا تسلية للرسول ﷺ وتهوين للأمر على نفسه ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: فلا تستعجل يا محمد بطلب العقوبة عليهم حسبما تقتضيه جناياتهم، حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم، وتطهر الأرض من فسادهم، يقال: عجلت عليه بكذا إذا استعجلته منه، ثم علل سبحانه هذا النهي بقوله: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ أيام آجالهم ﴿عَدًّا﴾؛ أي: لا تعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام محصورة، وأنفاس معدودة، فنجازيهم بها؛ أي[3]: نعد لهم الليالي والأيام والشهور والأعوام، وقيل: الأنفاس التي يتنفسونها في الدنيا، إلى الأجل الذي أجل لعذابهم، وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ إذا قرأها.. بكى وقال: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخول قبرك. وعن ابن السماك، أنه كان عند

---

(١) الخازن.
(٢) المراغي.
(٣) الخازن.

المأمون، فقرأ الآية، ثم قال: إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفد:

إنَّ ٱلْحَبِيْبَ مِنَ ٱلأَحْبَابِ مُخْتَلَسُ ... لاَ يَمْنَعُ ٱلْمَوْتَ بَوَّابٌ وَلاَ حَرَسُ
وَكَيْفَ يَفْرَحُ بِٱلدُّنْيَا وَلَذَّتِهَا ... فَتًى يُعَدُّ عَلَيْهِ ٱللَّفْظُ وَٱلنَّفَسُ

والعد هنا: كناية عن القلة، ولا ينافي هذا ما مر من أنه يمد لمن كان في الضلالة؛ أي: يطول لأنه بالنسبة لظاهر الحال عندهم، وهو قليل باعتبار عاقبته وعند العد .اهـ «شهاب».

ثم لما قرر سبحانه أمر الحشر، وأجاب عن شبهة منكريه.. أراد أن يشرح حال المكلفين حينئذٍ فقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الظرف منصوب بفعل مقدر؛ أي: اذكر يا محمد لقومك بطريق الترغيب والترهيب، يوم يجمع أهل التقوى والطاعة ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: إلى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة، حال كونهم ﴿وَفْدًا﴾؛ أي: وافدين عليه، كما يفد الوفود على الملوك راكبين منتظرين لكرامتهم وإنعامهم، والوافد من يأتي بالخير، والوفد جمع وافد كركب جمع راكب، ومعنى[1] حشرهم إلى الرحمٰن: حشرهم إلى جنته ودار كرامته، كقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ وفي «التأويلات النجمية» إنما خص حشر وفد المتقين إلى حضرة الرحمانية، لأنها من صفات اللطف، ومن شأنها الجود والإنعام، والفضل والكرم، والتقريب والمواهب. انتهى.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين والعاصين بكفرهم ومعاصيهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ كما تساق البهائم حالة كونهم ﴿وِرْدًا﴾؛ أي: مشاةً عطاشاً، قد تقطعت أعناقهم من العطش، وقرأ الحسن[2]، والجحدري ﴿يحشر المتقون﴾ ﴿ويساق المجرمون﴾ مبنياً للمفعول.

وجملة قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: مستأنفة لبيان بعض ما يكون في ذلك اليوم من الأمور، والضمير فيه: إما راجع إلى المتقين خاصةً، ويكون حينئذ معنى

---

(١) الشوكاني. (٢) البحر المحيط.

العهد في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ الإذن في الشفاعة والمعنى؛ أي: لا يملك أحد من المتقين أياً كان أن يشفع للعصاة، إلا من اتخذ من الله إذناً في الشفاعة، كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ فالشفاعة على هذا مصدر من المبني للفاعل، وإما راجع إلى المجرمين خاصةً، ويكون حينئذٍ معنى العهد الإيمان والإسلام، والشفاعة: مصدر من المبني للمفعول، والمعنى لا يملك المجرمون؛ أي: لا يستحق المجرمون أن يشفع لهم إلا من اتخذ عند الرحمٰن إيماناً؛ أي: إلا من كان منهم مسلماً مؤمناً؛ أي: لا يستحق[1] هؤلاء المجرمون أن يشفع لهم غيرهم، إلا من اتخذ كلمة الشهادة بالتوحيد والنبوة، ولو كانوا أهل الكبائر، وروى ابن مسعود أنه ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً؟» قالوا: وكيف ذلك؟ قال: «يقول كل صباح ومساء: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، فإنك إن تكلني إلى نفسي.. تقربني من الشر، وتبعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عهداً توفينيه يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع، ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة.. نادى منادٍ أين الذين لهم عند الرحمٰن عهد؟ فيدخلون الجنة» أخرجه الطبراني، والحاكم وصححه غيرهما.

ويحتمل عود الضمير في ﴿يَمْلِكُونَ﴾ إلى الفريقين جميعاً، وهو أولى، والمعنى حينئذ؛ أي: لا يملك الفريقان المذكوران الشفاعة إلا من استعد لذلك بما يصير به من جملة الشافعين لغيرهم، أو المشفوعين بأن يكون مؤمناً تقياً، فهذا معنى اتخاذ العهد عند الله تعالى ﴿وَقَالُوا۟﴾؛ أي: قال الكافرون ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾؛ أي: قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال مشركو العرب: الملائكة بنات الله، وهذه الجملة مستأنفة، وقرأ يحيى[2] بن وثاب، والأعمش، وحمزة، والكسائي ﴿ولداً﴾ بضم الواو وإسكان اللام، وقرأ

---

(١) المراح. (٢) الشوكاني.

الباقون في الأربعة المواضع المذكورة في هذه السورة بفتح الواو واللام، وقد قدمنا الفرق بين القراءتين.

فقال الله تعالى وعزتي وجلالي ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ أيها القائلون بمقالكم هذا ﴿شَيْئًا إِدًّا﴾؛ أي[1]: شيئاً منكراً عظيماً يدل على الجرأة على الله، وكمال القِحَةِ عليه سبحانه، وإنه ليغضبه أشد الغضب، ويسخطه أعظم السخط، والإد[2] والإدة بكسرهما: العجب والأمر الفظيع، والداهية والمنكر كالأد بالفتح، كما في «القاموس» أي: فعلتم أمراً منكراً شديداً لا يقادر قدره، فإن جاء وأتى يستعملان بمعنى فعل فيعديان تعديته.

وقرأ الجمهور: ﴿إِدًّا﴾ بكسر الهمزة، وعلي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمٰن: بفتحها، وقرأ ابن عباس، وأبو العالية ﴿آداً﴾ مثل مادا.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾؛ أي: تقرب السموات السبع من أن ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ ويتشققن مرةً بعد أخرى ﴿مِنْهُ﴾؛ أي: من قولهم اتخذ الرحمٰن ولداً ﴿وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ﴾؛ أي: وتكاد الأرض أن تنشق وتنصدع أجزاؤها، وتنخسف بهم من ذلك القول ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ﴾؛ أي: وتكاد الجبال أن تخر وتسقط منطبقةً عليهم، وتهد ﴿هَدًّا﴾؛ أي: تسقط سقوطاً، وتنهدم هدماً، وتنكسر كسراً من ذلك القول، والهد: الهدم الشديد، والكسر كالهدود، كما في «القاموس» فهو[3] مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال.

والمعنى: إن هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها، بحيث لو تصورت بصورة محسوسة، لم تطق بها هاتيك الأجرام العظام، وتفتتت من شدتها، أو إن فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط، بحيث لولا حلمه تعالى على أهل الأرض، وأنه لا يعاجلهم بالعقاب، لخرب العالم، وبدد قوائمه غضباً على من تفوَّه بها.

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) روح البيان.

روي عن ابن عباس أنه قال: إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال، وجميع الخلائق، إلا الثقلين، وكادت تزول منه لعظمة الله وكماله.

وقرأ ابن كثير[1]، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء الفوقية وقرأ نافع، والكسائي: ﴿يكاد﴾ بالياء التحتية، وقرأا جميعاً ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالياء والتاء مشددة الطاء، ووافقهما ابن كثير، وحفص عن عاصم، في ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: ﴿ينفطرن﴾ بالنون، وقرأ حمزة، وابن عامر في مريم: مثل أبي عمرو، وفي الشورى مثل ابن كثير، ومعنى ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾: يقاربن الانشقاق من قولهم. قال ابن قتيبة: وقوله تعالى: ﴿هَدًّا﴾؛ أي: سقوطاً.

وقوله من: ﴿أَن دَعَوْا﴾ وسموا ونسبوا ﴿لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾؛ أي: من نسبتهم الولد للرحمٰن، بدل[2] من الهاء في منه السابق في ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ أو منصوب[3] بحذف اللام المتعلقة بـ﴿تكاد﴾ أو مجرور بإضمارها؛ أي: تكاد السموات تتفطرن، والأرض تنشق، والجبال تخر، لأن دعوا له سبحانه ولداً ودعوا من دعا، بمعنى سمى المتعدي إلى المفعولين، وقد اقتصر على ثانيهما، ليتناول كل ما دعي له من عيسى، وعزير، والملائكة، ونحوهم، إذ لو قيل دعوا، عيسى ولداً.. لما علم الحكم على العموم، أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى إلى فلان؛ أي: انتسب إليه، وقوله: ﴿وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾؛ أي: ما يصلح له[4]، ولا يليق به اتخاذ الولد، لأن الولد يقتضي مجانسةً، وكل متخذ ولداً يتخذه من جنسه، والله تعالى منزه عن أن يجانس شيئاً، أو يجانسه شيء، فمحال في حقه اتخاذ الولد، حال[5] من فاعل ﴿قَالُوا۟﴾ وينبغي مضارع بغى: إذا طلب؛ أي: قالوا اتخذ الله ولداً، والحال أنه ما يليق به - تعالى - اتخاذ الولد، ولا يتطلب له لو طلب مثلاً لاستحالته في نفسه، وذلك لأن الولد بضعة من الوالد، فهو مركب

---

(١) زاد المسير.
(٢) المراح.
(٣) روح البيان.
(٤) زاد المسير.
(٥) روح البيان.

ولا بد للمركب من مؤلف، فالمحتاج إلى المؤلف لا يصلح أن يكون إلٰهاً ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما كل من في السموات والأرض من الملائكة والثقلين وغيرهم ﴿إِلَّآ﴾ وهو ﴿ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ سبحانه يوم القيامة حال كونه ﴿عَبْدًا﴾؛ أي: مقراً بالعبودية، خاضعاً ذليلاً، كما قال ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾؛ أي: صاغرين، والمعنى: أن الخلق كلهم عبيده، فكيف يكون واحد منهم ولداً له، فـ﴿إن﴾[1] نافية بمعنى ما و﴿كُلِّ﴾: مبتدأ خبره ﴿ءَاتِي﴾ و﴿مَن﴾، موصوفة، لأنها وقعت بعد كل نكرة، وفي «العيون» سيأتي جميع الخلائق يوم القيامة إلى الرحمٰن خاضعاً ذليلاً مقراً بالعبودية، كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم؛ يعني: يلتجئون إلى ربوبيته، منقادين، كما يفعل العبيد للملوك، فلا يليق به اتخاذ الولد منهم. انتهى.

وقرأ عبد الله، وابن الزبير، وأبو حيوة، وطلحة، وأبو بحرية، وابن أبي عبلة، ويعقوب: ﴿إلا آت﴾ بالتنوين ﴿الرحمٰن﴾ بالنصب، والجمهور: بالإضافة، وتكرر لفظ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ تنبيهاً على أنه لا يستحق هذا الاسم غيره، إذ أصول النعم وفروعها منه.

وعزتي وجلالي ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ الله سبحانه وتعالى؛ أي: لقد أحصى الله جملة الخلائق، وحصرهم وأحاط بهم علماً، بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد من حيطة علمه، وقبضة قدرته، وملكوته، مع إفراط كثرتهم، فهم تحت أمره وتدبيره، يعلم ما خفي من أحوالهم، وما ظهر، لا يفوته شيء منها ﴿وَعَدَّهُمْ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: وعد أشخاصهم وأنفاسهم، وأفعالهم وأقوالهم وآجالهم، فكل شيء عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة ﴿وَكُلُّهُمْ﴾؛ أي: وكل امرىءٍ من الخلائق ﴿ءَاتِيهِ﴾؛ أي: يأتيه سبحانه وتعالى ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: آتٍ إياه سبحانه ﴿فَرْدًا﴾ وحيداً يوم القيامة، منفرداً عن الأهالي والأموال والأولاد، وعن الاتباع والأنصار، منقطعاً إليه تعالى، محتاجاً إلى معونته ورحمته، فلا يجانسه شيء من ذلك، ليتخذه ولداً، ولا يناسبه ليشرك به.

ولما ذكر سبحانه إتيان كل من في السموات وفي الأرض في حال العبودية

---

(١) روح البيان.

والانفراد.. آنس المؤمنين بأنه سيجعل لهم في ذلك اليوم ﴿وُدًّا﴾ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله وصدقوا برسله، وبما جاؤوهم به من عنده ﴿وَعَمِلُوا۟﴾ الأعمال ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾؛ أي: محبة الناس لهم في الدنيا؛ أي: سيحدث لهم في القلوب محبةً من غير تعرض منهم لأسبابها، من قرابةٍ أو صداقةٍ أو اصطناع معروفٍ أو غير ذلك، سوى ما لهم من الإيمان والعمل الصالح، تخصيصاً لأوليائه بهذه الكرامة، كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب، إعظاماً لهم؛ أي: إن الله تعالى وعدهم أن يؤلف بين قلوبهم في الدنيا إذا ظهر الإسلام، وأن يحببهم إلى خلقه يوم القيامة بما يظهر من حسناتهم، وينشر من ديوان أعمالهم على رؤوس الأشهاد، والسين: إما لأن السورة مكية، وكان المؤمنون حينئذٍ ممقوتين بين الكفرة، فوعدهم الله ذلك إذا قوي الإسلام، وإما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الله إلى خلقه بما يظهر من حسناتهم.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿وُدًّا﴾ بضم الواو وقرأ أبو الحارث الحنفي: بفتحها وقرأ جناح بن حبيش، ﴿وداً﴾ بكسر الواو، ثم ذكر سبحانه تعظيم القرآن، خصوصاً هذه السورة، لاشتمالها على التوحيد والنبوة، وبيان حال المعاندين فقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾؛ أي: فإنما سهلنا هذا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾؛ أي: إنزاله على لغتك[2] (والباء): بمعنى (على) و(الفاء): لتعليل أمر ينساق إليه النظم الكريم، كأنه قيل بعد إيحاء السورة الكريمة: بلِّغ هذا المنزل، وبشر به وأنذر، وإنما يسرناه بلسانك العربي المبين، ثم علل ما ذكره من التيسير فقال: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾؛ أي: بهذا القرآن ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالجنة؛ أي: المتلبسين بالتقوى، المتصفين بها، أو الصائرين إلى التقوى بامتثال ما فيه من الأمر والنهي ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ﴾؛ أي: ولتخوف بهذا القرآن ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾؛ أي: شديدي الخصومة، لا يؤمنون به لجاجاً وعناداً بالعذاب، يقال: أنذره بالأمر إنذاراً، أعلمه وحذره وخوفه في إبلاغه، كما في «القاموس» واللد: جمع الألد وهو الشديد الخصومة، اللجوج المعاند،

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

وفي «القاموس»، الألد: الخصم الشحيح، الذي لا يزيغ إلى الحق، وفي الحديث «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم».

والمعنى[1]: أي فإنما سهلنا نزول القرآن بلغتك العربية، لتقرأه على الناس، وتبشر به من اتقى عقاب الله، فأدى فرائضه، واجتنب نواهيه، بأن له الجنة، وتنذر به من عصاه من قريش بالعذاب، وهم أهل اللدد والجدل بالهوى، ممن لا يقبل حقاً، ولا يحيد عن باطل، ولو أنزلناه بغيرها لم يتيسر التبشير به ولا الإنذار، لعدم فهم المخاطبين لغيرها.

وقصارى ذلك: بلّغ هذا المنزل، وبشر به وأنذر، فإنما أنزلناه بلسانك العربي المبين، ليسهل على الناس حفظه، ثم ختم السورة بتلك العظة البالغة فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾؛ أي: وكثيراً من الأمم الماضية، والقرون الخالية، قد أهلكنا قبل هؤلاء اللد المعاندين لك، حين سلكوا في خلاف مسلك هؤلاء، وركبوا معاصي فـ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ وتجد يا محمد ﴿مِنْهُم﴾؛ أي: من أولئك القرون ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾؛ أي: هل تجد أحداً منهم فتراه وتعاينه ﴿أَوْ﴾ هل ﴿تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾؛ أي: صوتاً خفياً، لا أنهم بادوا، وخلت منهم الديار، وأقفرت المنازل، وصاروا إلى دار لا ينفع فيها إلا صالح العمل، وإن قومك لصائرون إلى مثل ما صاروا إليه إن لم يعاجلوا التوبة قبل الهلاك، والاستفهام فيه إنكاري كما أشرنا إليه آنفاً في الحل.

والمعنى: استأصلناهم بالكلية، بحيث لا يُرى منهم أحد، ولا يُسمع لهم صوت خفي، كما في «أبي السعود».

وفي هذا وعد لرسول الله ﷺ بالنصر والغلبة على هؤلاء المشركين، ووعيد لأولئك الكافرين الجاحدين، وحث له على التبشير والإنذار.

وقصارى ذلك: أنا أهلكناهم فلم نبق منهم أحداً تراه، ولا تسمع له صوتاً خفياً ولا ظاهراً.

---

(١) المراغي.

وقرأ الجمهور: ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ بضم التاء وكسر الحاء، مضارع أحس الرباعي، وقرأ أبو حيوة، وأبو بحرية، وابن أبي عبلة، وأبو جعفر المدني: ﴿تَحُسُّ﴾ بفتح التاء وضم الحاء، وقرأ بعضهم: ﴿تحس﴾ بفتح التاء وكسر الحاء، من حسه إذا شعر به، ومنه الحواس الخمس والمحسوسات، وقرأ حنظلة: ﴿أو تسمع﴾ مضارع أسمعت: مبنياً للمفعول.

وختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة، لأنهم إذا تأملوا وعلموا أنه لا بد من زوال الدنيا، ومن الانتهاء إلى الموت.. خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآخرة، فكانوا أقرب إلى الحذر من المعاصي.

الإعراب

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾ الواو: استئنافية ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿تُتْلَىٰ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق بـ﴿تُتْلَىٰ﴾ ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: نائب فاعل ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: حال من ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذا﴾ على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل والجملة: جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾: مستأنفة ﴿كَفَرُواْ﴾ فعل وفاعل صلة الموصول ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالَ﴾ ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول ﴿أَيُّ﴾: استفهامية مبتدأ ﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ مضاف إليه ﴿خَيْرٌ﴾ خبر والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مَّقَامًا﴾ تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل ﴿وَأَحْسَنُ﴾: معطوف على ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿نَدِيًّا﴾ تمييز منصوب به.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾.

﴿وَكَمْ﴾ الواو: استئنافية ﴿كم﴾: خبرية بمعنى عدد كثير في محل النصب مفعول مقدم وجوباً لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾: مبني على السكون لشبهه بالحرف شبهاً معنوياً

﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل وفاعل والجملة: مستأنفة ﴿قَبْلَهُم﴾ متعلق بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ ﴿مِّن قَرْنٍ﴾: تمييز غير صريح لـ﴿كم﴾ لجره بـ﴿مِّن﴾ الزائدة لأن تمييز ﴿كم﴾ الخبرية كثيراً ما يكون مجروراً بـ﴿من﴾. ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾: مبتدأ وخبر والجملة: في محل الجر صفة لـ﴿قَرْنٍ﴾ وليست صفةً لـ﴿كم﴾ كما قيل لأن كم استفهاميةً أو خبريةً لا توصف ولا يوصف بها ﴿أَثَٰثًا﴾: تمييز محول عن المتبدأ منصوب باسم التفضيل ﴿وَرِءْيًا﴾: معطوف على ﴿أَثَٰثًا﴾.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة: مستأنفة ﴿من﴾ اسم شرط في محل الرفع مبتدأ والخبر: جملة الشرط، أو الجواب أو هما ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ واسمها ضمير يعود على ﴿مَن﴾ ﴿فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ (الفاء): رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية وجوباً (اللام) لام الأمر ﴿يمدد﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر ﴿لَهُ﴾ متعلق به ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فاعل ﴿مَدًّاۚ﴾ مفعول مطلق وجملة: ﴿يمدد﴾ في محل الجزم بمن على كونها جواب الشرط لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف جر وغاية وقيل ﴿حَتَّىٰٓ﴾: هنا ابتدائية؛ أي: تبدأ بعدها الجمل قال الشهاب في «حاشيته» على «البيضاوي» و﴿حَتَّىٰٓ﴾: هنا حرف ابتداء، أي: تبدأ بعدها الجمل؛ أي: تستأنف، فليست جارة ولا عاطفة، وهكذا حيث دخلت على إذا الشرطية عند الجمهور .اهـ وفي «زكريا» أنها جارة، والمعنى: فيستمرون في الطغيان إلى أن يشاهدوا الموعود .اهـ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿رَأَوْاْ﴾ فعل وفاعل ﴿مَا﴾ موصولة أو موصوفة في محل النصب مفعول به لأن رأى هنا بصرية، والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذَا﴾ على كونها فعل شرط لها، والظرف: متعلق بالجواب الآتي ﴿يُوعَدُونَ﴾: فعل ونائب فاعل صلة الموصول أو صلة لـ﴿مَا﴾ والعائد أو الرابط محذوف تقديره: يوعدونه ﴿إِمَّا﴾: حرف تفصيل وهي مانعة خلوّ تجوز الجمع ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: بدل من ﴿مَا﴾ الموصولة بدل تفصيل من مجمل ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾: معطوفة على ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾

﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ (الفاء): رابطة لجواب ﴿إِذَا﴾ وجوباً لاقترانه بحرف التنفيس ﴿يعلمون﴾: فعل وفاعل والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾: مستأنفة لأن ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية أو في محل الجر بـ﴿حَتَّىٰٓ﴾ و﴿حَتَّىٰٓ﴾: متعلقة بـ﴿يمدد﴾ والتقدير: فيمدد لهم الرحمٰن مداً إلى علمهم ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ وقت رؤيتهم ما يوعدون ﴿مَنْ﴾، اسم موصول في محل النصب مفعول به لـ﴿يعلمون﴾: لأن علم هنا بمعنى عرف ﴿هُوَ شَرٌّ﴾ مبتدأ وخبر، ويجوز أن تكون من استفهاميةً في محل الرفع، مبتدأ أول و﴿هُوَ﴾: مبتدأ ثان و﴿شَرٌّ﴾ خبر المبتدأ الثاني و﴿هُوَ﴾ وخبره خبر ﴿مَنْ﴾ وجملة ﴿مَنْ﴾ في محل النصب بـ﴿يعلمون﴾ على أنها معلقة لها ﴿مَّكَانًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ، منصوب باسم التفضيل ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: معطوف على ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ﴾ فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة: مستأنفة ﴿ٱهْتَدَوْا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول ﴿هُدًى﴾ تمييز أو مفعول ثان للفعل ﴿يزيد﴾ ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾: مبتدأ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: صفة للمبتدأ ﴿خَيْرٌ﴾ خبر ﴿الباقيات﴾ والجملة: مستأنفة ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿ثَوَابًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب بـ﴿خَيْرٌ﴾ ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ معطوف على ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ الهمزة: للاستفهام التعجبي داخلة على محذوف و﴿الفاء﴾ عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير: أنظرت فرأيت ﴿رأيت﴾. فعل وفاعل بمعنى أخبرني يتعدى لمفعولين ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول أول لـ﴿رأيت﴾ وجملة ﴿رأيت﴾: معطوفة على تلك المحذوفة، والجملة المحذوفة: مستأنفة ﴿كَفَرَ﴾: فعل وفاعل مستتر ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلق به، والجملة: صلة الموصول ﴿وَقَالَ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿كَفَرَ﴾ ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ اللام: موطئة للقسم ﴿أوتين﴾ فعل مضارع مغير الصيغة في محل الرفع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ونائب فاعله وفاعله: ضمير مستتر فيه تقديره: أنا ﴿مَالًا﴾: مفعول ثان ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ لأنه بمعنى أعطى ﴿وَوَلَدًا﴾: معطوف على ﴿مَالًا﴾ والجملة

الفعلية: جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾.

﴿أَطَّلَعَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري ﴿طلع﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الكافر ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ مفعول به والجملة الفعلية في محل النصب مفعول ثان لـ﴿رأيت﴾ علق عنها بهمزة الاستفهام ﴿أَمِ﴾: حرف عطف معادل للهمزة ﴿ٱتَّخَذَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على الكافر ﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: ظرف ومضاف إليه في محل المفعول الثاني لـ﴿ٱتَّخَذَ﴾ ﴿عَهْدًا﴾: مفعول أول لـ﴿ٱتَّخَذَ﴾ ﴿عَهْدًا﴾: مفعول أول لـ﴿ٱتَّخَذَ﴾ وجملة ﴿ٱتَّخَذَ﴾: معطوفة على جملة ﴿اطلع﴾.

﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾.

﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر ﴿سَنَكْتُبُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله تقديره، نحن وصدره بالسين من باب ما يقوله المتوعد لخصمه سوف أنتقم منك، يعني: لا تغتر بطول الزمان، فإن الانتقام آتيك، أو ستظهر له وتعلمه أنا كتبنا ﴿مَا﴾ موصولة، أو موصوفة، في محل النصب مفعول به لـ﴿نكتب﴾ والجملة الفعلية: مستأنفة ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الكافر وجملة ﴿يَقُولُ﴾: صلة لـ﴿مَا﴾ أو صفة لها والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما يقوله ﴿وَنَمُدُّ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿سَنَكْتُبُ﴾: وفاعله ضمير يعود على الله تقديره: نحن ﴿لَهُۥ﴾: متعلق بـ﴿نمد﴾ ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: حال من ﴿مَدًّا﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿مَدًّا﴾: مفعول مطلق أو مفعول به أو منصوب بنزع الخافض ﴿وَنَرِثُهُۥ﴾: فعل مضارع ومفعول به وفاعله ضمير يعود على الله والجملة معطوفة: على جملة ﴿نمد﴾: ﴿مَا﴾ بدل اشتمال من الهاء والمعنى نرث ما عنده من المال والأهل والولد ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الكافر والجملة صلة ﴿مَا﴾ الموصولة والعائد محذوف تقديره: ما يقوله ﴿وَيَأْتِينَا﴾: الواو: عاطفة ﴿يأتينا﴾: فعل ومفعول به وفاعله ضمير يعود على الكافر ﴿فَرْدًا﴾:

حال من فاعل ﴿يأتينا﴾: والجملة الفعلية: معطوفة على جملة ﴿نرثه﴾.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ الواو: استئنافية ﴿اتخذوا﴾: فعل وفاعل ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حال من ﴿ءَالِهَةً﴾ ﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول ثان والأول محذوف لدلالة السياق عليه والتقدير: واتخذوا الأصنام آلهة من دون الله والجملة: مستأنفة ﴿لِّيَكُونُواْ﴾ (اللام): حرف جر وتعليل ﴿يكونوا﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي و(الواو) اسمها ﴿لَهُمْ﴾ حال من ﴿عِزًّا﴾ ﴿عِزًّا﴾ خبرها والجملة: في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لكونهم عزاً لهم الجار والمجرور متعلق بـ﴿اتخذوا﴾. ﴿كَلَّاۚ﴾: حرف ردع وزجر ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ فعل وفاعل ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾: متعلق به والجملة: مستأنفة ﴿وَيَكُونُونَ﴾: فعل مضارع ناقص واسمها ﴿عَلَيْهِمْ﴾ حال من ﴿ضِدًّا﴾. ﴿ضِدًّا﴾: خبر يكون ووحده وهو جمع لمحاً لأصله، لأنه في الأصل مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع، أو لأنه مفرد في معنى الجمع، والجملة: معطوفة على الجملة التي قبلها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾.

﴿أَلَمْ﴾ الهمزة: للإستفهام التقريري ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لم﴾: وفاعله ضمير مستتر فيه يعود على محمد تقديره: أنت والجملة: مستأنفة ﴿أَنَّآ﴾ ناصب واسمه ﴿أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلق به وجملة: ﴿أَرْسَلْنَا﴾: في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعول ﴿تَرَ﴾. ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾: فعل مضارع ومفعول به ﴿أَزًّا﴾: مفعول مطلق وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب حال من ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾. ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾ الفاء: فاء الفصيحة لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما ذكرته لك، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لك ﴿لا تعجل﴾. ﴿لا﴾ ناهية جازمة ﴿تَعْجَلْ﴾: فعل

مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾: الناهية وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة وجملة إذا المقدرة: مستأنفة ﴿إِنَّمَا﴾ كافة ومكفوفة ﴿نَعُدُّ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به ﴿عَدًّا﴾: مفعول مطلق وجملة: ﴿نَعُدُّ﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾.

﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية بفعل محذوف تقديره: اذكر لهم يا محمد يوم نحشر المتقين والجملة المحذوفة مستأنفة ﴿نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلق بـ﴿نَحْشُرُ﴾ ﴿وَفْدًا﴾: حال من ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: وافدين وجملة ﴿نَحْشُرُ﴾ في محل الجر مضاف إليه للظرف ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿نَحْشُرُ﴾ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ متعلق بـ﴿نسوق﴾. ﴿وِرْدًا﴾ حال من ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: واردين ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول والجملة: مستأنفة مسوقة لتقرير حال الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، ولا علاقة لها بالفريقين المتقدمين ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر واستثناء ﴿مَنِ﴾ اسم موصول في محل الرفع بدل من الواو في ﴿يَمْلِكُونَ﴾ أو في محل النصب على الاستثناء المتصل ﴿ٱتَّخَذَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنِ﴾ ﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: ظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لـ﴿ٱتَّخَذَ﴾. ﴿عَهْدًا﴾: هو المفعول الأول له، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وقد اختار أبو البقاء والزمخشري: أن يكون الاستثناء منقطعاً.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾.

﴿وَقَالُوا۟﴾: فعل وفاعل والجملة: مستأنفة ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾: فعل وفاعل ومفعول والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿لَّقَدْ﴾ (اللام) موطئة للقسم ﴿قد﴾: حرف تحقيق ﴿جِئْتُمْ شَيْـًٔا﴾: فعل وفاعل ومفعول و﴿إِدًّا﴾ صفة ﴿شَيْـًٔا﴾ والجملة الفعلية: جواب لقسم محذوف، وجملة القسم، في محل النصب مقول

لقول محذوف تقديره: قال الله سبحانه والله لقد جئتم شيئاً إداً، ﴿تَكَادُ﴾ فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: اسمها ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾: فعل وفاعل منه متعلق به والجملة في محل النصب خبر كاد وجملة ﴿تَكَادُ﴾: مستأنفة أو صفة لـ﴿إِدًّا﴾ كما في «الفتوحات» ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾: فعل وفاعل والجملة في محل النصب خبر لكاد المحذوفة المعلومة من السياق، والتقدير وتكاد الأرض تنشق منه، والجملة معطوفة، على جملة كاد الأول ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ﴾: فعل وفاعل ﴿هَدًّا﴾: حال من الجبال؛ أي: مهدودةً أو مفعول مطلق معنوي لـ﴿تخر﴾ لأن الخرور والهد معناهما السقوط، والجملة الفعلية: خبر لكاد المحذوفة تقديره: وتكاد الجبال تخر هدا ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿دَعَوْا﴾: فعل وفاعل في محل النصب بـ﴿أن﴾ المصدرية مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ متعلق بـ﴿دعوا﴾. ﴿وَلَدًا﴾ مفعول ثان لـ﴿دعوا﴾ والأول محذوف تقديره: معبودهم لأن ﴿دعوا﴾ بمعنى سموا وهي تتعدى لاثنين بنفسها، أو بالباء، وجملة ﴿دعوا﴾ مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور على كونه بدلاً من ضمير ﴿مِنْهُ﴾ في قوله: ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ أو مجرور بلام جر محذوفة متعلقة بـ﴿تَكَادُ﴾ والتقدير: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ لأجل دعوتهم ونسبتهم ﴿لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ (الواو): حالية ﴿مَا﴾ نافية ﴿يَنۢبَغِى﴾: فعل مضارع ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلق به ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿يَتَّخِذَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿وَمَا﴾ المصدرية وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾. ﴿وَلَدًا﴾ مفعول به والجملة الفعلية مع أن المصدرية في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية، والتقدير ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ﴾ اتخاذ ولد وجملة ﴿يَنۢبَغِى﴾ في محل النصب حال من ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ في قوله: ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ﴾. ﴿إِن﴾: نافية ﴿كُلُّ﴾ مبتدأ ﴿مَن﴾ اسم موصول في محل الجر مضاف إليه لـ﴿كُلُّ﴾ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور صلة الموصول ﴿والأرض﴾ معطوف على السموات ﴿إلا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: خبر المبتدأ ومضاف إليه ﴿عَبْدًا﴾: حال من الضمير المستتر في ﴿ءَاتِى﴾ والجملة الاسمية: مستأنفة.

﴿لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.

﴿لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ اللام: موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿أَحْصَىٰهُمْ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ والجملة الفعلية: جواب للقسم المحذوف لا محل لها من الإعراب وجملة القسم: مستأنفة. ﴿وَعَدَّهُمْ﴾: فعل ومفعول به وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾. ﴿عَدًّا﴾ مفعول مطلق والجملة معطوفة على جملة ﴿أَحْصَىٰهُمْ﴾. ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ﴾: مبتدأ وخبر ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف متعلق بـ﴿ءَاتِيهِ﴾. ﴿فَرْدًا﴾ حال من الضمير المستتر في ﴿ءَاتِيهِ﴾ والجملة الاسمية: معطوفة على جملة القسم، أو مستأنفة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ءَامَنُوا۟﴾. ﴿سَيَجْعَلُ﴾: فعل مضارع ﴿لَهُمُ﴾ مفعول ثان ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فاعل ﴿وُدًّا﴾: مفعول أول له والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾.

﴿فَإِنَّمَا﴾ الفاء: تعليلية لمعلول محذوف دل عليه السياق تقديره: بلِّغ هذا المنزّل عليك وبشر به وأنذر لأنَّا يسَّرناه بلسانك لتبشر به كما في «أبي السعود» ﴿إنما﴾: أداة حصر ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿بِلِسَانِكَ﴾ جار ومجرور حال من ضمير ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ تقديره: حالة كونه جارياً على لسانك والجملة الفعلية: في محل الجر بلام التعليل المقدرة المدلول عليها بـ(الفاء) تعليلية والجملة المعللة المحذوفة: مستأنفة ﴿لِتُبَشِّرَ﴾ (اللام) حرف جر وتعليل ﴿تبشر﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي وفاعله: ضمير يعود على محمد ﴿بِهِۦ﴾ متعلق به ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: مفعول به والجملة الفعلية، مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور بـ(اللام) تقديره: لتبشيرك به المتقين، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ ﴿وَتُنذِرَ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿تبشر﴾ وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿بِهِۦ﴾ متعلق به ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به ﴿لُّدًّا﴾ صفة لـ﴿قَوْمًا﴾. ﴿وَكَمْ﴾ (الواو): استئنافية ﴿كم﴾: خبرية بمعنى عدد كثير في محل النصب مفعول مقدم

لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾. ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل وفاعل والجملة مستأنفة ﴿قَبْلَهُم﴾: ظرف متعلق بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾. ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ تمييز لـ﴿كم﴾ مجرور بـ﴿مِّن﴾ الزائدة ﴿هَلْ﴾ للاستفهام الإنكاري ﴿تُحِسُّ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿مِنْهُم﴾ حال ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾: لأنه كان صفة لـ﴿أَحَدٍ﴾. ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ﴾: مفعول به منصوب محلاً والجملة: جملة إنشائية مستأنفة ﴿أَوْ تَسْمَعُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على محمد والجملة: معطوفة على جملة ﴿تُحِسُّ﴾. ﴿لَهُمْ﴾: حال من ﴿رِكْزًا﴾. ﴿رِكْزًا﴾: مفعول به.

التصريف ومفردات اللغة

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: ظاهرات الإعجاز ﴿مَّقَامًا﴾؛ أي: مكاناً ومنزلاً بفتح الميم اسم مكان من قام الثلاثي أو مصدر ميمي وقرىء بالضم، فيكون أيضاً اسم مكان أو مصدراً ميمياً من أقام الرباعي المزيد، والمراد، هنا: موضع القوم؛ أي: خير مكان قيام أو إقامةٍ ﴿نَدِيًّا﴾؛ أي: مجلساً ومجتمعاً، ومثله النادي وقيل: هو المجلس يجتمع فيه لحادثة أو مشورةٍ، ومنه دار الندوة التي كان المشركون يتشاورون فيها في أمورهم، والندي فعيل، أصله: نديو لأن لامه واو يقال: ندوتهم أندوهم؛ أي: أتيت ناديهم، والنادي مثله ومنه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: أهل ناديه، والندي والنادي، مجلس القوم ومتحدثهم، وقيل: هو مشتق من الندىٰ وهو الكرم، لأن الكرماء يجتمعون فيه ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ والقرن مفرد لفظاً متعدد معنًى ﴿أَثَٰثًا﴾ والأثاث: متاع البيت من الفرش والثياب وغيرها والمال، ويقال: أث يئث ويأث ويؤث أثاثاً وأثوثاً وأثاثةً، وأثَّ النبات أو الشعر: التف وكثر فهو أث وأثيث ﴿رئيا﴾ والرئي: فعل بمعنى مفعول فهو المرئيُّ كالذِبح والطِحن بمعنى المذبوح والمطحون، فهو بمعنى المنظر الحسن والصورة والهيئة الحسنة والنضارة، ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ أي: فليمهله بطول العمر والتمكن من سائر التصرفات ﴿مَّرَدًّا﴾؛ أي: مرجعاً وعاقبةً ﴿وَوَلَدًا﴾ والولد، بفتحتين: اسم مفرد قائم مقام الجمع، وأما بالضم فالإسكان فقيل: هو كالولد بفتحتين، فيقال: ولد وولد كما يقال، عرب وعرب، وقيل: بل هو جمع ولد نحو: أسد وأسد كما في «السمين».

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾، أصله: أإطّلع بفتح الهمزة الاستفهامية وكسر همزة الوصل فحذفت همزة الوصل تخفيفاً وبقيت همزة الاستفهام المفتوحة، واطلع: يتعدى بنفسه كقولهم اطلع الجبل، ويقال: اطلع الأمر، وعليه علمه، ويقال أيضاً: اطلع طلع العدو بكسر الطاء وسكون اللام عرف باطن أمرهم، وقد توهم بعضهم أنه لا يعدى إلا بعلى، فأعرب الغيب بنزع الخافض، وإنما هو من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه، وطلع الثنية: قال جرير:

إِنِّــيْ إِذَا مُـضَــرٌ عَـلَــيَّ تَـحَـدَّثَــتْ   لاَقَـيْـتُ مُـطَّـلَـعَ الْـجِـبَـالِ وُعُـوْرَاً

فمطلع اسم مكان من اطلع المشدد، أصله: اطتلع على بناء الافتعال، فقلبت التاء طاءً وأُدغمت الطاء في الطاء، وهو في البيت نصب على الظرفية، والوعور جمع وعر؛ أي: صعب يريد الشاعر: إذا تقولت عليَّ مضر ما لا أرتضيه، أو حدثتها نفسها بقتلي.. تمرست بالصعاب ولا أُبالي بها ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ﴾ مضارع مد الشيء يمده من باب نصر: أطاله وبسطه وجذبه ومد الحبل فامتد وهذا ممد الحبل.

فائدة في مبحث كلا: للنحويين في هذه اللفظة ستة مذاهب:

أحدها: وهو مذهب جمهور البصريين كالخليل وسيبويه وأبي الحسن الأخفش وأبي العباس: أنها حرف ردع وزجر وهذا معنى لائق بها، حيث وقعت في القرآن، وما أحسن ما جاءت في هذه الآية زجرت وردت ذلك القائل.

والثاني: وهو مذهب النضر بن شميل: إنها حرف تصديق بمعنى نعم، فتكون جواباً ولا بد حينئذٍ من أن يتقدمها شيء لفظاً أو تقديراً وقد تُستعمل في القسم.

والثالث: هو مذهب الكسائي وأبي بكر بن الأنباري ونصر بن يوسف وابن واصل: أنها بمعنى حقاً.

والرابع: وهو مذهب أبي عبد الله الباهلي: أنها رد لما قبلها، وهذا قريب من معنى الردع.

والخامس: أنها صلة في الكلام بمعنى إي كذا قيل، وفيه نظر: فإن إي

حرف جوابٍ ولكنه مختص بالقسم.

والسادس: أنها حرف استفتاح، وهو قول أبي حاتم، ولتقرير هذه المذاهب موضع هو أليق بها قد حققتها بحمد الله فيه .اهـ «سمين».

وذكرت كلا في القرآن في النصف الثاني منه فقط، وذكرت في خمس عشرة سورةً منه كلها مكية، وجملة ما ذكر منها في القرآن. ثلاثة وثلاثون مرة، ترجع إلى أقسام ثلاثة:

قسم: يجوز الوقف عليها، وعلى ما قبلها فيُبتدأ بها وهذا باتفاق.

وقسم: اختلف فيه، هل يجوز الوقف عليها أو يتعين على ما قبلها.

وقسم: لا يجوز الوقف عليها باتفاق.

فالقسم الأول: خمسة مواضع: اللتان في هذه السورة، واللتان في سورة الشعراء، وواحدة في سورة سبأ.

والقسم الثاني: تسعة واحدة في سورة المؤمنين، وثنتان في سورة سأل سائل، وثنتان في سورة المدثر الأولى والثالثة، والأولى في سورة القيامة، والثانية في سورة ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ والأولى في سورة الفجر، والتي في سورة ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ﴾..

والقسم الثالث: هو التسع عشرة الباقية .اهـ شيخنا عن العز بن جماعة.
﴿وَنَرِثُهُۥ﴾؛ أي: نسلبه منه ونأخذه بأن نخرجه من الدنيا خالياً من ذلك، والمراد نزوي عنه ما يقوله من أنه سيناله في الآخرة.

﴿ضِدًّا﴾ وإنما وحَّد الضد وإن كان خبراً عن جمع لأحد وجهين، إما لأنه مصدر في الأصل، والمصادر موحدة مذكرة، وإما لأنه مفرد في معنى الجمع .اهـ «خازن» وفي «القاموس» وضده في الخصومة من باب رد غلبه ومنعه برفق، والقربة ملأها وأضد غضب وضاده: خالفه، وهما متضادان .اهـ فضد كأنه مصدر سماعي أو اسم مصدر تأمل ﴿تَؤُزُّهُمۡ﴾: تهيجهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتجيب الشهوات، والمراد: تعجيب الرسول ﷺ من أقاويل الكفرة،

وتماديهم في الغيّ وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآية المتقدمة .اهـ «بيضاوي» وفي «السمين» ﴿أَزًّا﴾ مصدر مؤكد والأز والأزيز والهز والهزيز، قال الزمخشري: أخوات، وهو التهييج وشدة الإزعاج والأز أيضاً: شدة الصوت وفي «القاموس» وأزَّت القدر تؤز بالضم، وتئز بالكسر أزّاً وأزيزاً وأزازاً بالفتح: اشتد غليانه، وأز النار: أوقدها وأز الشيء حرَّكه شديداً .اهـ.

﴿وَفْدًا﴾: الوفد مصدر وفد يفد وفداً ووفوداً ووفادةً وإفادةً وفد إلى أو على الأمير: قدم وورد رسولاً فهو وافد، والوفد أيضاً: جمع وافدٍ وهم القوم يقدمون على الملوك يستنجزون الحوائج، والمراد: يقدمون مكرمين مبجلين ركباناً ﴿إِلَى الرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: إلى دار كرامته وهي الجنة ﴿وِرْدًا﴾ والورد: القوم الواردون إلى الماء عطاشاً، قد تقطعت أعناقهم من العطش ﴿إِدًّا﴾ بالكسر والفتح العجب، وقيل: العظيم المنكر والإدة: الشدة وآدَّني الأمر: أثقلني وعظم لي ﴿إِدًّا﴾ وفي «القاموس» الإد والإدة بكسرهما العجب، والأمر الفظيع والداهية: والمنكر كالإد بالفتح وأدَّته الداهية تؤده بالضم، وتئده بالكسر، وتأده بالفتح: دهشة ﴿يتفطرن﴾ من التفطر وهو التشقق ﴿ينفطرن﴾ من الانفطار وهو الانشقاق ﴿وَتَخِرُّ﴾ تسقط وتنهدم ﴿دَعَوْا﴾؛ أي: نسبوا وأثبتوا.

﴿وُدًّا﴾؛ أي: محبةً ومودةً وفي «المصباح» وددته أوده من باب تعب وداً بفتح الواو وضمها: أحببته والاسم: المودة ووددت لو كان كذا أيضاً وداً ووداد‌ةً تمنيته، وفي «المختار» الود بضم الواو وفتحها وكسرها: المحبة فهي مثلثة الواو، والأرجح: الضم وبها قرأ السبعة، وقرىء في غير السبعة، بفتحها وكسرها، ويحتمل أن يكون المفتوح مصدراً، والمضموم والمكسور اسمين. ﴿لُّدًّا﴾ جمع ألد؛ أي: شديد الخصومة، وهذا الجمع من قبيل قوله: فعل لنحو أحمر وحمراء ﴿تُحِسُّ﴾ بضم التاء: مضارع أحس، وفي «المصباح»: الحس والحسيس: الصوت الخفي وحسه حساً فهو حسيس، مثل قتلته قتلاً فهو قتيل، وأحس الرجل الشيء إحساساً علم به، يتعدى بنفسه مع الألف قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وربما زيدت فيه الباء، فقيل: أحس به على معنى شعر به، وحسست به من باب قتل لغة والمصدر: الحس بالكسر يتعدى بالباء على معنى شعرت أيضاً

﴿رِكۡزَۢا﴾ الركز: الصوت الخفي، ومنه ركز الرمح، إذا غُيِّب طرفه في الأرض، ومنه الركاز وهو المال المدفون.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ﴾ فقد شبه الغيب المجهول الملثَّم بالأسرار بجبل شامخ، الذرىٰ لا يرقى الطير إلى مداه، فهو مجهول تتحطم عليه آمال الذين يريدون استشفاف آفاقه، وإدراك تهاويله، ثم حذف الجبل؛ أي: المشبه به وأخذ شيئاً من خصائصه ولوازمه وهو: الاطلاع والارتقاء، واستشراف مغيباته والغرض من هذه الاستعارة السخرية البالغة، كأنه يقول: أو بلغ هذا مع حقارته، وتفاهة أمره، وصغار شأنه، أن ارتقى إلى الغيب المحجب بالأسرار، المطلسم بالخفاء .اهـ من «إعراب القرآن».

ومنها: إخراج الخبر على صيغة الأمر في قوله: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يُفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما يُنبىء عنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أو للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ﴾.

ومنها: التعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية ذكره أبو السعود.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ﴾؛ أي: نأمر الملائكة بالكتابة، فهو من إسناد الشيء إلى سببه.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾، وفي قوله: ﴿ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾، وقوله: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا﴾، وقوله: ﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا﴾، وقوله: ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾﴾.

ومنها: الطباق بين: ﴿تبشر﴾ و﴿تنذر﴾.

ومنها: المقابلة اللطيفة بين المتقين والمجرمين، وبين حال الأبرار والأشرار في قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾، وقوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾.

ومنها: الجناس الناقص بين قوله: ﴿وَفْدًا﴾ ﴿وِرْدًا﴾ لاختلاف الحرف الثاني.

ومنها: اللف والنشر المرتب في قوله: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ حيث رجع الأول إلى ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ والثاني إلى ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿خَيْرٌ﴾. و﴿شَرٌّ﴾.

ومنها: التكرار فقد تكرر ذكر الرحمٰن كما قلنا ست عشرة مرة في هذه السورة معظمها في خواتيمها، والفائدة فيه: أنه هو الرحمٰن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره، وخلق لهم جميع متطلباتهم التي بها قوام معايشهم، فهل اعتبر الإنسان أم لا يزال الغطاء مسدولاً على عينيه، والوقر يغشي أذنيه فمن أضاف إليه ولداً، جعله كالأناس المخلوقة وأخرجه بذاك عن استحقاق هذا الاسم الجدير به وحده.

ومنها: الإلتفات في قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ إلتفت من الغيبة إلى الخطاب، لمشافهتهم بالأمر المنكر الذي اجترحوه، والبدع العجيب الذي ارتكبوه.

ومنها: الاستفهام التعجبي في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ والاستفهام التقريري في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

خلاصة ما حوته هذه السورة الكريمة من المقاصد

١ ـ دعاء زكريا ربه أن يهب له ولداً سرياً مع ذكر الأسباب التي دعته إلى ذلك.

٢ ـ استجابة الله دعاءه وبشارته بولد يسمى بيحيىٰ لم يسم أحد من قبله بمثل اسمه.

٣ ـ تعجب زكريا من خلق ذلك الولد من أبوين، أم عاقر وأب شيخ هرم.

٤ ـ طلبه العلامة على أن امرأته حامل.

٥ ـ إيتاء يحيى النبوة والحكم صبياً.

٦ ـ ما حدث لمريم من اعتزالها لأهلها، وتمثل جبريل لها بشراً سوياً، والتجائها إلى أن يدفع عنها شر هذا الرجل، وإخباره لها أنه ملك لا بشر.

٧ ـ حملها بعيسى ـ عليه السلام ـ وانتباذها مكاناً قصياً، حتى لا يراها الناس، وهي على تلك الحال.

٨ ـ نداء عيسى لها حين الولادة، وأمرها بهز النخلة حتى تساقط عليها رطباً جنياً.

٩ ـ مجيئها بعيسى ومقابلتها لقومها وهي على تلك الحال، وقد انهال عليها اللوم والتعنيف بأنها فعلت ما لم يسبقها إليه أحد، من تلك الأسرة الشريفة التي اشتهرت بالصلاح والتقوى.

١٠ ـ كلام عيسى وهو في المهد تبرئةً لأمه ووصفه نفسه بصفات الكمال، من النبوة، والبركة والبر بوالدته، وأنه لم يكن جباراً متكبراً على خالقه..

١١ ـ اختلاف النصارى في شأنه.

١٢ ـ قصص إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع أبيه آزر، ووصفه له بالجهل، وعدم التأمل في المعبودات التي يعبدها من دون الله، ثم تحذيره إياه بسوء مغبة أعماله، ورد أبيه عليه مهدداً متوعداً.

١٣ ـ هبة الله له إسحاق ويعقوب، وإيتاؤهما الحكم والنبوة.

١٤ ـ قصص موسى ومناجاته ربه في الطور، والامتنان عليه بجعل أخيه هارون وزيراً ونبياً.

١٥ ـ قصص إسماعيل ووصف الله له بصدق الوعد، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

١٦ ـ قصص إدريس ـ عليه السلام ـ، ووصف الله له بأنه صديق نبي، رفيع القدر، عظيم المنزلة عند ربه.

١٧ ـ مجيء خلفٍ من بعد هؤلاء الأنبياء، أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات.

١٨ ـ وعد الله لمن تاب وآمن وعمل صالحاً بجنات لا لغو فيها ولا تأثيم.

١٩ ـ إن جبريل لا ينزل إلى الأنبياء إلا بإذن ربه.

٢٠ ـ إنكار المشركين للبعث استبعاداً له، ورد الله عليهم بأنه خلقهم من قبل ولم يكونوا شيئاً.

٢١ ـ الإخبار بأن الله يحشر الكافرين يوم القيامة مع قرنائهم من الشياطين، ثم يحضرهم حول جهنم جثياً، ثم بدئه بمن هو أشد جرماً والله أعلم بهم.

٢٢ ـ الإخبار بأن جميع الخلق ترد على النار، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين جثياً.

٢٣ ـ بيان أن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن فخروا على المؤمنين بأنهم خير منهم مجلساً، وأكرم منهم مكاناً.

٢٤ ـ تهديدهم بأنه أهلك كثيراً ممن كان مثلهم في العتو والاستكبار، وأكثر أثاثاً ورياشاً.

٢٥ ـ بيان أن الله يمد للظالم ويمهله، ليجترح من السيئات ما شاء، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

٢٦ - النعي على المشركين باتخاذ الشركاء، وأنهم يوم القيامة سيكونون لهم أعداء.

٢٧ - نهي النبي ﷺ عن طلب تعجيل هلاك المشركين. إذ أن حياتهم مهما طالت فهي محدودةٌ معدودةٌ.

٢٨ - التفرقة بين حشر المتقين إلى دار الكرامة، وسوق المجرمين إلى دار الخزي والهوان.

٢٩ - النعي الشديد على من ادعى أن لله ولداً.

٣٠ - بيان أن الله قد أنزل كتابه بلسان عربي مبين، ليبشر به المتقين، وينذر به الكافرين ذوي اللدد والخصومة[١].

والله أعلم

* * *

---

(١) وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد، خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، إلى هنا تم تفسير سورة مريم بإذن الله وتوفيقه، وله الحمد والشكر على إمداده وإحسانه، أوائل ليلة الثلاثاء السادسة عشرة من ربيع الأول من شهور سنة ألف وأربع مئة واثنتي عشر سنة ١٦/٣/١٤١٢، من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

سورة طه

سورة طه: مكية كلها عند الجميع، قيل: إلا آيتي (١٣٠ * ١٣١) فمدنيتان، نزلت بعد سورة مريم، وآيها مئة وخمس وثلاثون آيةً، وكلماتها ألف وثلاث مئة وإحدى وأربعون، وحروفها خمسة آلاف ومئتان واثنان وأربعون حرفاً.

ومناسبتها لما قبلها من وجوه[1]:

١ ـ أنه لما ذكر في سورة مريم قصص عدد من الأنبياء والمرسلين، بعضها بطريق البسط والإيجاز، كقصص إبراهيم ـ عليه السلام ـ وبعضها موجز مجمل، كقصة موسى ـ عليه السلام ـ ثم أشار إلى بقية النبيين بالإجمال. ذكر هنا قصة موسى التي أجملت فيما سلف، واستوعبها غاية الاستيعاب، ثم فصل قصة آدم ـ عليه السلام ـ ولم يذكر في سورة مريم إلا اسمه فحسب.

٢ ـ أنه روي عن ابن عباس أن هذه السورة نزلت بعد سالفتها.

٣ ـ أن أول هذه السورة متصل بآخر السورة السابقة، ومناسب له في المعنى، إذ ذكر في آخر تلك أنه إنما يسر القرآن بلسانه العربي المبين، ليكون تبشيراً للمتقين، وإنذاراً للمعاندين، وفي أوائل هذه ما يؤكد هذا المعنى.

ومن فضائلها: ما أخرج[2] الدارمي وابن خزيمة في «التوحيد»، والعقيلي في «الضعفاء»، والطبراني في «الأوسط»، وابن عدي وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويّس قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، فلما سمعت الملائكة القرآن.. قالوا طوبىٰ لأمةٍ ينزل عليها هذا، وطوبىٰ لأجوافٍ تحمل هذا، وطوبىٰ لألسنةٍ تكلمت بهذا» قال ابن خزيمة بعد إخراجه: حديث غريب وفيه نكارة.

---

(١) المراغي. (٢) الشوكاني.

ومنها[1]: ما أخرج ابن مردويه، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت السورة التي ذكرت فيها الأنعام من الذكر الأول، وأعطيت سورة طه والطواسين من ألواح موسى، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلةً» وفيه مقال. والنافلة: الزيادة.

ومنها: ما أخرجه ابن مردويه عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «كل قرآن يوضع عن أهل الجنة، فلا يقرؤون منه شيئاً، إلا سورة طه ويس، فإنهم يقرؤون بهما في الجنة». وفيه مقال.

ومنها: ما أخرجه الدارقطني في «سننه»، عن أنس بن مالك، فذكر قصة عمر بن الخطاب مع أخته وخباب وقراءتهما طه، وكان ذلك بسبب إسلام عمر، والقصة مشهورة في كتب السير.

الناسخ والمنسوخ من هذه السورة: قال أبو[2] عبد الله محمد بن حزم: جملة المنسوخ من هذه السورة ثلاث آيات:

أولاهن: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾(١١٤) الآية. نُسخ معناها لا لفظها بقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ الأعلى.

والآية الثانية: قوله: تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾(١٣٠) الآية. نُسخ الصبر منها بآية السيف.

والآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾(١٣٥)، جميع هذه الآية منسوخ بآية السيف.

والله أعلم

* * *

(١) الشوكاني.

(٢) الناسخ والمنسوخ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾.

المناسبة

مناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها[1]: أنه تعالى، لما ذكر تبشير القرآن

---

(١) البحر المحيط.

بلسان الرسول ﷺ؛ أي: بلغته، وكان فيما علل به قوله: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾.. أكد ذلك بقوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ والتذكرة: هي البشارة والنذارة، وأن ما ادعاه المشركون من إنزاله للشقاء ليس كذلك، بل إنما نزل تذكرةً.

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن[1] الله سبحانه لما عظَّم كتابه والرسول الذي أنزل عليه بما كلفه به من التبليغ والإنذار والتبشير.. أتبع ذلك بما يقوي قلبه من قصص الأنبياء، وما فعلته أممهم معهم، وكيف كانت العاقبة لهم، والنصر حليفهم، ففي هذا سلوى له، وتأس بهم فيما قاموا به من الذود عن الحق، مهما أصابهم من العنت والأذى، من جراء الدعوة إليه، كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾.

وبدأ بقصص موسى، لأن محنته كانت أشد، فقد تحمل من المكاره ما تنوء به راسيات الجبال، وقابل ذلك بعزم لا يفتر، وبقوة تفل الحديد.

وعبارة أبي حيان هنا[2]: قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر تعظيم كتابه، وتضمن تعظيم رسوله.. أتبعه بقصة موسى ليتأسىٰ به في تحمل أعباء النبوة، وتكاليف الرسالة، والصبر على مقاساة الشدائد، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ فقال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر[3] مناجاته لموسى، حين رأى النار التي في الشجرة، واختياره نبياً، وإيحاءه إليه أن لا إلٰه إلا هو، وأمره بإقامة الصلاة، لما فيها من ذكره، وتخصيصه بالعبادة دون سواه، ثم إخباره بأن الساعة آتية لا

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.

محالة، ليجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بما دسى به نفسه جزاءً وفاقاً.. قفىٰ على ذلك بذكر البرهانات التي آتاها موسى دلالةً على نبوته، وتصديقاً له على رسالته، فبدأ بذكر العصا التي انقلبت حيةً تسعى حين ألقاها من يده، وكان قد سأله عنها استجماعاً لقلبه، وتهدئةً لروعه في هذا المقام الرهيب، وإعلاماً بما سيكون لها بعد من عظيم الشأن، وجليل المنافع والمزايا، التي لم تكن تدور بخلده عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها[1]: أن الله سبحانه لما ذكر المعجزة الأولى، الدالة على نبوة موسى عليه السلام وعلى صدق رسالته، وهي العصا وما صدر منها من الأفاعيل حين ألقاها من يده، ثم عودتها سيرتها الأولى حين أخذها من الأرض.. قفىٰ على ذلك بذكر المعجزة الثانية التي آتاه إياها، وهي معجزة اليد، فإنه كان إذا وضع يده اليمنى إلى جنبه الأيسر تحت العضد، ثم أخرجها.. أضاءت كشعاع الشمس، تغشي البصر، ثم بذكر أمره له بالذهاب إلى فرعون لتبليغ رسالة ربه، ثم دعائه ربه أن يشرح له صدره، ويسهل له أمره، وأن يجعل له أخاه هارون نبياً، كي يشد أزره، ويقوى على تبليغ الرسالة ويتعاونا على ذكر الله وعبادته.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما أمر[2] موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون.. عرف أنه كلف أمراً عظيماً يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط، وصدر فسيح، فسأل ربه، ورغب في أن يشرح صدره، ليحتمل ما يرد عليه من الشدائد التي يضيق لها الصدر، وأن يسهل عليه أمره الذي هو خلافة الله في أرضه، وما يصحبها من مزاولة جلائل الخطوب، وقد علم ما عليه فرعون من الجبروت والتمرد والتسلط.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

قبلها: أن موسى ـ عليه السلام ـ لما سأل ربه أموراً ثمانية، وكان قيامه بما كلف به لا يتم على الطريق المرضي إلا إذا أجابه إليها.. لا جرم أجابه الله تعالى إلى ما طلب، ليكون أقدر على الإبلاغ على الوجه الذي كلف به، ثم ذكره بنعمه السالفة حين كانت أمه ترضعه، وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه، فألهمها أن تصنع تابوتاً، وتضعه فيه وتلقيه في النيل، ففعلت فألقاه النيل في الساحل، فالتقطه آل فرعون وربوه في منزلهم، وألقىٰ الله محبةً في قلوبهم له، وصار كأنه ابنهم، ثم ذكره بنجاته من القصاص حين قتل المصري وهرب إلى مدين.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ سبب نزوله[١]: ما أخرجه عبد الله بن حميد في «تفسيره»، عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه ليقوم على كل رجل حتى نزلت آية: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس، أن النبي ﷺ كان أول ما أنزل عليه الوحي، يقوم على صدور قدميه إذا صلى فأنزل الله ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾.

وروى مقاتل[٢]: أن أبا جهل، والوليد بن المغيرة، ومطعم بن عدي، والنضر بن الحارث قالوا لرسول الله ﷺ: إنك لتشقى حيث تركت دين آبائك، فقال عليه السلام: «بل بعثت رحمةً للعالمين» قالوا: بل أنت تشقىٰ، فأنزل الله الآية رداً عليهم، وتعريفاً لمحمد ﷺ بأن دين الإسلام هو السبيل إلى نيل كل فوز، وسبب إدراك كل سعادة، وما فيه المشركون هو الشقاء بعينه.

---

(١) لباب النقول.

(٢) المراغي.

التفسير وأوجه القراءة

﴿طه ۝١﴾ اختلفوا فيه[1] أكثر مما اختلف في غيره من المقطعات، فقال بعضهم: هو اسم القرآن، أو اسم السورة، أو اسم الله، أو مفتاح الإسم الطاهر والهادي، وقال بعضهم: هو اسم من أسماء الرسول ﷺ مثل أحمد ويّس، وغير ذلك، كما قال ـ عليه السلام ـ: «أنا محمد، وأنا أحمد، والفاتح، والقاسم، والحاشر، والعاقب، والماحي، وطه، ويّس». ويؤيد هذا القول الخطاب في ﴿عَلَيْكَ﴾ فيكون حرف النداء محذوفاً؛ أي: يا طه، والطاء والهاء إشارة إلى أنه ـ عليه السلام ـ طالب الشفاعة للناس، وهادي البشر، أو أنه طاهر من الذنوب، وهاد إلى معرفة علاَّم الغيوب، وقيل: إنه من المتشابه الذي لا يفهم المراد به، بناءً على أنه من الحروف المقطعة التي استأثر الله بعلمها، فعليه يكون الوقف عليها تاماً، وهي آية مستقلة لا محل لها من الإعراب، وقيل[2]: إنه بمعنى: يا رجل في لغة عكل، وفي لغة عك، قال الكلبي: لو قلت لرجلٍ من عك: يا رجل.. لم يجب، حتى تقول: طٰه، وأنشد ابن جرير:

دَعَوْتُ بِطَهَ فِيْ ٱلْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُوْنَ مُوَائِلاً

ويُروى مزاولاً، وقيل: إنها في لغة عكٍ بمعنى: يا حبيبي، وقال قطرب: هي كذلك في لغة طي؛ أي: بمعنى: يا رجل، وكذلك قال الحسن وعكرمة، وقيل: هي كذلك في اللغة السريانية، حكاه المهدي، وقيل: إن معناه طوبىٰ لمن اهتدى، وقيل: معناه: طاء الأرض يا محمد، قال ابن الأنباري: وذلك أن النبي ﷺ كان يتحمل مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورم، ويحتاج إلى التروح، فقيل له: طاء الأرض؛ أي: لا تتعب حتى تحتاج إلى التروح، وحكى القاضي عياض في «الشفاء» عن الربيع بن أنس، قال: كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله ﴿طه ۝١﴾؛ يعني: طاء الأرض يا محمد، وحكي عن الحسن البصري أنه قرأ طه على وزن دع: أمر بالوطء، والأصل طأ

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

فقلبت الهمزة هاءً.

وقد تقدم القول أن[1] أصح الآراء في الحروف المقطعة التي في أوائل السور أنها حروف تنبيهٍ كـ(ألا) و(يا)، ونحوهما، مما يُذكر في أوائل الجمل لقصد تنبيه المخاطب إلى ما يُلقى بعدها لأهميته، وإرادة إصغائه إليه، نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ويُنطق بأسمائها عند قراءتها فيقال: طاها.

وقيل[2]: (طا) فعل أمر، وأصله: طأ فخففت الهمزة بإبدالها ألفاً، و(ها) مفعول به، وهو ضمير الأرض؛ أي: طاء الأرض بقدميك، ولا تراوح إذ كان يراوح حتى تورمت قدماه، وقرأت فرقة، منهم الحسن، وعكرمة، وأبو حنيفة، وورش، في اختياره: طه، قيل: أصله طأ، فحذفت الهمزة، وأُدخلت هاء السكت، وأُجري الوصل مجرىٰ الوقف، أو أصله: طأ وأبدلت همزته هاء، فقيل: طه، وقرأ الضحاك وعمرو بن فائد: ﴿طاوى﴾.

وقال ابن الجوزي[3]: وفي طه قراءات: قرأ ابن كثير وابن عامر ﴿طه ﴿١﴾﴾ بفتح الطاء والهاء، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿طه﴾ بكسر الطاء والهاء، وقرأ نافع: ﴿طه﴾ بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب، كذلك قال خلف عن المسيبي، وقرأ أبو عمرو: ﴿طه﴾ بفتح الطاء وكسر الهاء، ورویٰ عنه عباس مثل حمزة، وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين العقيلي، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية: ﴿طه﴾ بكسر الطاء وفتح الهاء، وقرأ الحسن: ﴿طه﴾ بفتح الطاء وسكون الهاء، وقرأ الضحاك، ومورق: ﴿طه﴾ بكسر الطاء وسكون الهاء. انتهى.

وجملة: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾: مستأنفة[4] مسوقة لتسلية رسول الله ﷺ عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب، والشقاء: يجيء في

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) زاد المسير.
(٤) الشوكاني.

معنى التعب، قال ابن كيسان: وأصل الشقاء في اللغة: العناء والتعب، ومنه قول الشاعر:

ذُوْ ٱلْعَقْلِ يَشْقَىٰ فِيْ ٱلنَّعِيْمِ بِعَقْلِهِ   وَأَخُوْ ٱلْجَهَالَةِ فِيْ ٱلشَّقَاوَةِ يَنْعُمُ

والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن لا يؤمنوا، فهو كقوله سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾؛ أي[1]: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب وتغلو في مكابدة الشدائد، حين تحاور أولئك القوم الطغاة، وتقاول أولئك العتاة، وتفرط في الأسىٰ على كفرهم، وتتحسر على عدم إيمانهم، بل أنزلناه عليك لتبلِّغ وتذكِّر، وقد فعلت، فلا عليك إن لم يؤمنوا بعد هذا.

وقصارى ذلك: أنا أنزلناه عليك لتذكر به، فمن آمن وأصلح.. فلنفسه، ومن كفر.. فلا يحزنك كفره، إن عليك إلا البلاغ، ولست عليهم بمسيطر.

وقرأ طلحة[2]: ﴿ما نزِّل عليك﴾ بنون مضمومة وزاي مكسورة مشددة، مبنياً للمفعول ﴿القرآن﴾ بالرفع وقرأ الجمهور ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وقوله: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ نصب على أنه مفعول له لـ﴿أَنزَلْنَا﴾ معطوف على ﴿تشقىٰ﴾ بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع، فإن الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين إلا من حيث البدلية، أو العطف، كأنه قيل: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه، ولكن أنزلناه تذكيراً وموعظةً لمن يخشى الله تعالى، ويتأثر بالإنذار لرقة قلبه، وحسن استعداده؛ أي: تذكيراً وموعظةً لمن يعلم الله منه أن يخشى بالتذكرة والتخويف، أو لمن يؤول أمره إلى الخشية، والخشية باعثة على الإيمان والطاعة، وقد كان ـ عليه السلام ـ يعظهم به بتلاوته، وتفسير ما جاء به من مقاصد وأغراض ومصالح لهم في دنياهم وآخرتهم، وقد جرَّد[3] التذكرة عن اللام، لكونها فعلاً لفاعل الفعل المعلل.

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

(٣) روح البيان.

وخص الخاشعين بالذكر، مع أن القرآن تذكرة للناس كلهم، لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ لأنهم المنتفعون بها، فكأن غيرهم لا وجود له، لعدم انتفاعه به.

وخلاصة ذلك: حسبك ما حُمِّلْته من متاعب التبليغ والتبشير والإنذار، ولا تنهك بدنك بحملهم على قبول الدعوة والاستجابة لأمرك، فإن ذلك من شأننا لا من شأنك، وبيدنا لا بيدك، قال في «الكبير» ويدخل تحت قوله: ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ الرسول، لأنه في الخشية والتذكرة فوق الكل.

وقوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾ منصوب على المصدرية، بفعل محذوف تقديره: نُزِّل هذا القرآن عليك تنزيلاً من ربك، الذي خلق الأرض والسموات؛ أي: أوجدهما من العدم إلى الوجود، وتخصيص[1] خلق الأرض والسموات، لكونهما أعظم ما يشاهده العباد من مخلوقاته عز وجل، ولأنهما قوام العالم وأصوله، وتقديم[2] الأرض لكونها أقرب إلى الحس، وأظهر عنده من السموات.

ووصف السموات بالعلى[3]؛ أي: المرافعة، وهو جمع العليا مؤنث الأعلى، مثل الكبرى والأكبر والكبر، للدلالة على عظم قدرة خالقها بعلوها، وعطف السموات على الأرض، من عطف الجنس على الجنس، لأن التعريف مصروف إلى الجنس، لا من عطف الجمع على المفرد، حتى يلزم ترك الأولى من رعاية التطابق بين المعطوف والمعطوف عليه، والمراد بهما: ما في جهة السفل والعلو، ويستتبع ذلك كل ما يتعلق بهما، وقرأ ابن[4] أبي عبلة ﴿تنزل﴾ رفعاً على إضمار هو، وهذه القراءة تدل على عدم تعلق ﴿يخشى﴾ بتنزيل، وأنه منقطع مما قبله فنصبه على إضمار نزل، كما ذكرناه آنفاً، والظاهر في ﴿مَن﴾ أنها متعلقة بتنزيل، ويجوز أن يكون في موضع الصفة، فيتعلق بمحذوف وفي قوله

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.
(٣) روح البيان.
(٤) البحر المحيط.

﴿مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ تعظيم وتفخيم لشأن القرآن، إذ هو منسوب تنزيله إلى من هذه أفعاله وصفاته، وتحقير لمعبوداتهم، وتعريض للنفوس على الفكر والنظر، وكأن في قوله: ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ التفاتاً، إذ فيها الخروج من ضمير التكلم، وهو في ما أنزلناه إلى الغيبة، وفيه عادة التفنن في الكلام، وهو مما يحسن الكلام، إذ لا يبقى على نظام واحد، وجريان هذه الصفات على لفظ الغيبة والتفخيم، بإسناد الإنزال إلى ضمير الواحد المعظم نفسه، ثم إسناده إلى من اختص بصفات العظمة التي لم يشركه فيها أحد، فحصل التعظيم من الوجهين، ذكره أبو حيان في «البحر».

وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ رفع[1] على المدح على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو سبحانه الرحمٰن الذي على عرشه استوى وارتفع وعلا، استواءً يليق به، نعتقده ونثبته، ولا نمثله ولا نكيفه ولا نعطله، وقد تقدم هذا في سورة الأعراف ببسط وإطناب، أو مبتدأ، واللام فيه للعهد مشاراً به إلى ﴿من خلق﴾ خبره ما بعده.

وروى جناح بن حبيش عن بعضهم: أنه قرأ: ﴿الرحمٰن﴾ بالكسر، والأحسن أن يكون ﴿الرحمٰن﴾ حينئذ بدلاً من ﴿من﴾ الموصولة في قوله: ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ وعلى قراءة الجر يكون التقدير: هو على العرش استوى ﴿لَهُۥ﴾ سبحانه وتعالى لا لغيره ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سواء كان ما فيهما جزءاً منهما، أو حالاً فيهما ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: ما بين السموات والأرض من الموجودات الكائنة في الجو دائماً، كالهواء والسحاب، أو أكثرياً كالطير؛ أي: له جميع ذلك ملكاً وخلقاً وتدبيراً وتصرفاً ﴿و﴾ له ﴿ما تحت الثرى﴾؛ أي: وله ما واراه التراب، وأخفاه من المعادن وغيرها، والثرىٰ في اللغة: التراب الندي، قال الواحدي: والمفسرون يقولون: إنه سبحانه أراد الثرىٰ الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الأرض، ولا يعلم ما تحت الثرىٰ إلا الله سبحانه.

والمعنى عليه: وله سبحانه[2] الذي تحت الأرض السابعة السفلىٰ، لأن

---

(١) روح البيان.
(٢) المراح.

الأرضين على ظهر الحوت، والحوت على الماء، والماء على صخرةٍ خضراء، فخضرة السماء منها، والصخرة على قرني ثور، والثور على الثرىٰ وهو: التراب الندي، ولا يعلم ما تحته إلا الله سبحانه.

والمعنى[1]: أنه تعالى مالك لهذه الأقسام الأربعة، تصرفاً وإيجاداً وإعداماً وإحياءً وإماتةً، وجواب الشرط في قوله: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ محذوف تقديره: وإن تجهر وترفع صوتك بذكر الله تعالى ودعائه.. فاعلم أنه تعالى غني عن جهرك وإعلانك ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ ما هو و﴿أخفى﴾ من السر، فالفاء فيه تعليلية للجواب المحذوف، وهذا[2] إما نهي عن الجهر، كقوله سبحانه ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾، وإما إرشاد[3] للعباد إلى أن الجهر ليس لإسماعه، بل لغرض آخر من تصور النفس بالذكر، ورسوخه فيها، ومنعها من الاشتغال بغيره، وقطع الوسوسة عنها، وهضمها بالتضرع والجؤار، وإيقاظ الغير، ونشر البركات، إلى مدى صوته، وتكثير إشهاد، ونحو ذلك، والجهر بالقول: هو رفع الصوت به، والسر ما حدَّث به الإنسان نفسه، وأسره إليه، والأخفى من السر: هو ما حدث به الإنسان نفسه، وأخطره بباله.

والمعنى: أي[4] وإن تجهر بدعاء الله وذكره.. فاعلم أنه تعالى غني عن جهرك، لأنه يعلم ما أسررته إلى غيرك، ولم ترفع به صوتك، وأخفى منه مما تخطره ببالك دون أن تتفوه به. والدعاء والذكر باللسان، إنما شرعا ليتصور الداعي والذاكر المعنى في نفسه، لا ليسمع صوته، ولا فضل للنطق والجهر به إلا في منع الشواغل الشاغلة عن حضور المعاني في القلوب، كما قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ ثم ذكر سبحانه أن الموصوف بالعبادة على الوجه المذكور هو الله سبحانه، المنزه عن الشريك، المستحق لتسميته بالأسماء الحسنى فقال: ﴿ٱللَّهُ﴾ هو خبر لمبتدأ محذوف؛ أي:

---

(١) المراح.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.
(٤) المراغي.
(٥) روح البيان.

ذلك الموصوف بما ذكر من الأوصاف الكمالية، هو الله؛ أي: المعبود بحق لا غيره، وجملة قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾؛ أي: لا معبود في الأرض ولا في السماء موجود ﴿إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: إلا ذلك الغائب عن الحواس، الموجود في الأزل قبل وجود الكائنات، مستأنفة لبيان اختصاص الإلٰهية به سبحانه؛ أي: لا إلٰه في الوجود إلا هو سبحانه، ودل قوله[1] ﴿إِلَّا هُوَ﴾: على الهوية، فإن هو كناية عن غائب موجود، والغائب عن الحواس الموجود في الأزل هو الله تعالى، وفيه معنى حسن، وهو: التعالي عن درك الحواس، حتى استحق اسم الكناية عن الغائب من غير غيبة، كما في «بحر العلوم» وكذا جملة قوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مستأنفة مبينة لاستحقاقه تعالى للأسماء الحسنى، وهي التسعة والتسعون التي ورد بها الحديث الصحيح، ومبينة لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية، والمالكية، والعالمية، أسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى، فإنه رُوي أن المشركين حين سمعوا النبي ﷺ يقول: يا ألله، يا رحمٰن، قالوا: ينهانا أن نعبد إلٰهين، وقد يدعو إلٰهاً آخر، و﴿الحسنى﴾ تأنيث الأحسن، يوصف به الواحدة المؤنثة، والجمع من المذكر والمؤنث، كـ﴿مآرب أخرىٰ﴾ و﴿ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَىٰ﴾، وفضل أسماء الله تعالى في الحسن على سائر الأسماء، لدلالتها على معاني التقديس، والتمجيد، والتعظيم، والربوبية، والأفعال التي هي النهاية في الفضل والحسن.

والمعنى[2]: أي إن ما ذكر من صفات الكمال التي تقدمت، ليس بأهل لها إلا ذلك المعبود الحق، الذي لا رب غيره، ولا إلٰه سواه، وله الصفات الحسنى، الدالة على التقديس والتمجيد، والأفعال التي هي الغاية في الحكمة والسداد.

ثم قرر سبحانه أمر التوحيد، بذكر قصة موسى المشتملة على القدرة الباهرة، والخبر الغريب، فقال: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد وبلغك ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ بن

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

عمران عليه السلام؛ أي: وهل بلغك كيف كان ابتداء الوحي إلى موسى، وتكليم الله سبحانه إياه، والاستفهام[1] فيه للتقرير، ومعناه: أليس قد أتاك حديث موسى، وقيل معناه: قد أتاك حديث موسى، وقال الكلبي: لم يكن قد أتاه حديث موسى إذ ذاك.

ومن سنن العربية[2]: أنه إذا أريد تثبيت الخبر، وتقرير الجواب في نفس المخاطب، أن يلقى إليه بطريق الاستفهام، فيقول المرء لصاحبه: هل بلغك كذا وكذا، فيتطلع السامع إلى معرفة الخبر، ويُصغي إليه أتم الإصغاء.

وفي سياق هذه القصة تسلية للنبي ﷺ لما يلاقيه من مشاق أحكام النبوة، وتحمل أثقالها، ومقاساة خطوبها، وأن ذلك شأن الأنبياء قبله، والمراد بالحديث: القصة الواقعة لموسى، رُوي أن موسى ـ عليه السلام ـ استأذن شعيباً في الرجوع إلى والدته، فأذن له بعد أن قضى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم، فخرج وسار قاصداً مصر بعد أن طالت غيبته عنها، فقد زادت على عشر سنين، ومعه زوجه فوُلد له ابنٌ في الطريق في ليلة شاتية، ذات ثلج وبردٍ وسحابٍ وضبابٍ وظلامٍ، وكانت ليلة جمعة، ونزل منزلاً بين شعاب وجبال، وجعل يقدس بزندٍ كان معه ليوري ناراً، فلم تور المقدحة شيئاً، وبينا هو يزاول ذلك ويعالجه ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ من بُعدٍ عن يسار الطريق ﴿فَقَالَ﴾ موسى ﴿لِأَهْلِهِ﴾؛ أي: لامرأته وولدها وخادمها، فإن الأهل يفسر بالأزواج والأولاد والعبيد والإماء والأقارب وبالأصحاب وبالمجموع، كما في «شرح المشارق» لابن ملك. مبشراً لهم ﴿ٱمْكُثُوٓا﴾؛ أي: أقيموا مكانكم ولا تتبعوني ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾ وأبصرت ﴿نَارًا﴾ وسأذهب إليها ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾؛ أي: لعلي أجيئكم منها بشعلة مقتبسة على رأس عود أو نحوه ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى﴾ تلك ﴿ٱلنَّارِ هُدًى﴾؛ أي: هادياً يدلني على الطريق، لأن النار قلَّما تخلو من أهل لها، وناس عندها، على أنه مصدر سمي به الفاعل مبالغةً، أو حُذف منه المضاف؛ أي: ذا هداية وكلمة،

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

أو لمنع الخلو دون منع الجمع، ومعنى الاستيلاء في على: أن أهل النار يكتنفونها عند الاصطلاء قياماً وقعوداً، فيشرفون عليها.

وجاء في سورة القصص ﴿لَعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾.

وقصارىٰ ذلك[1]: أنه قال لأهله: أقيموا مكانكم، وإني قد رأيت ناراً، فإما أن آتيكم منها بقبس تشعلون منه ناراً تصطلون بها، وإما أن أجد دليلاً يرشدني إلى الطريق المسلوك، وكان قد ضل عنه.

ومعنى أمكثوا: أقيموا مكانكم، وعبَّر بالمكث دون الإقامة، لأن الإقامة تقتضي الدوام، والمكث ليس كذلك، وقرأ[2] الأعمش وطلحة وحمزة ونافع في رواية: ﴿لأهله امكثوا﴾ بضم الهاء وكذا في القصص، وقرأ الجمهور بكسرها قوله: ﴿بِقَبَسٍ﴾؛ أي: بشعلة نار؛ أي: بشيء فيه لهب مقتبس من معظم النار، وهي المرادة بالجذوة في سورة القصص، وبالشهاب القبس في سورة «النمل»، يقال: قبست منه ناراً في رأس عود، أو فتيلة أو غيرهما.

ولم يقطع موسى بأن يقول إني آتيكم، لئلا يعد ما لم يتيقن الوفاء به، أنظر كيف احترز موسى عن شائبة الكذب قبل نبوته، فإنه حينئذٍ لم يكن مبعوثاً، قال أكثر المفسرين: إن الذي رآه موسى لم يكن ناراً، بل كان نور الرب سبحانه، ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً، وقال الإمام: الصحيح أنه رأى ناراً ليكون صادقاً في خبره، إذ الكذب لا يجوز على الأنبياء. انتهى.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾؛ أي: فلما أتىٰ موسى النار التي آنسها.. ﴿نُودِيَ﴾ موسى من الشجرة، كما هو مصرّح بذلك في سورة القصص؛ أي: من جهتها وناحيتها؛ أي: فلما انتهى إلى النار التي آنسها.. رأى شجرة خضراء من أعلاها إلى أسفلها، أحاطت بها نار بيضاء، تتقد كأضواء ما يكون، ولم ير هناك أحداً، فوقف متعجباً من شدة ضوء تلك النار، وشدة خضرة تلك الشجرة، فلا النار تغير

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.

خضرتها، ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار، قيل: كانت الشجرة سمرةً خضراء، وقيل: عوسجةً، وقيل: علّيقاً، وقيل: شجرة العناب وهي شجرة لا نار فيها، بخلاف غيرها من الأشجار، قالوا[1]: النار أربعة أصناف: صنف يأكل ولا يشرب، وهي نار الدنيا، وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر، وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم، وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى، وقالوا أيضاً: هي أربعة أنواع: نوع له إحراق بلا نور، وهي نار الجحيم، ونوع له نور بلا إحراق، وهي نار موسى، ونوع له إحراق ونور، وهي نار الدنيا، ونوع ليس له إحراق ولا نور، وهي نار الأشجار، قيل: إن موسى أخذ شيئاً من الحشيش اليابس وقصد الشجرة، فكان كلما دنا.. نأت عنه، وإذا نأى.. دنت منه، فوقف متحيراً، فسمع تسبيح الملائكة، ورأىٰ نوراً عظيماً تكل عنه الأبصار، فوضع يديه على عينيه وخاف وبهت، فألقيت عليه السكينة والطمأنينة، فعند ذلك نودي، فقيل: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ فأجاب سريعاً فقال: لبيك، من المتكلم إني أسمع صوتك ولا أرى شخصك، فأين أنت؟ فقال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠﴾ للتوكيد والتحقيق ﴿رَبُّكَ﴾ ومالك أمرك يا موسى، وأنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك، وأقرب إليك منك، فعلم أن ذلك لا ينبغي ولا يكون إلا من الله تعالى، فأيقن به وسمع الكلام بكل أجزائه، حتى إن كل جارحة منه كانت أذناً، وسمعه من جميع الجهات.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿إِنِّيٓ﴾ بكسر الهمزة على إضمار القول عند البصريين، وعلى معاملة النداء معاملة القول، لا أنه ضربٌ منه على مذهب الكوفيين، وقرأ أبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر وابن محيصن وحميد واليزيدي: ﴿أني﴾ بفتح الهمزة، والظاهر أن التقدير: بأني أنا ربك، وقال ابن عطية: لأجل أني أنا ربك، فاخلع نعليك، وأنا مبتدأ أو فصل أو توكيد لضمير النصب، وفي هذه الأعاريب حصل التركيب لتحقيق المعرفة، وإماطة الشبهة.

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

ثم أمره أن يخلع نعليه احتراماً للبقعة المقدسة فقال: ﴿فَٱخۡلَعۡ﴾ وانزع ﴿نَعۡلَيۡكَ﴾ يا موسى عن قدميك، لأن الحفوة أقرب إلى التواضع، وحسن الأدب معه تعالى، وإلى التشريف والتكريم لتلك المقدسة، وقيل: إنهما كانا من جلد حمار غير مدبوغ.

وفي «الترمذي»، عن النبي ﷺ قال: «كان على موسى يومَ كلَّمه ربه كساء صوف، وجبة صوف، وكمة صوف، وسراويل صوف، وكانت نعلاه من جلد حمار ميت» قال: هذا حديث غريب. والكمة: القلنسوة الصغيرة، وكونهما من جلد حمار ميت غير مدبوغ قول عكرمة وقتادة والسدي ومقاتل والكلبي والضحاك، وقيل: كانتا من جلد بقرة ذكي، لكن أمر بخلعهما لبيان بركة الوادي المقدس، حتى وتمس قدماه تربته، ومن ثم طاف السلف الصالح بالكعبة حافين، وروي: أنه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي.

ثم بين سبب الأمر بذلك بقوله: ﴿إِنَّكَ﴾ يا موسى ﴿بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾؛ أي[1]: المطهر والمستبعد من السوء ﴿طُوٗى﴾: اسم الوادي، بدل أو عطف بيان منه؛ أي: لأنك بالوادي المطهر المسمى بطوى، فاخلعهما ليحصل للقدمين بركته، والمقدس: المطهر، والقدس: الطهارة، والأرض المقدسة: المطهرة، سميت بذلك لأن الله أخرج منها الكافرين، وعمرها بالمؤمنين.

وقرأ الحسن[2] والأعمش وأبو حيوة وابن أبي إسحاق وأبو السُّمال وابن محيصن: بكسر الطاء منوناً، وقرأ الكوفيون وابن عامر: بضمها منوناً، وقرأ الحرميان نافع وابن كثير وأبو عمرو: بضمها غير منون، وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو: بكسرها غير منون، وقرأ عيسى بن عمرو والضحاك ﴿طاوى﴾ فمن نوَّن فعلى تأويل المكان، ومن لم ينون وضم الطاء، فيحتمل أن يكون معدولاً عن فعل، نحو زفر وقثم، أو أعجمياً أو على معنى البقعة، ومن كسر ولم ينون فمنع

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

الصرف باعتبار البقعة.

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ واصطفيتك من قومك للنبوة والرسالة ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾؛ أي: للذي يوحىٰ إليك مني من الأمر والنهي، واللام: متعلقة بالسمع، مزيدة في المفعول كما في ردف لكم، والفاء: لترتيب ما بعدها على ما قبلها، وقرأ[1] الجمهور، أبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي وأهل مكة وأهل المدينة: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ بالإفراد، وقرأ حمزة وطلحة والأعمش وابن أبي ليلىٰ وخلف في اختياره: ﴿وأنا اخترناك﴾ بفتح الهمزة وشد النون ﴿اخترناك﴾ بنون العظمة، وقرأ السلمي وابن هرمز والأعمش في رواية: ﴿وإنا﴾ بكسر الهمزة ﴿اخترناك﴾ بنون العظمة عطفاً على ﴿إني أنا ربك﴾ لأنهم كسروا ذلك أيضاً، وقرأ أُبيٌّ ﴿وأني﴾ بفتح الهمزة وياء المتكلم ﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ بالتاء عطفاً على ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾.

وقصارى ذلك[2]: لقد جاءك أمر عظيم، فتأهب له، واجعل كل خاطرك إليه، وقد قالوا: إن من أدب الاستماع سكون الجوارح والأعضاء، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور القلب، والعزم، وقد بيَّن سبحانه أهم ما يوحى إليه بقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ وهو بدل من ﴿ما﴾ في ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ دال على تقدم علم الأصول على علم الفروع، فإن التوحيد من مسائل الأصول، والعبادة الآتية من الفروع ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾؛ أي: إن أول الواجب على المكلف أن يعلم أنه لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ثم أمره سبحانه بالعبادة فقال: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ و(الفاء): فيه أيضاً لترتيب ما بعدها على ما قبلها، لأن اختصاص الإلٰهية به سبحانه موجب لتخصيصه بالعبادة؛ أي: فخصني بالعبادة والتوحيد، ولا تشرك بعبادتي أحدا؛ أي: وإذ كنت أنا الإلٰه حقاً، ولا معبود سواي، فخصني بالعبادة والتذلل والانقياد في جميع ما كلفتك به ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ من عطف الخاص على العام؛ أي: وأد الصلاة على الوجه الذي أمرتك به، مقومة الأركان، مستوفاة الشروط ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾؛ أي: لتذكرني فيها، وتدعوني دعاءً خالصاً، لا يشوبه

---

(١) البحر المحيط والشوكاني.

(٢) المراغي.

إشراك ولا توجه إلى سواي، فهو من إضافة المصدر إلى مفعوله، ويحتمل كونه من إضافة المصدر إلى فاعله؛ أي: لأذكرك بالإثابة.

وخص[1] الصلاة بالذكر مع كونها داخلةً تحت الأمر بالعبادة، لكونها أشرف طاعة، وأفضل عبادة، وعلل الأمر بإقامة الصلاة بقوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾؛ أي: لتذكري، فإن الذكرالكامل لا يتحقق إلا في ضمن العبادة والصلاة، أو المعنى: لتذكرني فيهما لاشتمالهما على الأذكار، أو المعنى أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة، وقيل: المعنى لأذكرك بالمدح في عليين.

وقرأ السلمي والنخعي وأبو رجاء[2]: ﴿للذكرىٰ﴾ بلام التعريف وألف التأنيث، فالذكرىٰ: بمعنى التذكرة؛ أي: لتذكيري إياك، إذا ذكرتك بعد نسيانك، فأقمها، وقرأت فرقة: ﴿لذكرىٰ﴾ بألف التأنيث بغير لام التعريف، وقرأت فرقة: ﴿للذكر﴾.

ثم بيَّن السبب في وجوب العبادة، وإقامة الصلاة فقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ والقيامة ﴿ءَاتِيَةٌ﴾؛ أي: كائنة حاصلة واقعة لا محالة، والساعة[3]: اسم لوقت تقوم فيه القيامة، سمي بها لأنها ساعة حقيقةً، يحدث فهيا أمر عظيم، وإنما عبَّر عن ذلك بالإتيان تحقيقاً لحصولها بإبرازها في معرض أمر محقق متوجه نحو المخاطبين ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾؛ أي: أريد[4] إخفاء وقتها فـ﴿أَكَادُ﴾ بمعنى أريد، أو أقرب أن أخفيها، فلا أقول إنها آتية، ولولا ما في الإخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعذار.. لما أخبرت به، أو أكاد أظهرها، فالإخفاء بمعنى الإظهار، من أخفىٰ الشيء إذا أظهره، وسلب خفاءه، ويؤيده قراءة فتح الهمزة، من خفاه إذا أظهره، ذكره البيضاوي، وقيل: ﴿أَكَادُ﴾[5] زائدة، والمعنى: إن الساعة آتية أسترها عن الخلق، للتهويل والتعظيم، وقال ابن الأنباري: في الآية تفسير آخر[6]

---

(١) الشوكاني.
(٢) البحر المحيط.
(٣) روح البيان.
(٤) البيضاوي.
(٥) روح البيان.
(٦) الشوكاني.

وهو: أن الكلام ينقطع على ﴿أَكَادُ﴾ وبعده مضمر؛ أي: أكاد آتي بها، ووقع الابتداء بـ﴿أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ واختاره النحاس.

وقال الواحدي: قال أكثر المفسرين: ﴿أُخْفِيهَا﴾ من نفسي، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة، وقال المبرد وقطرب: هذا على عادة مخاطبة العرب، يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء.. كتمته حتى من نفسي؛ أي: لم أطّلع عليه، ومعنى الآية على هذا القول؛ أي[1]: إن الساعة آتية لا محالة، وإني أكاد أخفيها من نفسي، فكيف يعلمها غيري من الخلق، وقد جاء هذا على سنن العرب في تخاطبهم، يقول أحدهم: إذا بالغ في كتمان السر: كتمت سري من نفسي، يريد: أنه أخفاه غاية الإخفاء، وقرأ أبو الدرداء وسعيد بن جبير وعروة بن الزبير وأبو رجاء العطاردي والحسن ومجاهد وحميد بن قيس، ﴿أخفيها﴾ بفتح الهمزة ورويت عن ابن كثير وعاصم، قال الزجاج: ومعناه: أكاد أظهرها، من خفيت الشيء بمعنى: أظهرته.

وفائدة إخفائها: التهويل والتخويف، فإنهم إن لم يعلموا متى تقوم الساعة.. يكونوا منها على حذر، ولمثل تلك الفائدة أخفى الله وقت الموت، لأن المرء إذا علم وقت موته، وانقضاء أجله.. اشتغل بالمعاصي إلى أن يقرب ذلك الحين، فيتوب ويصلح عمله، وقد وعد الله بقبول توبته، وهذا يكون كالإغراء على المعصية، لكنه إن لم يعلم حين منيته.. كان منها على حذر، ولا يزال على قدم الخوف والوجل، فيترك المعاصي، ويتوب منها في كل حين خوف معاجلة الموت.

واللام في قوله: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ متعلق بـ﴿أتية﴾ وما بينهما اعتراض أو بـ﴿أُخْفِيهَا﴾ و﴿ما﴾ مصدرية؛ أي: إن الساعة آتية لتجزي كل نفس بسعيها وعملها، خيراً كان أو شراً، وتخصيص[2] السعي بالذكر للإيذان بأن المراد بالذات من إتيانها هو الإثابة بالعبادة، وأما العقاب بتركها فمن مقتضيات

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

سوء اختيار العصاة، أو يقال: والسعي وإن كان ظاهراً في الأفعال فهو هنا يعم الأفعال والتروك للقطع بأن تارك ما يجب عليه معاقب بتركه، مأخوذ به ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾؛ أي: فلا يصرفنك يا موسى ﴿عَنْهَا﴾؛ أي: عن الإيمان بالساعة، والتصديق بها، أو عن ذكرها ومراقبتها؛ أي: لا يمنعنك عن ذكر الساعة ومراقبتها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ﴾ ولا يصدق ولا يقر ﴿بِهَا﴾؛ أي: بإتيان الساعة وقيامها من الكفرة، وهذا النهي[1] وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكافر عن صد موسى عن الإيمان بالساعة، فهو في الحقيقة نهيٌ لموسى عن الانصداد عنها على أبلغ وجه وآكده، فإن النهي عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية إليه نهيٌ عنه بالطريق البرهاني، وإبطال للسببية من أصلها، أو نهي[2] له عن إظهار اللين للكافرين، فهو من باب لا أرينك ها هنا، كما هو معروف، وقوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ معطوف على ما قبله؛ أي: من لا يؤمن، ومن اتبع هواه؛ أي: اتبع هوى نفسه وشهواتها بالانهماك في اللذات الحسية الفانية ﴿فَتَرْدَىٰ﴾؛ أي: فتهلك هلاكاً أبدياً، لأن انصدادك عنها بصد الكافرين لك مستلزم للهلاك ومستتبع له، لما في ذلك الانصداد من الإغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي من أهوالها لا محالة، والمراد، بهذا النهي: الأمر بالاستقامة في الدين، وهو خطاب له، والمراد: غيره وقرأ يحيى: ﴿فتردى﴾ بكسر التاء، والمعنى؛ أي[3]: فلا يردنك يا موسى عن التأهب للساعة من لا يقر بقيامها، ولا يصدق بالبعث، ولا يرجو ثواباً، ولا يخاف عقاباً، بل يتبع هواه، ويخالف أمر ربه ونهيه، فإنك إن فعلت ذلك وقعت في هاوية الخذلان والعصيان، وهذا الخطاب من وادي قولهم: إياك أعني واسمعي يا جارة، فالمراد بمثل هذا الخطاب جميع المكلفين، كما تقدم غير مرة.

وخلاصة ذلك: لا تتبعوا سبل من كذب بالساعة، وأقبل على لذاته في دنياه، وعصى أمر ربه، واتبع هواه، فإن من سلك سبيلهم.. خاب وخسر، كما

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) المراغي.

قال: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ⑪﴾.

واعلم[1]: أن هذه الآيات والآتية بعدها دلت على أن الله تعالى كلم موسى ـ عليه السلام ـ وأنه سمع كلام الله تعالى، فإن قيل: بأي شيء علم موسى أنه كلام الله؟ قيل: لم ينقطع بالنفس مع الحق، كما ينقطع به مع المخلوق، بل كلَّمه تعالى بمدد وحداني غير منقطع، وبأنه سمع الكلام من الجهات الست، وبجميع الأجزاء، فصار الوجود كله سمعاً، وكذا المؤمن في الآخرة.

والاستفهام في قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ﴾، للتقرير ﴿وَمَا﴾: مبتدأ و﴿تِلْكَ﴾: خبره وهي بمعنى: هذه ﴿بِيَمِينِكَ﴾ حال والعامل فيها ﴿مَآ﴾ في اسم الإشارة، من معنى الفعل، كقوله: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾؛ أي: أي شيء هذه الخشبة حالة كونها مأخوذةً بيمينك ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ ويصح أن تكون ﴿مَآ﴾ خبراً مقدماً لـ﴿تِلْكَ﴾ وهو أوفق بالجواب من عكسه.

وقال الزمخشري[2]: ويجوز أن يكون ﴿تِلْكَ﴾ اسماً موصولاً، صلته بـ﴿بِيَمِينِكَ﴾ ولم يذكر ابن عطية غيره، وليس ذلك مذهباً للبصريين، وإنما ذهب إليه الكوفيون، قالوا: يجوز أن يكون اسم الإشارة موصولاً، حيث يتقدر بالموصول، كأنه قيل: وما التي بيمينك، وعلى هذا فيكون العامل في المجرور محذوفاً، كأنه قيل: وما التي استقرت بيمينك، وفي هذا السؤال وما قبله من خطابه تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ استئناس عظيم، وتشريف كريم.

سأله سبحانه عما في يده وهو العليم به[3]، ليبين له أنه سيجعل لتلك الخشبة التي ليس لها خطر كبير، ولا منفعة عظيمة، جليل المزايا والفوائد التي لم تكن تخطر له على بال، كانقلابها حيةً تسعى، وضرب البحر بها حتى ينفلق، وضرب الحجر حتى يتفجر منه الماء، ولينبهه بهذا الطريق إلى كمال قدرته، وبالغ عظمته، إذ أظهر لأحقر الأشياء هذه المنافع العظيمة، على سنن الناس في

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

(٣) المراغي.

تخاطبهم، إذا أراد أحدهم أن يظهر من الشيء الحقير شيئاً شريفاً، أن يأخذه ويعرضه على النظارة، ويقول لهم: ما هذا؟ فيقولون: هو كذا، فيفيض في شرح ماله من فائق المزايا، وجليل المنافع التي لم تكن تدور بخلدهم، ولم تخطر ببالهم. فأجابه موسى معدداً ما لها من فوائد ومزايا، بحسب ما وصلت إليه معرفة البشر فـ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿هِيَ﴾؛ أي: هذه الخشبة التي بيميني هي ﴿عَصَايَ﴾ يا إلهي، نسبها إلى نفسه تحقيقاً لوجه كونها بيمينه، وتمهيداً لما يعقبه من الأفاعيل المنسوبة إليه عليه السلام وكانت هذه العصا لآدم، ورثها شعيب من آدم، وأمر شعيب ابنته بعدما زوجها له أن تعطى لموسى، يدفع بها السباع عن غنمه، وكان عصا الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى بعلم شعيب.

وقرأ ابن أبي إسحاق والجحدري[1]: ﴿عصيَّ﴾ بقلب الألف ياءً وإدغامها في ياء المتكلم، وقرأ الحسن ﴿عصايِ﴾ بكسر الياء، وهي مروية عن ابن أبي إسحاق أيضاً، وأبي عمرو معاً وهذه الكسرة لالتقاء الساكنين، وعن أبي إسحاق، والجحدري ﴿عصايْ﴾ بسكون الياء.

وبقوله: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ تم[2] الجواب، ولكن ذكر موسى ما لها من فوائد، إذ أحب مكالمة ربه، فجعل ذلك كالوسيلة لهذا الغرض، فبين لها فائدتين على سبيل التفصيل، وواحدةً على سبيل الإجمال فقال:

١ - ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾؛ أي: أعتمد عليها إذا مشيت، أو تعبت، أو وقفت على رأس القطيع من الغنم في المرعى.

٢ - ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾؛ أي: وأخبط ورق الشجر بها ليسقط على غنمي، فتأكله، وقرأت فرقة: ﴿غنْمي﴾ بسكون النون وفرقة: ﴿على غنمي﴾ بإيقاع الفعل على الغنم، وقرأ الجمهور[3]: ﴿وَأَهُشُّ﴾ بضم الهاء والشين

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

المعجمة، والنخعي: بكسرها، وهي بمعنى المضمومة الهاء، والمفعول محذوف؛ أي: الورق، وقرأ الحسن، وعكرمة، ﴿وأهس﴾ بضم الهاء والسين غير معجمة، والهس: السوق، ونقل ابن خالويه عن النحعي: أنه قرأ ﴿وأهش﴾ بضم الهمزة، من أهش الرباعي، وذكر صاحب «اللوامح» عن عكرمة، ومجاهد: ﴿وأهش﴾ بضم الهاء وتخفيف الشين، قال ولا أعرف له وجهاً، إلا أن يكون مخفف القراءة العامة، لأن الشين فيه تفش، فاستثقل الجمع بين التضعيف والتفشي، فيكون كتخفيف ظلت ونحوه.

٣ ـ ﴿وَلِيَ فِيهَا﴾؛ أي: في عصاي ﴿مَآرِبُ﴾ وحوائج ومصالح ومنافع ﴿أُخْرَىٰ﴾ غير ذلك المذكور، كحمل الزاد، والسقي، وطرد السباع عن الغنم، وإذا شئت.. ألقيتها على عاتقي، فعلقت بها قوسي، وكنانتي، ومخلاتي، وثوبي، وإذا وردت ماءً قصر عنه رشائي.. وصلته بها.

وقد أجمل ـ عليه السلام ـ في المآرب، رجاء أن يسأله ربه عنها، فيسمع كلامه مرةً أخرى، ويطول الحديث بهذا، وقرأ الزهري[١]، وشيبة: ﴿مارب﴾ بغير همز، كذا قال الأهوازي في «كتاب الإقناع» في القراءات.

وقد تعرض[٢] قوم لتعداد منافع العصا، فذكروا من ذلك أشياء: منها: قول بعض العرب: عصاي أركزها لصلاتي، وأعدها لعداتي، وأسوق بها دابتي، وأقوى بها على سفرها، وأعتمد بها في مشيتي، ليتسع خَطْوي، وأثب بها النهر، وتؤمنني العثر، وأُلقي عليها كسائي، فتقيني الحر، وتدفيني من القر، وتدني إلي ما بعد مني، وهي تحمل سفرتي، وعلاقة أدواتي، أعصي بها عند الضراب، وأقرع بها الأبواب، وأقي بها عقور الكلاب، وتنوب عن الرمح في الطعان، وعن السيف عند منازلة الأقران، ورثتها عن أبي وأورثها بعدي بنيَّ. انتهى.

وقد جمع الله سبحانه لموسى في عصاه من البراهين العظام، والآيات

---

(١) البحر المحيط.

(٢) الشوكاني.

الجسام ما أمن به من كيد السحرة، ومعرة المعاندين، واتخذها سليمان لخطبته وموعظته، وطول صلاته، وكان ابن مسعود صاحب عصا النبي ﷺ وعنزته، وكان يخطب بالقضيب، وكذلك الخلفاء من بعده، وكانت عادة العرب العرباء أخذ العصا، والاعتماد عليها عند الكلام، وفي المحافل والخطب.

فإن قلت[1]: ما الفائدة في سؤال الله تعالى له بقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ وهو يعلم؟.

فعنه جوابان:

أحدهما: أن لفظه لفظ الاستفهام، ومجراه مجرى السؤال ليجيب المخاطب، لا إقرار به، فتثبت عليه الحجة باعترافه، فلا يمكنه الجحد، ومثله في الكلام أن تقول لمن تخاطبه وعنده ماء: ما هذا؟ فيقول: ماء، فتضع عليه شيئاً من الصبغ، فإن قال: لم يزل هكذا.. قلت له: ألست قد اعترفت بأنه ماء، فتثبت عليه الحجة، هذا قول الزجاج، فعلى هذا تكون الفائدة أنه قرر موسى أنها عصا، لما أراد أن يريه من قدرته في انقلابها حيةً، فوقع المعجز بها بعد التثبت في أمرها.

والثاني: أنه لما اطلع الله تعالى على ما في قلب موسى، من الهيبة والإجلال، حين التكليم.. أراد أن يؤانسه، ويخفف عنه ثقل ما كان فيه من الخوف، فأجرىٰ هذا الكلام للاستئناس، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

فإن قيل: قد كان يكفي في الجواب أن يقول: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾، فما الفائدة في قوله: ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ إلى آخر الكلام، وإنما يشرح هذا لمن لا يعلم فوائدها؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدهما: أنه أجاب بقوله: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ فقيل له: ما تصنع بها، فذكر باقي الكلام جواباً عن سؤال ثان. قاله ابن عباس، ووهب.

---

(١) زاد المسير.

والثاني: أنه إنما أظهر فوائدها، وبيَّن حاجته إليها خوفاً من أن يأمره بإلقائها، كالنعلين. قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أنه بيَّن منافعها، لئلا يكون عابثاً بحملها، قاله الماوردي. فإن قيل: فلِمَ اقتصر على ذكر بعض منافعها، ولم يطل الشرح؟

فعنه ثلاثة أجوبةٍ:

أحدها: أنه كره أن يشتغل عن كلام الله بتعداد منافعها.

والثاني: استغنى بعلم الله فيها عن كثرة التعداد.

والثالث: أنه اقتصر على اللازم دون العارض، وقيل: كانت تضيء له بالليل، وتدفع عنه الهوام، وتثمر له إذا اشتهىٰ الثمار، وفي جنسها قولان:

أحدهما: أنها كانت من آس الجنة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها كانت من عوسج.

فإن قيل: المآرب جمع، فكيف قال ﴿أخرى﴾، ولم يقل أخر؟

فالجواب: أن المآرب في معنى جماعة، فكأنه قال: جماعة من الحاجات أخرى، قاله الزجاج اهـ. «زاد المسير» ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه وتعالى، استئناف[1] بياني واقع في جواب سؤال مقدر، أمره سبحانه بإلقائها، ليريه ما جعل له فيها من المعجزة الظاهرة ﴿أَلْقِهَا﴾؛ أي: ألق هذه العصا وأطرحها ﴿يَٰمُوسَىٰ فَأَلْقَىٰهَا﴾ موسى على الأرض، والإلقاء والنبذ والطرح، بمعنىً واحدٍ ﴿فَإِذَا هِيَ﴾؛ أي: تلك العصا المطروحة، وإذا هنا للمفاجأة ﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾؛ أي: ثعبان عظيم ينتقل من مكان إلى آخر مسرعاً، وذلك بقلب الله سبحانه لأوصافها وأعراضها، حتى صارت حية تسعى؛ أي: تمشي بسرعةٍ وخفةٍ، قيل: كانت عصا ذات شعبتين، فصار الشعبتان فماً، وباقيها جسم حيةٍ، تنتقل من مكان إلى مكان، وتلتقم الحجارة مع عظم جرمها، وفظاعة منظرها، فلما رآها كذلك.. خاف وفزع وولى

---

(١) روح البيان.

مدبراً ولم يعقب، وجاء تشبيهها بالجان، وهو: الصغير من الحيات، في قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لما ظهر لها من سرعة الحركة والقوة، لا لصغرها، وقال في آية أخرىٰ ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ والحية: تطلق على الصغيرة والكبيرة، والذكر والأنثىٰ، والجان: الرقيق من الحيات، والثعبان: العظيم منها، ولا تنافي بين تشبيهها بالجان، وبين كونها ثعباناً، لأن تشبيهها بالجان هو في أول حالها، ثم زيدت حتى صارت ثعباناً، أو شبهت بالجان وهي ثعبان في سرعة حركتها واهتزازها، مع عظم خلقها، قيل: كان لها عرف كعرف الفرس، وصارت شعبتا العصا لها فماً، وبين لحييها أربعون ذراعاً، أو ثمانون، وعن ابن عباس: انقلبت ثعباناً تبتلع الصخر والشجر، وعيناها تتقدان، فلما رأى هذا الأمر العجيب الهائل.. لحقه ما يلحق البشر عند رؤية الأهوال والمخاوف، لا سيما هذا الأمر الذي يذهل العقول.

وحكمة انقلابها وقت مناجاته: تأسيسه بهذا المعجز الهائل، حتى يلقيها لفرعون فلا يلحقه ذعر منها في ذلك الوقت، وقد جرت له بذلك عادة وتدريب في تلقي تكاليف النبوة، ومشاق الرسالة، ثم أمره تعالى بالإقدام على أخذها، ونهاه عن أن يخاف منها حيث ﴿قَالَ﴾ سبحانه: استئناف بياني ﴿خُذْهَا﴾؛ أي: خذ هذه الحية بيمينك ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ منها فإنه لما رآها حية تسرع، وتبتلع الحجر والشجر.. خاف وهرب منها، وهذا الخوف مما تقتضيه الطبيعة البشرية حين مشاهدة الأمر الجلل الذي لا يعرف له نظير، ولا يدرك له سبب، ولا ينقص ذلك من جلالة قدره ـ عليه السلام ـ قيل: لما قال له ربه لا تخف.. بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه أن أدخل يده في فمها، وأخذ بلحييها ﴿سَنُعِيدُهَا﴾؛ أي: سنعيد هذه الحية بعد أخذها ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: إلى هيئتها وحالتها الأولى، التي هي الهيئة العصوية، فانتصابه بنزع الخافض، فوضع يده في فم الحية، فصارت عصاً كما كانت، ويده في شعبتيها في الموضع الذي يضعها فيه إذا توكأ، وأراه هذه الآية كيلا يخاف عند فرعون إذا انقلبت حية ﴿وَٱضْمُمْ﴾؛

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

أي: أدخل وضم ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾؛ أي: إلى جنبك الأيسر، تحت العضد؛ أي: أدخل كفك اليمنى في إبطك الأيسر، وأخرجها ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾؛ أي: مشرقةً مثل البرق، أو مشرقة تضيء كشعاع الشمس، تغطي البصر عن الإدراك، فهو حال من فاعل ﴿تَخْرُجْ﴾ ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ حال من الضمير في ﴿بَيْضَآءَ﴾؛ أي: كائنةً من غير عيب وقبح، كنى به عن البرص، كما كنى بالسوءة عن العورة، لما أن الطباع تعافه وتنفر عنه، روي أن موسى ـ عليه السلام ـ كان أسمر اللون، فإذا أدخل يده اليمنىٰ تحت إبطه الأيسر وأخرجها.. كان عليها شعاع كشعاع الشمس، يغشي البصر، ويسد الأفق، ثم إذا ردها إلى جنبه.. صارت إلى لونها الأول، بلا نور وبريقٍ، حالة كون تلك اليد البيضاء ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: معجزةً أخرى غير العصا، وانتصابها على الحالية من الضمير في بيضاء، وقوله: ﴿لِنُرِيَكَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره؛ أي: فعلنا ما فعلنا من قلب العصا حيةً، وجعل اليد بيضاء، لنريك بهاتين الآيتين ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾؛ أي: بعض آياتنا العظمىٰ، فكل من العصا واليد، من الأيات الكبرىٰ، والدلائل العظام، وهي تسع كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ وقد سبق بيانها، ومن المعلوم: أن الكبرى اسم تفضيل؛ أي: التي هي أكبر من غيرها، حتى من العصا، وذلك لأن المراد الكبرىٰ في الإعجاز، واليد كذلك فإنها أكبر آيات موسى، كما نقله الخازن عن ابن عباس، لأنها لم تعارض أصلاً، وأما العصا فقد عارضها السحرة كما سيأتي.

ثم صرح سبحانه بالغرض المقصود من هذه المعجزات فقال: ﴿ٱذْهَبْ﴾ يا موسى ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بما رأيته من الآيتين العظيمتين، وادعه إلى عبادتي، وحذره من نقمتي، وخصه بالذكر، لأن قومه تبع له، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ أي: عصى، وتكبر، وكفر، وتجبر، وجاوز الحد، حتى تجاسر على دعوىٰ الربوبية، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

قال وهب بن منبه[1]: قال الله لموسى: (اسمع كلامي، واحفظ وصيتي،

---

(١) المراغي.

وانطلق برسالتي، فإنك بعيني وسمعي، وإن معك يدي ونصري، وإني ألبستك جبةً من سلطاني، تستكمل بها القوة في أمرك، أبعثك إلى خلقٍ ضعيف من خلقي، بطر نعمتي، وأمن مكري، وغرته الدنيا، حتى جحد حقي، وأنكر ربوبيتي، أقسم بعزتي، لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي.. بطشت به بطشة جبار، ولكن هان علي، وسقط من عيني، فبلغه رسالتي، وادعه إلى عبادتي، وحذره نقمتي، وقل له قولاً ليناً، لا يغتر بلباس الدنيا، فإن ناصيته بيدي، لا يطرف ولا يتنفس إلا بعلمي)، قال: فسكت موسى سبعة أيام لا يتكلم، حتى جاءه ملك فقال: أجب ربك فيما أمرك، فحينئذ ﴿قَالَ﴾ موسى ـ عليه السلام ـ مستعيناً بالله: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: جملة مستأنفة، واقعة في جواب سؤال مقدر: كأنه قيل: فماذا قال؟ قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾؛ أي: رب وسع لي صدري وقلبي، لأعي عنك ما تودعه فيه من وحيك، وأجترىء به على خطاب فرعون، فإنك كلفتني أمراً عظيماً، لا يحتمله إلا ذو جأش رابط، وصدر فسيح، فقد بعثتني إلى أعظم ملك على وجه الأرض، وأجبرهم وأشدهم كفراً، وأكثرهم جنداً، وأعمرهم ملكاً، وأطغاهم وأبلغهم تمرداً، وقد بلغ من تمرده: أنه لا يعلم إلٰهاً غيره، والمراد[1] بالصدر هنا: القلب، لا العضو، الذي فيه القلب؛ أي: وسع قلبي حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم، ولا يخاف من شوكتهم وكثرتهم.

وخلاصة ذلك: أنه خاف فرعون لشدة شوكته، وكثرة جنوده، فسأل الله تعالى: أن يوسع قلبه، ليكون حمولاً لما يستقبل من الشدائد والمكاره بجميل الصبر، وحسن الثبات، فقال: اجعلني رابط الجأش، حتى لا أخاف سواك، ولا أرهب غيرك، حين تبليغ رسالتك، وكن عوني ونصيري، وإلا فلا طاقة لي بذلك ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)﴾؛ أي: سهل وهون علي تبليغ الرسالة إلى فرعون، بإحداث الأسباب، ورفع الموانع.

والمعنى: هوّن[2] وسهل علي القيام بما كلفتني به من تبليغ الرسالة،

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

وحملتني من الطاعة، وأفض علي من القوة ما يفي بالعمل على نشر الدين؛ وإصلاح الخلق ﴿وَٱحْلُلْ﴾؛ أي: فك وافتح ﴿عُقْدَةً﴾؛ أي: ربطةً ورتةً؛ أي: حبسةً ﴿مِّن لِّسَانِي﴾: متعلق بـ﴿أحلل﴾ وتنكير ﴿عُقْدَةً﴾: يدل على قلتها في نفسها، قالوا: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مرسلة، أو صورة ممثلة، والمرء بأصغريه: قلبه ولسانه؛ أي: أطلق عن لساني العجمة، واللكنة، والحبسة، بالنطق التي كانت فيه من الجمرة التي ألقاها في فيه وهو طفل، وذلك أن فرعون حمله يوماً، فأخذ لحيته ونتفها لما كانت مرصعةً بالجواهر، فغضب وقال: إن هذا عدوي المطلوب، وأمر بقلته، فقالت زوجته آسية: أيها الملك، إنه صبي لا يفرق بين الجمر والتمر، فأحضرا بين يدي موسى، بأن جعل الجمر في طست والتمر في آخر، فقصد إلى أخذ التمر، فأمال جبريل يده إلى الجمر، فرفعه إلى فيه فاحترق لسانه، فكانت منه لكنة وعجمة، قيل[1]: أذهب الله سبحانه تلك العقدة جميعها، بدليل قوله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ وقيل: لم تذهب كلها، لأنه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية، بل سأل حل عقدة تمنع الإفهام، بدليل قوله: ﴿مِّن لِّسَانِي﴾؛ أي: كائنةً من عقد لساني، ويؤيد ذلك قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ وقوله حكايةً عن فرعون ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ وجواب الأمر قوله: ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾؛ أي: إن حللت عقدتي.. يفهم فرعون وقومه قولي وكلامي عند تبليغ الرسالة، فإنما يحسن التبليغ من البليغ.

ولما كان التعاون على نشر الدين، مع خلوص الود قربةً عظيمةً لله.. طلب موسى المعاونة على ذلك فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾؛ أي: موازراً يعاونني في تحمل أعباء ما كلفتني به، ﴿مِّنْ أَهْلِي﴾؛ أي: من خواصي وأقربائي، فوزيراً: مفعول ثان لـ﴿اجعل﴾ لأنه نكرة و﴿هَٰرُونَ﴾ مفعول أول لأنه معرفة، وقدم[2] الثاني عليه اعتناءً بشأن الوزارة، لأن مقصوده الأهم طلب الوزير، وكان أكبر من موسى بأربعة أعوام، كما مر ﴿أَخِي﴾ بدل من هارون، و(لي) متعلق بمحذوف، على أنه حال من ﴿وَزِيرًا﴾ و﴿مِّنْ أَهْلِي﴾: متعلق بـ﴿اجعل﴾ والمعنى: واجعل من أهلي

---

(١) الشوكاني. (٢) المراح.

هارون أخي متحملاً معي أعباء ما كلفتني به، ومعيناً على أمري، يقوي أمري وأثق برأيه.

والخلاصة[1]: أي واجعل لي عوناً من أهل بيتي، هارون أخي، ليحمل معي أعباء الرسالة، ويكون ظهيراً لي عند الشدائد، وحلول المكاره، ولمثل هذا قال عيسى - عليه السلام -: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ وقال النبي ﷺ: «إن لي في السماء وزيرين، وفي الأرض وزيرين، فاللذان في السماء: جبريل وميكائيل، واللذان في الأرض: أبو بكر وعمر» وروي أن النبي ﷺ قال: «إذا أراد الله بملك خيراً.. قيَّض له وزيراً صالحاً، إن نسي.. ذكره، وإن نوى خيراً.. أعانه، وإن أراد شراً.. كفه» ثم طلب موسى من ربه أن يشد به أزره فقال: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾؛ أي: قوِّ يا رب بهارون ظهري، وأعني به ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾؛ أي: اجعله يا رب شريكي في أمر الرسالة، حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي، فإن قيل: كيف[2] سأل لأخيه النبوة؟ فإنما هي باختيار الله تعالى كما قال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

قلت: إن في إجابة الله دليلاً على أن سؤاله كان بإذن الله، دليلاً وإلهاماً منه، ولما كان التعاون في الدين درجةً عظيمة، طلب أن لا يحصل إلا لأخيه.

وفيه إشارة[3] إلى أن صحبة الأخيار وموازرتهم مرغوب للأنبياء، فضلاً عن غيرهم، ولا ينبغي أن يكون المرء مستبداً برأيه، مغروراً بقوته وشوكته، وينبغي أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه. ولا تقدح وزارة هارون في نبوته، وقد كان أكثر أنبياء بني إسرائيل كذلك؛ أي: كان أحدهم موازراً ومعيناً للآخر في تبليغ الرسالة، وكان هارون بمصر، حين بعث موسى نبياً بالشام، وقرأ الجمهور[4]: ﴿ٱشْدُدْ﴾ ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ على معنى الدعاء في شد الأزر، وتشريك هارون في النبوة، بهمزة وصل في: ﴿أشدد﴾ وهمزة قطع في ﴿أشركه﴾ وقرأ الحسن، وزيد بن علي

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) روح البيان.
(٤) البحر المحيط.

وابن عامر ﴿أشدد﴾ بفتح الهمزة ﴿وأشركه﴾ بضمها فعلاً مضارعاً مجزوماً في جواب الطلب، وعطف عليه ﴿وأشركه﴾ وقال صاحب «اللوامح» عن الحسن أنه: ﴿أشدد به﴾ مضارع شدد للتكثير والتكرير؛ أي: كلما حزنني أمر.. شددت به أزري، وفي مصحف عبد الله ﴿أخي وأشدد﴾ وقرأ[1]: بفتح الماء من ﴿أخي﴾ ابن كثير، وأبو عمرو، ثم حكى سبحانه: ما لأجله دعا موسى بالأدعية الثلاثة الأخيرة؛ أي: دعوتك يا رب بهذه الأدعية ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحاً ﴿كَثِيرًا﴾؛ أي: ننزهك عما لا يليق بك من الأفعال والصفات، التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية، ويقبله منه جماعته الباغية، من ادعاء الشركة في الألوهية ﴿و﴾ كي ﴿نذكرك﴾ ذكراً ﴿كَثِيرًا﴾؛ أي: على كل حال، ونفسك بما يليق بك من صفات الكمال، ونعوت الجمال، والجلال، زماناً كثيراً، ومن جملته زمانُ دعوة فرعون، وأوان المحاجة معه، فإن التعاون يهيج الرغبات، ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايده، وانتصاب ﴿كَثِيرًا﴾ في الموضعين: على أنه نعت مصدر محذوف، أو لزمان محذوف، وفيه[2] إشارة إلى أن للجليس الصالح، والصديق الصدّيق أثراً عظيماً في المعاونة على كثرة الطاعات، والمرافقة في اقتحام عقبات السلوك، وقطع مفاوزه.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ الباء: متعلقة بـ﴿بَصِيرًا﴾ قدمت عليه لرعاية الفواصل؛ أي: إنك كنت عليماً بأحوالنا، وأن ما طلبناه مما يفيدنا في تحقيق ما كلفتنا به، من إقامة مراسم الرسالة على أتم الوجوه وأكملها، فإن هارون نعم العون على أداء ما أمرت به، من نشر معالم الدين، وكبح جماح المضلين، وإرشادهم إلى حق اليقين، فإنه أكبر مني سناً، وأفصح لساناً، وكان أكبر من موسى بأربع سنين، أو بسنةٍ، على اختلاف الروايات.

ولما سأل موسى ربه سبحانه أن يشرح صدره، وييسر له أمره، ويحلل عقدةً من لسانه، ويجعل له وزيراً من أهله.. أخبره الله سبحانه، بأنه قد أجاب ذلك

---

(١) الشوكاني. (٢) المراح.

الدعاء فـ﴿قَالَ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ﴾ وأُعطيت ﴿سُؤْلَكَ﴾؛ أي: مسؤولك ومطلوبك ﴿يَـٰمُوسَىٰ﴾ فهو فعل بمعنى مفعول، كالخبز بمعنى المخبوز، والإيتاء عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوقوع تلك المطالب، وحصولها له؛ أي: قال الله سبحانه لموسى: قد أعطيتك جميع ما سألتني، من شرح صدرك، وتيسير أمرك، وحل عقدة لسانك، وجعل أخيك هارون وزيراً لك، وشد أزرك به، وإشراكه في الرسالة معك ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي، لقد أنعمنا عليك يا موسى، وأكرمناك بكرامات ﴿مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: في وقتٍ غير هذا الوقت، من غير أن تسألنا، فلأن ننعم عليك بمثل تلك النعم التامة، وأنت طالب له، أولىٰ؛ أي[1]: ولقد تفضلنا عليك من قبل بنعم كثيرة، ومن راعى مصلحتك قبل سؤلك، وأعطاك ما ترجوه، أفيمنع عنك ما تريد بعد سؤالك، ومن رقىٰ بك إلى مراتب الكمال، وصعد بك في أوج المعالي، وسما بك إلى درجات الرفعة، ووكل إليك ذلك المنصب الخطير، أفيليق به وهو الجواد الكريم أن يحجز عنك ما تُؤَمِّل، مما أنت في شدة الحاجة إليه لتبليغ رسالته، وفي التعبير عن تلك النعم بالمنن، إيماء إلى أنها إنما وصلت إليه لمحض التفضل والإحسان.

وقد عد سبحانه من تلك النعم ثماني، فقال:

١ - ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾: ظرف لـ﴿مَنَنَّا﴾ والمراد[2]: من هذا الوحي: وحي إلهام، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ بأن أوقع في قلبها عزيمةً جازمةً على ما فعلته من اتخاذ التابوت، والقذف، وليس المراد هنا: الوحي الواصل إلى الأنبياء، لأن أم موسى ما كانت من الأنبياء، فإن المرأة لا تصلح للإمارة والقضاء، فكيف تصلح للنبوة، ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ المراد به: ما سيأتي من الأمر بقذفه في التابوت والبحر، أبهم أولاً تهويلاً له، وتفخيماً لشأنه عليه السلام؛ أي: ولقد مننا عليك مرة أخرى، حين[3] ألهمنا أمك الذي يلهَم، أو أريناها في

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) المراح.

منامها ما يُرى، لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ ﴿أَنِ﴾ مفسرةً بمعنى: أي، لأن الوحي من باب القول، ومعنى القذف هنا: الوضع، وفي قوله: ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ بمعنى الإلقاء، وليس المراد: القذف بلا تابوتٍ، واليم نيل مصر في قول جميع المفسرين؛ أي: ولقد مننا عليك حين قلنا لها ضعي الصبي المولود في الصندوق، فألقى الصندوق في بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ﴾؛ أي: فليطرح البحر الصندوق ﴿بِالسَّاحِلِ﴾؛ أي: بطرفه، ولما[1] كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجب الوقوع، لتعلق الإرادة الربانية به.. جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع، أمر بذلك، والساحل[2]: هو شط البحر، سمي ساحلاً لأن الماء سحله، قاله ابن دريد، والمراد هنا: ما يلي الساحل من البحر، لا نفس الساحل، قيل: والأولى في هذه الضمائر كلها عودها لموسى، لا للتابوت، وإن كان قد ألقي معه، لكن المقصود هو موسى، مع كون الضمائر قبل هذا وبعده له.

والمعنى[3]: ولقد مننا عليك يا موسى مرة أخرى قبل هذا، حين ألهمنا أمك، وأوقعنا في قلبها عزيمةً صادقةً، أن أمثل الطرق لخلاصك من فرعون وجبروته، أن تضعك في تابوت «صندوقٍ»، ثم تطرح هذا التابوت في نهر النيل، ففعلت، فألقاك النهر في الساحل، فأخذك فرعون - عدو الله - ورباك في بيته، وسيصير عدواً لك بعد ذلك، كما هو عدو لي، روي: أنها جعلت في التابوت قطناً محلوباً، ووضعته فيه، وطلت ظاهره بالجص والقار، ثم ألقته في اليم، وكان يشرع منه - يتفرع - نهر كبير إلى بستان فرعون، فبينا هو جالس إلى رأس بركةٍ مع زوجته آسية، إذ بتابوت يجري به الماء، فأمر فرعون غلمانه وجواريه بإخراجه، ففعلوا وفتحوا رأسه، فإذا صبي من أصبح الناس وجهاً، فأحبه فرعون حباً شديداً، لم يتمالك أن يصبر عنه، وجملة قوله: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾: جواب الأمر بالإلقاء، وتكرير[4] ﴿عَدُوٌّ﴾ للمبالغة وهو فرعون، فالأول: باعتبار الواقع لكفره وعتوه، والثاني: باعتبار ما يؤول إليه، وما لو ظهر لفرعون حال

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراغي.

(٤) روح البيان.

موسى لقتله، ولما وجده في اليم عند الشجر سماه موسى، و(مو): هو الماء عند القبطية و(سا): هو الشجر، وأحبه حباً شديداً، لا يكاد يتمالك الصبر عنه، وذلك قوله تعالى:

٢ ـ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾ عظيمةً كائنةً ﴿مِّنِّي﴾ قد ركزتها في القلوب، وزرعتها فيها، بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك، ولذا أحبك عدو الله فرعون وزوجته، حتى قالت: ﴿قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾ روي أنه كان على وجهه مسحة جمال، وفي عينيه ملاحة، لا يكاد يصبر عنه من رآه.

٣ ـ ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾؛ أي: ولتربَّى حالة كونك ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾؛ أي: متلبساً بحفظي ورعايتي، معطوف على علة مقدرة، متعلقة بـ﴿ألقيت﴾ والتقدير: و﴿ألقيت عليك المحبة، ليعطف عليك، ولتربىٰ بالشفقة والحنو، حالة كونك متلبساً بحفظي ورعايتي، وأنا مراقبك ومراعيك وحافظك، كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به، من قولهم صنع إليه معروفاً، إذا أحسن إليه، و﴿على عيني﴾ حال من الضمير المستتر في ﴿لتصنع﴾ لا صلة له، جعل العين مجازاً مرسلاً عن الرعاية والحراسة، بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ بكسر لام كي وضم التاء، ونصب الفعل؛ أي: ولتربىٰ ويحسن إليك، وأنا مراعيك وراقبك، كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به، وقرأ الحسن، وأبو نهيك: بفتح التاء، قال ثعلب معناه:

لتكون حركتك وتصرفك على عين مني. وقرأ شيبة، وأبو جعفر في روايةٍ: بإسكان اللام والعين وضم التاء، فعل أمر، وعن أبي جعفر: كذلك إلا أنه كسر اللام.

٤ ـ ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ مريم وهي شقيقة له، وهي غير أم عيسى، ظرف

---

(١) البحر المحيط.

لـ﴿ألقيت﴾ أو لـ﴿تصنع﴾؛ أي: وألقيت عليك محبةً مني، حين تمشي أختك تتبعك متعرفةً، حتى وجدتك وصادفتهم يطلبون لك مرضعاً تقبل ثديها، حتى اضطروا إلى تتبع النساء ﴿فَتَقُولُ﴾ لفرعون وآسية؛ أي: فلما رأت منهم ذلك.. جاءت إليهم متنكرةً وقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ وصيغة[1] المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية، كما سيأتي في مبحث البلاغة، أي: قالت ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾؛ أي: يضمه إلى نفسه ويرضعه ويربيه، و(الفاء) في قوله: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾: عاطفة على محذوف، تقديره: فقالوا دلينا عليه، فجاءت بأمك، فقبلت ثديها، فرجعناك إليها؛ أي: رددناك إليها بما لطف الله لك من التدبير ﴿كَىْ تَقَرَّ﴾ وتبرد ﴿عَيْنُهَا﴾ فتطيب نفسها بلقائك ورؤيتك ووصولك إليها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بوصول لبن غيرها إلى باطنك، وفي «الإرشاد» أي: لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك، وإلا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين، فإن التخلية متقدمة على التحلية. انتهى. أو المعنى: كي لا تحزن أنت بفراقك، وكانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر أو أربعة قبل إلقائه في اليم.

وحاصل قصة رضاعه[2]: أن آسية عرضته للرضاع، فلم يقبل امرأةً، فجعلت تنادي عليه في المدينة، ويطاف به ويعرض للمراضع فيأبى، وبقيت أمه بعد قذفه في اليم مغمومةً، فأمرت أخته بالتفتيش في المدينة، لعلها تقع على خبره، فبصرت به في طوافها، فقالت: أنا أدلكم على من يكفله لكم، وهم له ناصحون، فتعلقوا بها وقالوا: أنت تعرفين هذا الصبي؟ فقالت: لا، ولكن أعلم من أهل هذا البيت الحرص على التقرب إلى الملكة، والجد في خدمتها ورضاها، فتركوها وسألوها الدلالة، فجاءت بأم موسى، فلما قربته.. شرب ثديها، فسرت آسية وقالت لها: كوني معي في القصر، فقالت: ما كنت لأدع بيتي وولدي، ولكنه يكون عندي، قالت: نعم، فأحسنت إلى أهل ذلك البيت غاية الإحسان، واعتز بنو إسرائيل بهذا الرضاع والنسب من الملكة، ولما كمل رضاعه.. أرسلت آسية إليها أن جيئيني بولدي ليوم كذا، وأمرت خدمها ومن لها

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

أن يلقينه بالتحف والهدايا واللباس، فوصل إليها إلى ذلك، وهو بخير حال، وأجمل شباب، فسرَّت به، ودخلت به على فرعون ليراه، وليهبه، فأعجبه وقرَّبه، فأخذ موسى لحية فرعون، وتقدم ما جرى له عند ذكر العقدة.

وقرأ الجمهور[١]: ﴿كَيْ تَقَرَّ﴾ بفتح التاء والقاف، وقرأت فرقة: بكسر القاف، وتقدم أنهما لغتان في قوله: ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ وقرأ جناح بن حبيش: بضم التاء وفتح القاف، مبنياً للمفعول.

٥ ـ ﴿وَقَتَلْتَ﴾ بعد كبرك ﴿نَفْسًا﴾؛ أي: قبطياً وكزته حين استغاث بك الإسرائيلي، كما يأتي في سورة القصص، وكان طباخاً لفرعون اسمه قاب قان، وكان عمر موسى إذ ذاك ثلاثين سنةً ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ الذي نزل بك بسبب قتل القبطي من وجهين:

أولاً ـ عقاب الدنيا باقتصاص فرعون، كما جاء في الآية ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.

ثانياً ـ عقابنا إذ قتلته بغير أمر منا، فغفرنا لك ذنبك حين قلت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ وكان قتله للكافر خطأ، ووفقناك للهجرة إلى مدين.

والغم[٢]: ما يغم على القلب، بسبب خوف أو فوات مقصود، والغم بلغة قريش: القتل، وقيل: من غم التابوت، وقيل: من غم البحر، والظاهر: أنه من غم القتل، حين ذهبنا بك من مصر إلى مدين.

٦ ـ ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ والفتنة[٣]: تكون بمعنى المحنة، وبمعنى: الأمر الشاق، وكل ما يبتلىٰ به الإنسان، والفتون: يجوز أن يكون مصدراً كالثبور، والشكور، والكفور؛ أي: ابتليناك ابتلاءً، واختبرناك اختباراً، وامتحناك امتحاناً، ويجوز أن يكون جمع فتنة، على ترك الاعتداد بتاء التأنيث، كحجورٍ في حجرة، وبدور في

(١) البحر المحيط.

(٢) البحر المحيط.

(٣) الشوكاني.

بدرة؛ أي: وأوقعناك في محنة بعد محنة، وفتنة بعد فتنة، وتفضلنا عليك بالخلاص منها، فمن ذلك:

(أ): أن أمك حملت بك في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأبناء، فنجاك الله من الذبح.

(ب): أن أمك ألقتك في البحر بعد وضعك في التابوت، فالتقطك آل فرعون وعنوا بتربيتك ورعايتك.

(ج): أنك امتنعتَ عن الرضاع إلا من ثدي أمك، وكان ذلك وسيلةً إلى إرجاعك إليها.

(د): أنك أخذت لحية فرعون فغضب من ذلك، وأراد قتلك، لولا أن قالت له زوجته إنه صغير، لا يفرق بين الجمرة والتمرة، وأُتي لك بهما فأخذت الجمرة.

(هـ): قتلك القبطي، وخروجك إلى مدين هارباً، ومهاجرتك من الوطن، ومفارقتك الأحباب، والمشي راجلاً، وفقد الزاد، ونحو ذلك مما وقع قبل وصوله إلى مدين.

٧ ـ ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾؛ أي: مكثت عشر سنين ﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ عند شعيب لرعي الأغنام، لأن شعيباً أنكحه بنته صفوراء، على أن يخدمه ثماني سنين، فخدمه عشراً قضاءً لأكثر الأجلين، كما يأتي في سورة القصص، فقاسيت أثناءها من المحن ما قاسيت، فتحملت بسبب الفقر والغربة آلاماً كثيرةً، حتى احتجت إلى أن تؤاجر نفسك لشعيب، وترعى غنمه.

وذكر اللبث دون الوصول إليهم[١]: إشارة إلى مقاساة شدائد أخرى في تلك السنين، كإيجار نفسه ونحوه مما كان من قبيل الفتون، قال الفراء: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾: معطوف على محذوف تقديره: وفتناك فتوناً، فخرجت إلى أهل مدين،

---

(١) روح البيان.

فوصلت إليهم، فلبثت فيهم سنين، و(الفاء): في ﴿فَلَبِثْتَ﴾ تدل على أن المراد بالفتن المذكورة هي ما كان قبل لبثه في أهل مدين، ومدين: كانت على ثماني مراحل من مصر ﴿ثُمَّ﴾ بعدما لبثت عشر سنين في أهل مدين، توجهت إلى مصر لزيارة أمك وأخيك و﴿جِئْتَ﴾؛ أي: وصلت في مسيرك هذا إلى المكان الذي ناجيتك فيه، وكلمتك واستنبأتك فيه، وهو الوادي المقدس ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: في وقتٍ معين قدرته لمناجاتك، لم تتقدمه ولم تتأخر عنه، أو على مقدار من السن يوحىٰ فيه إلى الأنبياء، وهو رأس أربعين سنة، قال الشاعر:

نال الخلافة إذ جاءت على قدرٍ كما أتى ربَّه موسى على قدرِ

وكرر قوله[1]: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ تشريفاً له ـ عليه السلام ـ وتنبيهاً على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الأخرى، التي وقعت قبل المرة المحكية.

والمعنى: أي جئت لميقات قدرته لمجيئك قبل خلقك، وكان على رأس أربعين سنة، وهو الوقت الذي يوحىٰ فيه إلى الأنبياء، هذا قول الأكثرين، وقال الفراء؛ أي: على ما أراد الله به من تكليمه.

٨ ـ ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾؛ أي: اخترتك من بين الناس ﴿لِنَفْسِى﴾؛ أي: لأداء أوامري، وإقامة حججي، وتبليغ رسالتي، فحركاتك وسكناتك لي، لا لنفسك، ولا لأحد غيرك، والاصطناع: افتعال من الصنع بالضم، وهو مصدر قولك: صنع إليه معروفاً، واصطناع فلان: اتخاذه صنيعاً محسناً إليه، بتقريبه وتخصيصه بالتكريم والإجلال؛ أي: اصطفيتك واختصصتك باصطناعي وإحساني إليك بالمعروف.

وخلاصة ذلك[2]: أني جعلتك من خواصي، واصطفيتك برسالاتي وبكلامي، فصرت بما آتيتك من كرامة النبوة، وجليل النعمة بالمكالمة أشبه بمن يراه الملك أهلاً لكرامته، فيقربه إليه، ويجعله من خواصه وندمائه، ويصطنعه بالإحسان إليه في الحين بعد الحين، والفينة بعد الفينة.

---

(١) روح البيان.　　(٢) المراغي.

الإعراب

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾.

﴿طه ۝١﴾: إن قلنا إن الحروف المقطعة مما استأثر الله بعلمها، فلا محل لها من الإعراب، أي: لا توصف بإعرابٍ ولا بناءٍ، لأن الحكم بالإعراب والبناء، على الكلمة، فرع عن إدراك معناها، وإن قلنا إنها اسم للسورة، فهو إما: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي هذه سورة طه، أو مبتدأ خبره محذوف تقديره: سورة طه هذا محله، والجملة الاسمية: مستأنفة استئنافاً نحوياً، وقيل: إن ﴿طه ۝١﴾ اسم محمد، حذف منه حرف النداء. ﴿مَآ﴾: نافية ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل وفاعل ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق بـ﴿أَنزَلْنَا﴾ ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: مفعول به ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ (اللام): حرف جر وتعليل ﴿تشقىٰ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة الفعلية مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لشقائك، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أَنزَلْنَا﴾ ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء منقطع ﴿تَذْكِرَةً﴾: مفعول لأجله لفعل محذوف، دل عليه المذكور تقديره: ما أنزلناه ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ قال أبو البقاء: ولا يجوز أن يكون مفعولاً لأجله ﴿لأنزلنا﴾ المذكور، لأنها قد تعدت إلى مفعول له، وهو ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ فلا تتعدى لآخر من جنسه، ولا يصح أن يعمل فيها ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ لفساد المعنى، وقيل: ﴿تَذْكِرَةً﴾: مصدر في موضع الحال، واختار الزمخشري أن تكون تذكرةً: مفعولاً لأجله، قال: وكل واحد من ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ و﴿تَذْكِرَةً﴾: علة للفعل، إلا أن الأول: وجب مجيئه مع اللام، لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل، ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية، والثاني: جاز قطع اللام عنه، ونصبه لاستجماع الشرائط، وعلى هذا جرى معظم المعربين والمفسرين، وقال الكرخي: إن الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾: منقطع وإن ﴿تَذْكِرَةً﴾: مفعول من أجله، والعامل أنزلناه المقدر لا المذكور، وكل واحد من ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ و﴿تَذْكِرَةً﴾: علة لقوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾ وتعدى في ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ بـ(باللام) لاختلاف العامل، لأن ضمير ﴿أَنزَلْنَا﴾ لله وضمير ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ للنبي، فلم يتحد الفاعل، واتحد في ﴿تَذْكِرَةً﴾ لأن المذكر هو الله تعالى، وهو المنزل فنصب بغير لام. ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ ﴿لِّمَن﴾: جار

ومجرور متعلق بـ﴿تَذْكِرَةً﴾ ﴿يَخْشَىٰ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على ﴿من﴾ والجملة: صلة الموصول.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾.

﴿تَنزِيلًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: نزلناه ﴿تَنزِيلًا﴾ فحذف وجوباً على حد قول ابن مالك:

والحذف حتم مع آيات بدلاً من فعله كندلاً اللذ كاندلا

والجملة المحذوفة: مستأنفة ﴿مِّمَّنْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَنزِيلًا﴾ ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة: صلة الموصول ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْأَرْضَ﴾. ﴿ٱلْعُلَى﴾: صفة لـ﴿لسماوات﴾ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو الرحمٰن، أو مبتدأ ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: متعلق بـ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ وجملة: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: خبر ثان لـ هو المقدرة، أو خبر ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ والجملة الاسمية: مستأنفة.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾.

﴿لَهُۥ﴾: خبر مقدم ﴿مَآ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة: مستأنفة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور صلة لـ﴿مَآ﴾ الموصولة ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: معطوف على ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أيضاً ﴿وَمَا﴾: معطوف على ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف صلة لـ﴿مَآ﴾.

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾.

﴿وَإِن﴾ الواو: استئنافية ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَجْهَرْ﴾: فعل مضارع مجزوم، وفاعله: ضمير يعود على محمد، أو على أي مخاطب ﴿بِٱلْقَوْلِ﴾: متعلق به ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ الفاء: رابطة لجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية وجوباً ﴿إنه﴾: ناصب واسمه ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾: فعل ومفعول، وفاعله: ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة: ﴿إن﴾ في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على

كونها جواباً لها، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية: مستأنفة. ﴿وَأَخْفَى﴾: معطوف على ﴿ٱلسِّرَّ﴾؛ أي: ﴿أخفى﴾ منه، وتنكيره للمبالغة في الخفاء، فهو: اسم تفضيل من خفي بمعنى: استتر وغاب، وأجاز بعضهم: أن يكون فعلاً ماضياً؛ أي: وأخفى الله عن عباده غيبه، وعندنا أن ذلك غير جائز، لأنه من جهة اللفظ يلزم منه عطف الفعلية على الاسمية، إن كان المعطوف عليه الجملة الكبرى؛ أو عطف الماضي على المضارع، إن كان المعطوف عليه الجملة الصغرىٰ، وكلاهما دون الأحسن، ومن جهة المعنى، واضح أن المقصود: الحض على ترك الجهر بإسقاط فائدته، من حيث: إن الله يعلم السر وما هو أخفى منه، فكيف يبقى للجهر فائدة، وكلاهما على هذا التأويل مناسبة لترك الجهر، وأما إذا جُعل فعلاً فيخرج عن مقصود السياق، واعلم: أنهم قد يحذفون (من) من أفعل، إذا أريد به التفضيل، ومعنى الفعل، وهم يريدونها فتكون كالمنطوق بها، نحو زيد أكرم وأفضل.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ ﴿لَآ﴾: نافية ﴿إِلَٰهَ﴾: في محل النصب اسمها، مبني على الفتح، وخبر ﴿لَآ﴾: محذوف جوازاً، تقديره: موجود ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿هُوَ﴾: ضمير للمفرد المنزّه عن المذكورة والأنوثة والغيبة، في محل الرفع بدل من الضمير المستتر فيخبر ﴿لَآ﴾ وجملة ﴿لَآ﴾: في محل الرفع خبر أول للمبتدأ، والجملة الاسمية: مستأنفة ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾: مبتدأ مؤخر ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: صفة لـ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾ ومعلوم أن جمع التكسير في غير العقلاء، يعامل معاملة المفردة المؤنثة، والجملة الاسمية: في محل الرفع خبر ثان للمبتدأ.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَهَلْ﴾ الواو: استئنافية ﴿هَلْ﴾: حرف للاستفهام التقريري، ومعناه: أليس قد أتاك حديث موسى، وقيل: معناه: قد أتاك ﴿أَتَىٰكَ﴾: فعل ومفعول به ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ فاعل ومضاف إليه، والجملة: مستأنفة مسوقة لتقرير أمر التوحيد، الذي انتهى إليه مساق الحديث، وبيان أنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء، كابراً عن

كابرٍ، وقد خوطب به موسى ـ عليه السلام ـ حيث قيل له: إنني أنا الله لا إله إلا أنا، وبه ختم موسى ـ عليه السلام ـ مقالته، قال إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو .اهـ «أبو السعود». ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ﴿حَدِيثُ﴾ ﴿رَءَا﴾: فعل ماض وهي بصرية، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾ والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿نَارًا﴾: مفعول به ﴿فَقَالَ﴾ الفاء: حرف عطف وتعقيب، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾ والجملة: في محل الجر معطوفة على جملة ﴿رَءَا﴾. ﴿لِأَهْلِهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّيٓ﴾ ناصب واسمه ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾: مسوقة لتعليل ما قبلها ﴿لَّعَلِّيٓ﴾: ناصب واسمه ﴿ءَاتِيكُم﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾. ﴿مِّنْهَا﴾: جار ومجرور حال من ﴿قبس﴾ لأنه صفة نكرة، قدمت عليها ﴿بِقَبَسٍ﴾: متعلق بـ﴿أتيكم﴾ والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر لـ﴿لعل﴾ وجملة ﴿لعل﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَوْ﴾: حرف عطفٍ وتنويعٍ ﴿أَجِدُ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾. ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾: متعلق بـ﴿أَجِدُ﴾. ﴿هُدًى﴾: مفعول به ﴿لأجد﴾ فهو يتعدى لمفعولٍ واحدٍ، لأنه من وجد الضالة، وجملة: ﴿أَجِدُ﴾: في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿ءَاتِيكُم﴾: على كونها خبر ﴿لعل﴾.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ الفاء: عاطفة على محذوف تقديره: فيمم شطر النار، فلما أتاها ﴿لما﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بجوابه ﴿أَتَىٰهَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾ والجملة: فعل شرط لـ﴿لما﴾ في محل الجر بإضافة ﴿لما﴾ إليها ﴿نُودِىَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله: ضمير يعود على ﴿موسى﴾ والجملة: جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾: معطوفة على الجملة المحذوفة المذكورة آنفاً ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء: في محل الرفع نائب فاعل لقول محذوف، تقديره: ﴿نُودِىَ﴾ وقيل له ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾.

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾.

﴿إِنِّيٓ﴾: ناصب واسمه ﴿أَنَا۠﴾: تأكيد للضمير، أو مبتدأ ﴿رَبُّكَ﴾: خبر ﴿إن﴾ أو خبر ﴿أَنَا۠﴾ والجملة: خبر ﴿إن﴾ والأول أولى، وجملة ﴿إن﴾: في محل الرفع نائب فاعل للقول المحذوف، على كونها جواب النداء ﴿فَٱخۡلَعۡ﴾ الفاء: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت أني أنا ربك، وأردت بيان الأدب لك.. فأقول لك: ﴿اخلع﴾. ﴿اخلع﴾: فعل أمر وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾. ﴿نَعۡلَيۡكَ﴾: مفعول به منصوب بالياء، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل الرفع نائب فاعل للقول المحذوف، ويصح كون الفاء: تفريعية ﴿إِنَّكَ﴾ ناصب واسمه ﴿بِٱلۡوَادِ﴾ الباء: حرف جر ﴿الواد﴾: مجرور بالباء، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء المحذوفة، للتخلص من التقاء الساكنين لفظاً، المحذوفة خطاً أيضاً، تبعاً للفظ، على قاعدة رسم المصحف العثماني، الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿إن﴾ أي: إنك كائن ﴿بِٱلۡوَادِ﴾. ﴿ٱلۡمُقَدَّسِ﴾: صفة للوادي ﴿طُوٗى﴾: بدل من الوادي، أو عطف بيان عنه، ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي، على إرادة البقعة، أو مصروف على إرادة معنى الموضع، وجملة ﴿إن﴾ في محل الرفع نائب فاعل للقول المحذوف على أنها معللة لما قبلها، ﴿وَأَنَا۠﴾ الواو: عاطفة ﴿أَنَا۠﴾: مبتدأ ﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية، في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الإسمية: معطوفة على جملة ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾. ﴿فَٱسۡتَمِعۡ﴾ الفاء: عاطفة تفريعية ﴿استمع﴾ فعل أمر وفاعل مستتر معطوف على ﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ ﴿لِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿استمع﴾ ﴿يُوحَىٰٓ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله: ضمير يعود على ﴿ما﴾، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾.

﴿إِنَّنِيٓ﴾: ناصب واسمه ونون وقاية ﴿أَنَا۠﴾: تأكيد للضمير المنصوب، أو

مبتدأ ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر ﴿إن﴾ أو خبر ﴿أَنَا﴾ والجملة: خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: في محل الجر بدل من ﴿ما﴾ في قوله: ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ ﴿لَآ﴾: نافية ﴿إِلَٰهَ﴾ في محل النصب اسمها، وخبر ﴿لَآ﴾: محذوف تقديره: موجود ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿أَنَا۠﴾: بدل من الضمير المستتر في خبر ﴿لَآ﴾ وجملة ﴿لَآ﴾: في محل الرفع خبر ثان لـ﴿إن﴾ ﴿فَٱعْبُدْنِي﴾ (الفاء) فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت أنني أنا الله، لا إله إلا أنا، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لك ﴿فَٱعْبُدْنِي﴾. ﴿اعبدني﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، ونون وقاية، ومفعول به، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: نائب فاعل للقول المحذوف، المذكور سابقاً ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول معطوف على ﴿فَٱعْبُدْنِي﴾ ﴿لِذِكْرِيٓ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أقم﴾ وهو مصدر مضاف للمفعول؛ أي: لتذكرني فيها، أو مضاف للفاعل؛ أي: لذكري إياك.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾: ناصب واسمه وخبره، والجملة: مستأنفة ﴿أَكَادُ﴾: فعل مضارع ناقص، من أفعال المقاربة، واسمها: ضمير مستتر فيها يعود على الله ﴿أُخْفِيهَا﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، ومفعول به، والجملة الفعلية: في محل النصب خبر ﴿أَكَادُ﴾ وجملة: ﴿أَكَادُ﴾: في محل الرفع خبر ثان لـ﴿إن﴾. ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ (اللام) حرف جر وتعليل ﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ﴾: فعل مغير ونائب فاعل، منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجملة الفعلية، مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لجزاء كل نفس ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾: الجار والمجرور متعلق بـ﴿أُخْفِيهَا﴾ أو بـ﴿أتية﴾ و﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾: جملة اعتراض بينهما، لا نعت لـ﴿أتية﴾ حتى يلزم إعمال اسم الفاعل الموصوف، فإن عمل ثم وصف جاز .اهـ «كرخي» ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (الباء) حرف جر ﴿ما﴾ مصدرية أو موصولة اسمية ﴿تَسْعَىٰ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على النفس،

والجملة الاسمية: صلة لـ﴿ما﴾ المصدرية؛ أي: بسعيها أو لـ﴿ما﴾ الموصولة؛ أي: بما سعته، ولكنه على تقدير مضاف؛ أي: بعقاب سعيها، أو بعقاب ما سعته. ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ (الفاء) فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما ذكرته لك، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لك ﴿لا يصدنك﴾ ﴿لا﴾ ناهية جازمة ﴿يصدن﴾ فعل مضارع في محل الجزم، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، و(الكاف): مفعول به ﴿عَنْهَا﴾: متعلق به ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع فاعل، والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة ﴿لَّا﴾ نافية ﴿يُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿بِهَا﴾: متعلق به، والجملة: صلة ﴿مَن﴾ الموصولة ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة: معطوفة على جملة ﴿لَا يُؤْمِنُ﴾ على كونها صلة ﴿مَن﴾ الموصولة ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ (الفاء): عاطفة سببية ﴿تردى﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية، الواقعة في جواب النهي، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ أو على أيِّ مخاطب، والجملة الفعلية، مع أن المضمرة: في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك، لإصلاح المعنى، تقديره: فلا يكن صد من لا يؤمن بها إياك عنها فرداك.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ الواو: استئنافية ﴿مَآ﴾ استفهامية للاستفهام التقريري، في محل الرفع مبتدأ ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة في محل الرفع خبر، والجملة: مستأنفة ﴿بِيَمِينِكَ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من اسم الإشارة، والعامل في الحال المقدرة: ما في الإشارة من معنى الفعل ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: منادى مفرد ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَتَوَكَّؤُا۟﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلق بـ﴿أَتَوَكَّؤُا۟﴾ والجملة: في محل النصب حال من ﴿عَصَاىَ﴾ أو من ياء المتكلم. ﴿وَأَهُشُّ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ﴿بِهَا﴾:

متعلق به، والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أَتَوَكَّؤُا﴾. ﴿عَلَىٰ غَنَمِي﴾: متعلق بـ﴿أهش﴾ أيضاً ﴿وَلِيَ﴾ الواو: عاطفة ﴿لِي﴾ جار ومجرور، خبر مقدم ﴿فِيهَا﴾ حال من ﴿مَآرِبُ﴾. ﴿مَآرِبُ﴾: مبتدأ مؤخر ﴿أُخْرَىٰ﴾: صفة لـ﴿مَآرِبُ﴾ والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أَتَوَكَّؤُا﴾.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على الله، والجملة: مستأنفة ﴿أَلْقِهَا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾ (الفاء): حرف عطف وتفريع ﴿ألقاها﴾ فعل ومفعول، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: معطوفة مفرعة على جملة ﴿قَالَ﴾ ﴿فَإِذَا﴾ (الفاء): عاطفة ﴿إذا﴾: فجائية ﴿هِيَ حَيَّةٌ﴾: مبتدأ وخبر، وجملة ﴿تَسْعَىٰ﴾: يجوز أن تكون خبراً ثانياً، وأن تكون حالاً كما ذكره أبو البقاء، والجملة الاسمية: معطوفة على جملة ﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على الله، والجملة: مستأنفة ﴿خُذْهَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلَا﴾ (الواو): عاطفة ﴿لَا﴾: ناهية جازمة ﴿تَخَفْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿خُذْهَا﴾. ﴿سَنُعِيدُهَا﴾: فعل ومفعول به، وفاعله: ضمير يعود على الله ﴿سِيرَتَهَا﴾ منصوب بنزع الخافض؛ أي: إلى ﴿سِيرَتَهَا﴾ والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾: صفة للسيرة.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: في محل النصب معطوفة على ﴿أَلْقِهَا﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِلَىٰ

جَنَاحِكَ﴾: متعلق بـ﴿اضمم﴾. ﴿تَخْرُجْ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله: ضمير يعود على اليد ﴿بَيْضَآءَ﴾: حال من فاعل ﴿تَخْرُجْ﴾ ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: متعلق بـ﴿بَيْضَآءَ﴾ لما فيها من معنى الفعل، أو متعلق بـ﴿تخرج﴾. ﴿ءَايَةً﴾: حال ثانية من فاعل ﴿تَخْرُجْ﴾ أيضاً ﴿أُخْرَىٰ﴾: صفة ﴿ءَايَةً﴾ ﴿لِنُرِيَكَ﴾ (اللام): حرف جر وتعليل ﴿نريك﴾ فعل ومفعول أول منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله: ضمير يعود على الله ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾: حال من ﴿ٱلْكُبْرَى﴾. ﴿ٱلْكُبْرَى﴾: صفة للمفعول الثاني المحذوف، تقديره: لنريك الآية الكبرى حالة كونها من آياتنا، وجملة ﴿نريك﴾ مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لإراءتنا إياك الآية الكبرى من آياتنا، الجار والمجرور متعلق بمحذوف، تقديره: أمرناك بما ذكرنا لإراءتنا إياك، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿ٱذْهَبْ﴾ فعل أمر وفاعل مستتر، يعود على ﴿موسى﴾ والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بـ﴿ٱذْهَبْ﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه وجملة: ﴿طَغَىٰ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة: ﴿إن﴾ مسوقة لتعليل ما قبلها على أنها مقول قال.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف، حذف منه حرف النداء، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿ٱشْرَحْ﴾ فعل دعاء، وفاعله: ضمير يعود على الله، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء ﴿لِى﴾ متعلق بـ﴿ٱشْرَحْ﴾ ﴿صَدْرِى﴾: مفعول به ومضاف إليه ﴿وَيَسِّرْ﴾: فعل دعاء معطوف على ﴿ٱشْرَحْ﴾ وفاعله: ضمير يعود على الله ﴿لِىٓ﴾ متعلق به ﴿أَمْرِى﴾: مفعول به ومضاف إليه ﴿وَٱحْلُلْ﴾: فعل دعاء معطوف على ﴿ٱشْرَحْ﴾. ﴿عُقْدَةً﴾: مفعول به ﴿مِّن لِّسَانِى﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿عُقْدَةً﴾. ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾: فعل وفاعل ومفعول مجزوم بالطلب السابق، وعلامة جزمه حذف النون ﴿وَٱجْعَل﴾ فعل دعاء، وفاعل مستتر معطوف على ﴿ٱشْرَحْ﴾ ﴿لِّى﴾: متعلق به على كونه مفعولاً ثانياً له ﴿وَزِيرًا﴾: مفعول

أول ﴿مِّنْ أَهْلِي﴾ صفة لـ﴿وَزِيرًا﴾ ﴿هَٰرُونَ﴾: بدل من ﴿وَزِيرًا﴾ ﴿أَخِي﴾ بدل من ﴿هَٰرُونَ﴾ ويجوز أن يكون ﴿وَزِيرًا﴾ مفعولاً ثانياً و﴿هَٰرُونَ﴾ مفعولاً أول، وقدم الثاني عليه اعتناءً بأمر الوزارة ﴿وَلِيَ﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿وَزِيرًا﴾ أو متعلق بنفس ﴿اجعل﴾ و﴿مِّنْ أَهْلِي﴾: صفة ﴿وَزِيرًا﴾ ويجوز أن يكون ﴿وَزِيرًا﴾ هو المفعول الأول و﴿مِّنْ أَهْلِي﴾ هو الثاني، وجميع هذه الأوجه متساوية الرجحان.

﴿اشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

﴿اشْدُدْ﴾: فعل دعاء وفاعله ضمير مستتر يعود على الله تقديره: أنت ﴿بِهِۦٓ﴾ متعلق به ﴿أَزْرِى﴾: مفعول به، والجملة: معطوفة على ﴿اشْرَحْ﴾ بعاطف مقدر ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾: فعل دعاء وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿اشْرَحْ﴾. ﴿فِىٓ أَمْرِى﴾: متعلق بـ﴿أشركه﴾ وقرىء ﴿اشْدُدْ﴾ ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾: مضارعين مجزومين بالطلب السابق، ﴿كَىْ﴾: حرف نصب ومصدر ﴿نُسَبِّحَكَ﴾: فعل ومفعول منصوب بـ﴿كَىْ﴾: وفاعله ضمير مستتر فيه يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ و﴿هَٰرُونَ﴾ تقديره: نحن ﴿كَثِيرًا﴾: صفة لمصدر محذوف تقديره: تسبيحاً كثيراً. أو صفة لزمان محذوف تقديره: زمانا كثيرا فهو مفعول مطلق، أو مفعول فيه، والجملة الفعلية: صلة ﴿كَىْ﴾ المصدرية ﴿كَىْ﴾ مع صلتها: في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل، علل بها لكل من الأفعال الثلاثة الأخيرة ﴿وَاجْعَل﴾ و﴿اشْدُدْ﴾ و﴿أشرك﴾ تقديره: اجعله وزيراً لي ﴿اشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ لتسبيحنا إياك تسبيحاً كثيراً أو زماناً كثيراً ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾: فعل ومفعول وفاعل مستتر معطوف على ﴿نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾: صفة مصدر محذوف؛ أي: ذكراً كثيراً أو زماناً كثيرا ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه ﴿كُنتَ﴾: فعل ناقص واسمه ﴿بِنَا﴾: متعلق بـ﴿بَصِيرًا﴾ ﴿بَصِيرًا﴾ خبر ﴿كان﴾ وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِى التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِى الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على الله، والجملة: مستأنفة ﴿قَدْ أُوتِيتَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: قد حرف تحقيق ﴿أُوتِيتَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعل ﴿سُؤْلَكَ﴾ مفعول ثان لـ﴿أُوتِيتَ﴾ والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: منادى مفرد العلم مبني بضم مقدر، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلَقَدْ﴾ (الواو) استئنافية و(اللام) موطئة للقسم ﴿قد﴾: حرف تحقيق ﴿مَنَنَّا﴾: فعل وفاعل ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق به ﴿مَرَّةً﴾: ظرف أو مفعول مطلق ﴿أُخْرَىٰ﴾ صفة لـ﴿مَرَّةً﴾ والجملة: جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم: مستأنفة على كونها مقولاً لـ﴿قَالَ﴾ مسوقة لتقرير ما قبلها، ولزيادة توطين نفس موسى بإجابة مسؤوله ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مفيد للتعليل متعلق بـ﴿مَنَنَّا﴾. ﴿أَوْحَيْنَآ﴾: فعل وفاعل ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾: متعلق به والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿أَوْحَيْنَآ﴾. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعل مستتر صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة وهي تفيد الإبهام، ويصح كون ﴿مَا﴾ مصدرية ﴿أَنِ﴾: مفسرة بمعنى، أي: ﴿اقْذِفِيهِ﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به ﴿فِي ٱلتَّابُوتِ﴾: متعلق به، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿فَٱقْذِفِيهِ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿ٱقْذِفِيهِ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ٱقْذِفِيهِ﴾ ﴿فِي ٱلْيَمِّ﴾: متعلق بـ﴿اقذفيه﴾ ولم تختلف الضمائر، لأن المقذوف هو موسى عليه السلام. ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾ الفاء: عاطفة و﴿اللام﴾ لام الأمر ﴿يلق﴾: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، و﴿الهاء﴾: مفعول به. ﴿ٱلْيَمُّ﴾: فاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿فَٱقْذِفِيهِ﴾ وهذا أمر معناه الخبر، ولكونه أمراً لفظاً جزم جوابه في قوله: ﴿يَأْخُذْهُ﴾. ﴿بِٱلسَّاحِلِ﴾: متعلق بـ﴿يلقه﴾. ﴿يَأْخُذْهُ﴾: فعل ومفعول به مجزوم بالطلب السابق ﴿عَدُوٌّ﴾ فاعل ﴿لِّي﴾ صفة له ﴿لَّهُۥ﴾ ﴿وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ معطوف على ﴿عَدُوٌّ لِّي﴾.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾.

﴿وَأَلْقَيْتُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿مَنَنَّا﴾. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق به

﴿مَحَبَّةً﴾: مفعول به ﴿مِّنِّي﴾ صفة لـ﴿مَحَبَّةً﴾؛ أي: محبةً عظيمةً كائنةً مني ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ (الواو): عاطفة (اللام): حرف جر وتعليل ﴿تصنع﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، منصوب بأن مضمرة بعد (اللام): ونائب فاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: ولتربَّى ﴿عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾: جار ومجرور حال من الضمير المستتر في ﴿تصنع﴾ والجملة الفعلية: معطوفة على علة مقدرة قبلها، وتلك العلة المقدرة متعلقة بـ﴿ألقيت﴾؛ أي: وألقيت عليك محبة مني ليعطف عليك ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾. ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ﴿ألقيت﴾ أو بـ﴿تصنع﴾ أو بمحذوف تقديره: أذكر ﴿تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ﴾: فعل وفاعل والجملة في محل الجر مضاف إليه، لـ﴿إِذۡ﴾ ﴿فَتَقُولُ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿تَمۡشِيٓ﴾: وفاعله ضمير يعود على الأخت ﴿هَلۡ﴾: حرف للاستفهام الاستخباري ﴿أَدُلُّكُمۡ﴾: فعل ومفعول به، وفاعله: ضمير يعود على الأخت. والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿تَقُولُ﴾. ﴿عَلَىٰ مَن﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَدُلُّكُمۡ﴾. ﴿يَكۡفُلُهُۥ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة صلة الموصول.

﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾﴾.

﴿فَرَجَعۡنَٰكَ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف تقديره: فقالوا دلينا عليه فجاءت بأمِّكَ، فَقَبِلْتَ ثديها ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾. ﴿رجعناك﴾ فعل وفاعل ومفعول به ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾: متعلق به والجملة: معطوفة، على تلك المحذوفة ﴿كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا﴾ ناصب وفعل وفاعل، والجملة: في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل المقدرة، تقديره: لقرة عينها ﴿ولاَ تَحْزَنَ﴾ معطوف على ﴿كَيۡ تَقَرَّ﴾. ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ ﴿فَنَجَّيۡنَٰكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿قَتَلۡتَ﴾ ﴿مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾ متعلق بـ﴿نجيناك﴾. ﴿وَفَتَنَّٰكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾. ﴿فُتُونٗاۚ﴾: مفعول مطلق إذا كان مصدراً، وهو الأرجح، كالقعود والجلوس، أو منصوب بنزع الخافض، إذا كان جمع فتنة؛ أي: بضروب من الفتن والمعنى: ابتليناك وامتحناك بأنواع من الشدائد ﴿فَلَبِثۡتَ﴾:

فعل وفاعل معطوف على ﴿وَفَتَنَّٰكَ﴾ ﴿سِنِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ﴿لبثت﴾. ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿لبثت﴾. ﴿مَدۡيَنَ﴾ مضاف إليه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف ﴿جِئۡتَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿لبثت﴾. ﴿عَلَىٰ قَدَرٖ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿جِئۡتَ﴾؛ أي: حالة كونك موافقاً لما قدر لك، أو مستقراً على قدر معين ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: منادى مفرد العلم ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ﴾ فعل وفاعل ومفعول به ﴿لِنَفۡسِي﴾ متعلق به، والجملة: مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾؛ أي: لتتعب نفسك، من شقي يشقىٰ من باب رضي ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ﴾؛ أي: تذكيراً وعظةً، مصدر: ذكر يذكر، من باب فعل المضعف تذكيراً وتذكرةً، ولكن الأول قياسي، والثاني سماعي، إلا في المعتل، كزكى تزكيةً ﴿يَخۡشَىٰ﴾؛ أي: يخاف الله؛ أي: لمن علم الله أنه يخشى بالتخويف منه ﴿ٱلۡعُلَى﴾: جمع العليا، مؤنث الأعلىٰ، كالكبرىٰ مؤنث الأكبر، يجمع على كبر، ويجوز كتابتها بالياء والألف، لأن الفعل علا يعلو، وعلى يعلىٰ، وهي المرتبة والرفعة، وقال السيوطي، وأبو البقاء: هي جمع عليا ككبرى وكبر، فكتبت بالياء ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾ في «المصباح» الثرى وزان الحصى، ندى الأرض وأثرت الأرض بالألف كثر ثراها، والثرى: أيضاً التراب الندي، فإن لم يكن ندياً فهو تراب، ولا يقال له حينئذٍ: ثرى .اهـ.

وفي «اللسان»: وثرى المطر التراب يثريه، وهو مثرى، وثري التراب: فهو ثر، وثريت التراب: نديته، وثريت السويق: كذلك ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ قال ابن عباس: السر: ما حدث به الإنسان غيره في خفاء، وأخفى منه ما أضمره في نفسه، مما لم يحدث به غيره ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ مؤنث الأحسن، فهي اسم تفضيل يوصف به الواحد من المؤنث، والجمع من المذكر .اهـ «أبو السعود» وفي «السمين»: والحسنى تأنيث الأحسن، وقد تقدم غير مرة أن جمع التكسير في غير العقلاء، يعامل معاملة المؤنثة الواحدة.

﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾: الحديث: كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع، أو الوحي في يقظته أو في منامه ﴿لِأَهْلِهِ﴾؛ أي: لامرأته، وهي بنت شعيب، واسمها صفوراء، وقيل: صفورياء، وقيل: صفورة، واسم أختها ليل، وقيل شرفا، وقيل عبدا ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾ المكث: الإقامة ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾؛ أي: أبصرت إبصاراً بيناً، لا شبهة فيه .اهـ «أبو السعود» والإيناس: الإبصار البين، ومنه إنسان العين، لأنه يبصر به الأشياء، والإنس لظهورهم، كما قيل: الجن لاستتارهم، وقيل: هو الوجدان، وقيل: الإحساس، فهو أعم من الإبصار اهـ «سمين» ﴿بِقَبَسٍ﴾: عبارة «السمين»: القبس: الجذوة من النار، وهي الشعلة في رأس عود، أو قصبة ونحوهما، وهو فَعَل بمعنى مفعول، كالقبض والنفض، بمعنى المقبوض والمنفوض، ويقال: أقبست الرجل علماً وقبسته ناراً، ففرقوا بينهما، هذا قول المبرد، وقال الكسائي: إن فعل وأفعل يقالان في المعنيين، فيقال: قبسته ناراً وعلماً، وأقبسته أيضاً ناراً وعلماً ﴿عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾؛ أي: هادياً يدلني على الطريق، فهو: مصدر بمعنى اسم الفاعل.

﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ قال في «القاموس»: الوادي: مفرج بين جبال أو تلال أو آكام ﴿طُوًى﴾: اسم علم للوادي، ويقرأ بغير تنوين، على أنه معرفة: علم مؤنث للبقعة، وقيل: هو معدول، وإن لم يعرف لفظ المعدول عنه، فكأنه أصله: طاوي، فهو في ذلك كجمع وكتع، وقال في «القاموس»، وطوى: بالضم والكسر وينون: واد بالشام، وقال علماء النحو: وأما طوى فمن منع صرفه، فالمعتبر فيه التأنيث، باعتبار البقعة لا العدل عن طاو، لأنه؛ أي: العدل قد أمكن غيره، وهو: التأنيث فلا وجه لتكلف العدل ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ وفي «المختار»: ردى من باب صدي؛ أي: هلك وأرداه غيره، وردي في البئر. يردي بالكسر: من باب رمىٰ، وتردى: إذا سقط فيها، أو تهور من جبل .اهـ.

﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: أعتمد عليها في المشي، وحين الوقوف على رأس القطيع في المرعى، ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ يقال: هش الورق يهشه ويهشه: خبطه بعصا ليتحات؛ أي: ضربه ضرباً شديداً ليسقط، والمعنى: أخبط بها الورق على رأس غنمي لتأكله، وفي «المصباح»: هش الرجل هشاً: من باب رد صال

بعصاه، وفي التنزيل ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ وهش الشجرة هشاً أيضاً: ضربها ليتساقط ورقها، وهش الشيء يَهَش، من باب تعب هشاشةً: إذا لان واسترخى، فهو هش، وهش العود يهش أيضاً هشوشاً: صار هشاً؛ أي: سريع الكسر، وهش الرجل هشاشةً: إذا تبسم وارتاح، من بابي تعب وضرب اهـ.

﴿مَـَٔارِبُ﴾: جمع مأربة، مثلثة الراء، وهي الحاجة ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾: الحية تطلق على الصغير والكبير، والذكر والأنثى من هذا النوع، والثعبان: العظيم من الحياة، والجان: الصغير منها ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: حالتها الأولى، وهي كونها عصا، يقال لكل من كان على أمر فتركه، وتحول عنه ثم راجعه، عاد فلان سيرته الأولى ﴿مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾: اسم تفضيل مؤنث الأكبر؛ أي: التي هي أكبر من غيرها، حتى من العصا، وذلك لأن المراد الكبرىٰ في الإعجاز، واليد كذلك، فإنها أكبر آيات موسى، كما نقله الخازن عن ابن عباس.

﴿وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ والوزير: قيل: مشتق من الوزر وهو: الثقل، وسمي بذلك لأنه يتحمل أعباء الملك ومؤنه، فهو معين على أمر الملك، وقائم بأمره، وقيل: بل هو من الوزر، وهو: الملجأ، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ وقيل: من الموازرة وهي: المعاونة، نقله الزمخشري عن الأصمعي، قال: وكان القياس أزيراً يعني: بالهمزة، لأن المادة كذلك اهـ «سمين» وفي «القاموس»: الأزر: الإحاطة والقوة، والضعف: ضد التقوية والظهر .اهـ يقال: آزره إذا قواه وأعانه. ﴿سُؤْلَكَ﴾؛ أي: مسؤولك، ففُعل بمعنى المفعول، كالخبز والأكل، بمعنى المخبوز والمأكول. ﴿مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾؛ أي: في وقت ذي مر وذهاب؛ أي: وقتاً غير هذا الوقت، فإن أخرى: تأنيث آخر، بمعنى غير، والمرة في الأصل: اسم للمر الواحد، الذي هو مصدر. مر يمر مراً ومروراً؛ أي: ذهب، ثم أطلق على فعلة واحدة من الفعلات، متعديةً كانت أو لازمة، ثم شاع في كل فرد واحد من أفراد ماله أفراد متحدة، فصار علماً في ذلك، حتى جُعِل معياراً لما في معناه من سائر الأشياء، فقيل: هذا بناء المرة، ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة، والمراد به هٰهنا: الوقت الممتد، الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره، من المنن العظيمة الكثيرة .اهـ «روح البيان» ﴿بِٱلسَّاحِلِ﴾ والساحل: فاعل بمعنى مفعول، من

السحل، لأنه يسحل الماء؛ أي: يقشره ويسلخه، وينزع عنه ما هو بمنزلة القشر على ظاهره، يقال: قشرت العود نزعت عنه قشره. ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾؛ أي: اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، من الاصطناع، وهو: افتعال من الصنع بالضم، وهو مصدر قولك: صنع إليه معروفاً كما مر، وعن القفال: اصطنعتك أصله من قولهم: اصطنع فلان فلاناً، إذا أحسن إليه، حتى يضاف إليه، فيقال: هذا صنع فلان، كما يقال: هذا جريح فلان، وفي «القاموس» ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾: إخترتك لخاصة أمرٍ أستكفيكه. انتهى.

﴿فُتُونًا﴾، فيه وجهان:

أحدهما: أنه مصدر على فعول كالقعود والجلوس، إلا أن فعولاً قليل في المتعدي، ومنه الشكور والكفور والثبور واللزوم، قال تعالى: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

والثاني: أنه جمع فتن أو فتنة، على ترك الاعتداد بتاء التأنيث، كحجوز وبدور، في حجزة وبدرة؛ أي: فتناك ضروباً من الفتن .اهـ «سمين».

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التشويق والحث على الإصغاء في قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾﴾.

ومنها: فن الإبهام في قوله: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ وهو فن رفيع ينطوي على الكثير من جلائل المعاني ودقائقها، وهو ضد الإيجاز، وضد الإطناب، وحدُّه، أن يأتي المتكلم إلى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل، فيدل عليه باللفظ الكثير، لا لقصد إفهام البليد، وسماع البعيد، ولا للتقرير والتوكيد، بل للإتيان بمعنى يتشعب إلى عدة أمور، كل واحد منها مستقل المفهومية، فقد قال: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ ولم يبت في الأمر،

لئلا يعد ما ليس بمستيقن من الوفاء به، وما أجملها حكمةً تكون درساً، لمن يكيلون الوعود جزافاً ولا يفكرون في الوفاء بها.

ومنها: المبالغة في قوله: ﴿هُدًى﴾ حيث أطلق المصدر، وأراد اسم الفاعل؛ أي: هادياً.

ومنها: التهويل والتعظيم في قوله: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.

ومنها: التأكيد بدلالة إنّ، واسمية الجملة فقط في قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ هنا وفي سورة الحج بحذف لام التأكيد، وأثبتها في سورة غافر حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ لأنها إنما تزاد لتأكيد الخبر، وتأكيده: إنما يحتاج إليه إذا كان المخبر به شاكاً في الخبر، والمخاطبون في غافرهم: الكفار، فأكدها باللام بخلاف تينك.

ومنها: الإطناب في قوله: ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ وكان يكفي أن يقول: هي عصاي، ولكنه توسع في الجواب تلذذاً بالخطاب.

ومنها: الإجمال في قوله: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ بعد التفصيل.

ومنها: الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أصل الجناح: للطائر، ثم استُعير لجنب الإنسان، لأن كل جنب للإنسان في موضع الجناح للطائر، فسميت الجهتان جناحين بطريق الاستعارة.

ومنها: الاحتراس في قوله: ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ وهو عند علماء البيان: أن يؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد، وذلك أن البياض قد يراد به البرص والبهق، فلو اقتصر على قوله: ﴿بَيْضَآءَ﴾ لأوهم أن ذلك من برص أو بهق، ولذلك احترس بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ فالعين هنا: بمعنى الرعاية، مجازاً مرسلاً، من إطلاق السبب وهو العين؛ أي: نظرها على المسبب، وهو الحفظ والرعاية، وفيه أيضاً الاستعارة التمثيلية: شبه شدة الرعاية

وفرط الحفظ والكلأة، بمن يصنع بمرأى من الناظر، لأن الحافظ للشيء في الغالب يديم النظر إليه، فمثل لذلك بمن يصنع على عين الآخر.

ومنها: زيادة ﴿لِي﴾ في قوله: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾ لإفادة أن منفعة شرح الصدر، وتيسير الأمر، راجعة إليه، وعائدة عليه، فإن الله عز وجل لا ينتفع بإرساله، ولا يستعين بشرح صدره ـ تعالى وتقدس ـ.

ومنها: التنكير في قوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾ دلالةً على أنه لم يسأله حل جميع عقد لسانه، بل حل بعضها الذي يمنع الإفهام، بدليل قوله: ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾.

ومنها: التفسير بعد الإبهام في قوله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ فأبهم الكلام وأتى به مجملاً، ليتعلق الذهن، ويتطلع ما عسى أن يكون السؤل، وما هي المنة الأخرى.

ومنها: الإبهام المجرد في قوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ حيث أسند الإلقاء إلى اليم، وهو لا يعقل، من إسناد الشيء إلى السبب.

ومنها: التنكير في قوله: ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ للتفخيم والتعظيم.

ومنها: حكاية الحال الماضية في قوله: ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ حيث عبر في الفعلين بالمضارع، والأصل: إذ مشت أختك فقالت.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية، حيث استعير القر بمعنى البرد، للسرور.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي...﴾ الآية، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما عدد[1] المنن الثمانية بإزاء ما طلبه موسى من المطالب

(١) المراغي.

الثمان.. شرع يذكر الأوامر والنواهي التي طلب إليه أن يقوم بتنفيذها وأداءها على النهج الذي أمره به.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر سؤال فرعون عن رب موسى.. قفى على ذلك ببيان أنه بصره بالآيات الدالة على توحيد الله، كقوله: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ والدالة على نبوته، كإلقاء العصا وصيرورتها ثعباناً، ونزع يده من تحت جناحه فتخرج بيضاء من غير سوء، فعلم كل هذا، وكذب به كفراً وعناداً، كما قال: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها[1]: أن الله سبحانه لما ذكر أن موسى وفرعون، اتفقا على موعد يجتمعان فيه، وهو يوم عيد لهم.. أردف ذلك بذكر ما دبره فرعون بعد انصرافه عن المجلس، من أمر السحرة، وآلات السحر، وأتى بجميع ذلك، ثم ذكر أن موسى أوعدهم وحذرهم من عذاب لا قبل لهم به إن أقدموا على ما هم عازمون عليه، ثم بين أن السحرة حين سمعوا كلام موسى، تنازعوا أمرهم وتشاوروا ماذا يفعلون، بالغوا في إخفاء ما يريدون، وقالوا: ما موسى وهارون إلا ساحران، يريدان أن يغلباكم ويخرجاكم من دياركم، ويرجوان أن تتركوا دينكم، وهو أمثل الأديان وأفضلها، لتعتنقوا دينهما، فحذار أن تفعلوا ذلك، ولا يتخلفن أحد منكم، وائتوا صفاً واحداً، وقد فاز بالمطلوب من غلب.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾...﴾ مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر الموعد، وهو يوم الزينة، وذكر أنهم قالوا: ائتوا صفاً.. ذكر هنا أنهم بعد أن أتوا خيروه بين أن يبدأ بإلقاء ما معه، وأن يبدؤوا هم، فاختار الثانية، وحين بدؤوا فألقوا حبالهم

---

(١) المراغي.

وعصيهم، خاف موسى عاقبة أمره، فأوحى إليه ربه: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ فسيكون لك الفلج والظفر عليهم، وقد تحقق ما وعد الله به، وكتب له النصر، وآمن به السحرة، فلجأ فرعون إلى العناد والاستكبار.

التفسير وأوجه القراءة

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ﴾ يا موسى، وهذا كلام[1] مستأنف مسوق لبيان ما هو المقصود من الإصطناع ﴿و﴾ ليذهب ﴿أخوك﴾ هارون حسبما[2] استدعيت، عطف عليه لأنه كان غائباً عن موسى وقتئذٍ، والذهاب: المضي، يقال: ذهب بالشيء وأذهبه، ويستعمل ذلك في الأعيان والمعاني، قال تعالى: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ وقال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾.

والأخوة: المشاركة في الولادة من الطرفين أو من أحدهما، أو من الرضاع، ويُستعار الأخ لكل مشارك لغيره في القبلة، أو في الدين، أو في صنعة، أو في معاملة، أو في مودة، أو في غير ذلك من المناسبات؛ أي: اذهب أنت وأخوك إلى فرعون وقومه وبني إسرائيل، حالة كونكما متلبسين ﴿بِـَٔايَـٰتِى﴾؛ أي: بمعجزاتي[3]، متمسكين بها في إجراء أحكام الرسالة، وإكمال أمر الدعوة، لا مجرد إذهابهما وإيصالهما إليه، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد الآيات التسع التي أنزلت إليه، وإن كان وقوع بعضها بالفعل مترقباً بعده، ويحتمل أن يكون الجمع للتعظيم، والمراد: العصا واليد، ففي كل منهما آيات شتى، فانقلاب العصا حيواناً آية، وكونها ثعباناً عظيماً آية أخرى، وسرعة حركته مع عظم جرمه آية أخرىٰ، ثم أخرى، ثم إنه ـ عليه السلام ـ يدخل يده في فيه فلا يضره آية أخرى، ثم انقلابه عصا آية أخرى، وكذلك اليد فإن بياضها آية، وشعاعها آية أخرى، ثم رجوعها إلى حالتها الأولى آية أخرى، أو لأن أقل الجمع عند الخليل إثنان، يعني: أن إطلاق الآيات على الآيتين وارد على الأدنى

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) روح البيان.

﴿وَلَا تَنِيَا﴾؛ أي: لا تضعفا، ولا تفترا، ولا تقصرا ﴿فِي ذِكْرِي﴾؛ أي: في مداومة ذكري لساناً وجَناناً، فإنه آلة لتحصيل كل المقاصد، فإن أمراً من الأمور لا يتمشى لأحدٍ إلا بذكري، فالفتور في الأمور بسبب الفتور في ذكر الله، وهو تذكير بقوله: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

قال بعضهم: الحكمة في هذا التكليف: أن من ذكر جلال الله تعالى وعظمته.. استخف غيره، فلا يخاف أحداً غيره، فتقوى روحه بذلك الذكر، فلا يضعف في مقصوده. أو المعنى: فلا تنيا ولا تضعفا عن تبليغ رسالتي، فإن الذكر يطلق على كل عبادة، والتبليغ من أعظم العبادات.

والمعنى: أي[1] اذهب أنت وأخوك إلى فرعون وقومه وبني إسرائيل، وإني ممدكما بحججي وبرهاناتي الدالة على صدق نبوتكما، ومظهر على أيديكما من الآيات ما تزاح العلل والمعاذير به، ولا تفترا في دعوتهم، وتبليغ الرسالة إليهم، فبينا لهم أن الله أرسلكما إليهم، مبشرين بثوابه، ومنذرين بعقابه.

وقرأ ابن وثاب[2]: ﴿ولا تنيا﴾: بكسر التاء اتباعاً لحركة النون، وفي مصحف عبد الله ﴿ولا تهنا﴾؛ أي: ولا تلنا، في قولهم: هين لين ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ هذا أمر وخطاب لهما جميعاً بالذهاب، موسى حاضر وهارون غائب، إما بطريق التغليب لموسى لأنه الأصل في أداء الرسالة، أو بعد ملاقاة أحدهما الآخر، وتكرير الأمر بالذهاب[3]: لترتيب ما بعده عليه، وفرعون: اسم أعجمي، لقب الوليد بن مصعب صاحب موسى، وقد اعتبر غوايته، فقيل: تفرعن فلان، إذا تعاطى فعل فرعون، وتخلق بخلقه، كما يقال: أبلس وتَبَلَّس، ومنه قيل للطغاة الفراعنة والأبالسة، وعلل الأمر بالذهاب بقوله: ﴿إِنَّهُ﴾؛ أي: إن فرعون ﴿طَغَىٰ﴾؛ أي: تجاوز حد العبودية بدعوى الربوبية؛ أي: جاوز الحد في الكفر والتمرد.

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

(٣) روح البيان.

وخص[1] موسى وحده بالأمر بالذهاب فيما تقدم، وجمعهما هنا تشريفاً لموسى بإفراده، وتأكيداً للأمر بالذهاب بالتكرير، وقيل: إن في هذا دليلاً على أنه لا يكفي ذهاب أحدهما، وقيل: الأول: أمر لموسى بالذهاب إلى كل الناس، والثاني: أمر لهما بالذهاب إلى فرعون.

والمعنى[2]: أي اذهبا معاً إلى فرعون، وناضلاه الحجة بالحجة، وقارعاه البرهان بالبرهان، لأنه طغى وتجبر وتمرد، حتى ادعى الربوبية فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وتخصيص فرعون بالدعوة آخراً، بعد أن كانت الدعوة عامة أولاً، من قبل أنه إذا صادفت الدعوة من فرعون أذناً صاغيةً، واستجاب لدعوتهما، وآمن بهما.. تبعه المصريون قاطبةً، كما قيل: الناس على دين ملوكهم.

قال في «العرائس»: أمر الله موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ بالذهاب إلى فرعون، لقطع حجته، وإظهار كذبه في دعواه، وهذا تهديد لكل مدع لا يكون معه بينة من الله في دعواه، والحكمة في إرسال الأنبياء إلى الأعداء: ليعرفوا عجزهم عن هداية الخلق إلى الله، ومن يعجز عن هداية غيره.. فأيضاً يعجز عن هداية نفسه، كالطبيب العاجز عن معالجة الغير، فإنه عاجز عن معالجة نفسه أيضاً، وليعلموا أن الاختصاص لا يكون بالأسباب، ويشكروا بما أنعم الله عليهم بلطفه، وربما يصطادون من بين الكفرة من يكون له استعداد بنظر الغيب، مثل: حبيب النجار، والرجل من آل فرعون، وامرأة فرعون، والسحرة. انتهى.

ثم أمرهما سبحانه بإلانة القول له، لما في ذلك من التأثير في الإجابة، فإن التخشين بادىء بدء يكون من أعظم أسباب النفور والتصلب في الكفر فقال: ﴿فَقُولَا﴾ أنتما، يا موسى وهارون ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: لفرعون ﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي: سهلاً؛ أي[3]: كلماه باللين والرفق، من غير خشونة ولا تعنيف، ويسرا، ولا تعسرا، فإنه ما دخل الرفق في شيء إلا وقد زانه، وما دخل الخرق في شيء إلا وقد

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

شانه، وكان في موسى حدة وصلابة وخشونة، بحيث إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً، فعالج حدته وخشونته باللين ليكون حليماً، وهو معنى قول من قال: طبع الحبيب كان على اللين والرحمة، فلذا أمر بالغلظة كما قال تعالى: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ تحققاً بكمال الجلال، وطبع الكليم على الشدة والحدة والصلابة، فلذا أمر بالقول اللين، تحققاً بكمال الجمال.

وقيل[1]: أمر الله موسى باللين مع الكافر، مراعاةً لحق التربية، لأنه كان رباه، فنبه به على نهاية تعظيم حق الوالدين، وقيل: أمر موسى باللين ليكون حجة على فرعون، لئلا يقول: أغلظ علي القول في دعوته، وفي «الإحياء»: سئل الحسن عن الولد، كيف يحتسب على والده؟ فقال: يعظه ما لم يغضب، فإذا غضب سكت. فعلم منه أنه ليس للولد الحسبة على الوالد بالتعنيف والضرب، وليس كذلك التلميذ مع الأستاذ، إذ لا حرمة لعالم غير عامل، وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ ـ رحمه الله ـ هذه الآية، فبكىٰ وقال: إلهي هذا رفقك بمن يقول أنا الإله، فكيف بمن يقول أنت الإله.

والمعنى: أي فكلماه بكلام رقيق لين، ليكون أوقع في نفسه، وأنجع في استجابته للدعوة، فبرقيق القول تلين قلوب العصاة، وتنكسر سورة الطغاة، ومن ثم جاء الأمر به لنبيه محمد ﷺ في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ومن هذا ما حكى عن موسى في قوله لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

ثم علل الأمر بإلانة القول بقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾؛ أي: لعل فرعون يتذكر بما بلَّغتماه من ذكري، ويرغب فيما رغَّبتُماه فيه ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ عقابي، وكلمة ﴿أَوْ﴾ لمنع الخلو دون الجمع. انتهى من «الإرشاد»؛ أي: باشرا[2] مباشرة من يرجو ويطمع تذكره أو خشيته، فالرجاء والطمع راجع إليهما؛ أي: قولا له ذلك راجين

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

أن يترك الإصرار على إنكار الحق وتكذيبه، وإما بأن يتذكر ويتعظ ويقبل الحق قلباً وقالباً، أو بأن يتوهم أنه حق فيخشى بذلك، من أن يصر على الإنكار، ويبقى متردداً ومتوقفاً بين الأمرين، وذلك خير بالنسبة إلى الإنكار والإصرار عليه، لأنه من أسباب القول، ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم ينفعاه، وذلك حين ألجمه الغرق، ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

وقيل[1]: ﴿لعل﴾ ها هنا بمعنى الاستفهام، والمعنى: فانظرا هل يتذكر أو يخشى، وقيل: بمعنى كي، والتذكر: النظر فيما بلَّغاه من الذكر، وهو إمعان الفكر فيه، حتى يكون ذلك سبباً في الإجابة، والخشية: هي خشية عقاب الله الموعود به على لسانهما.

والظاهر: أن ﴿لعل﴾ في مثل هذا لتوقع حصول ما بعدها؛ أي: أديا[2] الرسالة، وقوما بتنفيذ ما دعوتكما إليه، واسعيا إلى إنجازه، سعي من يرجو ويطمع أن يثمر عمله، ولا يخيب سعيه، فهو يجتهد قدر استطاعته، ويحتشد بأقصى وسعه، آملاً أن تكلل أعماله بالنجاح والفوز والفلاح.

وقصارى ذلك: اصدعا بالأمر وأنتما طامعان أن أعمالكما ستثمر، وأنكما ستهديانه إلى سواء السبيل، وقد جرت العادة أن من رجا شيئاً.. طلبه، ومن يئس.. انقطع عمل، والمقصد من ذلك إلزامه الحجة، وقطع المعذرة، وإن لم يفد هدايته.

﴿قَالَا﴾؛ أي: قال موسى وهارون ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ﴾ فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه ﴿أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ﴾؛ أي: أن يعجل علينا بالعقوبة، ولا يصبر إلى تمام الدعوة، وإظهار المعجزة، فيتعطل المطلوب من الإرسال إليه ﴿أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾؛ أي: أن يزداد طغياناً، فيقول في شأنك ما لا ينبغي، لعظيم جرأته، وقساوة قلبه، وفجوره، وشديد عصيانه، ولما كان طغيانه في حق الله أعظم من

---

(1) الشوكاني.
(2) المراغي.

إفراطه في حقهما.. ختم الكلام به.

فالخوف[1]: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع: توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضاد الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية، قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب، كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف من المعاصي واختيار الطاعات، فإن قلت: كيف هذا الخوف وقد علما أنهما رسولا رب العزة إليه؟ قلت: جريا على الخوف الذي هو مركوز في جبلة الإنسان، حتى أنه لو بلغ مرتبة النبوة والرسالة، فإنه لا يخرج الخوف من جبلته، كما قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾؛ يعني نخاف أن يقتلنا، ولكن الخوف ليس بجهة القتل، وإنما نخاف فوات عبوديتك بالقيام لأداء الرسالة والتبليغ كما أمرتنا، أو يتمرد بجهله ولا ينقاد لأوامرك، ويسبك.

وقرأ يحيى، وأبو نوفل، وابن محيصن في روايته[2]: ﴿أن يفرط﴾ مبنياً للمفعول؛ أي: يسبق في العقوبة، ويسرع بها، من فرط إذا تقدم بالقصد، ومنه الفارط إلى الماء؛ أي: المتقدم لإصلاح الدلو، ويجوز أن يكون من الإفراط ومجاوزة الحد في العقوبة، خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعذاب، من شيطان، أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية، أو من حبه الرياسة، أو من قومه القبط المتمردين. وقرأت فرقة، والزعفراني عن ابن محيصن: ﴿يفرط﴾ بضم الياء وكسر الراء، من الإفراط في الأذية.

﴿قَالَ﴾: استئناف[3] بياني، كأنه قيل: فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما إليه؟ فقيل: قال الله سبحانه لهما ﴿لَا تَخَافَآ﴾ مما عرض في قلبكما من إذاية فرعون لكما، ومن ازدياد كفره، قال بعضهم: ليس المراد منه النهي عن الخوف،

---

(1) روح البيان.

(2) البحر المحيط.

(3) روح البيان.

لأنه من حيث كونه أمراً طبيعياً لا مدخل للاختيار فيه، لا يدخل تحت التكليف ثبوتاً وانتفاءً، بل المراد به التسلي بوعد الحفظ والنصرة، كما يدل عليه قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ بكمال الحفظ والنصرة، فإن الله تعالى منزه عن المعية المكانية ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾؛ أي: ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل، فأفعل في كل حال ما يليق بها، من دفع ضرر وشر، وجلب نفع وخير، فمن كان الله معه.. يحفظه من كل جبار عنيد؛ أي[1]: إنني معينكما وعالم بما يليق من حالكما معه، أسمع كلامه معكما، فأسخره للاستماع منكما، وأرى أفعاله، فلا أتركه يفعل بكما ما تكرهانه.

والخلاصة: لست بغافل عنكما، وإني سأفعل ما يؤدي إلى حفظكما، ونصركما عليه، فلا تهتما بأمره، ﴿فَأْتِيَاهُ﴾؛ أي: فقابلا فرعون ﴿فَقُولَا﴾ له ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ قد أرسلنا إليك، فالإتيان هنا: عبارة عن الوصول إليه، بعد أمرهما بالذهاب إليه، فلا تكرار، وفي التعبير بقولهما: ﴿رَبِّكَ﴾: إيماء[2] إلى أن ما ادعيته من الربوبية لنفسك، مما لا ينبغي أن يلتفت إليه، ولا أن يُنظر إليه نظرة الاعتبار والصدق: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ﴾؛ أي: أطلق معنا ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: من الأسر، نذهب بهم إلى أرضهم؛ أي: فأطلقهم وخلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين، وكانت مسكنهم، وفلسطين بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين المهملة: هي البلاد التي بين الشام وأرض مصر، منها الرملة، وغزة، وعسقلان، وغيرها طهرها الله من دنس اليهود الغاصبين ورجسهم .اهـ «بحر العلوم».

وفي ذلك إدخال النقص على ملكه، لأنه كان محتاجاً إليهم فيما يريده من الأعمال، من بناء أو غيره ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بتسخيرهم إياهم في شاق الأعمال، كالحفر والبناء، ونقل الأحجار، وقد كان المصريون يستخدمونهم هم ونساؤهم في تلك الأعمال، ويذبحون أبناءهم عاماً دون عام، ويستحيون نساءهم بأمر فرعون، وإنما بدأ بهذا الطلب دون دعوة هذا الطاغية وقومه إلى الإيمان، لأنه

---

(١) المراح.
(٢) المراغي.

أخف وأسهل من ذلك، لما فيه من تبديل الاعتقاد، وهو عسر شاق على النفس، وقال في «الإرشاد»: والمراد بالإرسال: إطلاقهم من الأسر والقسر، وإخراجهم من تحت اليد العادية، لا تكليفه أن يذهبوا معهما إلى الشام، كما ينبىء عنه قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾؛ أي: بإبقائهم على ما كانوا عليه من العذاب، فإنهم كانوا تحت مملكة القبط، يستخدمونهم في الأعمال الصعبة القادحة، من الحفر، ونقل الأحجار، وغيرهما من الأمور الشاقة، ويقتلون ذكور أولادهم، عاماً دون عام، ويستخدومونهم، كما مر آنفاً.

وتوسيط[1] حكم الإرسال بين بيان رسالتهما، وبين ذكر المجيء بآيةٍ دالة على صحتها، لإظهار الاعتناء به، لأن تخليص المؤمنين من أيدي الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان، كما قيل، ثم ذكرا ما يوجب امتثال أمرهما، ويؤكد دعوى رسالتهما بقولهما: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ﴾ وأتيناك ﴿بآية﴾؛ أي: بمعجزةٍ باهرةٍ كائنةٍ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ وخالقك يا فرعون؛ أي: قد[2] جئناك بالحجة البالغة، والبرهان الساطع، على أنه أرسلنا إليك، وإن لم تصدقنا فيما نقول.. أريناكها ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾؛ أي: والسلامة والأمن من العذاب، في الدنيا والآخرة ﴿عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾؛ أي: على من اتبع رسل ربه، واهتدى بآياته التي ترشد إلى الحق، وتنيل البغية وتبعد عن الغي والضلال، قال الزجاج؛ أي: من اتبع الهدى.. سلم من سخط الله وعذابه، وليس بتحية، والدليل على ذلك: أنه ليس بابتداء لقاءٍ ولا خطاب .اهـ.

وهذا[3] من جملة قوله تعالى، الذي أمرهما أن يقولاه لفرعون؛ أي: وقولا له: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وفي هذا ترغيب في التصديق على أتم وجوهه، وتنفير من مخالفته، وصد عنها على أقصى غاية، كما لا يخفى، ثم ذكرا علة لما سبق لهما من النصح والإرشاد بقولهما ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ﴾؛ أي: إنا قد أخبرنا

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) المراح.

الله فيما أوحاه إلينا ﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: أن عذابه الذي لا نفاد له، ولا انقطاع في الدنيا والآخرة ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ بما ندعوا إليه من توحيده وطاعته، وإجابة رسله ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: وأدبر معرضاً عما جئناه به من الحق.

وجاء بمعنى الآية قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ وقوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ وقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾.

وأصل الوحي[1]: الإشارة السريعة، وذلك قد يكون بالكلام الخفي على لسان جبريل، وقد يكون بالإلهام، والمنام، والوحي إلى موسى بوساطة جبريل، وإلى هارون بوساطته ووساطة موسى، والمراد[2] بالعذاب: الهلاك والدمار في الدنيا، والخلود في النار، والمراد بالتكذيب: التكذيب بآيات الله وبرسله، والتولي: الإعراض عن قبولها والإيمان بها.

فإن قلت: إن قوله: ﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يقتضي قصر العذاب على المكذبين، مع أن غيرهم قد يعذبون على عصيانهم.

قلتُ: إن المراد بالعذاب هنا: العذاب الدائم، الذي لا ينقطع، لأن العذاب المتناهي كلا عذاب ﴿قَالَ﴾ فرعون، بعدما أتياه وبلغا ما أمرا به: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: فمن إلٰهكما الذي أرسلكما، لم يقل فمن ربي مع قولهما: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ لغاية عتوه، ونهاية طغيانه، و(الفاء) في قوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا كنتما رسولي ربكما.. فأخبرا من ربكما الذي أرسلكما إليَّ، و﴿من﴾: للاستفهام التعجبي.

قال الإمام: أثبت نفسه رباً في قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ فذكر ذلك على سبيل التعجب، كأنه قال: أنا ربك، فلم تدعو رباً آخر يا موسى، وإنما خص موسى بالنداء، مع توجيه الخطاب إليهما، لما ظهر له أنه هو الأصل، وهارون وزيره، فأجاب موسى عن سؤاله.

---

(١) روح البيان. (٢) الشوكاني.

﴿قَالَ﴾ موسى مجيباً لفرعون ﴿رَبُّنَا﴾ مبتدأ خبره ﴿الَّذِىٓ﴾ من محض فضله ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿خَلْقَهُۥ﴾؛ أي: صورته[1] وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، فأعطى العين الشكل الذي يطابق ما يراد بها من الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع، وهكذا الأنف، واليد، والرجل، وجميع أعضاء الجسم، شكل كل منها مطابق للمنفعة المنوطة بها، ومن هذا يفهم: أن ضمير الجمع في ﴿رَبُّنَا﴾ عام لموسى وهارون وغيرهم، ولم[2] يقل ربنا الله، بل وصفه بأفعاله، ليستدل بالفعل على الفاعل، أو المعنى: أو أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه، ويرتفقون به، وقدم المفعول الثاني لأنه المقصود بيانه، وقيل: المعنى: أعطى كل شيء من أعضاء الجسم خلقه؛ منفعته التي خلق لأجله، فخلق اليد للبطش، والرجل للمشي، واللسان للنطق، والعين للنظر، والأذن للسمع، وقيل: المعنى: أعطى كل حيوان خلقه؛ أي: نظيره وشكله، زوجاً، فجعل زوجة الرجل المرأة، والبعير الناقة، والفرس الرمكة، وهي الحجرة، والحمار الأتان، وقيل: المعنى: أعطى كل ما خلق خلقته، وصورته الخاصة به على ما يناسبه من الإتقان، لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديراً، وقال الشاعر:

وَلَـهُ فِـيْ كُـلِّ شَـيْءٍ خِـلْـقَـةٌ   وَكَـذَلِـكَ ٱلـلَّـهُ مَـا شَـاءَ فَـعَـلْ

وقال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه، وهداه لما يصلحه، وقرأ[3] عبد الله، وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ وأبو نهيك، وابن أبي إسحاق، والأعمش، والحسن، ونصير عن الكسائي، وابن نوح عن قتيبة، وسلاَّم: ﴿خَلَقَه﴾ بفتح اللام، فعلاً ماضياً في موضع الصفة لكل شيء، أو لشيء، ومفعول ﴿أَعْطَىٰ﴾ الثاني حذف اقتصاراً؛ أي: أعطى كل شيء خلقه عطاءه وإنعامه، وقَدَّره ابن عطية: كماله أو مصلحته.

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾؛ أي: ثم أرشده كيف ينتفع بما أعطاه، ويرتفق به، وكيف يصل بذلك إلى بقائه وكماله، إما اختياراً كما في الحيوان، وإما طبعاً كما في النبات والجماد، أو ألهمه كيف يأتي الذكر والأنثى.

وخلاصة هذا[1]: ربنا الذي خلق كل شيء على الوجه الذي يليق بما قدر له من المنافع والخواص، وأرشده كيف ينتفع بما خلق له، وجعل ذلك دليلاً على وجوده، وعظيم جوده، وكأنه يقول له: إن ذلك الخالق والهادي هو الله.

ولما كان[2] الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الأجزاء، وتسوية الأجسام، متقدماً على الهداية، التي هي عبارة عن إيداع القوى المحركة المدركة في تلك الأجسام، وسَّط بينهما كلمة التراخي، وبعد أن أخبر موسى فرعون بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر، شرع فرعون يحتج بالقرون الأولى، الذين لم يعبدوا هذا الإلٰه، وهذا ما أشار إليه بقوله: ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: فما حال القرون الماضية؟ وما خبر الأمم الخالية؟ مثل قوم نوح، وعاد، وثمود، وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة؟ وما للاستفهام الاستخباري، والبال: الحال التي يُكترث بها، ولذا يقال: ما باليت بكذا؛ أي: ما اكترثت به، ويعبر به عن الحال الذي ينطوي عليه الإنسان، فيقال: ما خطر ببالي كذا، والقرون: القوم المقترنون في زمن واحد، والأولى: تأنيث الأول، وواحد الأول، كالكبرى والأكبر، والكبر؛ أي: فما حال الأمم الماضية، الذين لم يعبدوا الله، بل عبدوا غيره، فإنها كانت تعبد الأصنام، وتنكر البعث، إنما قال[3] فرعون ذلك لموسى حين خوَّفهم مصارع الأمم الخالية، فحينئذ قال فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أو ما حالهم عندك، كيف هلكوا، وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة؟ أي: فلما ذكر[4] موسى ـ عليه السلام ـ برهاناً نيراً على هذا المطلوب.. خاف فرعون أن يزيد موسى في تصوير تلك الحجة، فيظهر للناس صدقه ـ عليه السلام ـ وحقيقة مقالاته، ويتبين عندهم بطلان خرافات

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) الخازن.

(٤) المراح.

نفسه، فأراد فرعون أن يصرف موسى - عليه السلام - عن ذلك الكلام الذي يتعلق بالرسالة، إلى الحكايات، فعسى يظهر منه نوع غفلة، فيرتقي فرعون إلى أن يدعي قدام قومه نوع معرفة، فقال: ما حال القرون الخالية؟ لكن موسى كان أحرص من أن يهتم بمثل هذا، ومن ثم أوجز في رده، ووكل أمر ذلك إلى ربه.

﴿قَالَ﴾ موسى مجيباً له، ﴿عِلْمُهَا﴾؛ أي: علم أحوال تلك القرون كائن ﴿عِندَ رَبِّي﴾؛ أي: من[1] الغيوب التي لا يعلمها إلا الله، ولا ملابسة للعلم بأحوالهم بمنصب الرسالة، فلا أعلم منها إلا ما علمنيه من الأمور المتعلقة بما أُرسلت ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾؛ أي: مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾؛ أي: لا يخطىء ابتداءً، بل يعلم كل المعلومات، ولا يخفى عليه شيء منها ﴿وَلَا يَنسَى﴾؛ أي: ولا يسهو عن شيء منها بقاءً ودواماً، بل هو ثابت عنده أبداً، وهو لبيان أن إثباته في اللوح المحفوظ، ليس لحاجته تعالى إليه في العلم به ابتداءً وبقاءً، وإنما كتب أحكام الكائنات في كتاب ليظهرها للملائكة، فيزيد استدلالهم بها على تنزه علمه تعالى عن السهو والغفلة.

والضلال: أن تخطىء الشيء في مكانه، فلم تهتد إليه، والنسيان: أن تغفل عنه بحيث لا يخطر ببالك، وهما محالان على العالم بالذات، وقال[2] مجاهد: معنى الجملتين واحد، وهو إشارة إلى أنه لا يعرض في علمه ما يغيره، وقال ابن جرير: لا يخطىء في التدبير، فيعتقد في غير الصواب صواباً، وإذا عرفه لا ينساه.

ومعنى الآية: أي إن[3] ذلك من علوم الغيب، التي لا يعلمها إلا الله، فهو الذي ضبط أعمالهم، وأحصاها في كتاب لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته شيء، لا كبير ولا صغير، ولا ينسى شيئاً، وسيجزيهم بما عملوا جزاءً وفاقاً.

وقصارى ذلك: أن علمه تعالى محيط بكل شيء، وأنه لا ينسى شيئاً - تبارك

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

(٣) المراغي.

وتعالى ـ فعلمه ليس كعلم المخلوقين، الذي يعتريه النقص من وجهين: عدم الإحاطة بالأشياء، ونسيانها بعد علمها.

وقرأ الحسن[1]، وقتادة، والجحدري، وحماد بن سلمة، وابن محيصن، وعيسى الثقفي: ﴿لا يضل﴾ بضم الياء؛ أي: لا يضل الله ذلك الكتاب، فيضيع، ولا ينسى ما أثبته فيه، وقرأ السلمي: ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ مبنيتين للمفعول، والظاهر: أن الجملتين استئناف وإخبار عنه تعالى، بانتفاء هاتين الصفتين عنه، وإجمال سؤاله، أنه إذا كان الأمر كما ذكرت.. ففصل لنا حال الماضين من سعادةٍ وشقاءٍ، فرد ـ عليه السلام ـ عليه: بأن علم ذلك إلى الله تعالى، ثم عاد إلى تتميم كلامه الأول، بإبراز الدلائل على الوحدانية فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾؛ أي: ربي الذي لا يضل ولا ينسىٰ هو الذي جعل لكم الأرض كالمهاد والفراش، تتمهدونها وتستقرون عليها، فتقومون، وتنامون، وتسافرون على ظهرها، وقرأ[2] الأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿مَهْدًا﴾ بفتح الميم وإسكان الهاء، وباقي السبعة: ﴿مهاداً﴾ وكذا في الزخرف، وقال المفضل: هما مصدران، يقال: مهد مهداً ومهاداً، وقال أبو عبيد: مهاداً: اسم، ومهداً: مصدر، ومعنى ذلك: أنه تعالى جعلها لهم، يتصرفون عليها في جميع أحوالهم ومنافعهم؛ أي: جعل كل موضع منها مهداً وفراشاً لكل واحد منكم.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾؛ أي: وهو الذي جعل لأجلكم لا لغيركم في الأرض سبلاً وطرقاً كثيرةً، بين الجبال والأودية والبراري، تمشون في مناكبها، وتسلكونها من قطر إلى قطر، لتقضوا منها مآربكم، وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يقال: سلكت الشيء في الشيء: أدخلته، والسبل[3]: جمع سبيل، وهو من الطرق ما هو معتاد السلوك.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) البحر المحيط.

(٣) روح البيان.

﴿وَأَنزَلَ﴾ النزول: هو الانحطاط من علو، يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا: حط رحله فيه، وأنزل غيره ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: من الفلك أو من السحاب، فإن كل ما علا سماء ﴿مَآءً﴾ وهو: جسم سيال، قد أحاط حول الأرض، والمراد، هنا: المطر، وهو الأجزاء المائية إذا التأم بعضها مع بعض، ونكره قصداً إلى معنى البعضية؛ أي: أنزل من السماء بعض الماء. وهذا[1] تمام كلام موسى ـ عليه السلام ـ ثم بعد ذلك أخبر الله تعالى عن صفة نفسه، تتميماً لكلام موسى، لخطاب أهل مكة فقال: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾؛ أي: بذلك الماء ﴿أَزْوَٰجًا﴾؛ أي: أصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾؛ أي: مختلفةٍ في الطعم والرائحة والشكل والنفع، بعضها صالح للناس، وبعضها للبهائم، على اختلاف وجوه الصلاح، والأظهر: أن ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ صفتان لـ﴿أَزْوَٰجًا﴾ وأخر شتى رعايةً للفواصل، وقيل: هذا من تمام كلام موسى ـ عليه السلام ـ وكأنه يقول: ربي الذي جعل لكم كذا وكذا، فأخرجنا نحن معشر عباده بذلك الماء بالحراثة ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ وقال صاحب «الكشاف»: إن كلام موسى ـ عليه السلام ـ تم عند قوله: ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ثم ابتدأ كلام الله من قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ فهو خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: هو ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ ويكون الانتقال من الغيبة إلى التكلم التفاتاً، للدلالة على كمال القدرة، والحكمة، وللإعلام بأن ذلك لا يتأتى إلا من قادر مطاع، عظيم الشأن.

وجملة قوله: ﴿كُلُوا۟﴾: حال من ضمير ﴿فأخرجنا﴾، على إرادة القول؛ أي: فأخرجنا به أصناف النباتات، قائلين لكم ﴿كُلُوا۟﴾ منها؛ أي: من الثمار والحبوب ونحوهما ﴿وَٱرْعَوْا۟﴾؛ أي: أسيموا واسرحوا فيها ﴿أَنْعَٰمَكُمْ﴾؛ أي: مواشيكم، الإبل، والبقر، والضأن، والمعز؛ أي[2]: اقصدوا الانتفاع بها بالذات وبالواسطة، آذنين في الانتفاع بها، مبيحين بأن تأكلوا بعضها، وتعلفوا بعضها.

قال في «التأويلات النجمية» يشير إلى أن السماء، والماء، والنبات،

---

(١) المراح.
(٢) روح البيان.

والأنعام، كلها مخلوقة لكم، ولولا احتياجكم للتعيش بهذه الأشياء، بل بجميع المخلوقات، ما خلقتها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الشؤون والأفعال الإلٰهية، من جعل الأرض مهداً، وسلك السبل فيها، وإنزال الماء، وإخراج أصناف النبات ﴿لَآيَٰتٍ﴾ كثيرةً جليلةً واضحة الدلالة على الصانع ووحدته، وعظيم قدرته، وباهر حكمته ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾؛ أي: لأصحاب العقول الكاملة، الناهية عن الأباطيل التي من جملتها ما تدعيه الطاغية، وتقبله من الفئة الباغية، وتخصيص أولي النهى مع أنها آيات للعالمين باعتبار أنهم المنتفعون بها.

وحاصل معنى الآية: أي[1] وأنزل من السماء مطراً، فأخرج به مختلف أنواع النبات، من زروع، وثمار حامضة وحلوة، وهي أيضاً مختلفة النفع، واللون، والرائحة، والشكل، بعضها يصلح للإنسان، وبعضها يصلح للحيوان، وفي هذا بيان لنعمه على خلقه، بما يحدث لهم من الغيث، الذي يولد تلك المنافع ﴿كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ﴾؛ أي: فأخرجنا أصناف النبات، قائلين لكم: كلوا وارعوا أنعامكم.. الخ، فشيء منها أعد لطعامكم وفاكهتكم، وشيء لأنعامكم قوتاً لها، أخضر ويابساً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إن فيما وصفت لكم من قدرة ربكم، وعظيم سلطانه، لأدلة على وحدانيته، وأنه لا إلٰه غيره، إذا كنتم من ذوي العقول الراجحة، والأفكار الثاقبة. ولما ذكر سبحانه منافع الأرض والسماء.. بيَّن أنها غير مقصودة لذاتها، بل هي وسائل إلى منافع الآخرة، فقال: ﴿مِنۡهَا﴾؛ أي: من الأرض ﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ بوساطة خلق أبيكم آدم منها، وإلا فمَن عدا آدم وحواء مخلوق من النطفة، وأصل الخلق: التقدير المستقيم، ويُستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاءٍ، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ويُستعمل في إيجاد الشيء من الشيء، كما في هذا المقام، وقيل في سبب خلقهم من الأرض: أنه إذا وقعت النطفة في الرحم.. انطلق الملك الموكل بالرحم، فيأخذ من تراب المكان الذي يُدفن فيه فيذره على النطفة، فيخلق الله الولد من النطفة، ومن ذلك التراب، وأيضاً إن تولد الإنسان، إنما هو من النطفة ودم الطمث، وهما يتولدان من

---

(١) المراغي.

الأغذية، وهي تنتهي إلى النبات، وهي إنما تحدث من امتزاج الماء والتراب.

والمعنى: أي ومن الأرض خلقنا النطفة المتولدة من الأغذية، التي تكونت منها بوسائط، إذ الغذاء إما حيواني، وإما نباتي، والحيواني: ينتهي إلى نباتي، والنبات إنما يحدث من امتزاج الماء التراب ﴿وَفِيهَا﴾؛ أي: وفي الأرض ﴿نُعِيدُكُمْ﴾ بعد مماتكم، فتصيرون تراباً كما كنتم قبل نشأتكم، أو بالدفن[1] في الموضع الذي أُخذ ترابكم منه، وإيثار كلمة (في) دون (إلى): للدلالة على الاستقرار، والعود: الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه، إما انصراف بالذات، أو بالقول والعزيمة، وإعادة الشيء كالحديث وغيره تكريره.

﴿وَمِنْهَا﴾؛ أي: ومن الأرض ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ بعد مماتكم بالبعث والنشور، وتأليف أجزائكم المتفتّة، المختلطة بالتراب، على الهيئة السابقة قبل الموت، ورد أرواحكم إليها ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: مرةً أخرى، وكون[2] هذا الإخراج ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ باعتبار أن خلقهم من الأرض: إخراج لهم منها، وإن لم يكن على نهج التارة الثانية، والتارة في الأصل: اسم للتور الواحد، وهو: الجريان، ثم أُطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة، كما مر في المَرَّة. ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي، لقد بصَّرنا فرعون وعرفناه ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ ودلائل قدرتنا، الدالة على وحدانيتنا، وعلى صدق موسى، على يدي موسى من العصا، واليد، وغيرهما، والمراد بالآيات: هي الآيات التسع المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾ على أن الإضافة فيه عهدية، وقيل[3]: المراد جميع الآيات التي جاء بها موسى، والتي جاء بها غيره من الأنبياء، وأن موسى قد كان عرَّفه جميع معجزاته ومعجزات سائر الأنبياء، والأوَّل أولى ﴿كُلَّهَا﴾؛ أي: كل الآيات تأكيد لشمول الأنواع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بالآيات كلها من فرط عناده، من غير تردد وتأخير، وزعم أنها سحر ﴿وَأَبَىٰ﴾ عن قبولها لعتوه، والإباء: شدة الامتناع، فكل إباء امتناع، وليس كل امتناع إباء، وهذا يدل على أن كفر فرعون كفر عناد، لأنه رأى

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.

الآيات وكذب بها، كما في قوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

وجملة قوله: ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى خوفاً من أن يتبعه الناس: مستأنفة، واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا قال فرعون بعد هذا؟ والهمزة في قوله: ﴿أَجِئْتَنَا﴾ للإنكار لما جاء به موسى من الآيات، والمجيء[1] إما على حقيقته، أو بمعنى الإقبال على الأمر، والتصدي له؛ أي: أجئتنا يا موسى من مكانك الذي كنت فيه بعدما غبت عنا، أو أقبلت علينا ﴿لِتُخْرِجَنَا﴾ معشر القبطيين ﴿مِنْ أَرْضِنَا﴾؛ أي: من أرض مصر بالغلبة والاستيلاء، ﴿بـ﴾ـما أظهرته من ﴿سحرك يا موسى﴾ من العصا واليد، فإن ذلك مما لا يصدر عن العاقل، لكونه من باب محاولة المحال، والسحر: خداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذون، من صرف الأبصار عما تفعله بخفة، وما يفعله النمام بقول حرف عائق للأسماع.

وإنما ذكر[2] الملعونُ الإخراجَ من الأرض لتنفير قومه عن إجابة موسى، فإنه إذا وقع في أذهانهم، وتقرر في أفهامهم، أن عاقبة إجابتهم لموسى الخروج من ديارهم وأوطانهم.. كانوا غير قابلين لكلامه، ولا ناظرين في معجزاته، ولا ملتفتين إلى ما يدعو إليه من الخير و(الفاء) في قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا كان الأمر كذلك.. فأقول لك، والله ﴿لنأتينك﴾ ﴿بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾؛ أي: بسحر مثل سحرك، فلا تغلب علينا؛ أي: والله لنعارضنك بمثل ما جئت به من السحر، حتى يتبين للناس أن الذي جئت به سحر يقدر على مثله الساحر ﴿فَٱجْعَلْ﴾؛ أي: صيِّر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾ لإظهار السحر ﴿مَوْعِدًا﴾ هو مصدر؛ أي: وعداً لقوله: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾؛ أي: لا نخلف ذلك الوعد ﴿نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ يا موسى، وقيل: المراد بالموعد[3]: اسم زمان، وقيل: اسم مكان؛ أي: اجعل لنا يوماً معلوماً، أو مكاناً معلوماً، لا نخلفه، قال القشيري: والأظهر أنه مصدر، ولهذا قال: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ والإخلاف: أن تعد شيئاً

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.

ولا تنجزه، وفوَّض تعيين الموعد إلى موسى، إظهاراً لكمال اقتداره على الإتيان بمثل ما أتى به موسى، طال الأمد أم قصر.

وانتصاب ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ بفعل مقدر، يدل عليه المصدر لا به، فإنه موصوف، أو على أنه بدل من ﴿مَوْعِدًا﴾ و﴿سُوًى﴾ بضم السين وكسرها بمعنى: العدل والمساواة؛ أي: عدلنا مكاناً عدلاً بيننا وبينك، وسطاً يستوي طرفاه، من حيث المسافة علينا وعليكم، لا يكون فيه أحد الطرفين أرجح من الآخر، أو مكاناً مستوياً لا يحجب العين ارتفاعه ولا انخفاضه.

وقرأ أبو جعفر وشيبة[1]: ﴿لا تخلفه﴾ بجزم الفاء، على أنه جواب الأمر، وقرأ الجمهور: برفعها صفةً لـ﴿مَوْعِدًا﴾ وقرأ ابن عامر، وحمزة، ويعقوب، والحسن، وقتادة، وطلحة، والأعمش، وابن أبي ليلى، وأبو حاتم، وابن جرير ﴿سُوًى﴾ بضم السين منوناً في الوصل، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي: بكسر السين منوناً في الوصل، وقرأ الحسن أيضاً ﴿سوى﴾ بضم السين من غير تنوين في الحالين، أجرىٰ الوصل مجرى الوقف، لا أنه منعه الصرف، لأن: فُعَلاً من الصفات، منصرف كحطم ولبدٍ، وقرأ عيسى: ﴿سوى﴾ بكسر السين من غير تنوين في الحالين، أجرى الوصل أيضاً مجرى الوقف، وقرأ أبي[2] بن كعب، وأبو المتوكل، وابن أبي عبلة: ﴿مكاناً سواءً﴾ بالمد والهمزة والنصب والتنوين وفتح السين، وقرأ ابن مسعود: مثله إلا أنه كسر السين، قال أبو عبيدة: هو اسم للمكان النصف فيما بين الفريقين، والمعنى: مكاناً تستوي مسافته على الفريقين، فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر، قال[3] أبو علي: كأنه قال: قربه منكم، قربه منا، وقال الأخفش[4]: ﴿سوى﴾ مقصورة إن كسرت سينها، أو ضممت، وممدودة إن فتحتها، ثلاث لغات، ويكون فيها جميعاً بمعنى غير، وبمعنى: عدل ووسط بين الفريقين، وقال الشاعر:

---

(١) البحر المحيط.
(٢) زاد المسير.
(٣) البحر المحيط.
(٤) البحر المحيط.

وَإِنَّ أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِأَهْلِهِ سِوَىً   بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ غَيْلَانَ وَٱلْفَزَرْ

والفزر: سعد بن زيد مناة، قال: وتقول: مررت برجل سِواك وسَواك وسُواك؛ أي: غيرك، ويكون للجميع، وأعلى هذه اللغات الكسر، قاله النحاس.

ثم واعده موسى بوقت معلوم فـ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ﴾؛ أي: زمان وعدكم للاجتماع ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾؛ أي: يوم يتزين فيه الناس، وهو يوم عيد النيروز، وكان[1] على رأس سنتهم حين يفرغ الناس من أعمالهم، ويجتمعون لعيدهم، ليكون الحفل عاماً، ويتحدث الناس بذلك الأمر العجيب في القرى والأمصار، فتعلو كلمة الله، ويظهر دينه، ويزهق الباطل، وينتصر الحق على رؤوس الأشهاد، أما رفع اليوم: فقال البصريون: التقدير: وقت موعدكم ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ فناب الموعد عن الوقت، وارتفع به ما كان يرتفع بالوقت إذا ظهر، وأما نصبه: فقال الزجاج: المعنى: موعدكم يقع ﴿يَوْمَ ٱلزِّينَةِ﴾ اهـ «زاد المسير».

وفي «أبي السعود» وكان يوم عاشوراء، واتفق أنه في هذه الواقعة يوم سبت، وإنما خصه ـ عليه السلام ـ بالتعيين لإظهار كمال قوته، وكونه على ثقةٍ من أمره، وعدم مبالاته بهم، لما أن ذلك اليوم وقت ظهور شوكتهم، وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهور على رؤوس الأشهاد، ويشيع ذلك فيما بين كل باد وحاضر .اهـ.

سألوا عن مكان الاجتماع[2]، فأجابهم بالزمان، فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم.

واعلم: أن الأعياد خمسة:

أحدها: عيد قوم إبراهيم ـ عليه السلام ـ وفيه جعل إبراهيم الأصنام جذاذاً.

والثاني: عيد قوم فرعون، وهو يوم الزينة.

والثالث: عيد قوم عيسى، كما مر في أواخر المائدة.

---

(١) المراغي.   (٢) روح البيان.

والرابع والخامس: عيد أهل المدينة في الجاهلية، وذلك يومان في السنة، فأبدلها الله تعالى في الإسلام يومي: الفطر والأضحى، وقوله: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ في محله وجهان[1]:

أحدهما: الجر عطفاً على ﴿ٱلزِّينَةِ﴾؛ أي: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ ﴿و﴾ يوم ﴿أن يحشر الناس﴾؛ أي: ويوم حشر الناس واجتماعهم.

الثاني: الرفع عطفاً على ﴿يَوْمُ﴾ والتقدير: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ ﴿و﴾ موعدكم ﴿أن يحشر الناس﴾؛ أي: حشرهم .اهـ «سمين» والحشر: إخراج الجماعة عن مقارهم، وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها، ولا يقال إلا في الجماعة، وقوله: ﴿ضُحًى﴾؛ أي: ضُحى ذلك اليوم، نصب على الظرف؛ أي: وأن يُجمع الناس في وقت الضحى من ذلك اليوم، ليكون أبعد من الريبة، والضحى: عبارة عن ارتفاع الشمس، وفي «بحر العلوم»: الضحى: صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها، وقال الإمام الراغب: الضحى: انبساط النهار وامتداده، سمي الوقت به، وقال الجوهري: ضحوة النهار بعد طلوع الشمس، ثم بعده الضحى، وهو: حين تشرق الشمس .اهـ. وخص[2] الضحى لأنه أول النهار، فإذا امتد الأمر بينهما كان في النهار متسع.

والمراد بالناس: أهل مصر، والمعنى: يحشرون إلى العيد وقت الضحى، وينظرون أمر موسى وفرعون، قال الفراء: المعنى: إذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية ضحى.. فذلك الموعد، قال: وجرى عادتهم بحشر الناس في ذلك اليوم.

قال في «هزام السقط[3]»: أول اليوم الفجر، ثم الصباح، ثم الغداة، ثم البكرة، ثم الضحى، ثم الضحوة، ثم الهجيرة، ثم الظهيرة، ثم الرواح، ثم المساء، ثم العصر، ثم الأصيل، ثم العشاء الأولى، ثم العشاء الأخيرة عند

---

(١) الفتوحات.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.

مغيب الشفق .اهـ.

وقرأ ابن مسعود[1]، والجحدري، وأبو عمران الجوني، وأبو نهيك، وعمرو بن فايد ﴿وأن تحشر الناس﴾ بتاء الخطاب؛ أي: وأن تحشر أنت يا فرعون، وروي عنهم: ﴿وأن يحشر الناس﴾ بالبناء للفاعل، والناس نصب في كلتا القراءتين، قال صاحب «اللوامح» وأن يحشر الحاشر الناس ضحىً، فحذف الفاعل للعلم به. انتهى. وحذف الفاعل في مثل هذا لا يجوز عند البصريين، وقال غيره: ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون، ذكره بلفظ الغيبة، وروي عن الجحدري أنه قرأ: ﴿وأن نحشر﴾ بالنون وقرأ الباقون بالتحتية، على البناء للمفعول.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾؛ أي: انصرف عن المجلس، وفارق موسى، فرجع إلى أهله ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾؛ أي: مكره وسحره وحيله؛ أي: جمع ما يكاد به من السحرة وأدواتهم ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ بهم الموعد، وأتى موسى أيضاً، والمراد[2]: أنه جمع السحرة، قيل: كانوا اثنين وسبعين، وقيل: أربع مئة، وقيل: اثنا عشر ألفاً، وقيل: أربعة عشر ألفاً، وقال ابن المنذر: كانوا ثمانين ألفاً، ثم أتى الموعد الذي تواعدا إليه مع جمعه الذي جمعه، وفي الإتيان بكلمة ﴿ثُمَّ﴾ المفيدة للتراخي إيماء إلى أنه لم يسارع إليه، بل أتاه بعد تأخير، وجملة قوله: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾: مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا صنع موسى عند إتيان فرعون مع السحرة؟ فقيل: قال لهم: بطريق النصيحة؛ أي: قال موسى للسحرة الذين جاؤوا مع فرعون، على طريق النصيحة لهم: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أصله[3]: الدعاء بالهلاك، بمعنى: ألزمكم الله ويلاً؛ أي: هلاكاً وعذاباً، والمراد هنا: الزجر، والردع، والحث، والتحريض على ترك الافتراء.

والمعنى: أي فانصرف[4] فرعون عن مجلس اللجاج والمناظرة، وشرع

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.
(٤) المراغي.

يُعد ما يكيد به من السحرة، وآلاتهم، وأنصاره، وأعوانه كثير ما هم، ثم أتى وأقبل إلى الموعد الذي عُيِّن، ومعه جمعه، وجلس على سرير ملكه، وحوله أكابر دولته، واصطفت الرعية يمنةً ويسرةً، وأقبل موسى يتوكأ على عصاه، ومعه أخوه هارون، ووقف السحرة صفوفاً بين يدي فرعون، يحرضهم، ويستحثهم، ويرغبهم في جودة العمل، ويتمنون عليه وهو يعدهم ويمنيهم، وقد جاء في سورة الشعراء ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَقَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

قال موسى للسحرة: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي[1]: لا تختلقوا على الله الكذب، ولا تتقوّلوه عليه، بأن تدَّعوا أن الآيات التي ستظهر على يدي سحر، كما فعل فرعون، أولا تشركوا مع الله أحداً، والافتراء: التقول والكذب عن عمد.

وفي «التأويل»: قال موسى للسحرة ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإتيان السحر في معرض المعجزة، ادعاءً بأن الله قد أعطانا مثل ما أعطى الأنبياء من المعجزة ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾؛ أي: فيهلككم ويستأصلكم، يقال: أسحت الشيء، إذا أعدمه واستأصله ﴿بِعَذَابٍ﴾ هائل لا يقادر قدره؛ أي: بعذاب من عنده، لا يُبقي أحداً منكم ولا يذر.

وقرأ حمزة[2]، والكسائي، وحفص، والأعمش، وطلحة، وابن جرير: ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ بضم الياء وكسر الحاء، ومن أسحت رباعياً، وهي لغة بني تميم، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، عن عاصم، ورويس، وابن عباعي: ﴿فيسحتكم﴾ بفتح الياء والحاء، من سحت ثلاثياً، وهي لغة أهل الحجاز، يقال: سحت وأسحت، بمعنى، والسحت: الاستئصال.

﴿وَقَدْ خَابَ﴾؛ أي: خسر وهلك ﴿مَنِ افْتَرَىٰ﴾ واختلق على الله الكذب، كائناً من كان، بأي وجه كان، ولم يُفلح في سعيه، ولم يصل إلى غرضه، فابتعدوا من اختلاق الأكاذيب، ولا تضلوا سواء السبيل، حتى لا يصيبكم ما

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط وزاد المسير.

أصاب المفترين ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾.

ولما سمع السحرة كلام موسى.. هاجهم وغاظهم كلامه: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾؛ أي: تناظروا وتشاوروا ﴿أَمْرَهُم﴾ وعملهم الذي أريد منهم، من مغالبة موسى - عليه السلام - وتجاذبوا أطراف الكلام في كيفية المعارضة ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وتفاوضوا ماذا يفعلون ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾؛ أي: أخفوا المحادثة والمشاورة في ذلك عن موسى وأخيه هارون - عليهما السلام - لئلا يقفا عليه فيدافعاه؛ أي: وبالغوا[1] في كتمان ما يقولون عن موسى وأخيه، حتى لا يسمعا ما يدور بينهم من القول والمشاورة، فيعدا للأمر عدته، ويهيئا وسائل الدفاع، ومن الطبعي في مثل هذه الأحوال أن يُخفي أحد المتخاصمين كل ما يدبره من وسائل الفوز والفلج عن خصمه الآخر، والنجوى: المناجاة، يكون اسماً ومصدراً، ثم بيَّن سبحانه خلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور بقوله: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ وكانت[2] نجواهم هي قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ وقيل: إنهم تناجوا فيما بينهم، فقالوا: إن كان ما جاء به موسى سحراً.. فسنغلبه، وإن كان من عند الله.. فسيكون له أمر، وقيل: الذي أسروه أنه: إذا غلبهم.. اتبعوه، قاله الفراء والزجاج.

وقيل: الذي أسروه أنهم لما سمعوا قول موسى: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: قالوا ما هذا بقول ساحر، وإن مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين إن النافية، والمشار إليه موسى وهارون؛ أي: قالت السحرة بطريق التناجي والإسرار فيما بينهم: إن هذان لساحران؛ أي: إن هذا الرجل وأخاه ساحران خبيران بصناعة السحر، وهما ﴿يُرِيدَانِ أَن﴾ يغلباكم وقومكم و﴿يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ ودياركم؛ أي: من أرض مصر بالغلبة والاستيلاء عليها ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾ الذي أظهراه من قبل ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾[3] المثلى: تأنيث الأمثل، وهو الأشرف؛ أي: ويذهبا بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب وأحسنها، بإظهار مذهبهما، وإعلاء دينهما، يريدون ما كان عليه قوم فرعون، لقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن

---

(1) المراغي.

(2) الشوكاني.

(3) روح البيان.

﴿يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ لا طريقة السحر، لأنهم ما يعتقدونها ديناً، قال في «بحر العلوم»: سموا مذهبهم بها لزيادة سرورهم، وكمال فرحهم بذلك، وأنه الذي تطمئن به نفوسهم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ قال الإمام الراغب: الطريق: السبيل الذي يطرق بالأرجل ويضرب .اهـ.

وقيل المعنى: ويذهبا بأشراف قومكم بميلهم إليهما لغلبتهما، وهم بنو إسرائيل، فإنهم ذوو مال وعلم، ذكره في «المراح».

وخلاصة ما قالوه[1]: التنفير بهما لوجوه ثلاثة:

١ ـ الطعن في نبوتهما، ونسبتهما إلى السحر، وكل ذي طبع سليم ينفر من السحر، ويبغض السحرة، ويعلم أن السحر لا بقاء له، ولا ينبغي اتباع من جاء به، ولا اعتناق مذهبه وطريقته.

٢ ـ إن بغيتهما إخراجكم من أرضكم، ومفارقة الوطن شديدة الوطأة على النفوس، ومن ثم قال فرعون: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

٣ ـ إنهما يريدان أن يستوليا على جميع المناصب والرياسات، ولا يبقيا شيئاً من شؤون الدولة، ويريدان التصرف في أمورها العامة.

وإجمال هذا: أنهما إذا تم لهما الأمر أخرجاكم من دياركم، وتمحضت لهما الرياسة دونكم.

وقرأ أبو جعفر[2]، والحسن، وشيبة، والأعمش، وطلحة، وحميد، وأيوب، وخلف في اختياره، وأبو عبيد، وأبو حاتم، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جرير، وابن جبير الأنطاكي، والأخوان: حمزة، والكسائي والصاحبان: نافع، وابن عامر من السبعة: ﴿إن﴾ بتشديد النون ﴿هَٰذَانِ﴾ بألف ونون خفيفة ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ واختُلف في تخريج هذه القراءة، فقال القدماء من النحاة: إنه على حذف ضمير الشأن، والتقدير: إنه هذان لساحران، وخبر ﴿إن﴾ الجملة من قوله:

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.

﴿هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ و(اللام) في ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾: داخلة على خبر المبتدأ، وضعف هذا القول: بأن حذف هذا الضمير لا يجيء إلا في الشعر، وبأن دخول اللام في الخبر شاذ، وقيل: إن ﴿إِنَّ﴾ بمعنىٰ نعم.

وقرأ أبو بحرية[1]، وأبو حيوة، والزهري، وابن محيصن، وحميد، وابن سعدان، وحفص، وابن كثير: ﴿إِن﴾ بتخفيف النون ﴿هَٰذَٰنِ﴾ بالألف، وشدد ابن كثير نون ﴿هذان﴾ وتخريج هذه القراءة واضح، وهو: على أن ﴿إِنْ﴾ هي المخففة من الثقيلة، و﴿هَٰذَٰنِ﴾: مبتدأ و﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ الخبر و(اللام) للفرق بين إن النافية، وإن المخففة من الثقيلة، على رأي البصريين، والكوفيون يزعمون: أن إن نافية، واللام بمعنى إلا، وقرأت فرقة: ﴿إن ذان لساحران﴾ وتخريجها كتخريج القراءة التي قبلها، وقرأت عائشة، والحسن، والنخعي، والجحدري، والأعمش، وابن جبير، وابن عبيد، وأبو عمرو: ﴿إن هذين﴾ بتشديد نون ﴿إن﴾ وبالياء في ﴿هذين﴾ بدل الألف رفعاً، والياء نصباً وجرا، وقال الزجاج: لا أجيز قراءة أبي عمرو، لأنها خلاف المصحف، وقرأ عبد الله ﴿إن ذان إلا ساحران﴾ قاله ابن خالويه، وعزاها الزمخشري لأبيّ، وقال ابن مسعود: ﴿أنَّ هذان ساحران﴾ بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى. انتهى وقرأت فرقة ﴿ما هذان إلاّ ساحران﴾.

ثم بيَّن السحرة ما يجب لمقابلة هذا الخطر الداهم، والبلاء المقبل، فقالوا: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ و(الفاء) فيه فاء[2] الفصيحة، وأجمعوا من الإجماع، يقال: أجمع الأمر إذا أحكمه وعزم عليه، وحقيقته: جمع رأيه عليه، وأجمع المسلمون كذا: اجتمعت آراؤهم عليه، وأكثر ما يقال فيما يكون جمعاً يتوصل إليه بالتدبير والفكرة.

والمعنى: إذا كان الأمر كما ذكر، من كونهما ساحرين، يريدان بكم ما ذُكر من الإخراج والإذهاب، فأزمعوا مكركم وحيلكم في رفع هذا المزاحم، واجعلوه

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

مجمعاً عليه، بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم، وأرموا عن قوس واحدة، ولا تدعوا شيئاً من كيدكم إلا جئتم به ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾؛ أي: مصطفين في الموعد ومجتمعين، ليكون أشد لهيبتكم، وأنظم لأمركم، فجاؤوا في سبعين صفاً، كل صف ألف، وألقوا ما في أيديهم دفعةً واحدةً، ليبهروا الأبصار، وتعظم هيبتهم في هذا المشهد الحافل، والصف: أن يجعل الشيء على خط مستوٍ، كالناس والأشجار ونحو ذلك، وقد يُجعل بمعنى الصاف.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿فَأَجۡمِعُواْ﴾ بقطع الهمزة وكسر الميم، من أجمع رباعياً؛ أي: اعزموا واجعلوه مجمعاً عليه، حتى لا تختلفوا، ولا يتخلف واحد منكم عن المسألة المجمع عليها، وقرأ الزهري، وابن محيصن، وأبو عمرو، ويعقوب في روايةٍ، وأبو حاتم: بوصل الألف وفتح الميم موافقاً لقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ وتقدم الكلام في جمع وأجمع في سورة يونس، في قصة نوح - عليه السلام -.

وقرأ شبل بن عباد[2]، وابن كثير في رواية شبل عنه: ﴿ثم ايتوا﴾ بكسر الميم وإبدال الهمزة ياءً تخفيفاً، قال أبو علي: وهذا غلط ولا وجه لكسر الميم من ﴿ثُمَّ﴾ وقال صاحب «اللوامح» وذلك لالتقاء الساكنين، كما كانت الفتحة في العامة كذلك.

﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ﴾ وفاز وظفر ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ بالمطلوب ﴿مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾؛ أي: من غلب منا ونال علو المرتبة بين الناس، أما نحن فقد وُعدنا بالعطاء الجزيل، والقرب من الملك ﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ وأما هو فسينال الرياسة، وما مقصدهم من ذلك إلا تشديد العزائم، وحفز الهمم، ليبذلوا أقصى الجهد للفوز، والفلج بالمطلوب.

والفلاح[3]: الظفر وإدراك البغية، والاستعلاء: قد يكون طلب العلو

---

(١) البحر المحيط.

(٢) البحر المحيط.

(٣) روح البيان.

المذموم، وقد يكون طلب العلاء؛ أي: الرفعة، والآية تحتمل الأمرين.

وجملة قوله: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: السحرة بعد إجماعهم وإتيانهم الموعد، واصطفافهم فيه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ اختر: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾ ما تلقيه من العصا أولاً، ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ﴾ نحن ﴿أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ ما يلقيه من العصي والحبال، مستأنفة استئنافاً بيانياً واقعاً في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا فعلوا بعدما قالوا فيما بينهم ما قالوا؟ فقيل: قالوا: يا موسى ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ...﴾ إلخ وكانت السحرة معهم عصي، وكان موسى قد ألقى عصاه يوم دخل على فرعون، فلما أراد السحرة معارضته.. قالوا له هذا القول. و﴿أَن﴾ مع ما في حيزها: في محل نصب بفعل مضمر، تقديره: اختر إلقاءك أولاً، أو إلقاءنا، أو في محل رفع على أنها وما بعدها خبر مبتدإٍ محذوف، تقديره: الأمر إما إلقاؤك أو إلقاؤُنا.

وهذا التخيير منهم حسن أدب معه[1]، وتواضع منهم، وتنبيه إلى إعطائه النصفة من أنفسهم، وكأن الله ألهمهم ذلك، وعلَّم موسى أن من الخير له اختيار إلقائهم أولاً، لأنهم إذا أبرزوا ما معهم من مكايد السحر، واستنفذوا أقصى مجهودهم.. أظهر الله سلطانه، وقذف بالحق على الباطل فدمغه، وسلَّط المعجزة على السحر فمحقته، وكانت آيةً نيرةً للناظرين، وعبرةً بينةً للمعتبرين، ومن ثم حكى عنه ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾ وفي هذا التخيير إشارة إلى أن السحرة لما أعزوا موسى ـ عليه السلام ـ بالتقديم والتخيير في الإلقاء.. أعزهم الله بالإيمان الحقيقي، حتى رأوا بنور الإيمان معجزة موسى، فآمنوا به تحقيقاً لا تقليداً.

ثم إن موسى[2] ـ عليه السلام ـ قابل أدبهم بأدبٍ أحسن من أدبهم، حيث بت القول بإلقائهم أولاً، لأنه فهم أنَّ مرادهم الابتداء فـ﴿قَالَ﴾ لهم موسى: لا ألقي أنا أولاً ﴿بَلْ أَلْقُوا۟﴾ أنتم أولاً إن كنتم محقين، لنرى ما تصنعون من السحر، ويظهر للناس حقيقة أمركم، وحين ألقوا ﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ وإنما أمرهم بالإلقاء أولاً لتكون معجزته أظهر إذا ألقوا هم ما معهم، ثم يلقي هو

---

(١) المراغي. (٢) المراح.

عصاه فتبتلع ذلك، وإظهاراً لعدم المبالاة بسحرهم، وجملة قوله: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى موسى ﴿مِن﴾ أجل ﴿سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾ حيات ﴿تَسْعَىٰ﴾؛ أي: تمشي قبلها، محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، و﴿إذا﴾ هذه للمفاجأة، وهي حرف أو ظرف، ثم اختلف أهو ظرف مكان أو زمان، وهي تطلب متعلقاً ينصبها من فعل المفاجأة، وجملةً ابتدائيةً تضاف إليها، والتقدير: فألقوا ما معهم من الحبال والعصي، ميلاً من هذا الجانب، وميلاً من هذا الجانب.

ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم، وهذا تمثيل، والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم، مخيلةً إليه السعي، كسعي ما يكون حياً من الحيات من أجل سحرهم، وذلك أنهم كانوا لطخوها بالزئبق، فلما ضربت عليها الشمس.. اضطربت واهتزت، فخيل إليه أنها تتحرك. وقرأ الحسن[1]، وأبو رجاء العطاردي، وأبو عمران الجوني، وأبو الجوزاء: ﴿وعصيهم﴾ بضم العين حيث كان، وهو الأصل، لأن الكسر إتباع لحركة الصاد، وحركة الصاد لأجل الياء، وفي كتاب «اللوامح»: قرأ الحسن: ﴿وعصيهم﴾ بضم العين، وإسكان الصاد، وتخفيف الياء، مع الرفع، فهو أيضاً جمع كالعامة، لكنه على فعل، وقرأ الزهري، والحسن، وعيسى، وأبو حيوة، وقتادة، والجحدري، وأبو رزين العقيلي، وأبو عبد الرحمٰن السلمي، وابن أبي عبلة، وروح، والوليدان، وابن ذكوان: ﴿تخيل﴾ بالتاء مبنياً للمفعول، وفيه ضمير الحبال والعصي، و﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾: بدل اشتمال من ذلك الضمير، وقرأ أبو السماك: ﴿تخيل﴾ بفتح التاء؛ أي: تتخيل، وفيها أيضاً ضمير ما ذكر، و﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ بدل اشتمال أيضاً من ذلك الضمير، لكنه فاعل من جهة المعنى، وقرىء[2]: ﴿نخيل﴾ بالنون على أن الله سبحانه هو المخيل لذلك، وقرىء ﴿يخيل﴾ بالياء التحتية، مبنياً لفاعل على أن المخيل هو الكيد.

﴿فَأَوْجَسَ﴾؛ أي: أحس وأضمر ﴿فِي نَفْسِهِۦ﴾؛ أي: في قلبه ﴿خِيفَةً﴾؛ أي:

---

(١) البحر المحيط. (٢) الشوكاني.

خوفاً، مفعول به ﴿مُوسَىٰ﴾ فاعل أوجس؛ أي: أضمر موسى في قلبه بعض خوف من أن لا يظفر بهم، فيقتلون من آمن به ـ عليه السلام ـ.

والمعنى[1]: أضمر موسى في نفسه بعض خوف من مفاجأته، بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات، والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه، كما دل عليه قوله: ﴿فِي نَفْسِهِۦ﴾ لأنه من خطرات النفس، لا من القلب، وفي الحقيقة: أن الله تعالى ألبس السحر لباس القهر، فخاف موسى من قهر الله، لا من غيره، لأنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الفاسقون. وقيل[2]: خاف أن يُفتن الناس قبل أن يُلقي عصاه، وقيل: إن سبب خوفه هو أن سحرهم كان من جنس ما أراهم في العصا، فخاف أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا، فأذهب الله سبحانه ما حصل معه من الخوف بما بشره به بقوله: ﴿قُلْنَا﴾ لموسى ﴿لَا تَخَفْ﴾ ما توهمت ﴿إِنَّكَ﴾؛ أي: لأنك ﴿أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي[3]: الغالب القاهر لهم، ونحن معك في جميع أحوالك، فإنك القائم بالمسبب، وهم القائمون المعتمدون على الأسباب، وأيضاً معك آياتنا الكبرى، وهو لباس حفظنا، وجملة ﴿إن﴾ تعليل للنهي عن الخوف، وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن خوف البشرية مركوز في جبلة الإنسان ولو كان نبياً إلى أن ينزع الله الخوف منه انتزاعاً ربانياً، بقولٍ صمداني كما قال تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾؛ أي: أعلى درجةً من أن تخاف من المخلوقات دون الخالق.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾؛ أي: عصاك على الأرض، والإبهام، لتفخيم شأنها، والإيذان بأنها ليست من جنس العصي المعهودة، لأنها مستتبعة لآثار غريبةٍ.

والمعنى[4]: لا يخيفنك كثرة حبالهم وعصيهم، فإن في يمينك شيئاً أعظم منها كلها، وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عندها، ولم يأت التركيب: وألق عصاك لما في لفظ اليمين من البركة ﴿تَلْقَفْ﴾؛ أي: تلتقم وتبتلع ﴿مَا صَنَعُوٓا۟﴾؛

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.
(٤) الخازن.

أي: ما طرحوا من الحبال والعصي الذي خيّل إليك سعيها وخفتها، وهو مجزوم بالطلب السابق، قال الزجاج: القراءة بالجزم: جواب الأمر، ويجوز الرفع على معنى الحال، كأنه قال ألقها متلقفة، وجملة: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾: تعليل لقوله: ﴿تَلْقَفْ﴾؛ أي: لأن الذي صنعوه عمل ساحر، و﴿ما﴾[1]: موصولة؛ أي: إن الذي صنعوه، فحقها أن تفصل من نون إنّ .اهـ. شيخنا. لكنها ثبتت في خط المصحف الإمام موصولةً، كما ذكره شيخ الإسلام في «شرح الجزرية»؛ أي: إن الذي فعلوه بعد تدرب كثير، وممارسة طويلة، كيد سحري، لا حقيقة له ولا بقاء.

وخلاصة ذلك: أن الذي معك يا موسى معجزة إلٰهية، والذي معهم تمويه وتلفيق، ظاهر عليه الزور والبهتان، فكيف يتعارضان ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾؛ أي: ولا ينال الساحر مقصوده بالسحر، خيراً كان أو شراً، حيثما كان، وأين أقبل من الأرض وعمل السحر فيها، وهو من تمام التعليل، ومعناه: لا يسعد الساحر حيث كان ولا يفوز، وليس معنى ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ لا يستطيع السحر، بل إذا سحر فلا يفلح، ولا يأمن حيث وُجد، فذلك عدم فلاحه.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿تلقف﴾ بفتح اللام وتشديد القاف، مجزوماً على جواب الأمر، والأصل: تتلقف فحذف إحدى التائين، وقرأ ابن عامر كذلك، ويرفع الفاء على الاستئناف، أو على الحال من الملقى، كما مر، وقرأ أبو جعفر، وحفص، وعصمة عن عاصم ﴿تَلْقَفْ﴾ بإسكان اللام والفاء، وتخفيف القاف، وكان ابن كثير يشدد التاء، من ﴿تلقف﴾ يريد تتلقف، وقرأ ابن مسعود[3]، وأبيٌّ بن كعب، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء: ﴿تلقم﴾ بالميم وقرأ الجمهور[4]: ﴿كَيْدُ﴾ بالرفع على أن ﴿مَآ﴾ موصولة بمعنى الذي، والعائد: محذوف، وقرأ مجاهد، وحميد، وزيد بن علي: ﴿كيد سحر﴾ بالنصب مفعولاً لـ﴿صنعوا﴾ و﴿ما﴾ مهيئة، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بحرية،

---

(1) الفتوحات.
(2) البحر المحيط.
(3) زاد المسير.
(4) البحر المحيط.

والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وابن عيسى، وابن جبير، وابن جرير: ﴿كيد سحر﴾ بكسر السين وسكون الحاء، وإضافة الكيد إلى السحر على الاتساع، من غير تقدير، أو بتقدير: ذي سحر، أو ذوي سحر أو هم لمشغولهم في سحرهم، كأنهم السحر بعينه وبذاته، أو بيِّن الكيد، لأنه يكون سحراً وغير سحر، نظير علم فقه، وعلم نحو.

وقرأ الباقون: ﴿كيد ساحر﴾ بألف اسم فاعل من سحر، وأفرد ﴿ساحر﴾ من حيث إن فعل الجميع نوع واحد من السحر تلك الحبال والعصي، فكأنه صدر من ساحر واحد، لعدم اختلاف أنواعه، وقرأت فرقة: ﴿أين أتى﴾؛ أي: لا يظفر ببغيته حيث توجه وسلك.

قوله: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ معطوف على جمل محذوفة، والتقدير: فزال إيجاس الخيفة، وألقى ما في يمينه، وتلقفت حبالهم وعصيهم، ثم انقلبت عصا، وفقدوا الحبال والعصي، وعلموا أن ذلك معجز ليس في طوق البشر ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾؛ أي[1]: فألقى ذلك الأمر الذي شاهدوه من موسى، من اليد والعصا، السحرةَ على الأرض، حالة كونهم ﴿سُجَّدًا﴾؛ أي: ساجدين لله تعالى، وجاء التركيب ﴿فألقى السحرة﴾ ولم يأت فسجدوا، كأنه جاءهم أمر وأزعجهم وأخذهم، فصنع بهم ذلك، وهو عبارة عن سرعة ما تأثروا لذلك الخارق العظيم، فلم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين لله. وقوله: ﴿قَالُوٓاْ﴾ مستأنف استئنافاً بيانياً، كأنه قيل: ماذا قالوا في سجودهم، فقيل: قالوا أي: قالت السحرة في سجودهم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ وقال رئيسهم: كنا نغالب الناس بالسحر، وكانت الآلات تبقى علينا لو غُلبنا، فلو كان هذا سحراً، فأين ما ألقيناه!؟ وإنما[2] قدم هارون على موسى هنا في حكاية كلامهم، رعاية لفواصل الآي وعنايةً بتوافق رؤوسها، أو لأن فرعون ربَّى موسى من صغره، فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره، فربما توهم أن المراد بالرب فرعون، وذكر هارون على الاستتباع، أو قدم هارون لأنه كان أكبر

(١) الشوكاني. (٢) الخازن.

من موسى سناً، وقدم موسى على سقط من الطب فألحقه هارون في الأعراف، لأجل الفواصل أيضاً، ولكون موسى هو المنسوب إليه العصا التي ظهر فيها ما ظهر من الإعجاز.

ومعنى إضافة الرب إليهما، أنه هو الذي يدعوان إليه، وأجرى ما أجرى على يديهما، وقالوا[1] رب هارون وموسى، ولم يكتفوا بقولهم: رب العالمين، للنص على أنهم آمنوا برب هذين، وكان فيما قيل: يزعم أنه رب العالمين، كما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ روي أن رئيسهم قال: كنا نغلب الناس، وكانت الآلات تبقى علينا، فلو كان هذا سحراً، فأين ما ألقيناه من الآلات، فاستدل بتغير أحوال الأجسام على الصانع العالم القادر، وبظهور ذلك على يد موسى على صحة رسالته، فتابوا وأتوا بنهاية الخضوع، وهو السجود، قال[2] جار الله: ما أعجب أمرهم: ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين .اهـ روي عن ابن عباس أنه قال: كانوا أول النهار سحرةً، وفي آخره شهداء بررةً، وروىٰ عنه عكرمة: أنه قال: كان السحرة سبعين رجلاً، أصبحوا سحرةً، وأمسوا شهداء.

الإعراب

﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿ٱذۡهَبۡ﴾: فعل أمر، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مؤكد لضمير الفاعل المستتر ﴿وَأَخُوكَ﴾: معطوف على ضمير الفاعل المستتر في الفعل، وعلامة رفعه (الواو) والجملة: مستأنفة، مسوقة لتقرير المراد بالاصطناع ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾: جار ومجرور، حال من ضمير الفاعل وما عطف عليه و(الباء): للمصاحبة؛ أي: حالة كونكما مصحوبين ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾: ومعتصمين بها، وليست الباء للتعدية، لأن المراد إظهار الآيات للناس، لا مجرد الذهاب إلى

(١) روح البيان.
(٢) الكشاف.

فرعون ﴿وَلَا﴾ (الواو): عاطفة ﴿لَآ﴾ ناهية ﴿تَنِيَا﴾ فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة: معطوفة على جملة ﴿ٱذْهَبْ﴾. ﴿فِى ذِكْرِى﴾: متعلق به ﴿ٱذْهَبَآ﴾: فعل أمر وفاعل مبني على حذف النون، والجملة: مستأنفة ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بـ﴿ٱذْهَبَآ﴾. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿طَغَىٰ﴾ خبره، وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها ﴿فَقُولَا﴾ (الفاء) عاطفة ﴿قُولَا﴾: فعل وفاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿ٱذْهَبَآ﴾. ﴿لَهُۥ﴾ متعلق بـ﴿قُولَا﴾. ﴿قَوْلًا﴾: مفعول مطلق ﴿لَّيِّنًا﴾: صفة له ﴿لَّعَلَّهُۥ﴾ ناصب واسمه، وجملة ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: خبره ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾: معطوفة على ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ وجملة ﴿لعل﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، و﴿لعل﴾ هنا للتعليل كما قاله الفراء، فهي بمثابة كي التعليلية، نظير قولك: اعمل لعلك تأخذ أجرك؛ أي: كي تأخذ أجرك.

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿قَالَا﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة ﴿رَبَّنَآ . . .﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَا﴾. ﴿إِنَّنَا﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿نَخَافُ﴾: خبره، وجملة ﴿أن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿يَفْرُطَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، وفاعله: ضمير يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿عَلَيْنَآ﴾: متعلق به و﴿أن﴾ وما في حيِّزها: مفعول ﴿نَخَافُ﴾ ﴿أَوْ﴾: حرف عطف ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿يَطْغَىٰ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية و﴿أن﴾ وما في حيزها: معطوف على ﴿أَن يَفْرُطَ﴾ والتقدير: إننا نخاف فرطه علينا أو طغيانه.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله: ضمير يعود على الله، والجملة: مستأنفة ﴿لَآ﴾: ناهية ﴿تَخَافَآ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية والألف فاعل، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّنِى﴾: ناصب ونون وقاية، واسمه ﴿مَعَكُمَآ﴾:

ظرف ومضاف إليه، متعلق بمحذوف خبر ﴿إن﴾. ﴿أَسْمَعُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله وجملة ﴿أَسْمَعُ﴾ في محل الرفع خبر ثان، لـ﴿إن﴾ أو في محل النصب حال من الضمير المستكن في خبر ﴿إن﴾. ﴿وَأَرَىٰ﴾: معطوف على ﴿أَسْمَعُ﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾: مسوقة لتعليل ما قبلها: ﴿فَأْتِيَاهُ﴾ (الفاء): عاطفة كما في «الجمل» ﴿أتياه﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به، مبني على حذف النون، والجملة: معطوفة على جملة قوله: ﴿لَا تَخَافَآ﴾ ﴿فقُولَا﴾ (الفاء): عاطفة ﴿قُولَا﴾: فعل وفاعل مبني على حذف النون، والجملة: معطوفة على جملة ﴿اتياه﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناسب واسمه ﴿رَسُولَا رَبِّكَ﴾: خبره ومضاف إليه، وجملة: ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قولاَ﴾. ﴿فَأَرْسِلْ﴾ (الفاء): حرف عطف وتفريع ﴿أرسل﴾: فعل أمر وفاعله ضمير يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿مَعَنَا﴾: ظرف ومضاف إليه، متعلق بـ﴿أرسل﴾ وجملة: ﴿أرسل﴾: معطوفة مفرعة على جملة قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾. ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مفعول به ومضاف إليه ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ ﴿لَا﴾: ناهية جازمة ﴿تُعَذِّبْهُمْ﴾: فعل مضارع ومفعول مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وفاعله: ضمير يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ والجملة: معطوفة على جملة ﴿أرسل﴾. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق ﴿جِئْنَٰكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ متعلق بـ﴿جِئْنَٰكَ﴾. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ صفة لـ﴿آية﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب حال من اسم ﴿إن﴾ في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، جرت مجرى التفسير والبيان والجملة ﴿إن﴾ لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا مدعومةً بالآيات والدلائل الظاهرة الدالة عليها ﴿وَالسَّلَٰمُ﴾ (الواو) استئنافية ﴿السلام﴾: مبتدأ ﴿عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰٓ﴾: جار ومجرور خبره، والجملة: مستأنفة على كونها مقول ﴿قَوْلَا﴾. ﴿اتَّبَعَ الْهُدَىٰٓ﴾ فعل وفاعل مستتر، ومفعول به صلة الموصول.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿إِنَّا﴾ ناصب واسمه ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق ﴿أُوحِيَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة ﴿إِلَيْنَآ﴾: جار ومجرور متعلق به ﴿أَنَّ الْعَذَابَ﴾: ناصب واسمه ﴿عَلَىٰ مَن﴾: جار ومجرور خبره ﴿كَذَّبَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة: صلة

﴿مَن﴾ الموصولة ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: معطوف على ﴿كَذَّبَ﴾ وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر مرفوع، على كونه نائب فاعل لـ﴿أُوحِيَ﴾؛ أي: ﴿أُوحِيَ إِلَيْنَآ﴾ كون العذاب على من كذب وتولى. وجملة ﴿أُوحِيَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ الأولى وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قولا﴾.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿فرعون﴾ والجملة: مستأنفة. ﴿فَمَن﴾ الفاء: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا قلتما إنا رسولا ربكما.. ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾. ﴿مَن﴾: اسم استفهام للاستفهام التعجبي، في محل الرفع مبتدأ ﴿رَّبُّكُمَا﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة: في محل النصب مقول، لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ منادى مفرد العلم، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله: ضمير يعود على الموصول، والجملة: صلة الموصول ﴿خَلْقَهُۥ﴾: مفعول ثان، وقيل: ﴿خَلْقَهُۥ﴾ أول مفعولي ﴿أَعْطَىٰ﴾ و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ ثانيهما وقدم للاهتمام؛ أي: أعطى خليقته وهو: جميع الخلائق كل شيء يحتاجون إليه، وقرىء ﴿خلقه﴾: على أنه فعل ماض، والمفعول الثاني محذوف للعلم به ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾: معطوف على ﴿أَعْطَىٰ﴾ وفاعله: ضمير يعود على الله، والمفعول: محذوف تقديره: ثم هدى كل شيء ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿فَمَا﴾ الفاء: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا قلتما إنا رسولا ربكما.. فأقول لكما: ﴿ما بال القرون الأولى﴾ ﴿مَآ﴾: اسم استفهام للاستفهام التعجيزي في محل الرفع مبتدأ ﴿بَالُ ٱلْقُرُونِ﴾: خبر ومضاف إليه ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ صفة لـ﴿ٱلْقُرُونِ﴾ والجملة الاسمية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة،

وجملة: إذا المقدرة، في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿عِلْمُهَا﴾: مبتدأ ومضاف إليه ﴿عِندَ رَبِّي﴾: ظرف ومضاف إليه، متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ضمير ﴿عِلْمُهَا﴾؛ أي: حالة كونها مكتوبةً ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ أو ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾: هو الخبر و﴿عِندَ رَبِّي﴾: حال أو هما خبر ﴿إن﴾ أو هما خبر واحد على حد قولك الرمان حلو حامض؛ أي: مز ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلَا يَنسَى﴾ معطوف على ﴿يَضِلُّ﴾. ﴿ٱلَّذِي﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو ﴿ٱلَّذِي﴾ والجملة: مستأنفة ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على الموصول، والجملة: صلة الموصول ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور حال من ﴿مَهۡدٗا﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾: مفعول أول لـ﴿جَعَلَ﴾. ﴿مَهۡدٗا﴾؛ مفعول ثان له ﴿وَسَلَكَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على الموصول، والجملة: معطوفة على جملة ﴿جَعَلَ﴾. ﴿لَكُمۡ﴾ حال من ﴿سُبُلٗا﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿سلك﴾. ﴿سُبُلٗا﴾: مفعول به.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ۝ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ۝٥٥﴾.

﴿وَأَنزَلَ﴾ فعل ماض وفاعل مستتر، معطوف على ﴿جَعَلَ﴾. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلق بـ﴿أنزل﴾. ﴿مَآءٗ﴾: مفعول به ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾ (الفاء): عاطفة ﴿أخرجنا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿وَأَنزَلَ﴾. ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلق بـ﴿أخرجنا﴾. ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾: مفعول به ﴿مِّن نَّبَاتٖ﴾: صفة أولى لـ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾. ﴿شَتَّىٰ﴾: صفة ثانية له، أو حال منه، لأنه وصف، وأجاز الزمخشري: أن يكون صفة للنبات ﴿كُلُواْ﴾: فعل أمر وفاعل،

والجملة، في محل النصب مقول لقول محذوف: حال من فاعل ﴿أخرجنا﴾؛ أي: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ حالة كوننا قائلين لكم ﴿كُلُوا۟﴾ منها. ﴿وَٱرْعَوْا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿كُلُوا۟﴾. ﴿أَنْعَٰمَكُمْ﴾: مفعول به ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ (اللام): حرف ابتداء ﴿آيات﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾: مؤخر ﴿لِّأُو۟لِى﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿آيات﴾. ﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ مضاف إليه، وهي جمع نهية، وقيل: اسم مفرد، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة ﴿مِنْهَا﴾ متعلق بـ﴿خلقنا﴾. ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة: مستأنفة ﴿وَفِيهَا﴾: متعلق بـ﴿نعيد﴾. ﴿نُعِيدُكُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، معطوف على ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾. ﴿وَمِنْهَا﴾: متعلق بـ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، معطوف على ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾. ﴿تَارَةً﴾: ظرف زمان متعلق بـ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ ﴿أُخْرَىٰ﴾: صفة لـ﴿تَارَةً﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية (واللام): موطئة للقسم ﴿قد﴾: حرف تحقيق ﴿أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾: فعل وفاعل، ومفعولان من رأى البصرية، ولكنها تعدت إلى اثنين لدخول همزة النقل عليها ﴿كُلَّهَا﴾: تأكيد لـ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ والجملة الفعلية: جواب القسم، وجملة القسم: مستأنفة ﴿فَكَذَّبَ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿كذب﴾: فعل ماض وفاعله: ضمير يعود على فرعون، والجملة: معطوفة على جملة ﴿أَرَيْنَٰهُ﴾. ﴿وَأَبَىٰ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر معطوف على ﴿كذب﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله: ضمير يعود على فرعون، والجملة: مستأنفة ﴿أَجِئْتَنَا﴾ (الهمزة): للاستفهام الإنكاري ﴿جئتنا﴾: فعل وفاعل ومفعول والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لِتُخْرِجَنَا﴾ (اللام): حرف جر وتعليل ﴿تخرجنا﴾: فعل ومفعول وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿مِنْ أَرْضِنَا﴾: متعلق بـ﴿تخرجنا﴾. ﴿بِسِحْرِكَ﴾: متعلق به أيضاً ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: منادى مفرد العلم، والجملة الفعلية مع أن

المضمرة: في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لإخراجك إيانا ﴿مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾: الجار والمجرور متعلق بـ﴿جئتنا﴾. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ (الفاء): فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا كان الأمر كذلك.. فأقول لك: ﴿لنأتينك﴾ و(اللام): موطئة للقسم ﴿نأتينك﴾: فعل مضارع في محل الرفع، لتجرده عن الناصب والجازم، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة و(الكاف): مفعول به، وفاعله: ضمير يعود على فرعون وقومه ﴿بِسِحْرٍ﴾: متعلق بـ﴿نأتين﴾. ﴿مِّثْلِهِۦ﴾: صفة لـ﴿سحر﴾ ويجوز أن يتعلق ﴿بِسِحْرٍ﴾ بمحذوف حال؛ أي: متلبسين ﴿بِسِحْرٍ﴾ والجملة الفعلية: جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة ﴿فَٱجْعَلْ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿اجعل﴾: أمر وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: معطوفة على جملة ﴿نأتينك﴾ ﴿بَيْنَنَا﴾: ظرف ومضاف إليه، متعلق بمحذوف مفعول ثان لجعل ﴿وَبَيْنَكَ﴾: معطوف على ﴿بَيْنَنَا﴾ ﴿مَوْعِدًا﴾: مصدر ميمي مفعول أول لجعل، وجملة ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾: صفة لـ﴿مَوْعِدًا﴾ ﴿نَحْنُ﴾: تأكيد للضمير في نخلفه ﴿وَلَآ﴾ (الواو): عاطفة ﴿لَآ﴾ نافية ﴿أَنتَ﴾ معطوف على الضمير المستتر في ﴿نُخْلِفُهُۥ﴾ ﴿مَكَانًا﴾ بدل من ﴿مَوْعِدًا﴾ بتقدير مضاف؛ أي: مكان موعد، أو منصوب بفعل دل عليه المصدر، تقديره: عدلنا مكاناً ﴿سُوًى﴾. ﴿سُوًى﴾: صفة لـ﴿مَكَانًا﴾؛ أي: ﴿مَكَانًا﴾ وسطاً.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾: مبتدأ ومضاف إليه ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾: خبر له والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَن يُحْشَرَ﴾ (الواو): عاطفة ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر ﴿يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعل منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية ﴿ضُحًى﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿يُحْشَرَ﴾ والجملة الفعلية مع أن

المصدرية: في تأويل مصدر مرفوع، معطوف على ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ تقديره: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ وحشر ﴿النَّاسُ ضُحًى﴾ أو مجرور معطوف على ﴿الزِّينَةِ﴾ تقديره ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ ويوم حشر ﴿النَّاسُ ضُحًى﴾. ﴿فَتَوَلَّى﴾ (الفاء): عاطفة ﴿تولى فرعون﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالَ﴾. ﴿فَجَمَعَ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿جمع كيده﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿تولى﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ ﴿أَتَى﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على فرعون، والجملة: معطوفة على ﴿جمع﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض ﴿لَهُم﴾ متعلق به ﴿مُوسَى﴾ فاعل، والجملة: مستأنفة ﴿وَيْلَكُمْ﴾: مصدر للدعاء، أمات العرب فعله، منصوب بفعل محذوف وجوباً، لجريانه مجرىٰ المثل، تقديره: ألزمكم الله ﴿وَيْلَكُمْ﴾ وهو مضاف، و(الكاف): مضاف إليه، والجملة المحذوفة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿لَا﴾ ناهية جازمة ﴿تَفْتَرُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: متعلق به ﴿كَذِبًا﴾: مفعول به، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ (الفاء): عاطفة سببية ﴿يسحتكم﴾: فعل ومفعول به وفاعل مستتر يعود على الله، منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد (الفاء) السببية الواقعة في جواب النهي ﴿بِعَذَابٍ﴾: متعلق بـ﴿يسحتكم﴾ والجملة الفعلية مع أن المضمرة: في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها، من غير سابك، لإصلاح المعنى، تقديره: لا يكن افتراؤكم على الله كذباً فإسحاته إياكم ﴿بِعَذَابٍ﴾. ﴿وَقَدْ﴾ (الواو): حالية ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿خَابَ مَنِ﴾: فعل وفاعل، والجملة: في محل النصب حال من الجلالة، والرابط محذوف، والتقدير: لا تفتروا على الله كذباً، والحال أنه قد خاب وخسر من افترى عليه كذباً ﴿افْتَرَى﴾: فعل وفاعل مستتر صلة من الموصولة.

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣)﴾.

﴿فَتَنَازَعُوا﴾ الفاء: عاطفة ﴿تنازعوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى﴾. ﴿أَمْرَهُم﴾: مفعول به، أو منصوب بنزع الخافض ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف

متعلق بمحذوف حال من ﴿أَمْرَهُم﴾. ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿تنازعوا﴾. ﴿قَالُوٓا﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة مسوقة لبيان ما أسروا ﴿إن﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، أو مهملة ﴿هَٰذَٰنِ﴾: مبتدأ في محل الرفع، مبني على الألف ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ (اللام): حرف ابتداء ﴿ساحران﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ المخففة، وجملة ﴿إِنَّ﴾ المخففة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا﴾. ﴿يُرِيدَانِ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية: في محل الرفع صفة ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾. ﴿أَن﴾: حرف نصب ﴿يُخْرِجَاكُم﴾: فعل وفاعل ومفعول منصوب بـ﴿أن﴾. ﴿مِّنْ أَرْضِكُم﴾: متعلق به ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿يُخْرِجَاكُم﴾؛ أي: حالة كونهما متلبسين ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾ والجملة الفعلية، مع أن المصدرية: في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿يُرِيدَانِ﴾ تقديره: يريدان إخراجهما إياكم من أرضكم بسحرهما ﴿وَيَذْهَبَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يُخْرِجَاكُم﴾. ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ﴾: متعلق بـ﴿يذهبا﴾. ﴿الْمُثْلَىٰ﴾ صفة لـ﴿طريقتكم﴾.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿فَأَجْمِعُوا﴾ الفاء: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين... الخ وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم: ﴿أجمعوا كيدكم﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة على كونها مقول ﴿قَالُوٓا﴾. ﴿ثُمَّ ائْتُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أجمعوا﴾. ﴿صَفًّا﴾: حال من فاعل ﴿ائْتُوا﴾؛ أي: حالة كونكم مصطفين. ﴿وَقَدْ﴾ (الواو): حالية ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾: فعل ماض ﴿الْيَوْمَ﴾ ظرف متعلق به ﴿مَنِ﴾ اسم موصول في محل الرفع فاعل ﴿أَفْلَحَ﴾ والجملة: في محل النصب حال ثانية من فاعل ﴿ائْتُوا﴾ والرابط: محذوف تقديره: ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ والحال أنه ﴿قد أفلح اليوم من استعلى﴾ منكم وجملة ﴿اسْتَعْلَىٰ﴾ صلة الموصول.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ

وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل والجملة: مستأنفة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿إِمَّآ﴾: حرف تفصيل وتخيير ﴿أَن﴾: حرف نصب ﴿تُلْقِىَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أَن﴾ وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾ والجملة الفعلية، مع أن المصدرية: في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لفعل محذوف، تقديره: اختر إما إلقاءك أولاً، والجملة المحذوفة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿وَإِمَّآ﴾ (الواو): عاطفة ﴿إِمَّآ﴾ على ﴿إِمَّآ﴾ الأولى. ﴿إِمَّآ﴾ الثانية: عاطفة ما بعدها على قبلها ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿نَّكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ﴿أَن﴾ واسمها ضمير يعود على السحرة ﴿أَوَّلَ﴾: خبر ﴿نَّكُونَ﴾ وهو مضاف ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل الجر مضاف إليه، وجملة ﴿أَلْقَىٰ﴾: صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، وجملة ﴿نَّكُونَ﴾ مع ﴿أَن﴾ المصدرية: في تأويل مصدر معطوف على مصدر منسبك من الجملة التي قبلها، على كونه مفعولاً لفعل محذوف، والتقدير: يا موسى اختر إما إلقاءك أولاً، وإما كوننا أول من ألقى ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله: ضمير يعود على موسى، والجملة: مستأنفة ﴿بَلْ﴾ حرف إضرابٍ إضراباً إبطالياً وابتداء ﴿أَلْقُوا۟﴾: فعل وفاعل والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَإِذَا﴾ (الفاء): عاطفة على محذوف تقديره فألقوا ﴿إذا﴾: فجائية في محل النصب على الظرفية الزمانية، أو حرف لا محل لها من الإعراب ﴿حِبَالُهُمْ﴾: مبتدأ ﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾: معطوف عليه ﴿يُخَيَّلُ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق به ﴿مِن سِحْرِهِمْ﴾ متعلق بـ﴿يُخَيَّلُ﴾ أيضاً ﴿أَنَّهَا﴾: ناصب واسمه وجملة ﴿تَسْعَىٰ﴾: خبر ﴿أن﴾ وجملة ﴿أن﴾ من اسمها وخبرها، في تأويل مصدر مرفوع، على كونه نائب فاعل لـ﴿يُخَيَّلُ﴾ والتقدير: يخيل إليه سعيها من أجل سحرهم، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ، تقديره: فإذا حبالهم وعصيهم مخيل إليه سعيها من سحرهم، ولكنه خبر سببي، والجملة الاسمية: في محل الجر مضاف إليه، لـ﴿إذا﴾ الفجائية، والظرف متعلق بفعل محذوف معطوف على محذوف، والتقدير: فألقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم، والمعنى: على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلةً إليه السعي، أو فاجأ موسى تخييل

سعي حبالهم وعصيهم.

﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨﴾.

﴿فَأَوۡجَسَ﴾ الفاء: عاطفة ﴿أوجس﴾: فعل ماض ﴿فِي نَفۡسِهِۦ﴾: متعلق به ﴿خِيفَةٗ﴾ مفعول به ﴿مُّوسَىٰ﴾: فاعل والجملة: معطوف على جملة المفاجأة المقدرة ﴿قُلۡنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة ﴿لَا تَخَفۡ﴾: جازم وفعل مجزوم، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُّوسَىٰ﴾ والجملة: في محل النصب مقول ﴿قُلۡنَا﴾. ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه ﴿أَنتَ﴾ ضمير فصل أو تأكيد ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾: خبر ﴿إن﴾ وجملة: ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلۡنَا﴾ مسوقة لتعليل النهي المذكور قبله.

﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾.

﴿وَأَلۡقِ﴾ الواو: عاطفة ﴿ألق﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُّوسَىٰ﴾ والجملة: معطوفة على جملة ﴿لَا تَخَفۡ﴾ ﴿مَآ﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿ألق﴾. ﴿فِي يَمِينِكَ﴾: جار ومجرور صلة لـ﴿مَآ﴾ أو صفة لها ﴿تَلۡقَفۡ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله: ضمير يعود على عصاه ﴿مَآ﴾: مفعول به لـ﴿تَلۡقَفۡ﴾. ﴿صَنَعُوٓاْۖ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد: محذوف تقديره: ما صنعوه ﴿إِنَّمَا﴾ ﴿إن﴾: حرف نصب وتوكيد ﴿ما﴾ اسم موصول في محل النصب اسمها ﴿صَنَعُوٓاْۖ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد: محذوف تقديره: إن الذي صنعوه ﴿كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾: خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلۡنَا﴾: مسوقة لتعليل قوله: ﴿تَلۡقَفۡ﴾. ﴿وَلَا﴾ (الواو): حالية أو عاطفة ﴿لَآ﴾ نافية ﴿يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾: فعل وفاعل، والجملة: في محل النصب حال من ﴿سَٰحِرٖۖ﴾ لأن المقصود منه الجنس، والتقدير: حالة كون جنس الساحر غير مفلح، أو معطوفة على جملة ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ﴾. ﴿حَيۡثُ﴾: في محل النصب على الظرفية المكانية، مبني على الضم متعلق

بـ﴿يُفْلِحُ﴾ وجملة ﴿أَتَىٰ﴾ في محل الجر مضاف إليه لـ﴿حَيْثُ﴾. ﴿فَأُلْقِيَ﴾ (الفاء) عاطفة على محذوف، تقديره: فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ ﴿ألقي السحرة﴾: فعل ونائب فاعل معطوف علي ذلك المحذوف ﴿سُجَّدًا﴾: حال من ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة: في محل النصب حال ثانية من ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾؛ أي: حالة كونكم ساجدين قائلين ﴿ءَامَنَّا﴾ فعل وفاعل، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿بِرَبِّ﴾: متعلق بـ﴿ءَامَنَّا﴾ ﴿هَٰرُونَ﴾: مضاف إليه ﴿وَمُوسَىٰ﴾: معطوف على ﴿هَٰرُونَ﴾ والله أعلم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿ٱذْهَبْ﴾ أنت يا موسى، والذهاب: المضي، يقال: ذهب بالشيء وأذهبه، ويستعمل ذلك في الأعيان والمعاني ﴿وَأَخُوكَ﴾ والأخوة: المشاركة في الولادة من الطرفين، أو من أحدهما، أو من الرضاع، ويستعار الأخ لكل مشارك لغيره، في القبلة، أو في الدين، أو في صنعة، أو في معاملة، أو في مودة، أو في غير ذلك من المناسبات كما مر ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ هي المعجزات، والمراد بها: العصا، واليد البيضاء، والمراد بالجمع: ما فوق الواحد ﴿وَلَا تَنِيَا﴾؛ أي: ولا تفترا ولا تقصرا في ذكري؛ أي: في تبليغ رسالتي، فالذكر: يطلق على كل العبادات، وتبليغ الرسالة من أعظمها، من الوني: وهي الفتور والتقصير، يقال: ونىٰ يني ونياً، كوعد يعد وعداً: إذا فتر، والاسم الوني وهو: الفتور: وونى فعل لازم لا يتعدى، وزعم بعض النحاة أنه يكون من أخوات زال وانفك، فيعمل عملهما بشرط النفي، يقال ما ونى زيد قائماً؛ أي: ما زال زيدٌ قائماً، وفي «المصباح»: ونى في الأمر ونياً: من باب تعب ووعد: ضعف وفتر، فهو وانٍ وفي التنزيل ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ وتوانىٰ في الأمر توانياً: لم يبادر إلى ضبطه، ولم يهتم به، فهو متوان؛ أي: غير مهتمٍ ولا محتفل، وهو في الآية من باب وعد، لأجل كسر النون، إذ لو كان من باب تعب لكان بفتحها ﴿طَغَىٰ﴾ أي تجاوز الحد ﴿يَفْرُطَ﴾ يقال: فرط يفرط: من باب قعد علينا فلان: إذا عجل بمكروه ﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾؛ أي: لا عنف فيه ولا غلظة ﴿يَتَذَكَّرُ﴾؛ أي: يتأمل فيذعن للحق ويؤمن

﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾؛ أي: يخاف من بطش الله وعذابه ﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾ والعذاب[1]: هو الإيحاء الشديد، وقد عذبه تعذيباً؛ أي: أكثر حبسه في العذاب، وأصله: من قولهم عذب الرجل: إذا ترك المأكل والنوم، فهو عاذب وعذوب، فالتعذيب في الأصل: هو حمل الإنسان على أن يعذب؛ أي: يجوع ويسهر، وقيل: أصله: من العذب، فعذبته: أزلت عذب حياته، على بناء مرضته وقويته، وقيل: أصل التعذيب: إكثار الضرب بعذبة السوط؛ أي: طرفه ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ (اللام) لتعريف الماهية، والسلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، والمراد هنا: إما التحية، فالمعنىٰ: والتحية المستتبعة بسلامة الدارين من الله والملائكة؛ أي: خزنة الجنة وغيرهم من المسلمين ﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾؛ أي: أعطىٰ كل نوع صورته وشكله، الذي يشاكل ما نيط به من الخواص والمنافع ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾؛ أي: ثم عرّفه كيف يرتفق بما أُعطي له.

﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ والبال: الحال التي يكترث ويعتنىٰ بها ﴿مَهْدًا﴾ قال الإمام الراغب: المهد: ما يهيأ للصبي، والمهد والمهاد: المكان الممهد الموطأ ﴿وَسَلَكَ﴾ السلوك: النفاذ في الطريق، وسلك لازم ومتعد، يقال: سلكت الشيء في الشيء: أدخلته، والسبل: جمع سبيل، وهو من الطرق ما هو معتاد السلوك ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ والماء: هو جسم سيّال قد أحاط حول الأرض والمراد هنا: المطر ﴿أَزْوَٰجًا﴾؛ أي: أصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ جمع شتيت كمريض ومرضىٰ؛ أي: مختلفة النفع والطعم واللون والشكل، والأزواج: جمع زوج، سميت الأصناف بذلك لازدواجها، واقتران بعضها ببعض، لأنه يقال: لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له، أو مضاداً: زوج، ولكل قرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج، ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج، كالخف والنعل، قال الراغب: النبت والنبات: ما يخرج من الأرض من الناميات، سواء كان له ساق كالشجر، أو لم يكن له ساق كالنجم، لكن اختص في التعارف بما لا ساق له، بل قد اختص عند العامة بما تأكله الحيوانات، ومتىٰ اعتبرت الحقائق.. فإنه

---

(١) الفتوحات.

يُستعمل في كل نام، نباتاً كان، أو حيواناً، إو إنساناً. انتهى.

﴿شَتَّىٰ﴾ بوزن فعلىٰ وألفه للتأنيث، وهو جمع شتيت نحو مريض ومرضى، وجريح وجرحى، وقتيل وقتلى، يقال: شت الأمر يشت شتاتاً، فهو شت؛ أي: تفرق وشتان: اسم فعل ماض، بمعنىٰ: افترق، ولذلك لا يكتفي بواحد ﴿وَٱرْعَوْا۟﴾ الرعي: في الأصل: حفظ الحيوان، إما بغذائه الحافظ لحياته، أو بذب العدو عنه ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾: جمع نهية بالضم، وهي: العقل، سمي بها العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح، وقيل: إنه اسم مفرد، وهو مصدر كالهدى والسرعة، قاله أبو علي اهـ «سمين» ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ يقال: أخلف وعده: إذا خالف في الميعاد.

﴿فَيُسْحِتَكُم﴾؛ أي: يهلككم من أسحت الرباعي، وهي لغة نجد وتميم؛ أي: أهلك، ويقال: سحت وهي لغة الحجاز، وأصل هذه المادة تدل على الاستقصاء والنفاد، ومنه سحت الحالق الشعر؛ أي: استقصاه فلم يترك منه شيئاً، ويُستعمل في الإهلاك والإذهاب، وفي «القاموس»: سحت يسحت من باب فتح، وسحت بالتشديد: اكتسب السحت؛ أي: المال الحرام، وسحته أهلكه واستأصله وذبحه، وسحت الشحم عن اللحم: قشره، وسحت وجه الأرض: محاه، وأسحت: أفسده وأهلكه واستأصله ﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾: مؤنث أمثل، بمعنى أشرف، وإنما أُنِّث باعتبار التعبير بالطريقة، وإلا فباعتبار المعنى كأن يقال: أماثل .اهـ. شيخنا. ﴿فَأَجْمِعُوا۟﴾؛ أي: أزمعوا كيدكم واجعلوه مجمعاً عليه، حتى لا تختلفوا، كالمسألة المجمع عليها، ويقال: أجمعوا الأمر وأجمعوا عليه، وفلانة بجمع؛ أي: عذراء، وضربه بجمع كفه ﴿فَأَوْجَسَ﴾ الإيجاس: الإضمار، وإيجاس الخوف: إضمار شيء منه ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾، والحبال: جمع حبل، وهو: الرسن، والعصي: جمع عصا، أصله: عصوو، بوزن: فلوس، قلبت الواو الثانية ياءً، ثم الأولى لاجتماعها ساكنة مع الياء، وكسرت الصاد لتصح الياء، وكسرت العين اتباعاً للصاد ﴿خِيفَةً﴾ أصله: خوفاً، قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها ﴿تَلْقَفْ﴾: تبتلع، وأصله: التناول بسرعة، قال في «القاموس»: لقف يلقف، من

باب تعب لقفاً، والتقف الشيء: تناوله بسرعة ﴿صَنَعُوٓاْ﴾؛ أي: زوّروا وافتعلوا ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾؛ أي: كيد سحري لا حقيقة له ولا ثبات.

فصل في بيان السحر

﴿ٱلسِّحْرَ﴾ في اللغة: كل ما لطف ودق، ومنه السحر للصبح الكاذب، وقوله ـ عليه السلام ـ: «إن من البيان لسحرا» وبابه: منع وفي العرف: إراءة الباطل في صورة الحق، وهو عندنا أمر ثابت، لقوله ﷺ: «السحر حق، والعين حق» وفي «شرح الأمالي» السحر من سحر يسحر سحراً: إذا خدع أحداً، وجعله مدهوشاً متحيراً، وهذا إنما يكون بأن يفعل الساحر شيئاً يعجز عن فعله، وإدراكه المسحور عليه، وفي كتاب «اختلاف الأئمة» السحر: رقىً وعزائم وعقد، تؤثر في الأبدان والقلوب، فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، وله حقيقة عند الأئمة الثلاثة، وقال الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: لا حقيقة له، ولا تأثير له في الجسم، وبه قال أبو جعفر الإسترابادي من الشافعية، وفي «شرح المقاصد»: السحر إظهار أمرٍ خارقٍ للعادة، من نفس شريرة خبيثة، بمباشرة أعمال مخصوصة، يجري فيها التعلم والتعليم، وبهذين الاعتبارين، يفارق المعجزة والكرامة، وبأنه لا يكون بحسب اقتراح المقترحين، وبأنه يخص الأزمنة أو الأمكنة أو الشرائط، وبأنه قد يتصدى لمعارضته، ويبذل الجهد في الإتيان بمثله، وبأن صاحبه ربما يعلن بالفسق، ويتصف بالرجس في الظاهر والباطن، والخزي في الدنيا والآخرة، وهو؛ أي: السحر عند أهل الحق: جائز عقلاً، ثابت سمعاً، وكذا الإصابة بالعين، وقال المعتزلة: بل هو مجرد إراءة ما لا حقيقة له، بمنزلة الشعوذة التي سببها خفة حركات اليد، أو إخفاء وجه الحيلة، ويقال لها: الشعبذة، معرب شعباذة، اسم رجل ينسب إليه هذا العلم، وهي خيالات مبنية على خفة اليد، وأخذ البصر في تقليب الأشياء، كالمشي على الأرسال، واللعب بالمهارق والحقات وغير ذلك، وللسحر: خمسة أنواع على المشهور:

منها: الطلسم، قيل: هو مقلوب المسلط، وهو جمع الآثار السماوية، مع عقاقير الأرض ليظهر منها أمر عجيب.

ومنها: النيرنج: وهو التمويه والتخييل، قالوا: ذلك تمزيج قوى جواهر الأرض، ليحدُثَ منها أمر عجيب.

منها: الرقية: وهو النفث في الماء، وسمي به لأنهم ينفثون في الماء، ثم يشربونه، أو يصبون عليه، وإنما سميت رقية، لأنها كلمات رقيت من صدر الراقي، فبعضها فهوية، وبعضها قبطية، وبعضها بلا معنى، يزعمون أنها مسموعة من الجن، أو في المنام.

ومنها: الخلفطيرات، وهي: خطوط عقدت عليها حروف وأشكال؛ أي: خلق ودوائر، يزعمون أن لها تأثيرات بالخاصية.

ومنها: الشعبذة المارة، والمذهب: أن التأثير الحاصل عقيب الكل، هو فعل الله تعالى، على وفق إجراء عادته، ووجه الحكمة فيه، لا يعلمه إلا هو سبحانه. انتهى من «روح البيان».

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، وفي قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا﴾.

ومنها: الإيجاز في قوله: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ففيه إيجاز بليغ، لأنه حذف جملاً لا يقع عليها الحصر، لأنه ليس بالمتاح إحصاء المخلوقات الحية وغير الحية، العاقلة وغير العاقلة، التي خلقها الله تعالى، ولكل منها عمله الميسر له، على حد قوله ﷺ: «كل ميسر لما خلق له».

ومنها: الالتفات من الغيبة إلى لفظ التكلم في قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا...﴾ الخ. وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا...﴾ إلخ.

ومنها: المقابلة اللطيفة في قوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ حيث قابل بين

﴿مِّنْهَا﴾ و﴿فِيهَا﴾، وبين الخلق والإعادة، وهذا من المحسنات البديعية.

ومنها: رد العجز على الصدر في قوله: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ وسماه المتأخرون التصدير، وهو أخف على السمع، وأليق بالمقام، وهو توافق كلمة في الصدر، مع كلمة في الآخر، وله أقسام مذكور في محله.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾؛ أي: فألقوا فإذا حبالهم، حذف لدلالة المعنى عليه، ومثله ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ بعد قوله: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ حذف منه كلام طويل، وهو فألقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا من السحر ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ إنما حسن الحذف لدلالة المعنى عليه، ويسمى: إيجاز حذف.

ومنها: استدراج الخصم لموسى حيث قال: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ ثقةً منهم بأنهم فائزون عليه، حيث فوَّضوا ضرب الموعد إليه، ولكن موسى استدرجهم بإلهام من الله عز وجل، أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم، ليكون الحق أبلج على رؤوس الأشهاد، فيكون أفضح بكيدهم، وأهتك لسترهم، ولما استدرجوه بالتخيير في الإلقاء، أيكون هو البادىء، أم يكونون هم البادئين.. استدرجهم هو إلى أن يجعلهم مبتدئين، بما معهم، ليكون إلقاؤه العصا بعد قذفاً بالحق على الباطل، فيدمغه فإذا هو زاهق، فما أروع هذا الكلام.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ بالضميرين اللذين هما: ﴿نَّكُونَ﴾ و﴿نَحْنُ﴾ دل ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه، والإلقاء قبله.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فتوكيد الضميرين ها هنا في قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أنفى للخوف من قلب موسى، وأثبت للغلبة والقهر، ولو قال لا تخف إنك الأعلى.. لم يكن فيه من التقرير والإثبات لنفي الخوف، ما لقوله ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

ومنها: الإبهام في قوله: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ لتفخيم شأنها، والإيذان بأنها ليست من جنس العصي المعهودة، لأنها مستتبعة لآثار غريبة.

ومنها: في قوله ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ست فوائد من البلاغة:

١ ـ ﴿إِنَّ﴾ المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها وتأكيده، وقد نص علماء المعاني، على أن الخبر يكون مع ﴿إِنَّ﴾ طلبياً، أو إنكارياً لا ابتدائياً، كقولك: زيد قائم، ثم تقول: إن زيداً قائم، ففي قولك: إن زيداً قائم من الإثبات لقيام زيد، ما ليس في قولك: زيد قائم.

٢ ـ تكرير الضمير في قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ ولو اقتصر على أحد الضميرين.. لما كان بهذه المثابة في التقرير، لغلبة موسى والإثبات.

٣ ـ لام التعريف في قوله: ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ولم يقل أعلى أو عال، لأنه لو قال ذلك.. لكان قد نكَّره، وكان صالحاً لكل واحد من جنس، كقولك: رجل فإنه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال، وإذا قلت الرجل.. فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف، وجعلته علماً فيهم، وكذلك جاء قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: دون غيرك.

٤ ـ لفظ أفعل الذي من شأنه التفضيل، ولم يقل: العالي فهو أعلى من كل عال.

٥ ـ لفظ العلو الدال على أن الغلبة ثابتة له من جهة العلو، ومعلوم أن الغرض من قوله: ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الغلبة، إلا أن في ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ زيادةً، وهي كونها صادرةً من مكان عال.

٦ ـ الاستئناف وهو قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ولم يقل لأنك أنت الأعلى، فكان ذلك أبلغ في إيقان موسى ـ عليه السلام ـ بالغلبة والاستعلاء، وأثبت ذلك في قرارة نفسه، بما لا يدع أيّ: مجال للشك.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما: قبلها أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر[1] قصص موسى مع سحرة فرعون، وأنه تم له الغلب عليهم، وأن السحرة آمنوا، وأن فرعون أبى أن يذعن

---

(١) المراغي.

للحق، وتمادىٰ هو وقومه في العناد والإعراض عن سبيل الرشاد. . . أردف ذلك بذكر ما آل إليه أمر فرعون وقومه، من الغرق في البحر، حين تبعوا موسى للحاق به، لما خرج من مصر ذاهباً إلى الطور، وطوى في البين ذكر ما جرى على فرعون وقومه بعد أن غُلبت السحرة من الآيات المفصلة، التي حدثت على يد موسى في مدة عشرين سنة، بحسب ما فصِّل في سورة الأعراف، وكان فرعون كلما جاءته آية عذاب. . وعد أن يُرسل بني إسرائيل حين ينكشف عنه العذاب، فإذا هو انكشف. . نكص على عقبيه، ونكث في عهده، حتى أمر الله موسى بالهجرة والخروج ليلاً من مصر، ثم عدد بعدئذٍ نعمه الدينية والدنيوية على بني إسرائيل، فذكر أنه أنجاهم من عدوهم، وقد كان ينزل بهم ضروباً من الظلم، من قتل وإذلال، وتعبٍ في الأعمال، وأنه ذكر أنه أنزل عليهم كتاباً فيه بيان دينهم، وتفصيل شريعتهم، وأنه أنزل لهم المن والسلوى، وأنه أمرهم بأكل الطيبات من الرزق، وزجرهم عن العصيان، وأن من عصى ثم تاب. . كانت توبته مقبولةً عند ربه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾. . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر أنه أوحى[1] إلى موسى أن يخرج هو وقومه من مصر ليلاً، ويخترق بهم البحر، ولا يخشى غرقاً ولا دركاً من فرعون وجنده، وأن البحر أغرق فرعون وقومه جميعاً، حينما أرادوا اللحاق ببني إسرائيل، ثم عدد نعمه عليهم، من إنجائهم من عدوهم، وإنزال المن والسلوى عليهم، ثم أمرهم بأكل الطيبات من الرزق، ونهاهم عن الطغيان، ثم ذكر أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً. . أعقب هذا بما جرى بينه سبحانه وبين موسى من الكلام، حين موافاته الميقات بحسب المواعدة التي ذُكرت آنفاً، وبما حدث من فتنة السامري لبني إسرائيل، ورجوع موسى إليهم غضبانَ أسفاً، ثم معاقبته لهم على ما صنعوا، ثم ذكر الحيلة التي فعلها السامري حين أخرج لهم من حليّهم عجلاً جسداً له خوار، فقالوا: هذا إلهكم وإله موسى، فرد الله عليهم،

---

(١) المراغي.

ووبخهم بأن هذا العجل لا يجيبهم إذا سألوه، ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً في دينهم ولا دنياهم.

التفسير وأوجه القراءة

ولما خاف فرعون أن يكون إلقاء السحرة سجداً سبباً لاقتداء الناس بهم في الإيمان بالله ورسوله.. ألقى شبهةً في النبي ونبوته فـ ﴿قال﴾؛ أي: فرعون للسحرة موبخاً لهم ﴿ءَامَنتُمْ﴾؛ أي: هل آمنتم ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: لموسى وصدقتموه فيما يدعيه، و(اللام): هنا لتضمين الفعل معنى الإتباع وفي «بحر العلوم»: ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: لربهما، على أن (اللام) بمعنى الباء، كما يدل عليه قوله في سورة الأعراف: ﴿قال آمنتم به قبل أن آذن لكم﴾ و﴿ءَامَنتُمْ﴾: بالمد على الإخبار، و(الهمزة) الأولى فيه: للاستفهام التوبيخي؛ أي: قال لهم توبيخاً: هل فعلتم هذا الفعل ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾؛ أي[1]: من غير أن آذن لكم في الإيمان له، وآمركم به كما في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ لا أن الإذن لهم في ذلك واقع بعده، أو متوقع، والإذن في الشيء الإعلام بإجازته، وأذنته بكذا وآذنته بمعنىً ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾؛ أي: أستاذكم ومعلمكم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وإنكم تلامذته في السحر، فتوافقتم على أن تظهروا العجز من أنفسكم، ترويجاً لشأنه، وتفخيماً لأمره، فلا عبرة بما أظهرتموه، قال الكسائي[2]: الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه.. قال: جئت من عند كبيري، وقال محمد بن إسحاق: إنه لعظيم السحر، قال الواحدي: والكبير في اللغة: الرئيس، ولهذا يقال للمعلم: الكبير، أراد فرعون بهذا القول أن يدخل الشبهة على الناس، حتى لا يؤمنوا، وإلا فقد علم أنهم لم يتعلموا من موسى، ولا كان رئيساً لهم، ولا بينه وبينهم مواصلة.

والخلاصة[3]: أنكم قد فعلتم جريمتين، وارتكبتم إساءتين:

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) المراغي.

١ ـ أنكم آمنتم له قبل البحث والتفكير، فإيمانكم لم يكن عن بصيرة وأناة، فلا يُعتد به.

٢ ـ أنكم تلاميذه في السحر، فتواطأتم على أن تظهروا العجز من أنفسكم، ترويجاً لدعوته، وتفخيماً لأمره. وبعد أن أورد هذه الشبهة، اشتغل بالتهديد، تنفيراً لهم من الإيمان، وتحذيراً لغيرهم عن الاقتداء بهما، فقال: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ﴾؛ أي: فوالله لأقطعن ﴿أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم﴾ حالة كونها ﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾؛ أي: مختلفات في الاسم والصفة، لأنها إذا خالف بعضها بعضاً، بأن هذا يد وذاك رجل، وهذا يمين وذاك يسار.. فقد اتصفت بالاختلاف، وتعيين القطع وكيفيته لكونه أفظع من غيره، والمعنى لأقطعن من كل شق طرفاً، وهو أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، لا يدين ولا رجلين، ولا يمنين ولا يسارين، وصيغة[1] التفعيل في قطع: للتكثير، وكذا في الفعل الآتي، والقطع: فصل شيءٍ مدركاً بالبصر كالأجسام، أو مدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة، و﴿مِّنْ﴾ فيه لابتداء الغاية؛ أي: ابتداء القطع من مخالفة العضو العضو، لا من وفاقه إياه، وإنما اختار ذلك دون القطع من وفاق لأن فيه إهلاكاً وتفويتاً للمنفعة ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾؛ أي: على جذوع النخل وأصولها، زيادةً في إيلامكم، وتشهيراً بكم، والصلب: الذي هو تعليق الإنسان للقتل، قيل: هو شد صلبه على خشب؛ أي: على أصول النخل في شاطىء النيل.

وأراد بالتقطيع والتصليب في الجذوع[2]: التمثيل بهم، ولما كان الجذع مقراً للمصلوب، واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف.. عُدّي الفعل بفي التي للوعاء، وقيل: ﴿فِي﴾: بمعنى على، وقيل: نقر فرعون الخشب، وصلبهم في داخله، فصار ظرفاً لهم حقيقةً، حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً، ومن تعدية صلب بفي قول الشاعر:

وَهُمْ صَلَبُوْا اْلْعَبْدِيَّ فِيْ جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلاَ عَطَسَتْ شَيْبَانُ إلاَّ بِأَجْدَعَا

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

وفرعون أول من صلب، وأقسم فرعون على ذلك، وهو فعل نفسه، وعلى فعل غيره، وهو قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ...﴾ إلخ، فإن قيل[١]: مع قرب عهده بانقلاب العصا حيةً، وقصدها ابتلاع قصره، واستغاثته بموسى من شرها، كيف يُعقل أن يهدد السحرة إلى هذا الحد، ويستهزىء بموسى؟

قلنا: يجوز أن يكون في أشد الخوف، ويُظهر الجلادة، تمشيةً لناموسه، وترويجاً لأمره، والاستقراء يوقفك على أمثاله. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾؛ أي: أيي وأيّ موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا﴾؛ أي: ولتعلمن جواب أينا أشد عذاباً؛ أي: هل أنا أشد عذاباً على إيمانكم به، أو موسى أشد عذاباً على ترك الإيمان به، ومراده بالأشد عذاباً نفسه ﴿وَأَبْقَىٰ﴾؛ أي: أدوم عذاباً، وموسى لم يكن في شيء من التعذيب، إلا أن فرعون ظن السحرة خافوا من قبل موسى على أنفسهم، حين رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم، فقال ما قال، وعلى ما سبق من «بحر العلوم» في ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ يكون المراد بـ﴿أَيُّنَآ﴾ نفسه ورب موسى؛ أي[٢]: ولتعلمن أنا أو إلٰه موسى أشد عذاباً وأبقى، وفي ذلك إيماء إلى اقتداره وقهره، وبيان ما ألفه وضري به من تعذيب الناس بأنواع العذاب، كما فيه تحقير لشأن موسى، واستضعاف له مع السخرية منه، ثم لما صال عليهم بذلك، وتوعدهم.. هانت عليهم أنفسهم في الله فـ﴿قالوا﴾؛ أي: السحرة، غير مكترثين بوعيده: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾؛ أي: لن نختارك بالإيمان والاتباع ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا﴾ من الله على يد موسى ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: من المعجزات الظاهرة، التي لا شبهة في حقيَّتها، كاليد والعصا، وكان من استدلالهم أنهم قالوا: لو كان هذا سحراً.. فأين حبالنا وعصينا، وقيل[٣]: إنهم أرادوا بالبينات ما رأوه من سجودهم من المنازل المعدة لهم في الجنة.

وفي هذا: إشارة إلى أن فرعون طلب منهم الرجوع عن الإيمان بموسى،

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) الشوكاني.

وإلا فعل بهم ما أوعدهم به، وإلى أن[1] القوم شاهدوا في رؤية الآيات أنوار الذات والصفات، فهان عليهم عظائم البليات، ومن آثر الله على الأشياء.. هان عليه ما يلقى في ذات الله، وقد قال بعض الكبار: ليخفف عنك ألم البلاء علمُك بأن الله هو المبتَلي.

والمعنى: أي قالوا لن نختار اتباعك، وكوننا من حزبك، وسلامتنا من عذابك على ما جاءنا من البينات، وهي: المعجزة التي أتتنا، وعلمنا صحتها، وفي قولهم هذا توهين له، واستصغار لما هددهم به، وعدم اكتراثٍ بقوله، وفي نسبة المجيء إليهم، وإن كانت البينات جاءت لهم ولغيرهم، لأنهم كانوا أعرف بالسحر من غيرهم، وقد علموا أن ما جاء به ليس بسحر، فكانوا على جلية من العلم بالمعجز، وغيرهم يقلدهم في ذلك، وأيضاً فكانوا هم الذين حصل لهم النفع بها، وكانت بيناتٍ واضحةً في حقهم.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾؛ أي: خلقنا وسائر المخلوقات، معطوف على ما جاءنا؛ أي: لن نختارك على ما جاءنا به موسى من البينات، وعلى عبادة الذي فطرنا وتأخيره لأن ما في ضمنه آية عقلية نظرية، وما شاهدوه آية حسية ظاهرة.

والحاصل: أنه لما لاحت لهم حجة الله في المعجزة.. بدؤوا بها، ثم ترقوا إلى القادر على خرق العادة، وهو الله تعالى، وذكروا وصف الاختراع، وهو قولهم: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ تبييناً لعجز فرعون، وتكذيبه في ادعاء ربوبيته وإلاهيته، وهو عاجز عن صرف ذبابة، فضلاً عن اختراعها، وقيل: الواو للقسم، وجوابه: محذوف لدلالة المذكور عليه؛ أي: وحق الذي فطرنا لا نؤثرك، ولا يكون ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ جواباً، لأنه لا يجاب في النفي بلن إلا في شاذ من الشعر، وقوله: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ جواب عن تهديده بقوله: ﴿لأقطعن﴾.. الخ؛ أي: فأصنع ما أنت صانعه، أو احكم فينا ما أنت فيه حاكم، من القطع والصلب، وفي «التأويلات النجمية»؛ أي: فاحكم وأجر علينا ما قضى الله لنا في الأزل من

(١) المراح.

الشهادة ما أنت قادر على الحكم علينا.

﴿إِنَّمَا تَقْضِى﴾ وتحكم ﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾؛ أي: إنما سلطانك علينا، ونفوذ أمرك فينا في هذه الحياة الدنيا، ولا سبيل لك علينا فيما بعدها، فاسم الإشارة في محل النصب على الظرفية، أو على المفعولية، و﴿ما﴾ كافة.

والمعنى[1]: أي لأنك إنما تحكم علينا في الدنيا فقط، وليس لك علينا سلطان في الآخرة، وأنت تجري على حكمك في الآخرة، وما لنا من رغبة في حلاوة الدنيا، ولا رهبة من عذابها، وقرأ[2] الجمهور: ﴿تَقْضِى﴾ مبنياً للفاعل، خطاباً لفرعون، وقرأ أبو حيوة، وابن أبي عبلة، ﴿تقضي﴾ مبنياً للمفعول ﴿هذه الحياة﴾ بالرفع اتسع في الظرف، فأُجري مجرى المفعول به، ثم بنىٰ الفعل لذلك، ورُفع به، كما تقول: صيم يوم الجمعة.

ولم يصرح في القرآن بأنه أنفذ فيهم وعيده، ولا أنه قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم على الجذوع، بل الظاهر أنه تعالى سلمهم منه، ويدل على ذلك قوله: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ وقيل: أنفذ فيهم وعيده، وصلبهم على الجذوع، ذكره أبو حيان في «البحر» ولكن[3] الراجح: أنه نفَّذ ذلك، كما يرشد إلى ذلك قول ابن عباس وغيره من السلف: أصبحوا سحرة وأمسوا شهداءَ بررةً ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا﴾ وصدقنا ﴿بـ﴾ـربوبية ﴿رَبِّنَا﴾ وألوهية خالقنا ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا﴾ ويستر عنا ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾ وذنوبنا من الكفر والمعاصي، ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة، لا ليمتعنا بتلك الحياة الفانية، حتى نتأثر بما وعدتنا به من القطع والصلب.

فائدة[4]: والمغفرة صيانة العبد عما استحقه من العقاب، للتجاوز عن ذنوبه، من الغفر، وهو إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس، والخطايا: جمع الخطية، والفرق بينها وبين السيئة: أن السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات، والخطية فيما يقصد بالعرض، لأنها من الخطأ، وقوله: ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراغي.
(٣) المراغي.
(٤) روح البيان.

﴿ٱلسِّحۡرِۗ﴾ عطف على خطايانا؛ أي: وليغفر لنا السحر الذي عملنا في معارضة موسى، رغبةً في خيرك، ورهبةً من شرك، بإكراهك وحشرك إيانا من المدائن القاصية، خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم، إظهاراً لغاية نفرتهم منه، ورغبتهم في مغفرته ﴿وَٱللَّهُ﴾ سبحانه ﴿خَيۡرٞ﴾ منك ثواباً إن أطعناه ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾؛ أي: أدوم منك عقاباً إن عصيناه؛ أي: خيره خير من خيرك، وعذابه أدوم من عذابك، قال الحسن: سبحان الله لقوم كفارهم أشد الكافرين كفراً ثبت في قلوبهم الإيمان طرفة عين، فلم يتعاظم عندهم أن قالوا: ﴿اقض ما أنت قاض﴾ في ذات الله تعالى، والله إن أحدهم اليوم ليصحب القرآن ستين عاماً، ثم إنه ليبيع دينه بثمن حقير.

ثم ختم السحرة كلامهم بشرح أحوال المجرمين، وأحوال المؤمنين يوم العرض والحساب، عظةً لفرعون، وتحذيراً له من نقمة الله وعذابه السرمدي، وترغيباً له في ثوابه الأبدي فقالوا: ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: الشأن والحال، وهو تعليل من جهتهم، لكونه تعالى خيراً وأبقى؛ أي: لأنه ﴿مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ﴾ يوم القيامة حالة كونه ﴿مُجۡرِمٗا﴾؛ أي: متلبساً بالكفر والمعاصي، متوغلاً في إجرامه، منهمكاً فيه، بأن يموت على الكفر والمعاصي، ولأنه مذكور في مقابلة المؤمن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾؛ أي: في جهنم، فينتهي عذابه ويستريح، وهذا تحقيق لكون عذابه أبقى ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ حياةً ينتفع بها.

والمعنى[1]: أي إن من يلق الله تعالى وهو مجرم بكفره ومعاصيه.. فإن له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه، ولا يحيا حياة طيبة ينتفع فيها بالنعيم المقيم، قال المبرد: لا يموت ميتةً مريحةً، ولا يحيا حياةً ممتعة، فهو يألم كما يألم الحي، ويبلغ به حالة الموت في المكروه، إلا أنه لا يعطل فيها عن إحساس الألم، والعرب تقول: فلان لا حي ولا ميت، إذا كان غير منتفع بحياته، كما قالت زوج صخر حين سئلت عنه وهو مريض: لا هو حي فيرجى، ولا ميت فينعىٰ ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ﴾ سبحانه وتعالى يوم القيامة حالة كونه ﴿مُؤۡمِنٗا﴾ به تعالى وبما

---

(١) المراغي.

جاء من عنده من المعجزات، التي من جملتها ما شاهدناه، وحالة كونه ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ التي جاءت به رسله، والصالحة كالحسنة، صفة جارية مجرى الاسم، ولذلك لا تذكر غالباً مع الموصوف، وهي ككل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿مَن﴾ والجمع باعتبار معناها؛ أي: فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات ﴿لَهُمُ﴾ بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ جمع العليا، تأنيث الأعلى؛ أي: المنازل الرفيعة في الجنة، وفيه[1] إشارة إلى الفرق بين أهل الإيمان المجرد، وبين الجامع بين الإيمان والعمل، حيث إن الدرجات العالية للثاني وغيرها لغيره.

والمعنى[2]: أي ومن لقي ربه مؤمناً به وبما جاء به رسوله من عنده من المعجزات، التي من جملتها ما رأيناه وشاهدناه، ثم عمل صالح الأعمال.. فهؤلاء لهم بسبب إيمانهم، وجليل أعمالهم، المنازل الرفيعة، والدرجات العالية.

وفي «الصحيحين»: «أن أهل عليين ليرون من فوقهم، كما ترون الكوكب العابر في أفق السماء، لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء قال: «بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» وفي «السنن» «أن أبا بكر وعمر لمنهم ونعما» ثم فسر تلك الدرجات العلىٰ بقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدل من الدرجات العلىٰ ﴿تَجْرِي﴾ وتسيل ﴿مِن تَحْتِهَا﴾؛ أي: من تحت أشجارها وقصورها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الأربعة: الماء، واللبن، والخمر، والعسل، حالة كونهم ﴿خَٰلِدِينَ﴾؛ أي: مقدرين الخلود ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الجنات، فهو حال من الضمير في لهم، والعامل: معنى الاستقرار، أو الإشارة ﴿وَذَٰلِكَ﴾؛ أي: المذكور من الثواب ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ وتطهر من دنس الكفر والمعاصي، بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة، وهذا لكون ثواب الله تعالى أبقى.

والجزاء[3]: ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر،

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

يقال: جزيته كذا بكذا، والفرق بين الأجر والجزاء: أن الأجر يقال فيما كان من عقد، وما يجري مجرىٰ العقد، ولا يقال إلا في النفع دون الضر، والجزاء يقال فيما كان من عقد ومن غير عقد، ويقال في النافع والضار.

والمعنى[1]: أي تلك الدرجات العلىٰ، هي جنات إقامة، تجري من تحت غرفها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، وذلك الفوز الذي أوتوه، جزاء لهم على طهارة أنفسهم من دنس الكفر، ومن تدسية أنفسهم بأوضار الذنوب والآثام، وعلى عبادتهم لله وحده، لا شريك له، واتباعهم للنبيين والمرسلين فيما جاؤوا به من عند ربهم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ شروع في بيان إنجاء بني إسرائيل، وإهلاك عدوهم، وقد تقدم في البقرة، وفي الأعراف، وفي يونس، و(اللام) في ﴿لقد﴾: موطئة للقسم وفي ذلك من التأكيد ما لا يخفى؛ أي: وعزتي وجلالي لقد أوحينا إلى موسى، بعد إجراء الآيات التسع في نحو عشرين سنة، كما في «الإرشاد» لكن يخالفه ما في بعض الروايات المشهورة، من أن موسى ـ عليه السلام ـ دعا ربه في حق فرعون وقومه، فاستجيب له، ولكن أثره بعد أربعين سنة، على ما قالوا عند قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾.

﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾؛ أي: سر بعبادي بني إسرائيل ليلاً، من أرض مصر إلى ساحل البحر، لئلا يعوقهم أعوان فرعون، فـ﴿أَنْ﴾: مفسرة بمعنى أي، أو مصدرية؛ أي: بـ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ والسري، والإسراء: سير الليل، وقرأ[2] نافع، وابن كثير: بكسر نون ﴿أَنِ﴾ وهمزة وصل.

وفي التعبير[3] عن بني إسرائيل ﴿بِعِبَادِى﴾ إظهار للعناية بأمرهم والرحمة، وتنبيه إلى قبح صنيع فرعون بهم، إذ هو قد استعبدهم، وفعل بهم من ضروب الظلم ما فعل، ولم يراقب فيهم مولاهم الحق.

---

(١) المراغي.

(٢) المراح.

(٣) المراغي.

﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾؛ أي: فأجعل لهم بالضرب بعصاك طريقاً في البحر يابساً، ليس فيه وحل ولا نداوة، من قولهم: ضرب له في ماله سهماً؛ أي: جعل له نصيباً، أو فاتخذ واعمل لهم في البحر طريقاً يابساً، من قولهم: ضرب اللبن: إذا عمله.

والطريق[1]: كل ما يطرقه طارق، معتاداً كان أو غير معتاد، قال الراغب: الطريق: السبيل الذي يطرق بالأرجل ويضرب، والبحر: كل مكان واسع جامع للماء الكثير، والمراد هنا: بحر القلزم، قال في «القاموس»: القلزم: هو بلد بين مصر ومكة، قرب جبل الطور، وإليه يضاف بحر القلزم، لأنه على طرفه، أو لأنه يبتلع من ركبه، لأن القلزمة: الابتلاع، ومعنى ﴿يبساً﴾: يابساً، وصف به الفاعل للمبالغة، وذلك أن الله تعالى، أيبس لهم تلك الطريق، حتى لم يكن فيها ماء ولا طين، واليبس: المكان الذي كان فيه ماء فذهب.

وقرأ الحسن وأبو المتوكل والنخعي[2]: ﴿يَبْسًا﴾ بسكون الباء، على أنه مخفف من يبساً المحرك، أو جمع يابس كصاحب وصحب، وصف به الواحد تأكيداً، وقرأ أبو حيوة، والشعبي، وأبو رجاء، وابن السميقع ﴿يابساً﴾ بألف اسم فاعل، قال أبو عبيدة: اليبس محرك الحروف، بمعنى اليابس، يقال: شاة يبس؛ أي: يابسة ليس لهم لبن، وقال ابن قتيبة: يقال لليابس: يَبَسٌ ويَبْسٌ.

وقوله: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ حال مقدرة من المأمور؛ أي: من موسى، والدرك: محركةً اسم من الإدراك، كالدرك بالسكون، والدرك: اللحاق بهم من فرعون وجنوده؛ والمعنى: فاجعل لهم طريقاً في البحر يبساً، حالة كونك آمناً لا تخاف من أن يدرككم العدو ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ الغرق.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ بالألف والرفع، وهي أرجح، لعدم الجزم في ﴿تخشى﴾، ويجوز أن تكون هذه الجملة على قراءة الجمهور صفةً أخرى

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط وزاد المسير.
(٣) البحر المحيط.

لـ﴿طَرِيقًا﴾ مع حذف العائد؛ أي: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ فيه، وقرأ الأعمش، وحمزة، وابن أبي ليلى: ﴿لا تخف﴾ بالجزم على جواب الأمر، أو على نهيٍ مستأنفٍ، قاله الزجاج، وقرأ أبو حيوة، وطلحة، والأعمش: ﴿دركاً﴾ بسكون الراء، والجمهور: بفتحها، والدرك والدرك: اسمان من الإدراك؛ أي: لا يدركك فرعون وجنوده، ولا يلحقونك ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ أنت ولا قومك غرقاً، وعطفه على قراءة الجمهور على ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ ظاهر، وأما على قراءة الجزم، فخرج على أن الألف جيء بها لأجل أواخر الآي فاصلةً، نحو قوله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ أو على أنه إخبار مستأنف؛ أي: وأنت ﴿لا تخشى﴾ أو على أنه مجزوم بحذف الحركة المقدرة على لغة من قال: ألم يأتيك، وهي لغة قليلة، وقال الشاعر:

إِذَا ٱلْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ وَلاَ تَرَضَّاهَا وَلاَ تُمَلِّقِ

وحاصل معنى الآية: أي[1] ولقد أوحينا إلى رسولنا موسى، حين تابعنا له الحجج على فرعون، فأبى أن يستجيب لأمر ربه، وتمادى في طغيانه، بـ﴿أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي﴾ الذين أرسلتك لإنقاذهم من هذا الطاغية، واخرج بهم من مصر، فاتخذ لهم طريقاً يابساً في البحر، ولا تخف من فرعون وقومه أن يدركوك، ولا تخشى أن يغرقك البحر.

و﴿الفاء﴾ في قوله: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾: عاطفة على محذوف تقديره: ففعل موسى ما أمر به من الإسراء بهم، وضرب الطريق وسلوكه، فتبعهم فرعون حالة كونه مصاحباً بجنوده وأعوانه، حتى لحقوهم وقت إشراق الشمس، وهو إضاءتها، يقال: أتبعهم؛ أي: تبعهم، وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقتهم، فالفرق بين تبعه وأتبعه، أن يقال: أتبعه إتباعاً، إذا طلب الثاني اللحوق بالأول، وتبعه تبعاً، إذا مر به، ومضى معه.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ﴾ بسكون التاء، وأتبع: قد يكون بمعنى تبع فيتعدى إلى واحد، وقال الزجاج: تبع الرجل الشيء وأتبعه، بمعنى واحد .اهـ

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

وقرأ أبو عمرو في رواية، والحسن: ﴿فأتبعهم﴾، بتشديد التاء، وكذا عن الحسن في جميع ما في القرآن إلا ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وفي[1] قراءة من قرأ بالتشديد، دليل على أنه اتبعهم ومعه الجنود، ومن قرأ: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ فمعناه: ألحق جنوده بهم، وجائز أن يكون معهم على هذا اللفظ، وجائز أن لا يكون، إلا أنه قد كان معهم، وقال الزجاج: وقرىء: ﴿وجنوده﴾ عطفاً على فرعون، روي أن موسى خرج بهم أول الليل، وكانوا ستمائة وسبعين ألفاً، فأخبر فرعون بذلك فأتبعهم بعساكره، وكانت مقدمته سبع مئة ألف، فقص أثرهم فلحقهم، بحيث تراءىٰ الجمعان، فعند ذلك ضرب موسى ـ عليه السلام ـ بعصاه البحر، فانفلق على اثني عشر فرقاً، كل فرق كالطود العظيم، وبقي الماء قائماً بين الطرق، وعبر موسى بمن معه من الأسباط سالمين، وتبعهم فرعون بجنوده ﴿فَغَشِيَهُم﴾؛ أي: سترهم وعلاهم ﴿مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: من بحر القلزم ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ وسترهم؛ أي: الموج الهائل، الذي لا يعلم كنهه إلا الله، والتكرير للتعظيم والتهويل، كما في قوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾﴾.

والظاهر[2]: أن الضمير في ﴿غَشِيَهُمْ﴾ في الموضعين: عائد على فرعون وجنوده، وقيل: الأول على فرعون وقومه، والثاني على موسى وقومه، وفي الكلام حذف على هذا القول، تقديره: فنجا موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، وقرأ الجمهور[3] ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ على وزن فعل مجرد من الزيادة، وقرأت فرقة، منهم الأعمش ﴿فغشاهم من اليم ما غشيهم﴾ بتضعيف العين، فالفاعل في القراءة الأولى: ﴿مَآ﴾ وفي الثانية الفاعل الله؛ أي: فغشاهم الله، قال الزمخشري: أو فرعون، لأنه الذي ورط جنوده، وتسبب لهلاكهم، وقال: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة؛ أي: غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾؛ أي: سلك بهم مسلكاً أداهم إلى الخيبة والخسران، في الدين والدنيا معاً، حيث ماتوا

---

(١) زاد المسير.
(٢) البحر المحيط.
(٣) البحر المحيط.

على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الأخروي ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾؛ أي: وما أرشدهم قط إلى طريق موصل إلى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية، وهو[1] تقرير لإضلاله، وتأكيد له، إذ: رب مضل قد يرشد من يضله إلى بعض مطالبه، وفيه نوع تهكم، فإن نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن تتصور منه الهداية في الجملة، وذلك إنما يتصور في حقه بطريق التهكم. أو المعنى؛ أي: أضلهم عن الرشد وما هداهم إلى طريق النجاة، لأنه قدر أن موسى ومن معه لا يفوتونه، لكونهم بين يديه، يمشون في طريق يابسة، وبين أيديهم البحر.

ثم شرع سبحانه يعدد نعمه على بني إسرائيل، فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: وقلنا لهم بعد إغراق فرعون وقومه، وإنجائهم منهم: يا أولاد يعقوب ﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون وقومه، حيث كانوا يذبحون أبناءكم، ويستحيون نساءكم، ويستخدمونكم في الأعمال الشاقة، وذلك بإغراقه وإغراق قومه في البحر، بمرأى من بني إسرائيل، كما قال: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ والعدو: يجيء بمعنى الوحدة، وبمعنى الجماعة ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾ بوساطة نبيكم موسى - عليه السلام - ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾؛ أي: إتيان جانبه الأيمن، نظراً إلى السالك من مصر إلى الشام، وإلا فليس للجبل يمين ولا يسار، والمراد: يمين الشخص، فإذا قيل: خذ عن يمين الجبل، معناه: عن يمينك من الجبل؛ أي: واعدناكم إتيان موسى للمناجاة، وإنزال التوراة عليه، ونسبة المواعدة إليهم مع كونها لموسى نظراً إلى ملابستها إياهم، وسراية منفعتها إليهم، قال النحاس: والمعنى أمرنا موسى أن يأمركم بالخروج معه، لنكلمه بحضرتكم، فتسمعوا الكلام، وقيل: وعد موسى بعد إغراق فرعون أن يأتي جانب الطور، فالوعد كان لموسى، وإنما خوطبوا به لأن الوعد كان لأجلهم، وانتصاب[2] ﴿جَانِبَ﴾ على أنه مفعول به، لا على الظرفية، لأنه مكان معين غير مبهم، وإما تنتصب الأمكنة على الظرفية إذا كانت مبهمة، قال مكي: وهذا أصل لا خلاف فيه، وقرأ أبو عمرو، وأبو جعفر،

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

ويعقوب: ﴿ووعدناكم﴾ بغير ألف واختاره أبو عبيدة، لأن الوعد، إنما هو من الله لموسى خاصةً، والمواعدة: لا تكون إلا من اثنين، وقرأ[1] حمزة، والكسائي، وطلحة: ﴿قد أنجيتكم﴾ ﴿وواعدتكم﴾ ﴿ما رزقتكم﴾ بتاء الضمير، وباقي السبعة: بنون العظمة، وقرأ حميد ﴿نجيناكم﴾ بتشديد الجيم من غير ألف قبلها، وبنون العظمة و﴿ٱلْأَيْمَنَ﴾: منصوب على أنه صفة للجانب وقرىء بجر ﴿الأيمنِ﴾ على أنه صفة للمضاف إليه.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ في التيه ﴿ٱلْمَنَّ﴾ وهو: شيء حلو أبيض مثل الثلج، كان ينزل على الشجر كالطل، من الفجر إلى طلوع الشمس، لكل إنسان صاع، يقال له: الترنجبين، معرب كرنكبين ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ وهو: طائر يقال له: السماني، يبعثه عليهم ريح الجنوب، فيذبح الرجل منهم ما يكفيه، والتيه. المذكور آنفاً: المفازة التي يُتَاه فيها، وذلك حين أمروا بأن يدخلوا مدينة الجبارين فأبوا ذلك، فعاقبهم الله بأن يتيهوا في الأرض أربعين سنة، كما مر في سورة المائدة، ومثل[2] ذلك كمثل الوالد المشفق، يضرب ولده العاصي ليتأدب، وهو لا يقطع عنه إحسانه، فقد ابتلوا بالتيه، ورزقوا بما لا تعب فيه.

وقلنا لكم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾؛ أي: من لذائذ ما رزقناكم أو حلالاته، قال الراغب: أصل الطيِّب ما تستلذه الحواس والنفس، والطعام الطيب في الشرع: ما كان متناولاً من حيث ما يجوز، وبقدر ما يجوز، ومن المكان الذي يجوز، فإنه متىٰ كان كذلك كان طيباً عاجلاً وآجلاً لا يستوخم، وإلا فإنه وإن كان طيباً عاجلاً لم يطب آجلاً.

﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾؛ أي: ولا تتجاوزوا الحد ﴿فِيهِ﴾؛ أي: فيما رزقناكم بالإخلال بشكره، وبالسرف والبطر، والمنع من المستحق، والادخار منه لأكثر من يوم وليلة، قال ابن عباس: لا يظلم بعضكم بعضاً فيأخذه من صاحبه، يعني: بغير حق ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ جواب للنهي، أي: فيلزمكم عقوبتي، وتجب

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

لكم، من حَل الدَّين يحل بالكسر: إذا وجب أداؤه، وأما يحُل بالضم: فهو بمعنى الحلول؛ أي: النزول، والغضب ثوران دم القلب عند إرادة الانتقام، وإذا وصف الله تعالى به، فالمراد: الانتقام دون غيره، والقول الأسلم الذي عليه السلف أن يقال: إن غضب الله سبحانه صفة ثابتة له، نعتقدها ولا نعطلها، أثرها الانتقام ممن استحقه؛ أي: ولا تطغوا في رزقي بالإخلال بشكره، وتعدي حدودي فيه، بالسرف والبطر، والاستعانة به على المعاصي، ومنع الحقوق الواجبة فيه، فينزل عليكم غضبي، وتجب عليكم عقوبتي.

والظاهر[1]: أن الخطاب لمن نجا مع موسى بعد إغراق فرعون، وقيل: لمعاصري الرسول ﷺ اعتراضاً في أثناء قصة موسى، توبيخاً لهم، إذ لم يصبر سلفهم على أداء شكر نعم الله، فهو على حذف مضاف؛ أي: أنجينا آباءكم من تعذيب آل فرعون، وخاطب الجميع بـ﴿واعدناكم﴾ وإن كان الموعودون هم السبعين الذين اختارهم موسى ـ عليه السلام ـ لسماع كلام الله، لأن سماع أولئك السبعين تعود منفعته على جميعهم، إذ به تطمئن قلوبهم وتسكن. وقرأ زيد بن علي ﴿ولا تطغوا﴾ بضم الغين ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى﴾؛ أي: ومن ينزل عليه غضبي.. ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾؛ أي: شقي وهلك، وتردى وسقط في الهلاك الأبدي، وأصله: أن يسقط من جبل فيهلك؛ أي: صار إلى الهاوية، وسقط فيها، ومن بلاغات الزمخشري: من أرسل نفسه مع الهوى فقد هوى في أبعد الهوى.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿فَيَحِلَّ﴾ بكسر الحاء ﴿وَمَن يَحْلِلْ﴾ بكسر اللام؛ أي: فيجب ويلحق، وقرأ الكسائي: بضم الحاء في ﴿يحل﴾ وضم اللام في ﴿يحلل﴾؛ أي: ينزل، وهي قراءة قتادة، وأبي حيوة، والأعمش، وطلحة، ووافق ابن عيينة في ﴿يحلل﴾ فضم اللام، قال[3] الفراء: والكسر أحب إلي، لأن الضم من الحلول، ومعناه: الوقوع، ويحل بالكسر: يجب، وجاء التفسير بالوجوب لا

---

(١) البحر المحيط.

(٢) البحر المحيط.

(٣) زاد المسير.

بالوقوع، وفي «الإقناع» لأبي علي الأهوازي: ما نصه: قرأ ابن غزوان عن طلحة: ﴿لا يحلن عليكم غضبي﴾ بلام ونون مشددة، وفتح اللام وكسر الحاء، وفي «كتاب اللوامح» قرأ قتادة، وعبد الله بن مسلم بن يسار، وابن وثاب، والأعمش: ﴿فيحل﴾ بضم الياء وكسر الحاء من الإحلال، فهو متعد من حل بنفسه، والفاعل فيه: مقدر ترك لشهرته، تقديره: فيحل طغيانكم فيه غضبي عليكم ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾؛ أي: لستار الذنوب ﴿لِّمَن تَابَ﴾؛ أي: من الشرك والمعاصي، التي من جملتها الطغيان فيما ذكر.

فائدة: قال في «المفاتيح شرح المصابيح»[1]: الفرق بين الغفور والغفار، أن الغفور: كثير المغفرة، وهي: صيانة العبد عما استحقه من العقاب، للتجاوز عن ذنوبه، من الغفر وهو: إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس، ولعل الغفار أبلغ منه، لزيادة بنائه، وقيل: الفرق بينه وبين الغفار، أن المبالغة فيه من جهة الكيفية، وفي الغفار: باعتبار الكمية. انتهى.

﴿وَءَامَنَ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿وَعَمِلَ﴾ عملاً ﴿صَٰلِحًا﴾ مما ندب إليه الشرع وحسنه، وفيه[2]: ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر، وحث على التوبة والإيمان ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾؛ أي: استقام على الهدى، ولزمه حتى مات، وهو إشارة إلى أن من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران، وقيل[3]: لم يشك في إيمانه، وقيل: أقام على السنة والجماعة، وقيل: تعلم العلم ليهتدى به، وقيل: علم أن لذلك ثواباً وعلى تركه عقاباً، والأول أرجح مما بعدهُ ﴿ثُمَّ﴾[4] للتراخي الرتبي، قال في «بحر العلوم»: ثم: لتراخي الاستقامة على الخير، عن الخير نفسه، وفضلها عليه، لأنها أعلى منه وأجلُّ، لأن الشأن كله فيها، وهي مزلة أقدام الرجال، قال ابن عطاء ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾؛ أي: رجع من طريق

---

(١) المفاتيح.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.
(٤) روح البيان.

المخالفة إلى طريق الموافقة، وصدق موعود الله فيه، واتبع السنة ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾؛ أي: أقام على ذلك لا يطلب سواه مسلكاً وطريقاً.

ولما نهض[1] موسى - عليه السلام - ببني إسرائيل، إلى جانب الطور الأيمن، حيث كان الموعد أن يكلم الله موسى بما فيه شرف العاجل والآجل.. رأى على وجه الاجتهاد أن يقدم وحده، مبادراً إلى أمر الله، وحرصاً على القرب منه، وشوقاً إلى مناجاته، واستخلف هارون على بني إسرائيل، وقال لهم موسى: تسيرون إلى جانب الطور، فلما انتهى موسى - عليه السلام - وناجى ربه.. زاده في الأجل عشراً، وحينئذ وقفه على استعجاله دون القوم ليخبره موسى أنهم على الأثر، فيقع الإعلام له بما صنعوا، فقال: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾؛ أي[2]: وقلنا له: أي شيء حملك على العجلة، وأوجب سبقك منفرداً عن قومك؟ وهم النقباء السبعون المختارون للخروج معه إلى الطور، وذلك أنه سبقهم شوقاً إلى ميعاد الله، وأمرهم أن يتبعوه، قال في «العرائس»: ضاق صدر موسى من معاشرة الخلق، وتذكر أيام وصال الحق، فعلَّة العجلة: الشوق إلى لقاء الله تعالى، و﴿مَآ﴾ للاستفهام الإنكاري مبتدأ، وجملة ﴿أَعۡجَلَكَ﴾ خبره.

وهو[3] سؤال عن سبب العجلة، يتضمن إنكارها، من حيث إنها نقيصة في نفسها، انضم إليها إغفال القوم، وإيهام التعظيم عليهم، فلذلك أجاب موسى عن الأمرين، وقدم جواب الإنكار لأنه أهم؛ أي: وما حملك على العجلة عن قومك ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿هُمۡ﴾؛ أي: قومي ﴿أُوْلَآءِ﴾؛ أي: قريبون مني يأتون ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾؛ أي: من بعدي يلحقون بي، وليس بيني وبينهم إلا مسافة يسيرة، لا يعتد بها، يتقدم بها بعض الرفقة على بعض، ثم أعقبه بجواب السؤال فقال: ﴿وَعَجِلۡتُ﴾؛ أي: وسارعت ﴿إِلَيۡكَ﴾؛ أي: إلى الموعد الذي واعدت بسبقي إياهم ﴿رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ عني؛ أي: لتزداد رضاً عني، فإن المسارعة إلى امتثال أمرك، والوفاء

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.
(٣) البيضاوي.

بعهدك، توجب مرضاتك، وهذا[1] دليل على جواز الاجتهاد. ومعنى ﴿عجلت إليك﴾: عجلت إلى الموضع الذي أمرتني بالمصير إليه، لترضىٰ عني، يقال: رجل عجل وعجول وعجلان: بَيِّنُ العجلة، والعجلة: خلاف البطء.

قال أبو حاتم[2]: قال عيسى بن عمر: بنو تميم يقولون ﴿أولا﴾ مقصورةً وأهل الحجاز يقولون ﴿أولاء﴾ ممدودةً.

وقرأ الحسن وابن معاذ عن أبيه[3]: ﴿أولائي﴾ بياءٍ مكسورةٍ، وابن وثاب، وعيسى في رواية: ﴿أولا﴾ بالقصر وقرأت فرقة: ﴿أولاي﴾ بياء مفتوحة، وقرأ عيسى، ويعقوب، وعبد الوارث عن أبي عمرو، وزيد بن علي ﴿على إثري﴾ بكسر الهمزة وسكون الثاء، وحكى الكسائي ﴿أثري﴾ بضم الهمزة وسكون الثاء، وتروى عن عيسى، وقرأ الجمهور ﴿أُوْلَآءِ﴾ بالمد والهمز ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ بفتح الهمز والثاء.

والمعنى: أي[4] قال موسى مجيباً ربه: هم أولاء بالقرب مني آتون على أثري، وما تقدمتهم إلا بخطاً يسيرةٍ لا يعتد بها، وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة، يتقدم بها بعض الرفقة على بعض، وعجلت إلى موعدك رب لتزداد عني رضاً بالمسارعة إلى امتثال أمرك، والوفاء بعهدك.

وخلاصة معذرته[5]: إني اجتهدت أن أتقدم قومي بخطا يسيرة، ظناً مني أن مثل ذلك لا ينكر، فأخطأت في اجتهادي، وقد حملني على ذلك طلب الزيادة في مرضاتك، وكأنه ـ عليه السلام ـ يقول: إنما أغفلت هذا الأمر مبادرةً إلى رضاك، ومسارعةً إلى الميعاد، والموعود بما يسر يود لو ركب أجنحة الطير، ليحظىٰ بما يبتغي ويريد.

---

(١) النسفي.

(٢) الشوكاني.

(٣) البحر المحيط.

(٤) المراغي.

(٥) المراغي.

وجملة قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾: مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا قال الله له؟ فقيل: قال الله سبحانه له: فإنا قد فتنا وابتلينا واختبرنا قومك بعبادة العجل، وأوقعناهم في فتنة عبادته من بعد ذهابك من بينهم، وانطلاقك من عندهم، وهم الذين خلفهم موسى مع هارون على ساحل البحر، وكانوا ست مئة ألف، ما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً، قال ابن الأنباري: صيرناهم مفتونين أشقياء بعبادة العجل، من بعد انطلاقك من بينهم، وهم الذين خلفهم مع هارون .اهـ وهذه الفتنة، وقعت لهم بعد خروج موسى بعشرين يوماً ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ حيث كان هو المدبر في الفتنة والداعي إلى عبادة العجل؛ أي: دعاهم إلى الضلالة باتخاذ العجل، وكان[1] من قوم يعبدون البقر، فدخل في دين بني إسرائيل في الظاهر، وفي قلبه ما فيه من عبادة العجل، وكان من قبيلة تسمى بالسامرة، وقال لمن معه من بني إسرائيل: إنما تخلىٰ موسى عن الميعاد الذي بينكم وبينه، لما صار معكم من الحلي، وهي حرام عليكم، وأمرهم بإلقائها في النار، فكان من أمر العجل ما كان.

قال في «الأسئلة المحقمة»: أضاف الإضلال إلى السامري، لأنه كان حصل بتقريره ودعوته، وأضاف الفتنة إلى نفسه، لحصولها بفعله وقدرته وإرادته وخلقه، وعلى هذا أبداً إضافة الأشياء إلى أسبابها ومسبباتها. انتهى. وإخباره[2] تعالى بوقوع هذه الفتنة، عند قدومه ـ عليه السلام ـ إما باعتبار تحققها في علمه ومشيئته تعالى، وإما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع، أو لأن السامري قد عزم على إيقاع الفتنة عند ذهاب موسى، وتصدىٰ لترتيب مباديها، فكانت الفتنة واقعة عند الإخبار.

والسامري: رجل من عظماء بني إسرائيل، منسوب إلى قبيلة السامرة منهم، أو علجٌ من أهل كرمان، من قوم يعبدون البقر، وحين دخل ديار بني إسرائيل أسلم معهم وفي قلبه حب عبادة البقر، فابتلى الله بني إسرائيل، فكشف له عن

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

بصره، فرأى أثر فرس الحياة لجبريل، ويقال له: حيزوم، وأخذ من ترابه وألقاه - بوحي الشيطان - في الحلي المذابة، كما سيأتي.

وكان[1] السامري قد رباه جبريل، فكان يغذيه من أصابعه الثلاثة، فيخرج له من أحدها لبن، ومن الأخرىٰ سمن، ومن الأخرىٰ عسل، قيل اسمه موسى بن ظفر، وقيل: منجا، وهو ابن خالة موسى، أو ابن عمه، وذلك لأن فرعون لما شرع في ذبح الولدان، كانت المرأة من بني إسرائيل تأخذ ولدها وتلقيه في حفيرة، أو كهف من جبل، أو غير ذلك، وكانت الملائكة تتعهد هذه الأطفال بالتربية، حتى يكبروا فيدخلوا بين الناس.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿وَأَضَلَّهُمُ﴾ فعلاً ماضياً، وقرأ أبو معاذ، وفرقة ﴿وأضلهم﴾ برفع اللام مبتدأ و﴿ٱلسَّامِرِيُّ﴾ خبره وكان أشدهم ضلالاً، لأنه ضال في نفسه، مضل غيره.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من الميعاد ﴿إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ بعدما استوفى الأربعين، ذا القعدة وعشر ذي الحجة، وأخذ الألواح المكتوب فيها التوراة، وكانت ألف سورة، كل سورة ألف آية، يحمل أسفارها سبعون جملاً، حالة كونه ﴿غَضۡبَٰنَ﴾؛ أي: شديد الغضب على قومه، وحالة كونه ﴿أَسِفٗاۚ﴾؛ أي: حزيناً بما فعلوا، روي أنه لما رجع موسى.. سمع الصياح، وكانوا يرقصون حول العجل، فقال للسبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفتنة.

والمعنى: فانصرف موسى إلى قومه بني إسرائيل، بعد انقضاء الليالي الأربعين، مغتاظاً من قومه، حزيناً لما أحدثوا من بعده من الكفر بالله.

﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ بأن يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى، والاستفهام هنا تقريري خلافاً لما قاله بعضهم من أنه إنكاري، فإنه غير صواب؛ أي: وعدكم وعداً صادقاً، بحيث لا سبيل لكم إلى إنكاره، فقد وعدكم بإنزال الكتاب الهادي إلى الشرائع والأحكام، ووعدكم

---

(١) المراح. (٢) روح البيان.

الثواب العظيم في الآخرة بقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ ووعدكم أنكم ستملكون أرض الجبارين ودياهم.

قال في «بحر العلوم» ﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾؛ أي: متناهياً في الحسن، فإنه تعالى وعدهم أن يعطيهم التوراة، التي فيها هدىً ونور، ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل.

وفيه إشارة[1] إلى أن الله تعالى إذا وعد قوماً.. لا بد له من الوفاء بالوعد، فيحتمل أن يكون ذلك الوفاء فتنة للقوم، وبلاءً لهم، كما كان لقوم موسى، إذ وعدهم الله بإيتاء التوراة، ومكالمته موسى وقومه السعبين المختارين، فلما وفىٰ به.. تولدت لهم الفتنة والبلاء من وفائه، وهي الضلال وعبادة العجل، ولكن الوعد لما كان موصوفاً بالحسن.. كان البلاء الحاصل من الوعد الحسن بلاءً حسناً، وكان عاقبة أمرهم التوبة والنجاة، ورفعة الدرجات.

و﴿الهمزة﴾ في قوله: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ للاستفهام الإنكاري: داخلة على محذوف و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أوعدكم وعداً حسناً، فطال عليكم زمان إنجاز العهد، فأخطأتم بسببه ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ﴾ وقصدتم ﴿أَن يَحِلَّ﴾ وينزل ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ﴾؛ أي: عذاب عظيم، وانتقام شديد، كائن ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: من مالك أمركم على الإطلاق، بسبب عبادة ما هو مثل في الغباوة والبلادة؛ أي: أم أردتم أن تفعلوا فعلاً يكون سبب حلول غضب الله عليكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾؛ أي: وعدكم إياي بالثبات على ما أمرتكم به إلى أن أرجع من الميقات، على إضافة المصدر إلى مفعوله، و(الفاء) لترتيب ما بعدها على كل واحد، من شقَّي الترديدِ على سبيل البدل، كأنه قيل: أنسيتم الوعد بطول العهد، فأخلفتموه خطأً، أم أردتم حلول الغضب عليكم، فأخلفتموه عمداً.

لأنهم وعدوه أن يقيموا على طاعة الله عز وجل إلى أن يرجع إليهم من الطور، وقيل: وعدوه أن يأتوا على أثره إلى الميقات، فتوقفوا، فأجابوه و﴿قَالُوا۟

---

(١) روح البيان.

﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾؛ أي: وعدنا إياك الثبات على ما أمرتنا به ﴿بِمَلْكِنَا﴾؛ أي: بقدرتنا واختيارنا.

لكن غلبنا من كيد السامري وتسويله، وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة.. لم يملك نفسه، ويكون مغلوباً، والملك: القدرة.

والمعنى[١]: أي قالوا: ما أخلفنا عهدك بالثبات على دينك، إلا لأنا لم نملك أمرنا، فلو خلينا وأنفسنا، ولم يسول لنا السامري ما سوله.. لما أخلفنا، وفي هذا إيماء إلى أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ، وأنهم لم يطيقوا حمل أنفسهم على الصواب، ومن ثم وقعوا فيما وقعوا فيه من الفتنة.

وقصارى كلامهم: أن السامري سول لنا ما سول، وغلب على عقولنا فخالفنا عهدك، وقرأ الأخوان[٢]: الكسائي وحمزة، والحسن، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلىٰ، وقعنب: ﴿بمُلْكِنا﴾ بضم الميم، وقرأ زيد بن علي، ونافع، وعاصم، وأبو جعفر، وشيبة، وابن سعدان: بفتحها وباقي السبعة: بكسرها، وقرأ عمر ـ رضي الله عنه ـ: ﴿بِمَلَكِنَا﴾ بفتح الميم واللام، وحقيقته: بسلطاننا، فالملك والملك، بمنزلة النَّقَض والنَّقْض، والظاهر: أنها لغات، والمعنى واحد.

وفرق أبو علي، وغيره بين معانيها، فمعنى الملك بالضم: السلطان والقدرة؛ أي: إنه لم يكن لنا ملك فتخلف موعدك بسلطانه، وإنما أخلفناه بنظر أدى إليه ما فعل السامري، والملك بالفتح: المصدر، يقال: ملكت الشيء أملكه ملكاً، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأنا ملكنا الصواب، ولا وقفنا له، بل غلبتنا أنفسنا، والملك بالكسر: ما حوته اليد، وكثر استعماله فيما تحوزه اليد، ولكنه يستعمل في الأمور التي يبرمها الإنسان، ومعناها: كمعنىٰ التي قبلها، والمصدر: في هذين الوجهين: مضاف إلى الفاعل، والمفعول: مقدر؛ أي: بملكنا الصواب

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

وقال الزمخشري؛ أي: ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا؛ أي: لو ملكنا أمرنا، وخلينا ورأينا.. ما أخلفناه، ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده.

واختلف فيمن قال هذا لموسى على قولين[1]:

أحدهما: أنهم الذين لم يعبدوا العجل.

والثاني: عابدوه. ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾؛ أي: ولكنا أمرنا أن نحمل ﴿أَوْزَارًا﴾ وأحمالاً ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾؛ أي: من حلي القوم القبطيين، التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس، وفي الواقع: ليس للعرس؛ أي أمرنا موسى باستعارتها من آل فرعون، والخروج بها، وأوهموهم أنهم يجتمعون في عيد لهم، أو وليمة، والأوزار: الأثقال أو الآثام، سمي به ما استعاروه من القبط لثقله، أو لسبب أنهم أثموا في ذلك باتخاذها عجلاً، أو بعدم ردهم العارية إلى أصحابها، وقيل: الأوزار: هو ما أخذوه من آل فرعون لما قذفهم البحر إلى الساحل، وسميت أوزاراً؛ أي: آثاماً، لأنه لا يحل لهم أخذها، ولا تحل لهم الغنائم في شريعتهم وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ورويس، وشيبة، وحميد، ويعقوب: ﴿حُمِّلْنَآ﴾ بضم الحاء وكسر الميم المشددة، وقرأ أبو رجاء: ﴿حملنا﴾ بضم الحاء وكسر الميم المخففة، وقرأ الأخوان: الكسائي، وحمزة، وأبو عمرو، وابن محيصن ﴿حملنا﴾ بفتح الحاء والميم مخففة، واختار هذه القراءة أبو عبيد، وأبو حاتم، لأنهم حملوا حلية القوم معهم باختيارهم، وما حملوها كرهاً ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾؛ أي: فطرحنا تلك الزينة والحلي في النار، أو في [2] الحفيرة، أوقدت فيها النار طلباً للخلاص من إثمها، وكان أشار عليهم بذلك السامري، فحفرت حفرة وسجرت فيها النار، وقذف كل من معه شيء ما عنده من ذلك في النار، وقذف السامري ما معه فيها، وقيل: المعنى طرحناها إلى السامري لتبقى لديه حتى يرجع موسى فيرىٰ في رأيه.

---

(١) زاد المسير.

(٢) البحر المحيط.

﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ما عنده من الحلي في النار، ومعنى ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل[1] قذفنا إياها ألقىٰ السامري ما كان معه في النار، أراهم أنه يُلقي حلياً في يده مثل ما ألقوا، وإنما ألقى التربة التي أخذها من موطىء حيزوم - فرس جبريل عليه السلام - أوحى إليه وليه الشيطان أنها إذا خالطت مواتاً صار حيواناً ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾؛ أي: للقائلين، السامريُّ من الحفيرة ﴿عِجْلًا﴾؛ أي: تبيعاً خلقه الله تعالى من الحلي، التي سبكتها النار، والعجل: ولد البقرة ﴿جَسَدًا﴾ بدل من عجلاً؛ أي: جثةً ذا دم ولحم وعظم، أو جسداً من ذهب لا روح له، ولا امتناع في ظهور الخارق على يد الضال ﴿لَّهُۥ﴾؛ أي: لذلك العجل ﴿خُوَارٌ﴾؛ أي: صياح نعت ﴿عِجْلًا﴾ يقال: خار العجل يخور خواراً: إذا صاح؛ أي: له صوت العجاجيل، فسجدوا له، وقيل: خواره كان بالريح، لأنه كان عمل فيه خروقاً، فإذا دخلت الريح في جوفه.. خار، ولم يكن فيه حياة ﴿فَقَالُوا۟﴾؛ أي: قال السامري ومن وافقه أول ما رأوا لمن توقف من بني إسرائيل ﴿هَٰذَآ﴾ العجل ﴿إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾؛ أي: فضَّل[2] موسى وأخطأ، ولم يعلم مكان إلٰهه هذا، وذهب يطلبه في الطور، وقيل: المعنى: فنسي موسى أن يذكر لكم أن هذا إلٰهه وإلٰهكم، وقيل: الناسي هو السامري؛ أي: ترك السامري ما أمر به موسى من الإيمان وضل، كذا قال ابن الأعرابي، وقيل: فنسي السامري أن العجل لا يرجع إليهم قولاً، ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً.

﴿الهمزة﴾ في قوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ للاستفهام التوبيخي: داخلة على محذوف معلوم من السياق (الفاء) عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألا يتفكرون فلا يرون ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿لا يرجع﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ ولا كلاماً ولا جواباً؛ أي: ألا يتفكر السامري وأصحابه، فلا يعلمون أن العجل لا يرجع إليهم قولاً من الأقوال، وقرأ الجمهور: برفع ﴿يَرْجِعُ﴾ وقرأ أبو حيوة ﴿أن لا يرجع﴾ بنصب العين، ووافقه على ذلك الزعفراني، وابن صبيح، وأبان،

---

(١) البحر المحيط.

(٢) الشوكاني.

والشافعي محمد بن إدريس الإمام المطلبي، جعلوها ﴿أَنْ﴾ الناصبة للمضارع، وتكون الرؤية من الإبصار؛ أي: ألا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه إليهم قولاً من الأقوال، فقوله[1] ﴿يَرْجِعُ﴾: من الرجع المتعدي بمعنى الإعادة، لا من الرجوع اللازم بمعنى العود، والمعنىٰ؛ أي: أفلا يعتبرون ويتفكرون في أن هذا العجل لا يرجع إليهم قولاً؛ أي: لا يرد عليهم جواباً، ولا يكلمهم إذا كلموه، فكيف يتوهمون أنه إلٰه، وهو عاجز عن المكالمة.

وجملة قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ العجل ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: لعابديه ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ معطوفة[2] على جملة: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ﴾؛ أي: أفلا يرون أنه لا يقدر على أن يدفع عنهم ضراً، ولا يجلب لهم نفعاً، فيخافوه كما يخافون فرعون، ويرجون منه كما يرجون من فرعون، فكيف يقولون ذلك، وفي الكلام[3] توبيخ لهم، إذ عبدوا ما لا يملك ضراً من ترك عبادته، ولا ينفع من عبده، وكان العجل فتنةً من الله تعالى ابتلىٰ به بني إسرائيل.

قال في «التأويلات النجمية»[4] فيه: إشارة إلى أن الله تعالى: إذا أراد أن يقضي قضاءً.. سلب ذوي العقول عقولهم، وأعمىٰ أبصارهم بعد أن رأوا الآيات، وشاهدوا المعجزات، كأنهم لم يروا شيئاً فيها، فلهذا قال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ يعني: العجل وعجزه ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾؛ أي: شيئاً من القول ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ انتهى.

قال بعضهم:

أَيَا سَامِعاً لَيْسَ ٱلسَّمَاعُ بِنَافِعٍ ... إِذَا أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا أَنْتَ سَامِعُ
إِذَا كُنْتَ فِيْ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْخَيْرِ عَاجِزاً ... فَمَا أَنْتَ فِيْ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ صَانِعُ

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) الخازن.
(٤) روح البيان.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على فرعون، والجملة: مستأنفة ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ءَامَنتُمْ﴾ (الهمزة): فيه للاستفهام التوبيخي، حذفت الهمزة الأولى، وسهلت الثانية، وهو فعل وفاعل ﴿لَهُۥ﴾ متعلق به ﴿قَبْلَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق به أيضاً، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر ﴿ءَاذَنَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أَنْ﴾ وفاعله ضمير يعود على فرعون ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به والمصدر المؤول من ﴿أَنْ﴾ في محل الجر مضاف إليه لـ﴿قَبْلَ﴾ تقديره: قبل إذني ﴿لَكُمْ﴾. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾ (اللام): حرف ابتداء ﴿كبير﴾ خبر ﴿إن﴾ مرفوع و(الكاف): مضاف إليه، وجملة: ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول في محل الرفع صفة ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾ ﴿عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾: فعل ومفعولان، وفاعله: ضمير يعود على الموصول، والجملة: صلة الموصول ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ﴾ ﴿الفاء﴾ فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم، وأردتم بيان شأني فيكم.. فأقول لكم و(اللام): موطئة للقسم ﴿أقطعنّ﴾: فعل مضارع في محل الرفع مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله: ضمير يعود على فرعون ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾: مفعول به ﴿وَأَرْجُلَكُم﴾: معطوف عليه ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ جار ومجرور حال من الأيدي والأرجل، أي: حالة كونها مختلفات في الاسم والصفة، والجملة الفعلية: جواب القسم، لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ (الواو): عاطفة و(اللام): موطئة للقسم ﴿أصلبن﴾ فعل مضارع مبني على الفتح، و(الكاف): مفعول به، وفاعله: ضمير يعود على فرعون، والجملة: معطوفة على جملة قوله: ﴿لأقطعن﴾ على كونها جواب القسم ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿أصلبن﴾.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ (الواو): عاطفة و(اللام) موطئة للقسم ﴿تعلمن﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبات النون المحذوفة، لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين؛ في محل الرفع فاعل، أصله: لتعلمونن، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، والواو لالتقاء الساكنين، فصار ﴿تعلمُن﴾ والجملة: معطوفة على جملة ﴿لأقطعن﴾. ﴿أَيُّنَآ﴾ ﴿أي﴾: اسم استفهام مبتدأ مرفوع، و(نا) مضاف إليه ﴿أَشَدُّ﴾ خبره ﴿عَذَابًا﴾ تمييز محول عن المبتدأ، منصوب باسم التفضيل ﴿وَأَبْقَىٰ﴾: معطوف على ﴿أَشَدُّ﴾ والجملة الاسمية: في محل النصب، سادة مسد المفعولين لعلم إن كانت على بابها، أو مسد المفعول الواحد، إن كانت عرفانية، لأن الفعل علق بـ﴿أي﴾ الاستفهامية، ويجوز[1] على جعلها عرفانية، أن تكون ﴿أي﴾ موصولةً بمعنى الذي، وبنيت لأنها قد أضيفت، وحذف صدر صلتها و﴿أَشَدُّ﴾ خبر مبتدأٍ محذوف، والجملة الاسمية، صلة: ﴿أي﴾ الموصولة و﴿أي﴾: الموصولة في محل النصب مفعول به لعلم العرفانية، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ في أحد أوجهه، كما تقدم.

﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَٰتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ﴾ إلى موسى مقول محكي لـ﴿قَالُوا﴾ وإن شئت قلت: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾: ناصب وفعل ومفعول به، وفاعله: ضمير يعود على السحرة، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾: ﴿عَلَىٰ مَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نُّؤْثِرَكَ﴾. ﴿جَآءَنَا﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ﴿مَآ﴾ والجملة: صلة الموصول ﴿مِنَ الْبَيِّنَٰتِ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿جَآءَنَا﴾. ﴿وَالَّذِى﴾: اسم موصول في محل الجر معطوف على ﴿مَآ﴾ وأخروا ذكرالباري من باب تقديم الأدنىٰ على الأعلى

---

(١) الفتوحات.

﴿فَطَرَنَا﴾: فعل ومفعول وفاعل مستتر، والجملة: صلة الموصول، ويحتمل أن تكون (الواو) في ﴿وَٱلَّذِى﴾ للقسم، ﴿ٱلَّذِى﴾ مجرور بواو القسم، الجار والمجرور متعلق بفعل قسم محذوف تقديره نقسم ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ وجواب القسم: محذوف، تقديره: لن نؤثرك، وجملة القسم: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿فَٱقْضِ﴾ (الفاء) فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره. إذا عرفت ما قلنا لك، وأردت بيان غاية ما نقول لك.. فنقول لك ﴿اقض ما أنت قاض﴾ ﴿اقض﴾: فعل أمر، وفاعله: ضمير يعود على فرعون و﴿مَآ﴾: مفعول به ﴿أَنتَ قَاضٍ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: صلة لـ﴿مَآ﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: ما أنت قاضيه، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة على كونها مقولاً لـ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر ﴿تَقْضِى﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على فرعون، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿هَٰذِهِ﴾ ظرف زمان في محل النصب على الظرفية، والظرف متعلق بـ﴿تَقْضِى﴾. ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾: بدل من اسم الإشارة ﴿ٱلدُّنْيَآ﴾ صفة لـ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾، ومفعول ﴿تَقْضِى﴾ محذوف تقديره، إنما تقضي غرضك في هذه الحياة الدنيا، ويجوز[1]: أن تكون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾ مفعول به على الاتساع، ويجوز أن تكون ما في ﴿إِنَّمَا﴾: مصدرية، وجملة ﴿تَقْضِى﴾ مع ﴿مَآ﴾ في تأويل مصدر منصوب على كونه اسم ﴿إن﴾ والخبر الظرف، والتقدير: إن قضاءك كائن في هذه الحياة الدنيا فقط، بمعنى إن لك الدنيا فقط، ولنا الآخرة اهـ «سمين» ويجوز كونها موصولة اسم ﴿إن﴾ وعائدها: محذوف؛ أي: إن الذي تقضيه كائن في الحياة الدنيا.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿إِنَّآ﴾: ناصب واسمه ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل وفاعل ﴿بِرَبِّنَا﴾: متعلق بـ﴿ءَامَنَّا﴾

---

(١) الفتوحات.

والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿لِيَغْفِرَ﴾ (اللام) حرف جر وتعليل ﴿يغفر﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله: ضمير يعود على الله ﴿لَنَا﴾: متعلق بـ﴿يغفر﴾ ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾ مفعول به ومضاف إليه، والجملة: في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لغفرانه لنا خطايانا، الجار والمجرور متعلق بـ﴿ءَامَنَّا﴾. ﴿وَمَآ﴾: اسم موصول في محل النصب معطوف على ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾. ﴿أَكْرَهْتَنَا﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة: صلة الموصول ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿أَكْرَهْتَنَا﴾ وهو العائد على ﴿مَآ﴾ الموصولة ﴿مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾: جار ومجرور حال من الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ أو من ﴿مَآ﴾ الموصولة ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾: مبتدأ وخبر ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾: معطوف على ﴿خَيْرٌ﴾ والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه ﴿مَن﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الجواب، أو الشرط، أو هما ﴿يَأْتِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿مَن﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿رَبَّهُۥ﴾: مفعول به ﴿مُجْرِمًا﴾: حال من فاعل ﴿يَأْتِ﴾. ﴿فَإِنَّ﴾ (الفاء) رابطة لجواب من الشرطية ﴿إن﴾: حرف نصب وتوكيد ﴿لَهُۥ﴾ خبر ﴿إن﴾ مقدم على اسمها ﴿جَهَنَّمَ﴾ اسمها مؤخر، وجملة ﴿إن﴾: في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة: ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿لَا يَمُوتُ﴾: ناف وفعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَن﴾ ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿يَمُوتُ﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب حال من ضمير ﴿لَهُۥ﴾: أو من ﴿جَهَنَّمَ﴾ وجملة ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ في محل النصب معطوفة على جملة ﴿لَا يَمُوتُ﴾.

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿وَمَن﴾ الواو: عاطفة ﴿مَن﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الجواب، أو الشرط، أو هما ﴿يَأْتِهِۦ﴾: فعل ومفعول مجزوم بـ﴿مَن﴾ على

كونه فعل شرط لها، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿مُؤْمِنًا﴾: حال من فاعل ﴿يَأْتِ﴾ ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فعل ومفعول، وفاعل: مستتر يعود على ﴿مَن﴾ والجملة: في محل النصب صفة لـ﴿مُؤْمِنًا﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ (الفاء) رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية ﴿أولئك﴾: مبتدأ أول ﴿لَهُمُ﴾: خبر مقدم ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ﴾: مبتدأ ثان مؤخر ﴿ٱلْعُلَىٰ﴾ صفة ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ﴾ والجملة: من المبتدأ الثاني، وخبره: في محل الرفع خبر للأول، وجملة الأول وخبره: في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية: في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿مَن﴾ الأولى.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: بدل من ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ﴾ أو خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هي ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾. ﴿تَجْرِى﴾: فعل مضارع ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ متعلق به ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل والجملة الفعلية: في محل الرفع صفة لـ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من ﴿أولئك﴾. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية: مستأنفة، في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الجر مضاف إليه، وجملة ﴿تَزَكَّىٰ﴾: صلته.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ الواو: استئنافية و(اللام) موطئة للقسم ﴿قد﴾: حرف تحقيق ﴿أَوْحَيْنَآ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية: جواب القسم، وجملة القسم: مستأنفة ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ ﴿أَنْ﴾: مفسرة بمعنى، أي: ﴿أَسْرِ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾ والجملة: مفسرة لجملة ﴿أَوْحَيْنَآ﴾. ﴿بِعِبَادِى﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿أَسْرِ﴾ ﴿فَٱضْرِبْ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿اضرب﴾: فعل أمر، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾ والجملة: معطوفة على جملة ﴿أَسْرِ﴾. ﴿لَهُم﴾ متعلق بـ﴿اضرب﴾: قائم مقام المفعول الثاني، لأن ضرب هنا بمعنى جعل ﴿طَرِيقًا﴾

مفعول به أول ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ صفة أولى لـ﴿طَرِيقًا﴾. ﴿يَبَسًا﴾: صفة ثانية له وهو وصف له بما يؤول إليه ﴿لَّا﴾: نافية ﴿تَخَٰفُ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾. ﴿دَرَكًا﴾ مفعول به، والجملة الفعلية: في محل النصب حال من فاعل ﴿اضرب﴾؛ أي: اضرب لهم طريقاً حالة كونك غير خائف، أو صفة لـ﴿طَرِيقًا﴾ والعائد: محذوف؛ أي: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ فيه أو هي: جملة مستأنفة، وجملة: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ معطوفة على جملة ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿أتبعهم﴾: فعل ومفعول ﴿فِرْعَوْنُ﴾ فاعل ﴿بِجُنُودِهِۦ﴾: جار ومجرور حال من فرعون؛ أي: حالة كونه متلبساً بجنوده والجملة الفعلية: معطوفة على محذوف تقديره، ففعل موسى ما أمر به من الإسراء بهم، وضرب البحر، وسلوكه فتبعهم فرعون حالة كونه مصاحباً بجنوده وأعوانه، حتى لحقوهم.

﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۝٨٠﴾.

﴿فَغَشِيَهُم﴾ (الفاء): عاطفة ﴿غَشِيَهُمْ﴾: فعل ومفعول ﴿مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾: جار ومجرور حال من ﴿مَا﴾ الموصولة المذكورة بعده ﴿مَا﴾ موصولة أو موصوفة في محل الرفع فاعل ﴿غَشِيَهُمْ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾ والجملة: صلة لـ﴿مَا﴾ أو صفة لها، وجملة ﴿غشي﴾ الأولى: معطوفة على جملة قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾. ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ﴾ فعل وفاعل ﴿قَوْمَهُۥ﴾: مفعول به، والجملة: معطوفة على جملة ﴿فَغَشِيَهُم﴾ ولكن في الكلام تقديم وتأخير، لأن إضلاله قومه كان قبل الغرق طبعاً ﴿وَمَا﴾ (الواو): عاطفة ﴿مَا﴾ نافية ﴿هَدَىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله، ضمير يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ والجملة: معطوفة على جملة ﴿أضل﴾. ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: منادىً مضاف، وجملة: النداء مقول لقول محذوف، تقديره: وقلنا لهم بعد إغراق فرعون: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. ﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة: في محل النصب مقول للقول المحذوف، على كونها

جواب النداء ﴿مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾: متعلق بـ﴿أَنجَيْنَٰكُم﴾. ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول معطوف على ﴿أَنجَيْنَٰكُم﴾ ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ﴾: مفعول ثان ومضاف إليه، ولكنه على حذف مضاف؛ أي: إتيان جانب الطور، ولا يكون ظرفاً لأنه محدود ﴿ٱلْأَيْمَنَ﴾: صفة لـ﴿جَانِبَ﴾. ﴿وَنَزَّلْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿واعدنا﴾ ﴿عَلَيْكُمُ﴾: متعلق بـ﴿نزلنا﴾. ﴿ٱلْمَنَّ﴾: مفعول به ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: معطوف على ﴿ٱلْمَنَّ﴾.

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾.

﴿كُلُوا۟﴾: فعل وفاعل ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل النصب مقول لقول محذوف، تقديره: وقلنا لهم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾. ﴿طَيِّبَٰتِ﴾: مضاف ﴿مَآ﴾: مضاف إليه ﴿رَزَقْنَٰكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة: صلة لـ﴿مَآ﴾ الموصولة، والعائد: محذوف تقديره، ما رزقناكموه ﴿وَلَا﴾ (الواو): عاطفة ﴿لَآ﴾ ناهية جازمة ﴿تَطْغَوْا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية ﴿فِيهِ﴾: متعلق به، والجملة: معطوفة على جملة ﴿كُلُوا۟﴾ ﴿فَيَحِلَّ﴾ (الفاء): عاطفة سببية ﴿يَحِلَّ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية، الواقعة في جواب النهي ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق به ﴿غَضَبِى﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة الفعلية، مع أن المضمرة: في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها، من غير سابك، لإصلاح المعنى، تقديره: لا يكن طغيانكم فيه فحلول غضبي عليكم ﴿وَمَن يَحْلِلْ﴾ (الواو): استئنافية ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الجواب، أو الشرط، أو هما ﴿يَحْلِلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿مَن﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به ﴿غَضَبِى﴾: فاعل ومضاف إليه ﴿فَقَدْ﴾ (الفاء): رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية وجوباً، لاقترانه بـ﴿قد﴾. ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿هَوَىٰ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه جواب شرط لها، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَن﴾ وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية: مستأنفة.

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَإِنِّي﴾ الواو: عاطفة ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه ﴿لَغَفَّارٌ﴾ (اللام): حرف ابتداء ﴿غفار﴾ خبر إن ﴿لِّمَن﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿غفار﴾ وجملة ﴿إن﴾: معطوفة على جملة ﴿مَن﴾ الشرطية ﴿تَابَ﴾: فعل وفاعل مستتر، والجملة: صلة ﴿مَن﴾ الموصولة وجملة: ﴿وآمن عمل﴾ معطوفة على جملة ﴿تَابَ﴾. ﴿صَٰلِحًا﴾: منصوب على المفعولية المطلقة، لأنه صفة لمصدر محذوف؛ أي: عملاً صالحاً، أو مفعول به ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب ﴿ٱهْتَدَىٰ﴾: فعل ماض معطوف على ﴿عَمِلَ﴾ وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَن﴾.

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ الواو: عاطفة لقول محذوف معطوف على فعل محذوف، تقديره: فسار موسى إلى موعد الميقات مع قومه، فجاء وحده مستعجلاً، وقلنا له: ﴿ما أعجلك﴾ ﴿مَآ﴾: اسم استفهام للاستفهام التوبيخي المضمّن للإنكار، في محل الرفع مبتدأ ﴿أَعْجَلَكَ﴾: فعل ماض ومفعول به، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَآ﴾. ﴿عَن قَوْمِكَ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول قلنا، وجملة: قلنا: معطوفة على الجملة المحذوفة التي قدرناها آنفاً ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: منادى مفرد العلم، في محل النصب على المفعولية، وجملة النداء: في محل النصب مقول لقلنا ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿هُمْ﴾: مبتدأ ﴿أُوْلَآءِ﴾: خبره ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ثان للمبتدأ، أو حال من الخبر، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَعَجِلْتُ﴾: فعل وفاعل ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية، في محل النصب معطوفة على الجملة الاسمية، على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لِتَرْضَىٰ﴾ (اللام) حرف جر وتعليل، ﴿ترضى﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله: ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية، مع أن المضمرة: في تأويل

مصدر مجرور باللام، تقديره: لرضاك عني، الجار والمجرور متعلق بـ﴿عجلت﴾.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٥﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على الله، والجملة: مستأنفة استئنافاً بيانياً ﴿فَإِنَّا﴾ (الفاء): فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما قلت لك، وأردت بيان حال قومك.. فأقول لك ﴿إنا﴾. ﴿إنا﴾: ناصب واسمه ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق ﴿فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾: متعلق بـ﴿فتنا﴾ والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب. مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة الفعلية: في محل النصب، معطوفة على جملة ﴿إن﴾ على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ۝٨٦﴾.

﴿فَرَجَعَ﴾ (الفاء): عاطفة مجردة عن التعقيب ﴿رَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾: فعل وفاعل، والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أضل﴾. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿رجع﴾. ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾: حالان من ﴿مُوسَىٰٓ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَلَمْ﴾ الهمزة، للاستفهام التقريري، وأخطأ من قال: إنها للاستفهام الإنكاري ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ﴿يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾: فعل مضارع ومفعول أول وفاعل، مجزوم بـ﴿لم﴾ والمفعول الثاني محذوف، تقديره: إعطاء التوراة ﴿وَعْدًا﴾: مفعول مطلق ﴿حَسَنًا﴾ صفة له، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿أَفَطَالَ﴾ (الهمزة) للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف و(الفاء) عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أوعدكم ربكم وعداً حسناً، فطال عليكم العهد ﴿طال﴾: فعل ماض ﴿عَلَيْكُمُ﴾: متعلق به ﴿ٱلْعَهْدُ﴾: فاعل، والجملة: معطوفة على تلك الجملة المحذوفة، والجملة

المحذوفة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف معادل للهمزة ﴿أَرَدتُّمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿طال﴾. ﴿أَن﴾ حرف نصب ﴿يَحِلَّ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أَنِ﴾ ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق به ﴿غَضَبٌ﴾: فاعل ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: صفة لـ﴿غَضَبٌ﴾ والجملة الفعلية، مع أن المصدرية: في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، تقديره: أم أردتم حلول غضب من ربكم عليكم ﴿فَأَخْلَفْتُم﴾ (الفاء): عاطفة ﴿أخلفتم﴾: فعل وفاعل ﴿مَّوْعِدِى﴾ مفعول به ومضاف إليه، والجملة: معطوفة على جملة ﴿أَرَدتُّمْ﴾.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة ﴿مَآ﴾: نافية ﴿أَخْلَفْنَا﴾: فعل وفاعل ﴿مَوْعِدَكَ﴾: مفعول به، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿بِمَلْكِنَا﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿أَخْلَفْنَا﴾؛ أي: ما أخلفنا موعدك حال كوننا مالكين أمرنا، ولكنا غلبنا على أمرنا من جهة السامري وكيده، ﴿وَلَٰكِنَّا﴾ (الواو): عاطفة ﴿لكنا﴾: ناصب واسمه ﴿حُمِّلْنَآ﴾: فعل ونائب فاعل ﴿أَوْزَارًا﴾ مفعول ثان ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، صفة لـ﴿أَوْزَارًا﴾ والجملة الاستدراكية: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أَخْلَفْنَا﴾. ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ (الفاء): عاطفة ﴿قذفناها﴾: فعل وفاعل ومفعول، معطوف على ﴿حُمِّلْنَآ﴾. ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿كذلك﴾ جار ومجرور صفة لمصدر محذوف ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾: فعل وفاعل والجملة معطوفة على قذفنا والتقدير: فألقىٰ السامري إلقاء مثل إلقائنا.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾.

﴿فَأَخْرَجَ﴾ الفاء: عاطفة ﴿أخرج﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿ٱلسَّامِرِىُّ﴾. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق بـ﴿أخرج﴾. ﴿عِجْلًا﴾: مفعول به، والجملة: معطوفة على جملة قوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ لئلا يتوهم أنه من كلامهم، وما

بينهما اعتراض ﴿جَسَدًا﴾: بدل من ﴿عِجْلًا﴾. ﴿لَّهُۥ﴾: خبر مقدم ﴿خُوَارٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: في محل النصب صفة لـ﴿جَسَدًا﴾ ﴿فَقَالُوا۟﴾ (الفاء): عاطفة ﴿قالوا﴾ فعل وفاعل معطوف على جملة قوله: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾. ﴿هَٰذَآ﴾: مبتدأ ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾: خبر ﴿وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾: معطوف عليه، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾ ﴿فَنَسِيَ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿نسي﴾ فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ﴾. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ (الهمزة) فيه للاستفهام التوبيخي، داخلة على محذوف، معلوم من السياق (والفاء): عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألا يتفكرون فلا يرون، والجملة المحذوفة: مستأنفة ﴿لا﴾ نافية ﴿يَرَوْنَ﴾: فعل وفاعل، والجملة: معطوفة على تلك المحذوفة ﴿أَلَّا﴾ ﴿أن﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها: ضمير الشأن؛ أي: أنه لا يرجع: ﴿لا﴾ نافية ﴿يَرْجِعُ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على العجل ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلق بـ﴿يَرْجِعُ﴾. ﴿قَوْلًا﴾ مفعول به، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ المخففة، وجملة ﴿أن﴾ المَخففة: في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿يَرَوْنَ﴾ إن كانت بصرية، أو ساد مسد مفعولي ﴿يَرَوْنَ﴾ إن كانت علمية، تقديره: أفلا يرون عدم رجوعه إليهم قولاً ﴿وَلَا﴾ (الواو): عاطفة ﴿لَآ﴾ نافية ﴿يَمْلِكُ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على العجل ﴿لَهُمْ﴾ متعلق بـ﴿يَمْلِكُ﴾. ﴿ضَرًّا﴾: مفعول به ﴿وَلَا نَفْعًا﴾: معطوف على ﴿ضَرًّا﴾ والجملة الفعلية: في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿لا يرجع﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ أصله[1]: أأمن كأكرم، قلبت الهمزة الثانية ألفاً على القاعدة في اجتماع الهمزتين، ثم أُدخلت عليه همزة الاستفهام، فصار في الكلمة همزتان: غير المنقلبة ألفاً فإما أن يقرأ بتحقيقهما، وإما أن يُقرأ بحذف الأولى، التي هي همزة الاستفهام ﴿طَرِيقًا﴾ والمراد بالطريق: جنسه، فإن الطريق كانت

(١) الفتوحات.

ثنتي عشرة، بعدد أسباط بني إسرائيل ﴿يَبَسًا﴾ قيل: هو في الأصل: مصدر وصف به مبالغة، أو على حذف مضاف، أو جمع: يابس كخادم وخدم، وصف به الواحد مبالغة، قال في «القاموس»: يبس الشيء ييبس: من بابي علم وحسب يبساً ويبساً، واتبس كان رطباً، فجف فهو: يبس ويبس ويابس ويبوس ويبيس وأبيس ﴿دَرَكًا﴾ بفتحتين؛ أي: أن يدركك فرعون وجنوده، والدرك بفتح الدال، وسكون الراء، وبفتحتين: اللحاق، وإدراك الحاجة، وأقصى قعر الشيء يقال: بلغ الغواص درك البحر، ويقال: فرس درك الطريدة؛ أي: يدركها، ومنه قولهم: ما لحقك من درك فعلي خلاصه.

﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ لم[1] يقرأ إلا بإثبات الألف، وكان من حق من قرأ لا تخف جزماً أن يقرأ ﴿لا تخشى﴾ بحذفها، كذا قاله بعضهم، وليس بشيءٍ لأن القراءة سنة متبعة، وفيها أوجه:

أحدها: أن يكون حالاً، وفيه إشكال وهو: أن المضارع المنفي بلا، كالمثبت في عدم مباشرة الواو له، وتأويله على حذف مبتدأ؛ أي: وأنت ﴿لا تخشى﴾.

والثاني: أنه مستأنف، أخبره تعالى أنه لا يحصل له خوف.

والثالث: أنه مجزوم بحذف الحركة تقديراً، ومثله فلا تنسى في أحد القولين، إجراءً لحرف العلة مجرى الحرف الصحيح.

والرابع: أنه مجزوم أيضاً بحذف حرف العلة، وهذه الألف ليست تلك؛ أعني: لام الكلمة، وإنما هي ألف إشباعٍ أتي بها موافقةً للفواصل ورؤوس الآي، فهي كالألف في قوله: ﴿الرسولا﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ و﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ وهذه الأوجه إنما يحتاج إليها في قراءة جزم ﴿لا تخف﴾ وأما من قرأه مرفوعاً.. فهذا معطوف عليه اهـ «سمين».

---

(١) الفتوحات.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ وأتبع وتبع بمعنى واحد ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾؛ أي: فغمرهم وعلاهم من البحر ما علاهم من الأمر الهائل، الذي لا يعلم كنهه إلا الله ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾؛ أي: سلك بهم مسلكاً، أداهم إلى الخسران في دينهم ودنياهم، إذ أغرقوا فأُدخلوا ناراً ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾؛ أي: وما أرشدهم إلى طريق يصل إليهم إلى طريق السعادة ﴿الْأَيْمَنَ﴾؛ أي: الجانب الذي عن يمين من ينطلق من مصر إلى الشام ﴿الْمَنَّ﴾: نوع من الحلوى، يسمى الترنجبين كما مر ﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾: طائر شبيه بالسماني ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾؛ أي: فلا تأخذوه من غير حاجة إليه ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾؛ أي: ينزل بكم سخطي ﴿هَوَىٰ﴾ سقط وهلك ﴿غفار﴾؛ أي: كثير المغفرة والستر للذنوب ﴿اهْتَدَىٰ﴾؛ أي: لزم الهداية واستقام ﴿عَلَىٰ أَثَرِي﴾ يقال: جاء على أثره بفتحتين، وبكسر فسكون: إذا جاء لاحقاً به بلا تأخر، والأثر: الخبر، وبقية الشيء، والجمع: آثار وأثور، وخرج في أثره وإثره؛ أي: بعده، وائتثره وتأثره تبع أثره ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾؛ أي: اختبرناهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾؛ أي: أوقعهم في الضلال والخسران، والسامري: من شعب بني إسرائيل، من بطن يقال له: السامرة، واسمه موسى بن ظفر، وقيل: إنه ابن زنا رمته أمه في الجبل بعد وضعه، وقد قيل فيه وفي موسى بن عمران:

وَمُوْسَىٰ ٱلَّذِيْ رَبَّاهُ فِرْعَوْنُ مُرْسَلٌ وَمُوْسَىٰ ٱلَّذِيْ رَبَّاهُ جِبْرِيْلُ كَافِرُ

وفي «القاموس»: السامري: هو الذي عبد العجل، وكان علجاً من كرمان، أو عظيماً من بني إسرائيل، يُنسب إلى قبيلة من بني إسرائيل، يقال لها: السامرة، نسبة إلى مقاطعةٍ في فلسطين .اهـ.

والأسف: الحزين، والوعد الحسن: إعطاء التوراة التي فيها هدى ونور، والعهد: زمان الإنجاز ﴿مَّوْعِدِي﴾؛ أي: وعدكم إياي بالثبات على الإيمان، وقيامكم بأداء ما أمرتم به من التكاليف ﴿بِمَلْكِنَا﴾؛ أي: بقدرتنا مصدر ملك وهو مثلث الميم، وفي «القاموس» وشرحه «التاج»: ملك يملك من باب تعب ملكاً وملكاً وملكاً، بفتح الميم وضمها وكسرها، وملكةً ومملكةً بفتح اللام، ومملكة وملكة بضمها: الشيء احتواه قادراً على التصرف والاستبداد به، وملك على

القوم: استولى عليهم، وملك على فلان أمره: استولى عليه، وملك على نفسه: قدر على حبسها، وملك المرأة تزوجها. انتهى.

﴿أَوْزَارًا﴾؛ أي: أثقالاً، وأرادوا بها حلي القبط التي استعاروها منهم، وأرادوا بالأوزار، أنها آثام وتبعات، لأنهم استعاروها منهم، وليس لهم فيها حق ﴿خُوَارٌ﴾ بضم الخاء: صوت البقر والعجاجيل ﴿جَسَدًا﴾ وفي «المصباح»: الجسد جمع أجساد، وهو الجثة، وعبَّر عنه بالجسد مع أنه لا يقال الجسد إلا للحيوان العاقل، وهو الإنس والجن والملائكة، تشبيهاً له بالعاقل، كأنه غاير البقر، ولا يقال الغير الحيوان العاقل: جسد إلا للزعفران، فيقال له: جساد بفتح الجيم، وإلا للدم إذا يبس فيقال له جاسد أيضاً.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الاستعارة المكنية التبعية في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ وتقريرها: أنه شبه استعلاء المصلوب على الجذوع، بظرفية المقبور في قبره، ثم استُعمل في المشبه ﴿فِي﴾ الموضوعة للمشبه به؛ أعني: الظرفية، فجرت الاستعارة في الاستعلاءِ، والظرفية، وبتبعيتها في لفظ على وفي وإذن، ففي على بابها من الظرفية، وهذا أصح الأقوال فيها، وقيل: إن ﴿فِي﴾ بمعنى على، فلا يكون في الكلام استعارة، وعبارة الدرديري في «شرحه» على «تحفة الأخواد»: مثال الاستعارة في الحرف، استعارة لفظ ﴿فِي﴾ لمعنى على في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾؛ أي: عليها، شبَّه الاستعلاء الكلي بالظرفية الكلية، بجامع التمكن في كل، واستُعير لفظ الظرفية للاستعلاء؛ أي: بقدر ذلك فسرىٰ التشبيه من الكليات إلى الجزئيات، التي هي معاني الحروف، فاستُعير لفظ ﴿فِي﴾ الموضوعة لكل جزئي من الجزئيات الظرفية، لمعنى على وهو الاستعلاء الخاص؛ أي: المتعلق بالتصليب، والجذوع في هذا المثال.

ومنها: الطباق بين ﴿يَمُوتُ﴾ و﴿يَحۡيَىٰ﴾.

ومنها: المقابلة بين قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ وبين قوله: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ . . .﴾ إلخ. والمقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتىٰ بما يقابل ذلك.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿يَبَسٗا﴾ لأنه لم يكن حين خاطبه الله تعالى يبساً، ولكن باعتبار ما يؤول إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ وقد تقدم القول فيه مفصلاً.

ومنها: الإبهام في قوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾ للتهويل؛ أي: علاهم وغمرهم من الأمر الهائل، الذي ليس في طوقهم احتماله، مما لا يمكن إدراك كنهه، ولا سبر غوره، وهو من جوامع الكلم التي يقل لفظها، ويتشعب القول في معناها.

ومنها: الطباق بين ﴿وَأَضَلَّ﴾ و﴿هَدَىٰ﴾.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ لأن المواعدة كانت لموسى ـ عليه السلام ـ لا لهم، فأضيفت إليهم لأدنى ملابسة، لأنه لما كانت المواعدة لإنزال كتاب بسببهم، إذ فيه صلاح دينهم ودنياهم وأخراهم.. أضيفت إليهم بهذه الملابسة، فهو من المجاز العقلي .اهـ «كرخي».

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ استعار لفظ الهوى، وهو: السقوط من علو إلى سفل، للهلاك والدمار.

ومنها: صيغة المبالغة في قوله ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ﴾ أي كثير المغفرة للذنوب.

ومنها: الاستفهام في قوله: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣﴾.

فائدة: والاستفهام من الله تعالى لا يقع لاستدعاء المعرفة، ولكنه يخرج عن معناه الأصلي لأغراض أخر، تدرك من سياق الكلام، وقد أفاد السؤال هنا أغراضاً نوجزها فيما يلي:

١ ـ تعريف المسؤول بما يجهله من أمور، وقد أراد سبحانه تعريفه بفتنة قومه، فقد قيل: إنهم كانوا نحو ست مئة ألف نفس، ما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً.

٢ ـ تبكيت المسؤول وتفهيمه، وتنبيهه إلى خطإ ما جاء به من ترك القوم، وإفساح المجال للسامري كي يضلهم، لأنه مغرق في الضلالة، وما هو في الإضلال.

٣ ـ تعليم المسول آداب السفر، وهي: أنه ينبغي لرئيس القوم أن يتأخر عنهم في المسير، ليكون نظره محيطاً بهم، ونافذاً فيهم، ومهيمناً عليهم، وقاطعاً الطريق على كل فتنة قد تتسرب إلى صفوفهم.

ومنها: إطلاق الماضي على المستقبل في قوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ على حد قوله: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بيَّن أن عبادتهم للعجل مخالفة لقضية العقل، لأنه لا يستجيب لهم دعاءً، ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً.. أكد هذا وزاد عليهم في التشنيع ببيان أنهم قد عصوا الرسول الذي نبههم إلى خطإ ما

فعلوا، ثم حكى معاتبة موسى لهارون على سكوته على بني إسرائيل، وهو يراهم يعبدون العجل، ثم ذكر أنه اعتذر له، ولكنه لم يقبل معذرته، ثم قص علينا ما قاله السامري، وما أنَّبه به موسى، وما عاقبه الله به في الدنيا والآخرة، وما صنعه موسى بالعجل من نسفه وإلقائه في البحر، ثم بيَّن لهم أن الإلٰه الحق هو الذي يحيط علمه بما في السمٰوات والأرض، لا ذاك الجماد الذي لا يضر ولا ينفع، ولا يرد جواباً، ولا يسمع خطاباً.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى[1] لما شرح قصص موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون أولاً، ثم مع السامري ثانيا، على نمط بديع، وأسلوب قديم.. بين لنبيه محمد ﷺ أن مثل هذا القصص عن الأمم الماضية، والقرون الغابرة، كعاد وثمود وأصحاب الأيكة، نلقيه إليك تسليةً لقلبك، وإذهاباً لحزنك، إذ به تعرف ما حدث للرسل من قبلك، من شدائد الأهوال، وتذكيراً للمستبصرين في دينهم، وتأكيداً للحجة على من عاند وكابر من غيرهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما حكى[2] حال يوم القيامة، وما يكون فيه من الأهوال، التي تجعل المجرمين يتخافتون في حديثهم، وينسون مقدار لبثهم في الدنيا، ويحشرون زرق الوجوه والأبدان، إلى نحو أولئك مما سلف.. قفَّىٰ على ذلك بذكر سؤال من لم يؤمن بالحشر عن الجبال وأحوالها في ذلك اليوم، ثم الإجابة عنه، وضم إلى الجواب أموراً أخر، تشرح شؤون هذا اليوم وأهواله، فبيَّن أن الأرض في ذلك اليوم تكون مستوية، ولا ارتفاع فيها ولا انخفاض، وأن الناس يسرعون إلى إجابة الداعي، ولا يُسمع لهم كلام إلا همس، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، إلا إذا أذن لهم الرحمٰن، ورضي للمشفوع له قولاً، ثم ذكر أن الله هو العليم بما أصابوا من خير أو شر، وهم لا يحيطون به علماً، وفي ذلك

---

(١) المراغي. (٢) المراغي.

اليوم تذل الوجوه، وتخضع للواحد الديان، وقد خسر هنالك من ظلم نفسه، فأشرك مع الله غيره، وعبد معه سواه، وعصى أوامره ونواهيه، وأما المتقون فهم لا يُظلمون، فلا يُزداد في سيئاتهم، ولا يُنقص من حسناتهم.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: لما ذكر سبحانه أنه أنزل الآيات المشتملة على الوعيد، المنبئة بما سيحدث من أحوال القيامة وأهوالها.. ذكر هنا أنه أنزل القرآن كله كذلك على نمط واحد، قرآناً عربياً، يفهمه العرب، ويقفون على ما فيه من النظم البديع، والأسلوب العجيب، الخارج عن طوق البشر، ثم بيَّن سبحانه نفع هذا القرآن لعباده، وأنه سبحانه موصوف بصفات الكمال، منزه عن صفات النقص، وأنه يصون رسوله عن السهو والنسيان في أمر الوحي.

أسباب النزول[1]

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه ابن المنذر، عن ابن جريج قال: قالت قريش: يا محمد، كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه ابن أبي حاتم، عن السدي، قال: (كان النبي ﷺ إذا نزل إليه جبريل بالقرآن.. أتعب نفسه في حفظه، حتى يشق على نفسه، فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه فأنزل الله سبحانه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾) وتقدم له سبب آخر، وهذا أصح.

التفسير وأوجه القراءة

واللام في قوله: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾: موطئة للقسم، والجملة[2] مؤكدة لما تضمنته الجملة التي قبلها من الإنكار عليهم، والتوبيخ لهم؛ أي: والله

---

(١) لباب النقول.

(٢) الشوكاني.

لقد نصح وقال لهم هارون من قبل أن يأتي موسى، ويرجع إليهم ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾؛ أي: وقعتم في الفتنة بسبب العجل، وابتليتم به، وضللتم عن طريق الحق لأجله، قيل: ومعنى القصر المستفاد من ﴿إِنَّمَا﴾: هو أن العجل صار سبباً لفتنتهم، لا لرشادهم، وليس معناه: أنهم فتنوا بالعجل لا بغيره، والمعنى[1]: أي: ولقد قال هارون لعبدة العجل من بني إسرائيل، من قبل رجوع موسى إليهم: يا قوم إنما اختبر الله إيمانكم، ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل، الذي أحدث فيه الخوار، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم، من المريض الشاك. ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ﴾ وخالقكم وخالق كل شيء هو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الذي عمت رحمته جميع مخلوقاته، فآتاهم ما فيه كما لهم الجسمي والروحي، وما به سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وفي ذكر الربوبية والرحمة استمالة لهم إلى الحق، إثر زجرهم عن الباطل، وتذكير لهم بإنجائهم من فرعون وعذابه، وتنبيه لهم إلى أنهم متى تابوا.. قُبلت توبتهم.

﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ على ديني في عبادة الله سبحانه وتعالى، ولا تتبعوا السامري في عبادة العجل ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ في ترك عبادة العجل.

اعلم[2]: أن هارون ـ عليه السلام ـ سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه، لأنه زجرهم أولاً عن الباطل بقوله: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾ ثم دعاهم إلى معرفة الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ثم دعاهم إلى معرفة النبوة بقوله: ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ ثم دعاهم إلى شرائع بقوله: ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ فهذا هو الترتيب الجيد، لأنه لا بد من إماطة الأذىٰ عن الطريق، وهي إزالة الشبهات، ثم معرفة الله، فإنها هي الأصل، ثم النبوة، ثم الشريعة، وإنما قال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ فخص هذا الموضع بهذا الاسم لأنه ينبههم على أنهم متى تابوا.. قبل الله توبتهم، لأنه هو التواب الرحيم، فقابلوا هذا القول بالإصرار والجحود، وفي هذا الوعظ[3] شفقة على نفسه وعلى الخلق، أما على نفسه: فإنه كان مأموراً من عند الله بالأمر

(١) المراغي.
(٢) الخازن.
(٣) روح البيان.

بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومن عند أخيه بقوله: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فلو لم يأمر بالمعروف، ولم ينه عن المنكر.. لخالف أمر الله وأمر موسى، وإنه لا يجوز.

وقرأ الحسن وعيسى وأبو عمرو في رواية[1]: ﴿وأن ربكم﴾ بفتح الهمزة، والجمهور: بكسرها المصدر المنسبك منها: في موضع خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: والأمر كون الرحمٰن ربكم، فهو من عطف جملة على جملة، وقدره أبو حاتم: ولأن ربكم الرحمٰن، وقرأت فرقة: ﴿أنما﴾ و﴿أن﴾ بفتح الهمزتين، وتخريج هذه القراءة على لغة سُليم، حيث يفتحون أن بعد القول مطلقاً، ثم بيَّن أنهم لم يسمعوا نصحه، ولم يُطيعوا أمره بقوله: ﴿قَالُوٓا﴾؛ أي: قال عبدة العجل من قوم موسى في جواب هارون: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: لن نزال على العجل وعبادته ﴿عَٰكِفِينَ﴾؛ أي: مقيمين، قال الراغب: العكوف: الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم، قال في «الكبير»: رحمته تعالى خلَّصتهم من آفات فرعون، ثم إنهم لجهلهم قابلوه بالتقليد فقالوا: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾؛ أي: لن نزال مقيمين على عبادة هذا العجل ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ فننظر هل يقرنا على عبادته، أو ينهانا عنها، جعلوا رجوعه غايةً لعكوفه، لكن لا على طريق الوعد بترك عبادته عند رجوعه، بل بطريق التعليل والتسويف .اهـ «أبو السعود».

فعند ذلك اعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً من المنكرين لما فعله السامري، كأنهم قالوا: لن نقبل حجتك، ولا نقبل إلا قول موسى، وما مقصدهم من ذلك إلا التعلل والتسويف، وعدم إجابة طلب هارون، فلما رجع موسى.. سمع الصياح والجلبة، وكانوا يرقصون حول العجل، فقال للسبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفتنة، فلما رأى هارون.. أخذ شعر رأسه بيمينه، ولحيته بشماله، وكان طويل الشعر و﴿قَالَ﴾ له: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ﴾ والاستفهام فيه: توبيخي، والجملة: مستأنفة استئنافاً بيانياً واقعاً في جواب سؤال مقدر، كأنه

---

(١) البحر المحيط.

قيل: فما قال لهارون حين رجع إليهم؟ فقيل: قال له وهو مغتاظ: يا هارون ما منعك؛ أي[1]: أيُّ شيء منعك ﴿إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾؛ أي: أخطؤوا طريق عبودية الله بعبادة العجل، وبلغوا من المكابرة إلى أن شافهوك بالمقالة الشنعاء ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ (لا) مزيدة، وهو مفعول ثان لمنع، وهو عامل في (إذ)؛ أي: أي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من أن تتبعني في الغضب لله، والمقاتلة مع من كفر به، وأن تأتي عقبي، وتلحقني وتخبرني لأرجع إليهم، لئلا يقعوا في هلاك هذه الفتنة؟ أو غير مزيدة على أن ﴿مَنَعَكَ﴾ مجاز عن دعاك، والمعنى ما دعاك إلى ترك اتباعي، وعدمه في شدة الغضب لله ولدينه؟ ونظير ﴿لَآ﴾ هذه قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ في الوجهين.

والمعنى[2]: أي قال موسى لهارون: أي شيء منعك حين رأيت ضلالهم أن تلحقني إلى جبل الطور بمن آمن معك؟ وقد كان موسى يرى أن مفارقة هارون لهم، وخروجه من بينهم، بعد تلك النصائح القولية، يكون أزجر لهم من الاقتصار على النصائح وحدها، لما في ذلك من الدلالة على شديد الغضب والإنكار، فإن مفارقة الرئيس المحبوب لديهم من أجل أمرٍ مبغوضٍ عليهم مما تشق على النفوس، وتقتضي ترك ذلك الأمر الذي يكرهه ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ فيما قدمت إليك من قولي. ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وكان[3] ظهور العجل في السادس والثلاثين يوماً من خروج موسى، وعبدوه، وجاءهم موسى بعد استكمال الأربعين، فعاتبهُ موسى على عدم اتباعه، لما رآهم قد ضلوا. قرأ[4] ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿أن لا تتبعني﴾ بياء ساكنة في الوصل، ويقف ابن كثير بالياء، وأبو عمرو بغير ياء، وروىٰ إسماعيل بن جعفر عن نافع: ﴿أن تتبعني أفعصيت﴾ بياء مفتوحة، وروىٰ قالون عن نافع مثل أبي عمرو، سواءً وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بغير ياء في الوصل والوقف، وفي «الجمل» وهذه الياء من ياءات الزوائد، فحقها أن تحذف في الرسم، كما هي

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

(٤) زاد المسير.

كذلك في مصحف الإمام، و(الهمزة) في قوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ للاستفهام التوبيخي، المضمن للإنكار، داخلة على محذوف، و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف كما مر نظائره مراراً، والتقدير: أأقمت بين هؤلاء الذين عبدوا العجل، فعصيت وخالفت أمري لك بالقيام لله، ومنابذة من خالف دينه، وعبارة «روح البيان» هنا: و(الهمزة) للإنكار التوبيخي و(الفاء): عطف على مقدر، يقتضيه المقام؛ أي: أخالفتني فعصيت أمري بالصلابة في الدين، والمحاماة عليه، كما عصىٰ هؤلاء القوم أمري، فإن قوله ـ عليه السلام ـ: ﴿اخْلُفْنِى﴾ متضمن للأمر بهما حتماً، فإن الخلافة لا تتحقق إلا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضراً .اهـ.

فلما أقام بينهم[1]، ولم يبالغ في الإنكار عليهم.. نسبه إلى عصيانه ومخالفة أمره، فترفق هارون في خطاب موسى استعطافاً له، وترقيقاً لقلبه، إذ أضافه إلى الأم مع كونه أخاه لأبيه وأمه، حيث امتلأ موسى غضباً مما رأى، وألقىٰ ما في يده من الألواح، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، فـ﴿قَالَ﴾ هارون ﴿يا ابن أم لا تأخذ بـ﴾شعر ﴿لحيتي ولا بـ﴾شعر ﴿رأسي﴾، وقد روي: أن موسى أخذ شعر رأسه بيمينه، ولحيته بشماله، وكان ـ عليه السلام ـ شديداً غضوباً لله تعالى، وقد شاهد مشاهد، وغلب على ظنه تقصير هارون ـ عليه السلام ـ ففعل ما فعل، والأم[2] بإزاء الأب، وهي الوالدة القريبة التي ولدته، والبعيدة التي ولدت من ولدته، ويقال لكل ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه ﴿أُمٌّ﴾ وأصله: يا ابن أمي: أبدلت الياء ألفاً فقيل: يا ابن أما، ثم حذف الألف واكتفي بالفتحة لكثرة الاستعمال، وطول اللفظ، وثقل التضعيف. وقرىء: ﴿يا ابن أمِ﴾ بالكسر بحذف الياء، والاكتفاء بالكسرة، وقد مر اختلاف القراء فيه في سورة الأعراف، وخص الأم بالإضافة استعظاماً لحقها، وترقيقاً لقلبه، واعتداداً لنسبها، وإشارةً إلى أنهما من بطن واحد، وإلا فالجمهور على أنهما لأب وأم، قال بعض الكبار: كانت نبوة هارون من حضرة الرحمة، كما قال

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ ولذا ناداه بأمه، إذ كانت الرحمة للأم أوفر، ولذا صبرت على مباشرة التربية، وقرأ[1] عيسى بن سليمان الحجازي ﴿بلحيتي﴾ بفتح اللام، وهي لغة أهل الحجاز، قال صاحب «الكشاف»: كان موسى[2] ـ عليه السلام ـ رجلاً شديداً، مجبولاً على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء، شديد الغضب لله ولدينه، فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلاً من دون الله، بعدما رأوا من الآيات العظام، أن ألقى ألواح التوراة، لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة، غضباً لله، واستنكافاً وحميةً، وعنف بأخيه وخليفته على قومه، فأقبل عليه إقبال العدو المكاشف، قابضاً على شعر رأسه ـ وكان أفرع ـ وعلى شعر وجهه يجره إليه .اهـ.

ثم بيَّن علة هذا النهي بأني لست عاصياً أمرك، ولا مقصراً في المصلحة، بل ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ وخفت لو قاتلت بعضهم ببعض، وتفرقوا ﴿أَن تَقُولَ﴾ لي ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ برأيك، وأراد بالتفريق: ما يستتبعه القتال من تفريق لا يُرجى بعده الاجتماع؛ أي: خشيت إن فارقتهم واتبعتك، أن يصيروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً، فتقول أوقعت الفرق فيما بينهم ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾؛ أي: لم تحفظ وصيتي لك في حسن الخلافة عليهم، ويريد به قوله: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ فإن الإصلاح: ضم النشر وحفظ جماعات الناس، والمداراة بهم إلى أن ترجع إليهم، وترى فيهم ما ترى، فتكون أنت المتدارك للأمر بنفسك، المتلاقي برأيك، لا سيما وقد كانوا في غاية القوة، ونحن على القلة والضعف، كما يُعرف من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي﴾ وعلى هذا التفسير يكون قوله ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ معطوفاً على ﴿فَرَّقْتَ﴾ والياء في ﴿قَوْلِي﴾ واقعة على موسى؛ أي: وخشيت أن تقول لي إنك: لم ترقب قولي لك: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ وعلى هذا التفسير أكثر المفسرين، كالسمين، والبيضاوي، والخازن، والخطيب، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ معطوفاً على ﴿أَن تَقُولَ﴾ فتكون الياء في ﴿قَوْلِي﴾ واقعةً على هارون؛ أي: وخشيت عدم ترقبك وانتظارك لقولي، حتى تتأمل فيه، وتفهم منه عذري اهـ

(١) البحر المحيط. (٢) الكشاف.

«جمل» بتصرف وقرأ أبو جعفر: ﴿ولم ترقب﴾ بضم التاء وكسر القاف. مضارع أَرْقَب الرباعي، وهذا الكلام من هارون اعتذار، والعذر[١]: ضابطه: هو تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه وإساءته، وذلك ثلاثة أضرب: أن يقول لم أفعل، أو يقول فعلت لأجل كذا، فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنباً، أو يقول فعلت ولا أعود، ونحو ذلك، وهذا الثالث هو التوبة، فكل توبة عذر دون العكس، وكان هارون حليماً رفيقاً، ولذا كان بنو إسرائيل أشد حباً له، وقوله: ﴿قَالَ﴾ موسى للسامري: استئناف بياني، واقع في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا صنع موسى بعد اعتذار القوم، واعتذار هارون، واستقرار أصل الفتنة على السامري؟ فقيل: قال موسى موبخاً له: هذا شأنهم ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾؛ أي: ما شأنك وما مطلوبك فيما فعلت، وما الذي حملك عليه، والخطب لغةً: الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب، وهو من تقاليب الخبط، خاطبه بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه، ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالاً للمفتونين به، ولمن خلفهم من الأمم ﴿قَالَ﴾ السامري مجيباً لموسى - عليه السلام - ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ﴾؛ أي: رأيت ما لم يره القوم، أو علمت بما لم يعلموا، وفطنت لما لم يفطنوا له، وأراد بذلك أنه رأى جبريل على فرس الحياة، وكان كلما وضع الفرس يديه أو رجليه على الطريق اليبس.. يخرج من تحته النبات في الحال، فعرف أن له شأناً، فأخذ من موطئه حفنة من تراب.

وقرأ الأعمش وأبو السماك[٢]: ﴿بصرت﴾ بكسر الصاد ﴿بما لم تبصروا﴾ بفتح الصاد، وقرأ عمرو بن عبيد ﴿بصرت﴾ بضم الباء وكسر الصاد ﴿بما لم تبصروا﴾ بضم التاء وفتح الصاد، مبنياً للمفعول فيهما، وقرأ الجمهور ﴿بصرت﴾ بضم الصاد، وحمزة، والكسائي، وأبو بحرية، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وابن مناذرٍ، وابن سعدان، وقعنب ﴿تبصروا﴾ بتاء الخطاب لموسى وبني إسرائيل، وباقي السبعة ﴿يَبْصُرُوا﴾ بياء الغيبة. وروي: أن السامري لما قال:

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾.. قال[1] له موسى ـ عليه السلام ـ: وما ذلك؟ قال: رأيت جبريل على فرس الحياة، فألقى في نفسي أن أقبض من أثرها، فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم، فحين رأيت قومك سألوك أن تجعل لهم إلٰهاً.. زينت لي نفسي ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾؛ أي: أخذت حفنةً ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: من تربة موطىء فرس الملك الذي أرسل إليك؛ أي: من تراب حافر فرس جبريل، والمراد: فرس الحياة لجبريل، ولم يقل: جبريل أو روح القدس، لأنه لم يعرف أنه جبريل، وأراد بذلك: أنه رأى جبريل على فرس الحياة، فألقى في ذهنه أن يقبض قبضة من أثر الرسول، وأن ذلك الأثر لا يقع على جماد إلا صار حياً، والقبضة: المرة من القبض، وهو الأخذ بجميع الكف، أُطلقت على المقبوض مرةً كما سيأتي، والأثر: التراب الذي تحت حافره.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ بالضاد المعجمة فيهما؛ أي: أخذت بكفي على الأصابع، وقرأ عبد الله، وأبيّ، وابن الزبير، وحميد، والحسن: ﴿فقبصت قبصة﴾ بالصاد فيهما، وهو الأخذ: بأطراف الأصابع، وقرأ الحسن ـ بخلاف عنه ـ وقتادة، ونصر بن عاصم: بضم القاف والصاد المهملة، وأدغم ابن محيصن الضاد المنقوطة في تاء المتكلم، وأبقىٰ الإطباق مع تشديد التاء. ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾؛ أي: نبذت تلك القبضة، وطرحتها في الحلي المذابة، المسبوكة، على صورة العجل، أو في فم العجل، فكان ما كان.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف[3]: ﴿فنبذتها﴾ بالإدغام ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾؛ أي: وزينت[4] لي نفسي بشقاوتي ومحنتي، تزييناً كائناً مثل ذلك التزيين الذي فعلته، من القبض والنبذ؛ فالمعنى: لم يدعني إلى ما فعلته أحد غيري، بل اتبعت هواي فيه، والتسويل[5]: تزيين النفس لما تحرص عليه،

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) زاد المسير.
(٤) المراح.
(٥) روح البيان.

وتصوير القبيح منها بصورته الحسن، وأصل التركيب: سولت لي نفسي تسويلاً كائناً مثل ذلك التسويل، على أن يكون مثل صفةً لمصدرٍ محذوفٍ، وذلك إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعد، فقدم على الفعل لإفادة القصر، واعتبرت الكاف مقحمةً لإفادة تأكيد ما أفاده اسم الإشارة، من الفخامة، فصار مصدراً مؤكداً، لا صفةً؛ أي: ذلك التزيين البديع، زينت لي نفسي ما فعلته من القرض والنبذ، لا تزييناً أدنى، ولذلك فعلته.

وحاصل جوابه: أن ما فعله إنما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء وغوائها، لا بشيءٍ آخر من البرهان العقلي، والإلهام الإلهي، أو المعنى؛ أي: كما زينت لي نفسي أولاً اتباع سنتك، واقتفاء أثرك، زينت لي أيضاً ترك ذلك بمحض الهوى، لا لشيء آخر من برهان عقلي، أو إلهام إلهي، ولما سمع موسى من السامري ما سمع.. بيَّن له ما سينزل به من الجزاء في الدنيا والآخرة، وذكر له حال إلٰهه، أما جزاؤه هو في الدنيا.. فما حكاه سبحانه عنه ﴿قَالَ﴾ له موسى ـ عليه السلام ـ مكافئاً له ﴿فَٱذْهَبْ﴾ يا سامري طريداً بين الناس ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾؛ أي: ثابت لك مدة حياتك عقوبة ما فعلت ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾؛ أي: قولك: لا مساس؛ أي: لا يمسني أحد، ولا أمس أحداً خوفاً من أن تمسكما الحمى؛ أي: فإن قولك: لا مساس ثابت لك في مدة حياتك، لا ينفك عنك، فكان يصيح بأعلى صوته لا مساس؛ أي[1]: لا أَمَس ولا أُمَس، إذا مسه أحدهم.. أخذت الحمى الماس والممسوس، فكان إذا أراد أحد أن يمسه.. صاح خوفاً من الحمى وقال: لا مساس، وحرم موسى عليهم ملاقاته، ومواجته، ومكالمته، ومبايعته، وغيرها مما يعتاد جريانه بين الناس من المعاملات، فكان يهيم في البرية وحيداً طريداً مع السباع، والوحوش. وفي «التأويلات النجمية»[2]: يشير إلى أن قصدك ونيتك فيما سولت نفسك أن تكون مطاعاً متبوعاً، آلفاً مألوفاً، فجزاؤك في الدنيا أن تكون طريداً وحيداً، ممقتاً ممقوتاً متشرداً متنفراً، تقول لمن رآك: لا تمسني ولا أمسك فنهلك .اهـ. وذلك

---

(١) المراح. (٢) روح البيان.

لأن في الانقطاع بعد الاتصال ألماً شديداً، بخلاف الانقطاع الأصلي.

والمعنى[1]: أي قال له موسى: اذهب فأنت طريد من بين الناس، فلا يخالطك أحد ولا تخالط أحداً، حتى لو سئلت عن حالك لم تقل إلا أنه لا مساس؛ أي: لا يماسني أحد ولا أماس أحداً، قال مقاتل: إن موسى ـ عليه السلام ـ أمره هو وأهله بالخروج من محلة بني إسرائيل، فخرج طريداً في البراري.

وقصارى ذلك: أنه خاف وهرب، وجعل يهيم في الصحارى والقفار، حتى صار لبعده عن الناس كأنه قائل ذلك، وقيل[2]: أراد موسى قتله، فمنعه الله من قتله، لأنه كان شيخاً، قال بعض مشايخنا: وقد وقع مثل هذا في شرعنا في قصة الثلاثة الذين خالفوا أمر الرسول ـ عليه السلام ـ أن لا يكلموا ولا يخالطوا، وأن يعتزلوا نساءهم، حتى تاب الله عليهم.

وقرأ الجمهور: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ بفتح السين والميم المكسورة، ومساس: مصدر ماس كقتال من قاتل، وهو منفي بـ﴿لا﴾ التي لنفي الجنس، وهو نفي يريد به النهي، أي: لا تمسني ولا أمسك، وقرأ الحسن، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، وقعنب: بفتح الميم وكسر السين، فقال صاحب «اللوامح»: هو على صورة نزال ونظار، من أسماء الأفعال، بمعنى أنزل وأنظر، فهذه الأسماء التي بهذه الصيغة معارف، ولا تدخل عليها لا النافية، التي تنصب النكرات، نحو لا مال لك، لكنه فيه نفي الفعل، فتقديره: لا يكون منك مساس، ولا أقول مساس، ومعناه: النهي؛ أي: لا تمسني. انتهى.

وظاهر هذا: أن مساس: اسم فعل، وقال الزمخشري: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ بوزن فجار، معدول عن المصدر الذي هو المسة، كفجار معدولاً عن الفجرة.

وأما جزاؤه في الآخرة: فقد ذكره بقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾؛ أي: وعداً في

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

الآخرة بالعقاب على الشرك والإفساد ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾؛ أي[1]: لن يخلفه الله ذلك الوعد، بل ينجزه البتة، بعدما عاقبك في الدنيا، والخلف والإخلاف: المخالفة في الوعد، يقال: وعدني فأخلفني؛ أي: خالف في الميعاد، وقرأ الجمهور[2]: ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بالتاء المضمومة وفتح اللام، على معنى لن يقع فيه خلف، بل ينجزه لك الله في الآخرة، على الشرك والإفساد بعد ما عاقبك في الدنيا، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، والأعمش، وابن محيص، واليزيدي، والحسن: ﴿لن تخلِفه﴾؛ أي: لن تستطيع الروغان والاختفاء والحيدة عنه، فتغيب عن موعد العذاب، وقرأ ابن مسعود، والحسن ـ بخلاف عنه ـ: ﴿لن نخلفه﴾ بالنون وكسر اللام؛ أي: لا ننقص مما وعدنا لك من الزمان شيئاً.

وأما حال إلٰهه: فقد بيَّنه بقوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾؛ أي: إلى هذا المعبود بزعمك ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾؛ أي: صرت مقيماً على عبادته، والله ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار[3]، ويؤيده قراءة: ﴿لنحرقنه﴾ من الإحراق، وهو إيقاع نارٍ ذات لهب في الشيء، بخلاف الحرق فإنه إيقاع حرارة في الشيء من غير لهب، كحرق الثوب بالدق أو لنحرقنه بالمبرد، على أنه مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد، ويعضده قراءة، ﴿لنحرقنه﴾ بفتح النون وضم الراء؛ أي: لنبردنه، يقال: بردت الحديد بالمبرد، والبرادة: ما سقط منه، وقرأ[4] الجمهور: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضم النون وتشديد الراء، من حرقه يحرقه.

وقرأ الحسن، وقتادة، وأبو جعفر، وأبو رجاء، والكلبي: ﴿لنحرقنه﴾ بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء، من أحرقه يحرقه رباعياً، وقرأ علي، وابن عباس، وحميد، وأبو جعفر ـ في رواية ـ وعمرو بن فائد، وابن محيصن، وأشهب والعقيلي: ﴿لنحرقنه﴾ بفتح النون وضم الراء مخففةً، من حرقت الشيء: أحرقه وأحرقه بضم راء المضارع وكسرها، إذا بردته، وحككت بعضه ببعض؛ أي: لنبردنه بالمبارد، ويقال للمبرد: المحرق، والقراءة الأولى أولى، ومعناها

---

(1) روح البيان.
(2) البحر المحيط.
(3) روح البيان.
(4) البحر المحيط.

الإحراق بالنار، وكذلك معنى القراءة الثانية، لأن الظاهر أن حرق وأحرق إنما يكون بالنار، وقد جُمع[1] بين هذه القراءات الثلاث بأنه أحرق بالنار أولاً، ثم برد بالمبرد، وفي مصحف أُبي، وابن مسعود[2] ﴿لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه﴾ وتوافق هذه القراءة من روى أنه صار لحماً ودماً ذا روح، ويترتب الإحراق بالنار على هذا، وأما إذا كان جماداً مصوغاً من الحلي فيترتب برده لا إحراقه، إلا إن عنى به إذابته، وقال السدي: أمر موسى بذبح العجل، فذُبح وسال منه الدم، ثم أُحرق ونُسف رماده، وقيل: بردت عظامه بالمبرد، حتى صارت بحيث يمكن نسفها. ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: لنذرينه في هواء البحر، ونرمينه ﴿نَسْفًا﴾؛ أي: ذروا ورمياً إذا كان رماداً أو مبروداً، بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر، حتى صار سحالةً كذرات الهباء، يقال: نسفت الريح التراب إذا أقلعته وأزالته، وذرته، والنسف[3]: نقض الشيء ليذهب به الريح، والمنسف: ما يُنسف به الطعام، وهو شيء منصوب الصدر، أعلاه مرتفع، والنُّسَافة: ما يسقط منه.

وقرأ الجمهور[4]: ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ بكسر السين، وقرأت فرقة ـ منهم عيسى ـ: بضم السين، وقرأ ابن مقسم: ﴿لننسفنه﴾ بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد السين، ولقد بر موسى[5] في قسمه، وفعل ما أوعده به، كما يدل على ذلك قوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ ولم يصرح بهذا تنبيهاً إلى وضوحه واستحالة خلفه في وعيده المؤكد باليمين، وفي فعله ذلك به عقوبة للسامري، وإظهار لغباوة المفتونين به، لمن له أدنى نظر، وبعد أن فرغ من إبطال الباطل، شرع في تحقيق الدين الحق فقال: ﴿إنما إلهكم﴾؛ أي: معبودكم المستحق منكم العبادة؛ أي: لا معبود لشيء من الأشياء موجود ﴿إِلَّا هُوَ﴾ وحده من غير أن يشاركه شيء من الأشياء، بوجه من الوجوه التي من جملتها أحكام الألوهية، لا هذا العجل الذي فتنتم به؛ أي: ليس هذا بإلهكم، وإنما المستحق للعبادة والتعظيم: الله الذي لا

---

(١) الشوكاني.
(٢) البحر المحيط.
(٣) الشوكاني.
(٤) البحر المحيط.
(٥) المراغي.

إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له، فكل شيء فقير إليه، وهو الخالق لكل شيء، قال في «بحر العلوم»: قوله: ﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ تقرير لاختصاص الإلهية، ونحوه قولك: القبلة الكعبة التي لا قبلة إلا هي، وقرىء[1] ﴿الله لا إله إلا هو الرحمٰن رب العرش﴾ ﴿وَسِعَ﴾ سبحانه ﴿كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ وانتصاب ﴿عِلْمًا﴾ على التمييز عن الفاعل؛ أي: وسع علمه ـ سبحانه وتعالى ـ كل شيء، فيعلم من يعبده ومن لا يعبده؛ أي: وسع علمه بكل ما كان وما يكون؛ أي: علم كل شيء وأحاط به عداً، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، والجملة الفعلية: بدل من الصلة كأنه قيل: إنما إلٰهكم الله الذي وسع كل شيء علماً لا غيره، كائناً من كان، فدخل فيه العجل دخولاً أولياً، وقرأ[2] الجمهور: ﴿وَسِعَ﴾ السين مخففة وهو متعد إلى مفعول واحد، وهو ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ و﴿عِلْمًا﴾ تمييز كما مر آنفاً، وقرأ مجاهد وقتادة ﴿وسع﴾ بتشديد السين وفتحها، فيتعدى إلى مفعولين، ويكون انتصاب ﴿عِلْمًا﴾ على أنه المفعول الأول، وإن كان متأخراً، لأنه في الأصل: فاعل، والتقدير: وسع علمه كل شيء.

و﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ الكاف: صفة لمصدر محذوف تقديره؛ أي: نقص عليك يا محمد ونخبر لك ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ﴾؛ أي[3]: من أخبار الأمور الماضية، والأمم الدارجة، قصصاً مثل قص قصة موسى عليك فيما مر، تسليةً لك وزيادةً في علمك، ودلالةً على صدقك، وتذكيراً للمستبصرين من أمتك، والقص[4]: تتبع الأثر، والقصص: الأخبار المتتبَّعة، و﴿مَن﴾ مفعول ﴿نَقُصُّ﴾ بالاعتبار مضمونه، والنبأ: خبر ذو فائدةٍ عظيمةٍ، يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل: نبأ، حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي فيه نبأ: أن يتعرى عن الكذب، كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي ـ عليه السلام ـ.

---

(١) المراح.
(٢) الشوكاني.
(٣) البيضاوي.
(٤) روح البيان.

والمعنى: نقص عليك يا محمد بعض الحوادث الماضية الجارية على الأمم السالفة، مثل ذلك القص البديع الذي سمعت، لا قصاً ناقصاً عنه، تبصرةً لك، وتوفيراً لعلمك، وتكثيراً لمعجزاتك، وتنبيهاً للمعتبرين من أمتك.

والحاصل: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يخاطب نبيه[1] ﷺ ويبين له أنه كما قص عليه خبر موسى، وما جرى له مع فرعون وجهوده، على هذا الأسلوب الرائع، والمسلك البديع، يقص عليه أخبار الحوادث التي جرت عليه الأمم الخالية، ليكون له ذلك سلوةً، ليتأسى بالأنبياء السالفين وما لاقوه من أممهم من شديد العناد، والجحود والتكذيب، ومكابدة الشدائد والأهوال ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ يا محمد؛ أي: ولقد أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّآ﴾؛ أي: من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾؛ أي: كتاباً شريفاً[2] مطوياً على هذه الأقاصيص والأخبار، حقيقاً بالتذكر به، جديراً بالتفكر فيه، والاعتبار به لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولم يعط نبي قبلك مثله، فهو جامع للأخبار، حاوٍ للأحكام التي فيها صلاح حال البشر في دينهم ودنياهم، مشتمل على مكارم الأخلاق وسامي الآداب التي بها يرتفع قدر الأمم، وينبه ذكرها، وفي «الكبير» في تسميته به وجوه:

الأول: أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه في أمر دينهم ودنياهم.

والثاني: أن يذكر أنواع آلاء الله ونعمائه، وفيه التذكير والموعظة.

والثالث: فيه الذكر والشرف لك ولقومك، وسمىٰ الله سبحانه كل كتبه ذكراً فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾؛ أي: عن ذلك الذكر العظيم الشأن، الجامع لوجوه السعادة والنجاة، فلم يعتبر، ولم يعمل به لإنكاره إياه، وتكذيبه به، وابتغى الهدى من غيره. و﴿مَّنْ﴾ إما شرطية أو موصولة، وأياً ما كانت، فالجملة صفة لـ﴿ذِكْرًا﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: فإن ذلك المعرض عنه ﴿يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾؛ أي: عقوبةً ثقيلةً على كفره، وسائر ذنوبه، وتسميتها وزراً: تشبيهاً في ثقلها على المعاقب، وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يقدح الحامل، وينقض

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

ظهره؛ أي: فإن الله يضله ويهديه إلى سواء الجحيم، ويحمل يوم القيامة من الأوزار والآثام ما لا يقدر على حمله، بل ينقض ظهره، وبمعنى الآية قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ وكل من بلغه القرآن من العرب والعجم، من أهل الكتاب وغيرهم، فهو نذير له، فمن اتبعه.. آهتدىٰ، ومن أعرض عنه.. ضل وشقي في الدنيا، والنار موعده يوم القيامة، كما قال ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ حالة كونهم ﴿خَٰلِدِينَ﴾؛ أي: ماكثين ﴿فِيهِ﴾؛ أي: في ذلك الوزر؛ أي: في عقوبته مكثاً مؤبداً، لا يجدون عنها محيصاً، ولا انفكاكاً، فهو حال من الضمير المستتر في يحمل، والجمع: بالنظر إلى معنى ﴿من﴾ لما أن الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع أهلها فيها.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿يَحْمِلُ﴾، مضارع حمل الثلاثي، مخففاً مبنياً للفاعل، وقرأت فرقة ـ منهم داود بن رفيع ـ: ﴿يحمل﴾ مشدد الميم من حُمّل المضعف، مبنياً للمفعول، لأنه يكلف ذلك، لا أنه يحمله طوعاً ووزراً، مفعول ثان ﴿وَسَآءَ﴾؛ أي: وبئس الوزر ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: للمعرضين ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ من جهة كونه ﴿حِمْلًا﴾ ثقيلاً ﴿لَهُمْ﴾، والمخصوص بالذم: محذوف تقديره: وزرهم ﴿وَسَآءَ﴾[2] هنا هي التي جرت مجرى بئس، لا ساء التي بمعنى أحزن وأهم، لفساد المعنى، و(اللام) في ﴿لَهُمْ﴾: للبيان كهي في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ لا متعلقة بـ﴿ساء﴾ كأنه لما قيل: ﴿ساء﴾ قيل: لمن يقال هذا؟ فأجيب بـ﴿لَهُمْ﴾ وجمع الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ حملاً على معنى ﴿مَنْ﴾ بعد الحمل على لفظها في ﴿أَعْرَضَ﴾ وفي ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ يحمل، وإعادة يوم القيامة لزيادة التقرير والتهويل؛ أي: وبئس عقاب وزرهم الذي حملوه يوم القيامة، جزاءَ إعراضهم وكفرهم، وسائر ذنوبهم، وقوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ بدل من يوم القيامة، أو منصوب بإضمارك اذكر؛ أي: اذكر يا محمد لقومك، ولسائر الناس قصة يوم ينفخ إسرافيل في القرن، الذي التقمه للنفخ ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: ونخرج المتوغلين في الإجرام والآثام،

---

(١) البحر المحيط. (٢) البحر المحيط.

المنهمكين فيها، وهم الكفرة والمشركون، من مقابرهم، ونجمعهم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم إذ يُنفخ في الصور، وذكره صريحاً مع تعين أن الحشر لا يكون إلا يومئذ للتهويل حالة كونهم ﴿زُرْقًا﴾؛ أي: زرق العيون، جمع أزرق، والزرقة: الخضرة في العين كعين الهرة، والعرب تتشاءم بزرقة العين، وهي أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب، فإن الروم الذين كانوا أعدى عدوهم زرق، وقال الإمام في «المفردات» قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾؛ أي: عمياً عيونهم، لا نور لها، لأن حدقة الأعمى تزرق، يعني أن العين إذا زال نورها أزرقت.

والمعنى[1]: هذا اليوم؛ أي: يوم القيامة هو يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية، إيذاناً بالقيام للحشر والحساب، ويوم يساق فيه المجرمون إلى المحشر شاحبي الألوان، زرق الوجوه، لما هم فيه من مكابدة الأهوال، ومقاساة الشدائد، التي تحل بهم، والجمع[2] بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ ما قيل: من أن ليوم القيامة حالاتٍ ومواطن، تختلف فيها صفاتهم، ويتنوع عندها عذابهم، وقرأ الجمهور[3]: ﴿يُنفَخُ﴾ مبنياً للمفعول ﴿وَنَحْشُرُ﴾ بالنون مبنياً للفاعل بنون العظمة، وقرأ أبو عمرو، وابن محيصن، وحميد ﴿ننفخ﴾ بنون العظمة لـ﴿نحشر﴾ أسند النفخ إلى الآمر به، والنافخ: هو إسرافيل، ولكرامته أسند ما يتولاه إلى ذاته المقدسة، وقرىء ﴿ينفخ﴾ و﴿يحشر﴾ بالياء مبنياً للفاعل، وقرأ الحسن، وابن عياض في جماعة ﴿في الصور﴾ على وزن درر، والحسن ﴿ينفخ﴾ بالياء مبنياً للمفعول و﴿يحشر﴾ مبنياً للفاعل وبالياء؛ أي: ويحشر الله تعالى، وقوله: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ استئناف[4] لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذ، ويصح أن يكون حالاً من ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ والتخافت: إسرار المنطق وإخفاؤه؛ أي: يقول بعضهم لبعض خفيةً، من غير رفع صوت، بسبب امتلاء صدورهم من الخوف والهوان، أو استيلاء الضعف عليهم ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾؛ أي: ما أقمتم وما مكثتم في الدنيا، أو في القبر

---

(١) المراغي.
(٢) الشوكاني.
(٣) البحر المحيط.
(٤) روح البيان.

﴿إِلَّا عَشْرًا﴾؛ أي: إلا عشر ليال، أو عشر ساعات استقصاراً لمدة لبثهم فيها، لزوالها، لأن أيام الراحة قليلة، والساعات تمر مر السحاب؛ أي: يساررون فيما بينهم، حال كونهم قائلين في السر: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا﴾ عشر ليال، لأنهم يرون من شدة[1] أهوال ذلك اليوم ما يقلل ذلك في أعينهم، فهم يحسبون أنهم ما لبثوا في الدنيا، أو في القبور إلا عشرة أيام مع لياليها، وهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا، لا يتمالكون من أن يقولوا ذلك، اعترافاً به، وتحقيقاً لسرعة وقوعه، كأنهم قالوا: قد بعثتم وما لبثتم في القبور إلا مدةً يسيرة، وقوله[2]: ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ يحتمل عشر ليال، أو عشرة أيام، لأن المذكر إذا حذف وأبقى عدده، قد لا يؤتى بالتاء، حكىٰ الكسائي عن أبي الجراح: صمنا من الشهر خمساً، ومنه ما جاء في الحديث: «ثم أتبعه بست من شوال» يريد ستة أيام، وحسَّن الحذف هنا كون ذلك فاصلةً رأس آية، ودل قوله الآتي ﴿إِلَّا يَوْمًا﴾ على أن المراد بقولهم عشراً: عشرة أيام، ثم لما قالوا هذا القول.. قال الله - سبحانه -: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وهو مدة لبثهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ وأوفرهم وأوفاهم ﴿طَرِيقَةً﴾؛ أي: رأياً وعقلاً، وأعلمهم عند نفسه: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾؛ أي: ما لبثتم إلا يوماً واحداً، ونسبة هذا القول إلى أمثلهم، لكونه أدل على شدة الهول، لا لكونه أقرب إلى الصدق.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾؛ أي: ويسألك يا محمد مشركو مكة على سبيل الاستهزاء ﴿عَنِ﴾ حال ﴿الْجِبَالِ﴾ يوم القيامة، وقد كانوا سألوا النبي ﷺ عن ذلك، فأمره الله - سبحانه - أن يجيب عنهم، فقال: ﴿فَقُلْ﴾ و(الفاء)[3] في قوله ﴿فَقُلْ﴾ يا محمد: واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: إن سألوك فقل جواباً لهم ﴿يَنسِفُهَا﴾؛ أي: يقلعها ﴿رَبِّى﴾ من أصولها ﴿نَسْفًا﴾؛ أي: قلعاً ثم يصيرها رملاً يسيل سيلاً، ثم يصيرها كالصوف المنفوش، تطيرها الرياح هكذا وهكذا، ثم كالهباء المنثور والضمير في ﴿فَيَذَرُهَا﴾ عائد إلى ﴿الْجِبَالِ﴾ باعتبار مواضعها؛ أي: فيذر

---

(١) المراح.
(٢) البحر المحيط.
(٣) الشوكاني.

مواضعها، ويتركها بعد نسف ما كان عليها من الجبال، وعبارة «أبي السعود» هنا: أي يتركها، والضمير إما للجبال باعتبار أجزائها السالفة الباقية بعد النسف، وهي مقارها ومراكزها؛ أي: فيذر ما انبسط منها وساوى مسطح أجزاء الأرض بعد نسف الشاهق منها، وإما الأرض المدلول عليها بقرينة الحال، لأنها الباقية بعد نسف الجبال. انتهت. ﴿قَاعًا﴾؛ أي: مكاناً فارغاً سهلاً مطمئناً ﴿صَفْصَفًا﴾؛ أي: مستوياً، كأن أجزاءها على صف واحد من كل جهة، والظاهر من لغة العرب أن القاع: الموضع المنكشف البارز، والصفصف: المستوي الأملس، والخطاب[1] في قوله: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا﴾ لكل من يتأتى منه الرؤية، وهو استئناف مبين لكيفية القاع الصفصف؛ أي: لا ترى أيها المخاطب لا بالبصر ولا بالبصيرة فيها؛ أي: في مقار الجبال ومواضعها بعد نسفها ﴿عِوَجًا﴾؛ أي: انخفاضاً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾؛ أي: ارتفاعاً يسيراً، قال الزمخشري: الأَمْتُ: النتوء اليسير.

والمعنى: أي[2] ويسألك المشركون أيها الرسول، عن الجبال كيف تكون يوم القيامة، فقل مجيباً لهم: يدكها ربي دكاً، ويصيِّرها هباءً تذروه الرياح، فيدع أماكنها من الأرض بعد نسفها ملساءَ مستويةً، لا نبات فيها ولا بناءَ، ولا ارتفاع ولا انخفاض.

وخلاصة هذا: لا ترى في الأرض يومئذ وادياً ولا رابيةً، ولا مكاناً مرتفعاً ولا منخفضاً ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم إذ نسفت الجبال، على إضافة اليوم إلى وقت النسف، وهو ظرف لقوله: ﴿يَتَّبِعُونَ﴾؛ أي: الناس ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ الذي يدعوهم إلى الموقف والمحشر، وهو إسرافيل ـ عليه السلام ـ يدعو الناس عند النفخة الثانية قائماً على صخرة بيت المقدس، كما قيل، ويقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتفرقة، واللحوم المتمزقة، قوموا إلى عرض الرحمٰن، فيقبلون من كل أوب صوبه؛ أي: من كل جانبٍ إلى جهته ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾؛ أي: لا ميل ولا انحراف لهم عن دعائه؛ أي: لا يزيغون[3] عنه يميناً ولا شمالاً، بل يأتونه

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) الفتوحات.

سراعاً .اهـ «خازن».

وهذه الجملة يجوز أن تكون مستأنفةً، وأن تكون حالاً من ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ ويجوز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف، تقديره: يتبعونه اتباعاً لا عوج له، والضمير: في ﴿لَهُۥ﴾ فيه أوجه:

أظهرها: أنه يعود على ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾؛ أي: لا عوج لدعائه، بل يُسمع جميعهم، فلا يميل إلى ناس دون ناس.

والثاني: قيل هو عائد على ذلك المصدر المحذوف؛ أي: لا عوج لذلك الاتباع.

والثالث: أن في الكلام قلباً، تقديره: لا عوج لهم عنه اهـ «سمين».

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾؛ أي: سكنت وخفتت وخفضت ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: لهيبته، وذلت أصحابها، وخضعت لجلاله سبحانه، والخشوع: الخضوع، وهو: التواضع والسكون، أو هو في الصوت والبصر، والخضوع في البدن، وفي «المفردات»[1] الخشوع: الضراعة، وأكثر ما يستعمل فيما يوجد على الجوارح، والضراعة: أكثر ما يستعمل فيما يوجد في القلب، ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب.. خشعت الجوارح، والصوت: هواء متموج بتصادم جسمين، وهو عام، والحرف: مخصوص بالإنسان ﴿فَلَا تَسْمَعُ﴾ أيها المخاطب ويا محمد حينئذ ﴿إِلَّا هَمْسًا﴾؛ أي: إلا صوتاً خفياً، وهو صوت وطء الأقدام في مشيها إلى المحشر، كصوت أخفاف الإبل في مشيها، يقال: همست الإبل: إذا سمع ذلك من وقع أخفافها على الأرض اهـ «سمين»، ومعنى ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾؛ أي: يوم[2] يرى الناس هذه الأهوال.. يتبعون صوت داعي الله الذي يجمعهم إلى موقف الحساب والجزاء، ولا يكون لهم ميل عنه ولا انحراف، ولكنهم سراعاً إليه يقبلون، إذا أمروا بشيء قالوا: لبيك ونحن بين يديك والأمر منك وإليك، كما قال ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ وقال: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ ومعنى: ﴿وَخَشَعَتِ

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾؛ أي: وعلمت الخلائق أن لا مالك لهم سواه، ولا يسمع لهم صوت يزيد على الهمس الذي لا يكاد يفهم إلا بتحريك الشفتين لضعفه، وحق لمن كان الله سبحانه محاسبه أن يخشع طرفه، ويضعف صوته، ويخلص قوله، ويطول غمه، قال أبو مسلم: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم إذ يقع ما ذكر من الأمور الهائلة ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾؛ أي: لا تنفع شفاعة الشافعين أحداً من المشفوعين ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ أي: إلا مشفوعاً أذن الرحمٰن في أن يشفع له؛ أي: في شفاعة الشافعين له ﴿وَرَضِىَ﴾ الرحمٰن ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: لذلك المشفوع ﴿قَوْلًا﴾ من أقواله الحاصلة له في الدنيا، وهو قول: شهادة أن لا إله إلا الله، بأن مات على الإسلام وإن عمل السيئات، وأما من عداه فلا تكاد تنفعه، وإن فرض صدورها من الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ وهذه الآية من أقوى الدلائل على ثبوت الشفاعة في حق الفساق، وهي نافعة لهم، والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ من أعم المفاعيل كما قدرنا آنفاً، أو المعنى: يومئذ لا تنفع شفاعة الشافعين، ولا تُقبل منهم، إلا من أذن له الرحمٰن؛ أي: إلا شفاعة شافعٍ أذن له الرحمن في شفاعته للغير، ورضى له قولاً في طلب شفاعته للغير، وعلى هذا المعنى فـ﴿مَنْ﴾ الموصولة في محل الرفع على البدلية من الشفاعة، ولكنه على حذف مضاف، تقديره؛ أي: لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمٰن، ورضي له قولاً، قال الإمام الراغب: الشفاعة[1]: الانضمام إلى آخر ناصراً له، وسائلاً عنه، وأكثر ما يُستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبةً إلى من هو أدنى منه، ومنه الشفاعة في القيامة، والإذن في الشيء: الإعلام بإجازته والرخصة فيه، كما سيأتي.

المعنى: أي يومئذ[2] لا تنفع الشفاعة أحداً، إلا شفاعة من أذن له الرحمٰن أن يشفع، ورضى له قولاً صدر منه، والفاسق قد قال قولاً يرضاه الرحمٰن، فقد قال: لا إله إلا الله، كما روي عن ابن عباس.

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

والخلاصة: أن الشفاعة لا تكون نافعة للمشفوع له إلا بشرطين:

١ ـ إذن الله للشافع بالشفاعة فيه.

٢ ـ رضا الله عن قول صدر من المشفوع له، ليأذن بشفاعة الشافع له.

وقصارى ذلك: أنما تنفع الشفاعة لمن أذن له الرحمٰن في أن يشفع له، وكان له قول يرضي الله سبحانه، وبمعنى الآية قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ ولما نفى أن تنفع شفاعة بغير إذنه.. علل ذلك بقوله: ﴿يَعْلَمُ﴾ الله سبحانه وتعالى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من[1] أمور الآخرة؛ أي: يعلم سبحانه ما بين أيدي المتبعين الداعي، وهم الخلق جميعاً ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿و﴾ هم ﴿لا يحيطون به﴾؛ أي: بما بين أيديهم وما خلفهم ﴿عِلْمًا﴾؛ أي: لا يعلمون ذلك. وقيل: المعنى: يعلم الله سبحانه ما بين أيديهم، أي[2]: ما تقدمهم من الأحوال وما خلفهم؛ أي: وما بعدهم مما يستقبلون.

والمعنى[3]: أي يعلم ما بين أيدي عباده من شؤون الدنيا، وما خلفهم من أمور الآخرة، وهم لا يعلمون جملة ذلك ولا تفصيله، وقيل: المعنى: ولا يحيطون به[4] تعالى علماً؛ أي: لا تحيط علومهم بذاته ولا بصفاته ولا بمعلوماته، لأنه تعالى قديم، وعلم المخلوقين لا يحيط بالقديم، قال الراغب: والإحاطة بالشيء: هي أن تعلم وجوده، وجنسه، وكيفيته، وغرضه المقصود به إيجاده، وما يكون به ومنه، وذلك ليس إلا لله ـ سبحانه وتعالى ـ ولما ذكر خشوع الأصوات.. أتبعه خضوع ذويها فقال: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾؛ أي: ذلت وجوه الخلائق وذواتهم كلها، صالحةً وعاصيةً، إن قلنا: إن ﴿أل﴾ فيه للجنس، أو

---

(١) الجلالين.
(٢) المراح.
(٣) المراغي.
(٤) الشوكاني.

وجوه العصاة، إن قلنا: إنها للعهد كقوله تعالى: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وعبر عن المكلفين بالوجوه لأن الخضوع فيها يتبين، كما في «الكبير»؛ أي[1]: ذلت الوجوه يوم الحشر وخضعت ﴿لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ خضوع العناة؛ أي: الأسارىٰ في يد ملك قهار، وفي «التأويلات النجمية» خضعت وتذللت وجوه المكونات لمكونها الحي الذي به حياة كل حي، القيوم الذي به قيام كل شيء، احتياجاً واضطراراً واستسلاماً، يقال: عني يعنو عنواً: إذا خضع، ومنه قيل للأسير: عانٍ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت.

مَلِيْكٌ عَلَىٰ عَرْشِ ٱلسَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ   لِعِزَّتِهِ تَعْنُوْ ٱلْوُجُوْهُ وَتَسْجُدُ

ثم قسم الوجوه إلى قسمين بقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ...﴾ إلخ. وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ...﴾ إلخ، أي: وقد خاب وخسر وهلك هلاكاً أبدياً يوم الحشر ﴿من حمل﴾ وارتكب في الدنيا ﴿ظُلْمًا﴾؛ أي: شركاً وكفراً بالله وبرسوله، ومات على ذلك ولم يتب منه، قال الراغب: الخيبة: فوت المطلب.

والمعنى: أي[2] وقد حرم الثواب من وافى الموقف وهو مشرك بالله، كافر بأنبيائه، أو تارك لأوامره، منغمس في معاصيه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾؛ أي[3]: بعض الصالحات، لـ﴿من﴾ مفعول ﴿يَعْمَلْ﴾ باعتبار مضمونه ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ أي: والحال أنه مؤمن بالله ورسوله، وبجميع ما جاء به، لأن الإيمان شرط في صحة الطاعات، وقبول الحسنات ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ من الله ﴿ظُلْمًا﴾ بزيادةٍ في سيئاته، أو بمنع ثواب مستحق بموجب الوعد ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بنقص من حسناته، أو ولا كسراً منه بنقص، قيل: الظلم[4] والهضم متقاربان، وفرق القاضي الماوردي بينهما فقال: الظلم: منع جميع الحق، والهضم: منع بعضه.

والمعنى: أي[5] ومن يعمل صالح العمل على قدر طاقته، وهو مؤمن بربه

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.
(٤) الفتوحات.
(٥) المراغي.

ورسله، وما أنزله عليهم من كتبه، فلا يخاف من الله ظلماً، بأن يحمل عليه سيئات غيره وأوزاره، ولا يخاف أن يهضمه حسناته فينقصه ثوابها، ونحو الآية قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وخلاصة ذلك: أنه لا يؤاخذ العبد بذنب لم يعمله، ولا تبطل له حسنة قد عملها.

وقرأ الجمهور: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ على الخبر؛ أي: فهو لا يخاف، وقرأ ابن كثير، وابن محيصن، وحميد: ﴿فلا يخف﴾ على النهي ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: وكما أنزلنا عليك ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من أحوال القيامة وأهوالها ﴿وأنزلناه﴾؛ أي: أنزلنا القرآن كله، وإضماره من غير سبق ذكر للإيذان بنباهة شأنه، وكونه مركوزاً في العقول، حاضراً في الأذهان، قال الزمخشري: وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات، أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة .اهـ وعبارة «السمين». ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾: معطوف على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ اهـ قال في «بحر العلوم»: ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر ﴿أَنزَلْنَا﴾؛ أي: مثل ذلك الإنزال البين ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ حال كونه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي[1]: بلغة العرب ليفهموه، ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجاً عن طوق البشر، نازلاً من عند خلاق القوى والقدر.

والمعنى: وكما أنزلنا[2] ما ذكر من الوعد وأحوال يوم القيامة وأهوالها، أنزلنا القرآن كله بأسلوب عربي مبين، ليتفهمه العرب الذين نزل عليهم، ويتفقهوا بدراسته، ويسعدوا بالعمل بما حواه، مما فيه سعادة البشر في دنياهم وآخرتهم، وفي «التأويلات النجمية»؛ أي: كما أنزلنا الصحائف والكتب إلى آدم وغيره من الأنبياء بألسنتهم ولغاتهم المختلفة، كذلك أنزلنا إليك قرآناً عربياً بلغة العرب، وحقيقة كلامه التي هي الصفة القائمة بذاته، منزهة عن الحروف والأصوات المختلفة المخلوقة، وإنما الأصوات والحروف تتعلق باللغات والألسنة

---

(١) أبو السعود. (٢) المراغي.

المختلفة .اهـ. ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾؛ أي: وبينا في القرآن، وكررنا فيه بعض الوعيد والتهديد، وفي «التأويلات النجمية»؛ أي: أوعدنا فيه قومك بأصناف العقوبات التي عاقبنا بها الأمم الماضية، وكررنا ذلك عليهم، قال في الكبير: يدخل تحته بيان الفرائض والمحارم، لأن الوعيد بهما يتعلق. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: لكي يخافوا عقاب الله، فيجتنبوا الشرك والمعاصي، بالفعل ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ القرآن ويجدد لهم ﴿ذِكْرًا﴾؛ أي: إيقاظاً واتعاظاً واعتباراً بهلاك من قبلهم من الأمم، حين يسمعونهم فيثبطوا عنها، ولهذه[1] النكتة أسند التقوى إليهم والإحداث إلى القرآن، وإحداث[2] الشيء إيجاده بعد أن لم يكن، والحدوث: كون الشيء بعد أن لم يكن عرضاً كان أو جوهراً. وفي «الكرخي»: أضيف الذكر إلى القرآن ولم تضف التقوى إليه، لأن التقوى: عبارة عن أن لا يفعل القبيح، وذلك استمرار على العدم الأصلي، فلم يحسن إسناده إلى القرآن، وأما حدوث الذكر.. فأمر يحدث بعد أن لم يكن، فجازت إضافته إلى القرآن .اهـ. وقرأ[3] الحسن: ﴿أو يحدث﴾ ساكنة الثاء، وقرأ عبد الله، ومجاهد، وأبو حيوة، والحسن - في رواية - والجحدري، وسلام: ﴿أو نحدث﴾ بالنون وجزم الثاء، وذلك حمل وصل على وقف، أو تسكين حرف الإعراب استثقالاً لحركته، وفي «زاد المسير»: وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري: ﴿أو نحدث﴾ بنون مرفوعة. انتهى.

ومعنى الآية: أي وخوفناهم بضروب من الوعيد، كي يجتنبوا الشرك، والوقوع في المعاصي والآثام، أو يحدث لهم عظةً تدعوهم إلى فعل الطاعات.

وخلاصة ذلك: أنهم بدراستهم: إما أن يصلوا إلى مرتبة هي ترك المعاصي والوقوع في الآثام، وإما أن يرتقوا إلى مرتبة هي فوق ذلك، وهي: أن يفعلوا الطاعات، ويؤدوا الفرائض والواجبات.

---

(١) البيضاوي.
(٢) روح البيان.
(٣) البحر المحيط.

وبعد أن عظم الله كتابه، أردفه بتعظيم نفسه فقال: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ﴾ - سبحانه وتعالى -؛ أي: ارتفع بذاته، وتنزه عن مماثلة المخلوقين، في ذاته وصفاته وأفعاله وأحواله ﴿ٱلْمَلِكُ﴾؛ أي: السلطان النافذ أمره ونهيه، الحقيق بأن يرجى وعده، ويخشى وعيده ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في ملكوته وألوهيته، الحقيق بالملك لذاته.

الحاصل: أنه سبحانه، لما بيَّن[1] للعباد عظيم نعمته عليهم، بإنزال القرآن.. نزه نفسه عن مماثلة مخلوقاته في شيء من الأشياء؛ أي: جل الله عن إلحاد الملحدين، وعما يقول المشركون في صفاته، فإنه الملك الذي بيده الثواب والعقاب، وإنه الحق؛ أي: ذو الحق، ولا يخفى[2] ما في هذا من طلب الإقبال على دراسة القرآن، وبيان أن قواعده وزواجره سياسات إلهية، فيها صلاح الدارين، لا يحيد عنها إلا من خذله الله، وأن ما تضمنه من الوعد والوعيد حق كله، لا يحوم الباطل حول حماه، وأن المحق من أقبل عليه بشراشره، والمبطل من أعرض عن تدبر زواجره ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: بقراءته في نفسك ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ﴾ ويؤدي ﴿إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾؛ أي: إلقاؤه وقراءته، ويفرغ منه ويتم جبريل تبليغه لك، وكان[3] محمد ﷺ إذا ألقى إليه جبريل الوحي.. يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة، لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ، فنهي عن ذلك، إذ ربما يشغله التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها.

المعنى: لا تعجل بقراءة القرآن خوف النسيان والانفلات قبل أن يستتم جبريل قراءته، ويفرغ من الإبلاغ والتلقين، فإذا بلَّغ فاقرأه، وقال أبو مسلم: ولا تعجل بقراءته في نفسك، أو في تأديته إلى غيرك، أو في اعتقاد ظاهره، أو في تعريف غيرك ما يقتضيه ظاهره، وفي هذا أنزل قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾.

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

وخلاصة ذلك: أنصت حين نزول الوحي بالقرآن عليك، حتى إذا فرغ الملك من قراءته.. فاقرأه من بعده.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ مبنياً للمفعول ﴿وَحْيُهُۥ﴾: مرفوع به، وقرأ عبد الله، والجحدري والحسن، وأبو حيوة، ويعقوب، وسلام، والزعفراني، وابن مقسم: ﴿نقضي﴾ بنون العظمة، مفتوح الياء ﴿وحيه﴾: بالنصب، وقرأ الأعمش: كذلك إلا أنه سكن الياء من ﴿نقضي﴾ قال صاحب «اللوامح» وذلك على لغة من لا يرى فتح الياء، بحال إذا انكسر ما قبلها وحلت طرفاً. انتهى.

وفي «التأويلات النجمية» وفي قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ إشارة إلى سكوته عند قراءة القرآن، واستماعه والتدبر في معانيه وأسراره، للتنور بأنواره، وكشف حقائقه، ولهذا قال: ﴿وَقُل﴾ يا محمد في نفسك ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾؛ أي: فهماً[2] لإدراك حقائقه، فإنها غير متناهية، وتنوراً بأنواره، وتخلقاً بخلقه، وقال بعضهم: ﴿عِلْمًا﴾ بالقرآن، فكان كل ما نزل عليه شيء من القرآن.. ازداد به علماً.

والمعنى: أي سل الله زيادةً في العلم، دون استعجال بتلاوة الوحي، فإن ما أوحي إليك يبقى لا محالة، روى الترمذي، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً والحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار».

وكان ابن مسعود: إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني إيماناً وفقهاً ويقيناً وعلماً.

وفي الآية: بيان لشرف العلم، وقيل: ما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بطلب الزيادة في شيء إلا في طلب العلم، والمعتبر هو العلم النافع، ولذلك قال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع» والعلم بالله لا يتيسر إلا بتصفية الباطن، فتصفية القلب عما سوى الله تعالى من أعظم القربات، وأفضل الطاعات، ولذلك

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.

كان مطمع نظر الأكابر في إصلاح القلوب والسرائر.

الإعراب

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ الواو: استئنافية و(اللام): موطئة للقسم ﴿قد﴾: حرف تحقيق ﴿قَالَ﴾: فعل ماض ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به ﴿هَٰرُونُ﴾: فاعل ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالَ﴾ أيضاً، أو حال من ﴿هَٰرُونُ﴾ والجملة الفعلية: جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم: مستأنفة ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوا۟﴾: مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾ وإن شئت قلت: ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة ﴿فُتِنتُم﴾: فعل مغير الصيغة ونائب فاعل ﴿به﴾ متعلق به، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونه جواب النداء ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ﴾ (الواو): عاطفة ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب ﴿رَبَّكُمُ﴾ اسمها ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: خبرها، والجملة الاسمية: في محل النصب معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، على كونها مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ (الفاء): فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أن ربكم الرحمن، وأردتم إظهار النصيحة لكم.. فأقول لكم ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ ﴿اتبعوني﴾: فعل وفاعل ونون وقاية ومفعول به، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة استئنافاً بيانياً ﴿لَن نَّبْرَحَ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي لـ﴿قَالُوا۟﴾ وإن شئت قلت. ﴿لَن﴾: حرف نفي ونصب ﴿نَّبْرَحَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ﴿لَن﴾ واسمها: ضمير مستتر عائد على عابدي العجل ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿عَٰكِفِينَ﴾ ﴿عَٰكِفِينَ﴾: خبر ﴿نَّبْرَحَ﴾ منصوب بالياء، وجملة ﴿نَّبْرَحَ﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾ حرف جر وغاية، بمعنى إلى ﴿يَرْجِعَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة

وجوباً بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى ﴿إِلَيْنَا﴾: متعلق به ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعل والجملة الفعلية، مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى، تقديره، إلى رجوع ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿إِلَيْنَا﴾ الجار والمجرور متعلق بـ﴿نَّبْرَحَ﴾ أو بـ﴿عَٰكِفِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: معطوفة بعاطف مقدر على جملة محذوفة، تقديرها: فرجع موسى إليهم و﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ...﴾ إلخ. ﴿يَٰهَٰرُونُ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾ وإن شئت.. قلت ﴿يَٰهَٰرُونُ﴾ منادى مفرد العلم، وجملة النداء، في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مَآ﴾: اسم استفهام للاستقهام التوبيخ، في محل الرفع مبتدأ ﴿مَنَعَكَ﴾: فعل ومفعول وفاعل مستتر يعود على ﴿مَآ﴾ والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء ﴿إِذْ﴾: ظرف متعلق بـ﴿مَنَعَكَ﴾. ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، وجملة: ﴿ضَلُّوٓاْ﴾ في محل النصب مفول ثان لـ﴿رأيت﴾ إن قلنا إنها قلبية، أو في محل النصب حال من ضمير المفعول إن قلنا إنها بصرية، وجملة ﴿رأيت﴾: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿لا﴾ زائدة ﴿تتبع﴾: فعل مضارع منصوب بأن، وفاعله: ضمير يعود على ﴿هَارُونُ﴾ و﴿النون﴾ نون الوقاية وياء المتكلم المحذوفة اجتزاءً عنها بكسرة نون الوقاية: في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية، مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور بحرف محذوف، تقديره: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ من اتباعك إياي في الجبل، أو في الغضب لله الجار والمجرور متعلق بـ﴿منع﴾.

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾.

﴿أَفَعَصَيْتَ﴾ الهمزة: فيه للاستفهام التوبيخي، المضمن للإنكار، داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف تقديره: أأقمت بين هؤلاء الذين عبدوا العجل ﴿فعصيت أمري﴾. ﴿عصيت أمري﴾: فعل وفاعل ومفعول،

والجملة، معطوفة على تلك الجملة المحذوفة، والجملة المحذوفة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله: ضمير يعود على ﴿هَارُونُ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يا﴾ حرف نداء ﴿ابن﴾: منادى مضاف منصوب بفتحة ظاهرة ﴿ابن﴾: مضاف ﴿أمَّ﴾ بالفتح: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، المنقلبة ألفاً للتخفيف، بعد قلب الكسرة فتحة لمناسبة الألف المحذوفة اجتزاءً عنها بالفتحة ﴿أمَّ﴾ مضاف وياء المتكلم المنقلبة ألفاً محذوفةً: في محل الجر مضاف إليه، وبالكسر مضاف إليه مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اجتزاءً عنها بالكسرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ﴿أم﴾: مضاف وياء المتكلم في محل الجر مضاف إليه، وقد بسطنا إعراب المنادى المضاف إلى ياء المتكلم في رسالتنا «هدية أولى العلم والإنصاف في إعراب المنادى المضاف» فراجعها إن أردت بسط المقام، وجملة المنادى: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَآ﴾: ناهية جازمة ﴿تَأْخُذْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَآ﴾: ناهية، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿بِلِحْيَتِى﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿تَأْخُذْ﴾. ﴿وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾: معطوف على ﴿بِلِحْيَتِى﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء ﴿إِنِّى﴾: ناصب واسمه ﴿خَشِيتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إنّ﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿تَقُولَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أَن﴾ وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة الفعلية، مع أن المصدرية: في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، تقديره ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾ قولك ﴿فَرَّقْتَ﴾: فعل وفاعل، والجملة: في محل النصب مقول ﴿تَقُولَ﴾. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ﴿فَرَّقْتَ﴾ ﴿بَيْنَ﴾ مضاف ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ (الواو): عاطفة ﴿لم ترقب﴾: جازم ومجزوم، وفاعله: ضمير يعود على ﴿هارون﴾. ﴿قَوْلِى﴾: مفعول به ومضاف إليه وياء المتكلم: واقعة على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿فَرَّقْتَ﴾: على كونها مقولاً لتقول؛ أي: ﴿و﴾

خشيت أن تقول ﴿لم ترقب قولي﴾: أي: ﴿قَوۡلِي﴾ لك ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾ وعلى هذا الاحتمال جمهور المفسرين، ويجوز عطف قوله: ﴿وَلَمۡ تَرۡقُبۡ﴾ على ﴿أَن تَقُولَ﴾: فيكون الضمير في ﴿قَوۡلِي﴾ واقعاً على ﴿هَارُونُ﴾؛ أي: وخشيت عدم ترقبك لـ﴿قَوۡلِي﴾؛ أي: ﴿خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ﴾ وخشيت عدم تأملك في ﴿قَوۡلِي﴾ حتى تفهم عذري.

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿فَمَا خَطۡبُكَ﴾: مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾ وإن شئت قلت: ﴿فَمَا﴾ الفاء: عاطفة على محذوف تقديره: اتخذت العجل إلهاً ﴿فَمَا خَطۡبُكَ﴾ والجملة المحذوفة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ما﴾: اسم استفهام للاستفهام التوبيخي في محل الرفع مبتدأ ﴿خَطۡبُكَ﴾: خبر المبتدأ، ومضاف إليه، والجملة في محل النصب معطوفة على الجملة المحذوفة ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿ٱلسَّامِرِيُّ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ﴾: مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾ وإن شئت قلت: ﴿بَصُرۡتُ﴾: فعل وفاعل ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿لَمۡ يَبۡصُرُواْ﴾: جازم وفعل وفاعل ﴿بِهِۦ﴾: متعلق به، والجملة: صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد: ضمير ﴿بِهِۦ﴾. ﴿فَقَبَضۡتُ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿قبضت﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿بَصُرۡتُ﴾. ﴿قَبۡضَةٗ﴾: مفعول به وهو مصدر مرة من قبض، وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر ﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة لـ﴿قَبۡضَةٗ﴾ وهو على تقدير مضافين؛ أي: ﴿مِّنۡ أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ والمعنى: من تربة موطئه ﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾ (الفاء) عاطفة ﴿نبذتها﴾ فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿قبضت﴾. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ (الواو): عاطفة ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف ﴿سَوَّلَتۡ﴾. ﴿نَفۡسِي﴾ فعل

وفاعل ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿سَوَّلَتْ﴾ والتقدير وسولت لي نفسي عبادة العجل تسويلاً كائناً كتسويل الذي فعلته من القبض والنبذ، ويصح كون (الكاف) زائدة واسم الإشارة مفعولاً مقدماً لـ﴿سَوَّلَتْ﴾ والجملة: في محل النصب معطوفة على الجمل التي قبلها، على كونها مقولاً لـ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والجملة: مستأنفة ﴿فَٱذْهَبْ﴾ (الفاء): فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا قلت: إن فعلك هذا من تسويل النفس، وأردت بيان جزائك.. فأقول لك ﴿اذهب﴾. ﴿اذهب﴾: فعل أمر، وفاعله: ضمير يعود على ﴿ٱلسَّامِرِيُّ﴾ والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَإِنَّ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿إِنَّ﴾ حرف نصب ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لأن ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلق بالاستقرار الذي تعلق به خبر ﴿إن﴾ ﴿أَن تَقُولَ﴾: ناصب وفعل منصوب، وفاعله: ضمير يعود على ﴿ٱلسَّامِرِيُّ﴾ والجملة الفعلية: في تأويل مصدر منصوب على كونه اسم ﴿إِنَّ﴾ تقديره: فإن قولك ﴿لَا مِسَاسَ﴾ كائن لك ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾: معطوفة على جملة ﴿اذهب﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿لَآ﴾ نافية تعمل عمل إن ﴿مِسَاسَ﴾: في محل النصب اسمها، وخبر ﴿لَآ﴾: محذوف تقديره: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ كائن لي، وجملة ﴿لَآ﴾: في محل النصب مقول ﴿تَقُولَ﴾. ﴿وَإِنَّ﴾ الواو: عاطفة ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب ﴿لَكَ﴾ خبرها مقدم ﴿مَوْعِدًا﴾: اسمها مؤخر ﴿لَن﴾ حرف نصب ﴿تُخْلَفَهُۥ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، منصوب بـ﴿لَن﴾ ونائب فاعله: ضمير يعود على ﴿ٱلسَّامِرِيُّ﴾ وهو المفعول الأول، و(الهاء): ضمير متصل في محل النصب مفعول ثان له، والجملة الفعلية: في محل النصب صفة لـ﴿مَوْعِدًا﴾ ولكنها سببية، والتقدير: وإن موعدا لن تخلفه كائن لك، وجملة ﴿إِنَّ﴾: معطوفة على جملة ﴿إن﴾ المذكورة قبلها.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾.

﴿وَٱنظُرْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱلسَّامِرِىُّ﴾ والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَٱذْهَبْ﴾. ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿انظر﴾ ﴿ٱلَّذِى﴾: في محل جر صفة لـ﴿إِلَٰهِكَ﴾. ﴿ظَلْتَ﴾: فعل ناقص واسمه وأصله: ظللت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً كما سيأتي في مبحث التصريف ﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بـ﴿عَاكِفًا﴾. ﴿عَاكِفًا﴾ خبر ﴿ظَلْتَ﴾ والجملة: صلة الموصول، والعائد: ضمير عليه ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ (اللام): موطئة للقسم ﴿نحرقن﴾: فعل مضارع في محل الرفع، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ ومن معه و(الهاء): ضمير متصل في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية: جواب القسم، وجملة القسم: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ (اللام): موطئة للقسم ﴿ننسفن﴾ فعل مضارع في محل الرفع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ ومن معه و(الهاء): ضمير متصل في محل النصب مفعول به، وجملة القسم: معطوفة على جملة القسم المذكورة قبلها ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: متعلق بـ﴿ننسفن﴾. ﴿نَسْفًا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة ﴿إِلَٰهُكُمُ﴾: مبتدأ ﴿ٱللَّهُ﴾ خبره والجملة: مستأنفة أو في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول في محل الرفع صفة للجلالة ﴿لَآ﴾: نافية ﴿إِلَٰهَ﴾ في محل النصب اسم ﴿لَآ﴾ وخبر ﴿لَآ﴾: محذوف تقديره: موجود ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿هُوَ﴾ ضمير للمفرد المنزه في محل الرفع بدل من الضمير المستكن في خبر ﴿لَآ﴾ وجملة ﴿لَآ﴾ من اسمها وخبرها صلة الموصول ﴿وَسِعَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الموصول ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾: مفعول به ومضاف إليه ﴿عِلْمًا﴾: تمييز محول عن الفاعل، والجملة

الفعلية: بدل من جملة ﴿لَآ﴾ على كونها صلة الموصول.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور صفة لمصدر محذوف ﴿نَقُصُّ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق به، والتقدير: ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ قصاً كائناً كقصص قصة موسى ـ عليه السلام ـ والجملة: مستأنفة ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾: جار ومجرور صفة لموصوف محذوف هو مفعول به ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ نبأً كائناً ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ ﴿أَنۢبَآءِ﴾ مضاف ﴿مَآ﴾ اسم موصول في محل الجر مضاف إليه ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق ﴿سَبَقَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَآ﴾ والجملة: صلة لـ﴿مَآ﴾ الموصولة ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ (الواو): عاطفة ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق ﴿ءَاتَيْنَٰكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول ﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه حال من ﴿ذِكْرًا﴾. ﴿ذِكْرًا﴾: مفعول ثان لـ﴿أتيناك﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب حال من فاعل ﴿نَقُصُّ﴾ أو مستأنفة.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾.

﴿مَنْ﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط، أو الجواب، أو هما ﴿أَعْرَضَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿مَّنْ﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ (الفاء): رابطة لجواب ﴿مَنْ﴾: الشرطية لكون الجواب جملة اسميةً ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب و(الهاء): اسمها ﴿يَحْمِلُ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف متعلق به ﴿وِزْرًا﴾: مفعول به، وجملة ﴿يَحْمِلُ﴾: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل الجزم بـ﴿مَّنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية: في محل النصب صفة لـ﴿ذِكْرًا﴾؛ أي: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ منطوياً مشتملاً على هذه القصص ﴿يَحْمِلُ﴾ المعرض عنه ﴿وِزْرًا﴾ كاملاً ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من فاعل ﴿يَحْمِلُ﴾ العائد على ﴿مَنْ﴾ الشرطية مراعاة لمعناها بعد مراعاة لفظها ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾

والضمير: يعود للوزر ﴿وَسَآءَ﴾ (الواو): استئنافية ﴿ساء﴾ فعل ماض من أفعال الذم، وفاعله: ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: هو يعود على المبهم الذي يفسره التمييز المتأخر عنه لفظاً ورتبة ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بالقول المقدر؛ أي: يقال: هذا الكلام لهم في حقهم لا متعلقة بـ﴿ساء﴾ وقيل: هي كاللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾؛ أي: لمجرد البيان، فراجع سورة يوسف ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ظرف متعلق بـ﴿ساء﴾. ﴿حِمْلًا﴾ تمييز لفاعل ﴿ساء﴾ وجملة ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾ جملة إنشائية مستأنفة، والمخصوص بالذم، محذوف تقديره: وزرهم، والمعنى: بئس ما حملوا على أنفسهم من الإثم كفراً بالقرآن. اهـ «كرخي».

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿يَوْمَ﴾: بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾. ﴿يُنفَخُ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ﴿فِى ٱلصُّورِ﴾: جار ومجرور نائب فاعل، والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾. ﴿وَنَحْشُرُ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿يُنفَخُ﴾ وفاعله: ضمير يعود على الله ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: مفعول به ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف أضيف إلى ظرف متعلق بـ﴿نحشر﴾ والتنوين عوض عن الجملة المحذوفة ﴿زُرْقًا﴾: حال من ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وجملة.

﴿يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿يَتَخَـٰفَتُونَ﴾: حال من المجرمين أو مستأنفة مسوقة لبيان حالهم في ذلك اليوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف ومضاف إليه متعلق ﴿يَتَخَـٰفَتُونَ﴾. ﴿إِن﴾: نافية ﴿لَّبِثْتُمْ﴾: فعل وفاعل إلا أداة حصر استثناء مفرغ ﴿عَشْرًا﴾ منصوب على الظرفية، متعلق بـ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لقول محذوف، واقع حالاً من فاعل ﴿يَتَخَـٰفَتُونَ﴾؛ أي: يتسارون بينهم، حال كونهم قائلين: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾. ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: مستأنفة ﴿بِمَا﴾ متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾ وجملة ﴿يَقُولُونَ﴾: صلة لـ﴿ما﴾ ﴿إِذْ﴾ ظرف متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾ ﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ فعل وفاعل ﴿طَرِيقَةً﴾ تمييز ذات، والجملة: مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾ ﴿إِن﴾ نافية ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ فعل وفاعل ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿يَوْمًا﴾ ظرف متعلق بـ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ والجملة الفعلية: في

محل النصب مقول ﴿يقول﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ الواو: استئنافية ﴿يسألونك﴾: فعل وفاعل ومفعول أول ﴿عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ في محل المفعول الثاني، والجملة: مستأنفة مسوقة لتقرير تعنتهم وإصرارهم على الجدل والمكابرة والاستهزاء ﴿فَقُلْ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿قل﴾: فعل أمر، وفاعله: ضمير يعود على محمد، والجملة: معطوفة على جملة ﴿يسألونك﴾. ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى﴾: فعل ومفعول به وفاعل ﴿نَسْفًا﴾: مفعول مطلق، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قل﴾. ﴿فَيَذَرُهَا﴾ (الفاء): عاطفة ﴿يذرها﴾ فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿يَنسِفُهَا﴾. ﴿قَاعًا﴾: حال من الضمير المنصوب، أو مفعول ثان لتضمين ﴿يذر﴾ معنى التصيير ﴿صَفْصَفًا﴾: حال ثانية، أو بدل من المفعول الثاني، وأعربه بعضهم صفةً له ﴿لَّآ﴾: نافية ﴿تَرَىٰ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على محمد، أو على أي مخاطب ﴿فِيهَا﴾، متعلق بـ﴿تَرَىٰ﴾. ﴿عِوَجًا﴾: مفعول به لأن ﴿تَرَىٰ﴾: بصرية ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾: معطوف على ﴿عِوَجًا﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب حال ثالثة أو حال أولى.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿يومَ﴾: منصوب على الظرفية وهو مضاف ﴿إذٍ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، في محل الجر مضاف إليه، مبني بسكون مقدر، والتنوين: عوض عن الجملة المحذوف، والظرف: متعلق بـ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أو بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ المتقدم ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: مستأنفة ﴿لا﴾ نافية ﴿عِوَجَ﴾ في محل النصب اسم ﴿لا﴾. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور خبر ﴿لا﴾ وجملة ﴿لا﴾: في محل النصب حال من ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ أو صفة لمصدر محذوف؛ أي: يتبعونه اتباعاً ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ ويجوز أن تكون مستأنفة، والأول: أظهر، لأن

الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ يعود عليه؛ أي: ﴿لَا عِوَجَ﴾ لدعائه بل يسمع جميعهم، فلا يميل إلى أناس دون أناس ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَتَّبِعُونَ﴾. ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلق بـ﴿خشعت﴾. ﴿فَلَا﴾ (الفاء): عاطفة ﴿لا﴾ نافية ﴿تَسْمَعُ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير مستتر فيه يعود على أي مخاطب، أو على محمد ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿هَمْسًا﴾: مفعول به، والجملة: معطوفة على جملة ﴿خشعت﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف مضاف إلى ظرف متعلق بـ﴿لَّا تَنفَعُ﴾. ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿مَنْ﴾ اسم موصول واقع على المشفوع، في محل النصب مفعول به لـ﴿تَنفَعُ﴾ ويجوز أن تكون بدلاً من ﴿ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ على قاعدة المستثنى المنفي، أو النصب على الاستثناء المتصل من ﴿ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ ولا بد في هذين الوجهين من تقدير مضاف، تقديره: إلا شفاعة من أذن له، وإذا اعتبر المستثنى منقطعاً.. وجب نصبه، فتلخص فيه أربعة أوجه متقاربة الرجحان، ورجح الزمخشري الرفع على البدلية، وتبعه القاضي البيضاوي ﴿أَذِنَ﴾ فعل ماض ﴿لَهُۥ﴾ متعلق به ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فاعل والجملة: صلة الموصول ﴿ورضي﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على الله ﴿لَهُۥ﴾ متعلق بـ﴿رضي﴾ ﴿قَوْلًا﴾ مفعول به، والجملة: معطوفة على جملة ﴿أَذِنَ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ والجملة: مستأنفة مسوقة لتقرير علمه تعالى ﴿مَآ﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول به ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة الموصول ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: معطوف على ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾. ﴿وَلَا﴾ (الواو): عاطفة ﴿لَآ﴾: نافية ﴿يُحِيطُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَعْلَمُ﴾. ﴿بِهِۦ﴾ متعلق به ﴿عِلْمًا﴾ تمييز محول عن الفاعل منصوب بـ﴿يُحِيطُونَ﴾. ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَعْلَمُ﴾. ﴿لِلْحَيِّ﴾:

جار ومجرور متعلق بـ﴿عنت﴾. ﴿ٱلْقَيُّومِ﴾: صفة ﴿لِلْحَيِّ﴾. ﴿وَقَدْ﴾ (الواو): حالية ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق ﴿خَابَ﴾: فعل ماض ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع فاعل، والجملة: في محل النصب حال من ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾ والرابط محذوف، تقديره: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ والحال أنه قد خاب من حمل ظلما من أصحابها ﴿حَمَلَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿ظُلْمًا﴾ مفعول به والجملة: صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾.

﴿وَمَن﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿مَنْ﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط، أو الجواب، أو هما ﴿يَعْمَلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿من﴾ وفاعله: ضمير يعود على محمد ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: جار ومجرور صفة لمفعول محذوف تقديره: أعمالاً ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: في محل النصب حال من فاعل ﴿يَعْمَلْ﴾ ﴿فَلَا﴾ (الفاء): رابطة لجواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية ﴿لا﴾ نافية ﴿يَخَافُ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿ظُلْمًا﴾: مفعول به ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ معطوف عليه، وجملة ﴿يَخَافُ﴾: في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية: في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الواو: عاطفة ﴿كَذَٰلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والتقدير: وأنزلنا القرآن كله إنزالاً مثل إنزال هذه الآيات، المتضمنة لأحوال يوم القيامة، والجملة: معطوفة على جملة قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أو مستأنفة ﴿قُرْءَانًا﴾ حال من ضمير المفعول في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾. ﴿عَرَبِيًّا﴾: صفة له ﴿وَصَرَّفْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾. ﴿فِيهِ﴾: متعلقة بـ﴿صرفنا﴾. ﴿مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾: صفة لمفعول محذوف؛ أي: صرفنا فيه وعيداً من الوعيد أو ﴿مِنَ﴾ زائدة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: ناصب واسمه،

وجملة ﴿يَتَّقُونَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾ وجملة ﴿لعل﴾: في محل الجر بلام التعليل المقدرة، لأن ﴿لعل﴾ هنا للتعليل؛ أي: لكي ﴿يَتَّقُونَ﴾. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف ﴿يُحْدِثُ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على القرآن ﴿لَهُمْ﴾: متعلق بـ﴿يُحْدِثُ﴾. ﴿ذِكْرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿يَتَّقُونَ﴾.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

﴿فَتَعَالَى﴾ الفاء: استئنافية ﴿تَعَالَى اللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة ﴿الْمَلِكُ﴾: صفة أولى للجلالة ﴿الْحَقُّ﴾: صفة ثانية له ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ (الواو): عاطفة ﴿لَا﴾ ناهية ﴿تَعْجَلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ ناهية، وفاعله: ضمير يعود على محمد ﴿بِالْقُرْآنِ﴾: متعلق به، والجملة: معطوفة على جملة ﴿تعالى﴾ ﴿مِنْ قَبْلِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَعْجَلْ﴾ ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر ﴿يُقْضَى﴾: فعل مضارع مغير الصغة منصوب بـ﴿أن﴾ ﴿إِلَيْكَ﴾ متعلق به ﴿وَحْيُهُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية مع ﴿أن﴾ المصدرية: في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه، تقديره: ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ قضاء وحيه إليك وقل: فعل أمر، وفاعله: ضمير يعود على محمد، والجملة: معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿زِدْنِي عِلْمًا﴾: فعل وفاعل مستتر، ومفعولان ونون وقاية، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾ على كونها جواب النداء.

التصريف ومفردات اللغة

﴿عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾؛ أي: مقيمين على عبادته، قال الراغب: العكوف: الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾؛ أي: شأنك، وما الأمر العظيم الذي صدر منك، والخطب لغةً: الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب، وهو من تقاليب الخبط، ففيه إشارة إلى عظيم خبطه كما مر ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بضم الصاد فيهما؛ أي: علمت بما لم يعلمه القوم، وفطنت لما لم يفطنوا

له، يقال: بصر بالشيء بضم الصاد: إذا علمه وأبصره إذا نظر إليه، وهو من باب ظرف، ويقال: بصر بالكسر من باب علم، قال في «القاموس»: بصر به ككرم وفرح بصراً وبصارةً، ويكسر صار مبصراً، وفي «المفردات»: قلما يقال: بصرت في الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب ﴿فَقَبَضْتُ﴾ يقال: قبض الشيء بيده يقبض: من باب جلس، وعلى الشيء: إذا أمسكه بيده، وضم إليه أصابعه، وقبض يده عن الشيء: امتنع عن إمساكه، وقبضه عن الأمر: أنحاه وقبضه الله أمانته، وقبض الشيء خلاف بسطه ووسعه، وقبض الطائر جناحه جمعه وقبض الدار ونحوها تسلمها، وقبض منه المال: أخذه لنفسه، وقبض قبضة: أخذها.

والقبضة: المرة من القبض، وهو الأخذ بجميع الكف، أطلقت على المقبوض مرةً، ويقال: قبص بالصاد المهملة، لأنهما تتعاقبان في كثير من الكلمات، قال يعقوب بن السكيت: وقبضت قبضة وقبصت قبصة، ويقال: إن القبضة أقل من القبصة، وقال غيره: القبص: بأطراف الأصابع، والقبض: بالكف كلها ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ النبذ: إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به؛ أي: طرحتها في الحلي المذابة، أو في فم العجل، فكان ما كان كما مر.

﴿لَا مِسَاسَ﴾ بكسر الميم مصدر ماس من باب فاعل، قال في «المفردات» المس: كاللمس، لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء، وإن لم يوجد، والمس يقال: فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس، وفي «القاموس»: قوله تعالى: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ بالكسر، أي: لا أَمُسُّ ولا أُمَسُّ، وكذلك التماس ومنه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾. انتهى؛ أي: لا مسني أحد، ولا أمس أحداً خوفاً من أن تأخذ كما الحمى؛ أي: لا مخالطة فلا يخالطه أحد، ولا يخالط أحداً، فعاش وحيداً طريداً ﴿لَّن تُخْلَفَهُ﴾ والخلف والإخلاف: المخالفة في الوعد، يقال: وعدني فأخلفني؛ أي: خالف في الميعاد ﴿الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أصله: ظللت بلامين، أولاهما مكسورة، فحذفت الأولى تخفيفاً قال في «المفردات»: ظلت بحذف إحدى اللامين يعبر به عما يُفعل بالنهار، ويجري مجرى صرت، والمعنى: صرت مقيماً على عبادته ﴿لَنَنسِفَنَّهُ﴾ من نسفت الريح التراب: إذا أقلعته وأزالته وذرته،

والنسف: التفرقة والتذرية، وقيل: قلع الشيء من أصله، يقال: نسفه ينسفه بكسر السين وضمها في المضارع ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ والقص: تتبع الأثر، والقصص: الأخبار المتتبعة ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ جمع نبأ، والنبأ: خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظن ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ والصور: قرن ونحوه، ينفخ فيه حين يدعى الناس إلى المحشر، كما ينفخ فيه في الدنيا حين الأسفار، وفي المعسكرات ﴿زُرْقًا﴾؛ أي: زرق الأبدان، سود الوجوه، لما هم فيه من الشدائد والأهوال، جمع أزرق، وهو: صفة مشبهة فيها ضمير مستتر هو فاعلها ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾؛ أي: يخفضون أصواتهم ويخفونها لما لحقهم من الرعب والهول .اهـ «أبو السعود» وفي «المختار»: خفت الصوت: سكن وبابه جلس، والمخافتة والتخافت والخفت، بوزن السبت: إسرار المنطق .اهـ.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ يقال: لبث بالمكان: أقام به ملازماً له ﴿أَمْثَلُهُمْ﴾؛ أي: أفضلهم وأعدلهم رأياً أو عملاً في الحياة الدنيا، وجمعه: أماثل ومثل، ومؤنثه: مثلىٰ قال في «المفردات»: الأمثل يعبر به عن الأشبه بالأفاضل والأقرب إلى الخير، وأماثل القوم: كناية عن خيارهم وعلى هذا قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ انتهى والطريقة المثلىٰ: الشبهىٰ بالحق، ويقال: المريض اليوم أمثل؛ أي: أحسن حالة ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ في «المصباح»: نسفت الريح التراب نسفاً، من باب ضرب: اقتلعته وفرقته، ونسفت البناء نسفاً: قلعته من أصله، ونسفت الحبَّ نسفاً، واسم الآلة منسف بكسر الميم. انتهى ﴿قَاعًا﴾ القاع: أرض سهلة مطمئنة، انفرجت عنها الجبال والآكام، والجمع: أقواع وأقوع وقيع وقيعان وقيعه، وقيل: هو المنكشف من الأرض، وقيل: المستوي الصلب منها، وقيل: ما لا نبات فيه ولا بناء.

﴿صَفْصَفًا﴾ والصفصف: الأرض المستوية الملساء، كأن أجزاءها صف واحد من كل جهة، وفي «القاموس»: الصفصف: المستوى من الأرض، وقاع صفصف: مستو مطمئن، فهو بمثابة التأكيد للقاع لأنه بمعناه ﴿عِوَجًا﴾ العوج بفتح العين في المحسوسات، وبكسرها في المعاني، وما هنا من قبيل الأول، لكنه عبر

فيه بمكسور العين لكونه لشدة خفائه، كأنه صار من قبيل المعاني؛ أي: لا تدركه فيها لو تأملته بالمقاييس الهندسية اهـ «أبو السعود». ﴿أَمْتًا﴾ الأمت: هو النتو اليسير، يقال: مد حبله حتى ما فيه أمت، وقيل: الأمت: هو التل، وهو قريب من الأول، وقيل: هو الشقوق في الأرض، وقيل: الآكام .اهـ «سمين» وفي «القاموس»: أَمَتَهُ يَأْمُتُهُ، قدره وحزره، كأَمَّتَهُ وقَصَدَهُ، وأجل مأموت مؤقت، والأمت: المكان المرتفع، والتلال الصغار، والانخفاض، والارتفاع، والاختلاف في الشيء، والجمع: آمات وأموت، والضعف والوهن، والطريقة والعوج والعيب في الفم، وفي الثوب والحجر، وأن يغلظ مكان ويرق مكان، والمؤمَّت: المملوء والمتهم بالشر ونحوه، والخمر حرمت لا أمت فيها، أي: لا شك في حرمتها .اهـ ﴿إِلَّا هَمْسًا﴾ الهمس: الصوت الخفي، وهو مصدر همست الكلام من باب ضرب، إذا أخفيته، ومنه الحروف المهموسة، وقيل: ما يسمع من وقع الأقدام على الأرض، ومنه همست الإبل: إذا سمع ذلك من وقع أخفافها على الأرض .اهـ «سمين».

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ في «المختار»: عنا يعنو من باب سما يسموا، فالألف محذوفة قبل تاء التأنيث لالتقاء الساكنين: إذا ذل وخضع، ومنه العناة: جمع عان وهو الأسير، فأصله الأول: عنوت الوجوه، تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فصار عنات ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث، وكأن هذا ليس بلازم، بل يصح أن يقال حذفت الواو ابتداءً وفي «السمين» يقال: عنا يعنو عناءً: إذا ذل وخضع، وأعناه غيره؛ أي: أذله، ومنه العناة جمع عان وهوا لأسير .اهـ. وأما عني كرضي، يعني عناءً: فهو بمعنى تعب .اهـ شيخنا.

﴿ٱلْقَيُّومِ﴾ القائم بتدبير أمور عباده، ومجازات كل نفس بما كسبت ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ والضم: النقص، تقول العرب: هضمت لزيد من حقه؛ أي: نقصت منه، ومنه: هضم الكشحين؛ أي: ضامرهما، ورجل هضيم ومهتضم؛ أي: مظلوم، وهضمته واهتضمته وتهضمته كله بمعنى ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ﴾ تعالى تفعل من العلو، وليست مرتبة شريفة إلا والحق تعالى في أعلى درجاتٍ منها وأرفعها، وذلك لأنه

مؤثر وواجب لذاته، وكل ما سواه أثر وممكن، ولا مناسبة بين الواجب والممكن، قال في «الإرشاد» وهو استعظام له تعالى ولشؤونه، التي يُصَرِّف عليها عباده، من الأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، وغير ذلك.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التأكيد بزيادة حرف في قوله: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ لأن لا حرف زائد للتأكيد.

ومنها: إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول في قوله: ﴿قَبْضَةً﴾ لأن القبضة المرة من القبض، فأُطلق على المقبوض، كضرب الأمير.

ومنها: المجاز بالحذف في قوله: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ لأن الأصل من أثر حافر فرس الرسول.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ وهو: تشبيه مرسل مجمل.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾ شبه الوزر بالحمل الثقيل، بطريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾؛ أي: في الوزر، والوزر: لا يقام فيه، ولكن أراد العقاب المتسبب عن الوزر، فالعلاقة فيه السببية.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ لأنه كناية عن أمر الدنيا وأمر الآخرة.

ومنها: الجناس المماثل في قوله: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ وجناس الاشتقاق في قوله: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ وفي قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ وفي قوله: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبيخي في قوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ لأن الإعراض حقيقة في المحسوس، وهذا كناية عن عدم اتباعه، وترك العمل به، وفي قوله: ﴿يحمل... وزرا﴾ فإنه كناية عن مباشرة العقوبة.

ومنها: إنشاء الذم في قوله: ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾.

ومنها: إبهام الفاعل في قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ إفادةً للتهويل.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ لما فيه من إطلاق العام وإرادة الخاص، لأن المراد به كلمة لا إله إلا الله، وفي قوله: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ لما فيه من إطلاق الجزء وإرادة الكل، لأن المراد: أصحابها، وخُصت بالذكر، لأن الذل أول ما يظهر فيها.

منها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما (١١٥) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى (١١٦) فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (١١٧) إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى (١١٨) وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى (١١٩) فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (١٢٠) فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى (١٢١) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (١٢٢) قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦) وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (١٢٧) أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها[١]: أن الله سبحانه وتعالى لما أمر رسوله ﷺ بأن يقول رب زدني علماً،

---

(١) البحر المحيط.

كان من ذلك ذكر قصة آدم، وذكر شيء من أحواله فيها لم يتقدم ذكرها، فكان في ذلك مزيد علم له عليه الصلاة والسلام.

وعبارة المراغي هنا: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر أنه صرَّف الوعيد في القرآن، وكرره لعلهم يتقون، أو يحدث لهم ذكراً.. أردف[1] ذلك ببيان أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك، ونسوه كما لم يلتفت أبوهم آدم إلى الوعيد، ونسي العهد، فمخالفتهم قديمة، وعرقهم فيها راسخ، ثم فصَّل عهده لآدم، وبيَّن كيف نسيه، وفقد العزم، ثم ذكر عصيان إبليس للسجود لآدم، وتحذيره من الخروج من الجنة إذا اتبع نصائحه، وهو بعد كل هذا قد أطاع وساوسه، وقبل إرشاده، فأكل من الشجرة التي نهي عن الأكل منها، فأخرج من الجنة مع إعلامه بأن الشيطان عدو له ولذريته.

ثم بيَّن أن من جاءه الهدى من ربه، واتبعه.. عاش في الدنيا قرير العين، هادىء البال، ويؤتىٰ في الآخرة ما شاء الله أن يؤتىٰ، من ألوان النعيم والسعادة، ومن أعرض عن ذلك.. عاش في الدنيا عيشةً ضنكاً، إذ هو لشدة حرصه عليها يخاف انتقاصها، ومن ثم يغلب عليه الشح والبخل، ويفعل كل منكر في سبيل جمع المال من أي وجه كان، ولا يبالي أمن حلال كان أم من حرام، أما المؤمن الذي لا يعنيه جمع حطام الدنيا، فإنه في سرور وراحةٍ، قل ماله أو كثر، ثم أردف هذا ببيان سبب ذلك، وهو إعراضه في الدنيا عن الآيات البينات التي تهديه إلى سبيل الرشاد، ومن ثم يسير في جهالته إلى يوم القيامة، وهذا مما يوجب له أشد الآلام الروحية، من حين مماته إلى حين الحشر، وهكذا يجازي الله المسرفين المكذبين بآياته في الدنيا والآخرة، جزاءً وفاقاً لما اجترحوا من السيئات، وارتكبوا من الذنوب والآثام، كما قال سبحانه: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ...﴾ الآيات، مناسبة

---

(١) المراغي.

هذه الآيات لما قبلها، أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر حال من أعرض عن ذكر الله في الآخرة بقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.. أتبعه بما يكون عبرةً للمشركين لو تفكروا فيه، وهو ما نزل بالمكذبين للرسل ممن قبلهم من الأمم، الذين يمرون بديارهم بكرةً وعشياً، كقوم عاد وثمود، وكيف أصبحت ديارهم خراباً بلقعاً، ليس فيها ديَّار ولا نافخ نار، ثم بيَّن أنه لولا سبق الكلمة بتأخير عذابهم إلى أجل مسمى.. لحاق بهم مثل ما حاق ممن قبلهم، ثم أمر رسوله بالصبر على ما يسمونه به، من نحو قولهم: إنه ساحر، وإنه مجنون، وعدم المبالاة بمقالتهم، وعليه أن يكثر من التسبيح، وعبادة ربه آناء الليل وأطراف النهار، ولا يلتفت إلى شيء مما متع به الكفار من زهرة الدنيا، التي أوتيت لهم لتكون ابتلاءً واختباراً، وما عند الله خير منها وأبقى، ثم طلب إليه أن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها، وهو لا يكلفه رزقاً لنفسه ولا لغيره، فالله يرزقه من واسع فضله، وعظيم عطائه، والعاقبة لمن اتقى ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه[1]، لما أمر رسوله ﷺ بالصبر على أقاويلهم، التي أرادوا بها تكذيبه والكيد له، وشديد أذاه.. حكى بعض تلك الأقاويل الباطلة، ومنها ادعاؤهم أن القرآن ليس بحجة ولا معجزة تدل على نبوة محمد ﷺ ثم أبان لهم أنهم يوم القيامة سيعترفون بأنه آية بينة ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ ومن ثم لم نهلكهم قبله حتى تنقطع معذرتهم، كما حكى الله عنهم من قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ ثم ختم السورة بضرب من الوعيد، وكأنه قال: قل لهم: كل منا ومنكم منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم، وحينئذٍ يتميز المحق من المبطل بما يظهر على الأول من أنواع الكرامة والتعظيم، وعلى الثاني من ضروب الخزي والإهانة، ويظهر مَنْ منا سار على الطريق السوي ومن المهتدي.

---

(١) المراغي.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ...﴾ الآية، سبب نزوله[1]: ما أخرجه ابن أبي شيبة، وابن مردويه، والبزار، وأبو يعلى عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ ضيفاً، فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب، فقال: لا، إلا برهن، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض» فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ...﴾ الآية.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد عهدنا إلى آدم أبي البشر، ووصيناه، وأمرناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل أكله منها، أو من قبل[2] هؤلاء الذين تركوا أمري، ونقضوا عهدي بتكذيبك ﴿فَنَسِىَ﴾ عهدنا، وأكل منها ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾؛ أي: تصميماً على الاحتياط، وحفظاً لما أمر به، وثباتاً عليه، أو صبراً عن أكل الشجرة، يقال: عهد فلان إلى فلان بعهد؛ أي: ألقى العهد إليه، وأوصاه بحفظه، والعهد: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، وسمي: الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً، وعهد الله تارةً يكون بما ركزه في عقولنا، وتارةً يكون بما أمرنا به بكتابه وبألسنة رسله، وتارةً بما نلتزمه، وليس بلازم في أصل الشرع، كالنذور وما يجري مجراها.

وآدم أبو البشر ـ عليه السلام ـ قيل: سمي بذلك لكون جسده من أديم الأرض، وقيل: لسمرة لونه، يقال: رجل آدم؛ أي: أسمر، وقيل: سمي بذلك لكونه من عناصر مختلفة، وقوىً مفترقة، يقال: جعلت فلاناً أُدْمَة أهلي؛ أي: خلطته بهم، وقيل: سمي بذلك لما طيب به من الروح المنفوخ فيه، وجعل له من العقل والفهم، والرؤية التي فُضل بها على غيره، وذلك من قولهم: الإدام، وهو: ما يطيب به الطعام، وقيل: أعجمي وهو الأظهر.

---

(١) لباب النقول. (٢) الوجيز.

والمعنى: وعزتي وجلالي، لقد أمرنا آدم ووصيناه بأن لا يأكل من الشجرة، وهي المعهودة، وسيأتي بيانها بعد هذه الآية ﴿مِن قَبۡلُ﴾؛ أي: من قبل هذا الزمان ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد ولم يهتم به حتى غفل عنه، والنسيان بمعنى: عدم الذكر، أو تركه ترك المنسي عنه، قال الراغب: النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع، إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة أو عن قصد، حتى ينحذف عن القلب ذكره، وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد، وما عذر فيه. وأما ما روي من قوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» فهو ما لم يكن سببه منه، والوجود في قوله: ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ يجوز[1] أن يكون بمعنىٰ العلم، ومفعولاه حينئذٍ ﴿لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ وقدم الثاني على الأول لكونه ظرفاً، وأن يكون نقيض العدم، كأنه قال: وعدمنا ﴿لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ وهذا هو الأنسب بالمقام.

والمعنى[2]: لم نعلم له، أو لم نصادق له تصميم رأي، وثبات قدم في الأمور، ومحافظةً على ما أمر به، وعزيمةً على القيام به، إذ لو كان كذلك لما أزله الشيطان، ولما استطاع تغريره، وكان ذلك منه في بدء أمره من قبل أن يجرب الأمور، ويتولى قارّها وحارّها، ويذوق شريّها وأريّها، لا من نقصان عقله، فإنه أرجح الناس عقلاً، كما قال ـ عليه السلام ـ: «لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه» وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ ومعنى هذا: أن آدم مع ذلك أثر فيه وسوسته، فكيف في غيره، قيل: لم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان، فكان مؤاخذاً به، وإنما رفع عنا معشر الأمة المحمدية.

قال أبو الفتح البستي في الإعتذار من النسيان إلى بعض الرؤساء:

يَا أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ إِحْسَانَاً إِلَىٰ ٱلنَّاسِ   يَا أَحْسَنَ ٱلْخَلْقِ إِعْرَاضَاً عَنْ ٱلْبَاسِ

---

(١) روح البيان.

(٢) الكشاف.

(٣) روح البيان.

نَسِيتُ وَعْدَكَ وَٱلنِّسْيَانُ مُغْتَفَرٌ ... فَٱغْفِرْ فَأَوَّلُ ٱلنَّاسِ أَوَّلُ ٱلنَّاسِي

وقرأ[1] معاذ القارىء، وعاصم الجحدري، وابن السميقع، واليماني، والأعمش: ﴿نسي﴾ بضم النون وتشديد السين؛ أي: نساه الشيطان.

فائدة: قال علي[2] رضي الله عنه: عشرة أمور يورثن النسيان: كثرة الهم، والحجامة في النقرة، والبول في الماء الراكد، وأكل التفاح الحامض، وأكل الكزبرة، وأكل سؤر الفأر، وقراءة ألواح القبور، والنظرة إلى المصلوب، والمشي بين الجملين المقطورين، وإلقاء القملة حية.

وزاد في «المقاصد الحسنة» مضغ العلك؛ أي: للرجال إذا لم يكن من علة كالبخر، ولا يكره للمرأة إن لم تكن صائمة، لقيامه مقام السواك في حقهن، لأن سنها أضعف من سن الرجال، كسائر أعضائها، فيخاف من السواك سقوط سنها، وهو ينقي الأسنان، وتشد اللثة كالسواك.

اعلم: أن من أشد أسباب النسيان: العصيان، فنسأل الله العصمة والحفظ.

ثم شرع سبحانه في بيان كيفية ظهور نسيانه، وفقدان عزمه، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ والعامل في إذ مقدر، تقديره: اذكر، وتعليق[3] الذكر بالوقت، مع أن المقصود ذكر ما فيه من الحوادث للمبالغة، لأنه إذا وقع الأمر بذكر الوقت، كان ذكر ما فيه من الحوادث لازماً بطريق الأولى، وقد تقدم تفسير هذه القصة في البقرة مستوفى؛ أي: واذكر يا محمد قصة وقت قولنا: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ لمن في الأرض والسماء منهم عموماً كما سبق تحقيقه ﴿ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ سجود تحيةٍ وتكريمٍ.

قال البيضاوي[4]: اذكر حاله في ذلك الوقت، ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات، وفيه[5] إشارة إلى استحقاقه لسجودهم لمعان جمة:

---

(١) زاد المسير والبحر المحيط.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.
(٤) البيضاوي.
(٥) روح البيان.

منها: أنه خلق لأمر عظيم هو الخلافة.

ومنها: أنه خلقه على صورة الرحمٰن، كما ورد في الحديث.

ومنها: أنه سبحانه قال في شأنه: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.

ومنها: أنه اختص بعلم الأسماء كلها، وأنهم احتاجوا إليه في إنباء الأسماء، كما قال تعالى: ﴿يَآءَادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ فوجب عليهم أداء حقوقه بالسجود له.

﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾؛ أي: فسجد الملائكة كلهم أجمعون تعظيماً لأمر ربهم، وامتثالاً له ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فإنه لم يسجد، ولم يطرح أردية الكبر، ولم يخفض جناحه، يقال: أبلس إذا تحير، ومنه إبليس، أو هو أعجمي كما في «القاموس» وقوله: ﴿أَبَىٰ﴾ استئناف بياني، كأنه قيل: ما باله لم يسجد فقيل: أبىٰ السجود وامتنع منه، قال في «المفردات» الإباء شدة الامتناع، فكل إباءٍ امتناع، وليس كل امتناع إباء.

المعنى[1]: أي اذكر أيها الرسول الكريم: ما وقع في ذلك منا ومن آدم، حتى يستبين لك نسيانه وفقدان عزمه، إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم فلبوا الأمر، إلا إبليس فإنه امتنع وأبى أن يكون مع الساجدين، وقد تقدم ذكر هذا القصص في سورة البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وسيأتي ذكره في سورة صٓ، وفيه إشارة إلى تكريم آدم وتفضيله على كثير ممن خلق. ﴿فَقُلْنَا﴾ له عقيب ذلك، اعتناءً بنصحه وإرشاده ﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا﴾ الحقير الذي رأيت منه ما رأيت من التكبر ﴿عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء، ومن ثم لم يسجد لك، وخالف أمري وعصاني، فلا تطيعاه فيما يأمركما به، والزوج: اسم للمفرد، بشرط أن يكون معه آخر من جنسه، ذكراً كان أو أنثى، ولعداوته وجوه[2]:

الأول: أنه كان حسوداً له، فلما رأى نعم الله على آدم.. حسده فصار

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

عدواً له، وفيه إشارة إلى أن كل من حسد أحداً يكون عدواً، ويريد هلاكه ويسعى في إفساد حاله.

والثاني: أنه كان شاباً عالماً، وإبليس شيخاً جاهلاً، لأنه أثبت فضيلته بفضيلة أصله، وأنه جاهل، والشيخ الجاهل يكون أبداً عدو الشاب العالم.

الثالث: أنه مخلوق من النار، وآدم من الماء والتراب، وبين أصليهما عداوة فبقيت العداوة بينهما ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾؛ أي: فلا يكونن إبليس سبباً لإخراجكما من الجنة، فهو من قبيل إسناد الفعل إلى سببه، وإلا فالمخرج حقيقةً هو الله سبحانه وتعالى، وظاهره: وإن كان نهىٰ إبليس عن الإخراج، إلا أن المراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان في إخراجهما منها بالطريق البرهاني ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾؛ أي: فتتعبا بمتاعب الدنيا، التي لا تكاد تحصى، فهو جواب النهي.

وخلاصة ذلك[1]: إياك أن تسعىٰ في إخراجك منها، فتتعب وتشقىٰ في طلب رزقك، وأنت هٰهنا في عيش رغدٍ هنيء، بلا كلفةٍ ولا مشقةٍ، ولم يقل: فتشقيا، لأن الكلام من أول القصة مع آدم وحده، فهو المخاطب فاكتفى به، أو لأنه الكاسب، فكان التعب في حقه أكثر، ذكره الماوردي، أو لأن إسناد الشقاء إليه لرعاية الفواصل، ولأصالته فيه، وفي «القاموس» الشقاء: الشدة والعسر، ويمد. انتهى.

فالمعنى[2]: لا تباشر أسباب الخروج، فيحصل الشقاء، وهو: الكد والتعب الدنيوي، مثل الحرث والزرع والحصد والطحن والعجن والخبز ونحو ذلك، مما لا يخلو الناس في أمر تعيشهم، ويؤيده ما بعد الآية، وعن ابن جبير: أهبط له ثور أحمر، يحرث عليه فيأكل بكد يمينه، وعرق جبينه.

ثم علل ما يوجبه ذلك النهي بما فيه الراحة الكاملة عن التعب والاهتمام فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ ﴿لَكَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ و﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ في محل النصب

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

على الاسمية؛ أي: قلنا له: إن حالك يا آدم، ما دمت في الجنة عدم الجوع، إذ النعم كلها حاضرةً فيها ﴿وَلَا تَعۡرَىٰ﴾؛ أي: وإن لك فيها أن لا تعرى من الثياب، لأن الملبوسات كلها موجودة في الجنة، والعري: تجرد الجلد عما يستره، وقرأ[1] أبيّ بن كعب ﴿لا تُجوع﴾ ﴿ولا تُعرى﴾ بالتاء المضمومة والألف ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ﴾ ولا تعطش ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في الجنة، لأن العيون والأنهار جارية على الدوام ﴿وَلَا تَضۡحَىٰ﴾؛ أي: لا يصيبك حر الشمس في الجنة، إذ لا شمس فيها، وأهلها في ظلٍ ممدودٍ، يقال: ضحيَ الرجل للشمس بكسر الحاء: إذا برز وتعرّض لها، و﴿أن﴾ بالفتح مع ما في حيزها: عطف على ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ وفصل[2] الظمأ عن الجوع، دفعاً لتوهم أن نفيهما نعمة واحدة، وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو.

والمعنى[3]: أي لا يكون لك في الجنة جوع ولا عري، ولا ظمأ ولا إصابة بحر الشمس، وقرن بين الجوع والعري أولاً، لأن في الجوع ذل الباطن، وفي العري ذل الظاهر، وبين حر الباطن وهو العطش، وحر الظاهر وهو الضحى ثانياً، فنفى الله عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن، وحر الظاهر والباطن، وقد ذكر الله[4] سبحانه ها هنا أنه قد كفاه الاشتغال بأمر المعاش، وتعب الكد في تحصيله، ولا ريب أن أصول المتاعب في الدنيا هي تحصيل الشبع، والري، والكسوة، والسكن، وما عدا هذه ففضلات يمكن البقاء بدونها، وهو إعلام من الله سبحانه لآدم أنه إن أطاعه.. فله في الجنة هذا كله، وإن ضيَّع وصيته، ولم يحفظ عهده.. أخرجه من الجنة إلى الدنيا، فيحل به التعب والنصب، بما يدفع الجوع والعري، والظمأ والضحو، فالمراد بالشقاء: شقاء الدنيا، كما قاله كثير من المفسرين، لا شقاء الأخرىٰ، قال الفراء: هو أن يأكل من كد يديه، وقرأ شيبة، ونافع، وحفص، وابن سعدان: ﴿وإنك لا تظمأ﴾ بكسر همزة ﴿وإنك﴾ وقرأ الجمهور: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص

---

(١) زاد المسير.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

(٤) الشوكاني.

عن عاصم؛ ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتحها، قال أبو علي: من فتح.. حمله على ﴿أن لك أن لا تجوع﴾ ﴿وأن لك أن لا تظمأ﴾ ومن كسر استأنف.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: أنهى إلى آدم وسوسته وأبلغ، فتعديته بإلى باعتبار تضمينه معنى الإنهاء والإبلاغ، والوسوسة: الصوت الخفي، ومنها وسواس الحلي لأصواتها، وهو فعل لازم، وجملة قوله: ﴿قَالَ﴾ إما بدل من ﴿وسوس﴾ أو مستأنفة بتقدير سؤال، كأنه قيل: فماذا قال في وسوسته، فقيل: ﴿قال﴾ الشيطان ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾؛ أي[1]: على شجرة من أكل منها.. خلد، ولم يمت أصلاً، سواء كان على حاله أو بأن يكون ملكاً، فأضافها إلى ﴿ٱلْخُلْدِ﴾ وهو الخلود لأنها سببه بزعمه، كما قيل لحيزوم فرس الحياة لأنها سببها؛ أي فألقىٰ النصيحة إلى آدم، وقال له: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها.. خلدت ولم تمت، وملكت ملكاً لا ينقضي ولا يفنى.

قال الراغب: الخلود تبرِّي الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، والخلود في الجنة: بقاء الأشياء على الحالة التي هي عليها، من غير اعتراض الفساد عليها ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾؛ أي: لا يزول ولا ينقضي، ولا يختل بوجه من الوجوه؛ أي: تصرف يدوم ولا ينقطع[2]؛ أي: هل أدلك على الشجرة التي من أكل منها خلف، ولا يموت أصلاً، ودام ملكه، إما على حاله أو على أن يصير ملكاً ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾؛ أي: أكل آدم وحواء من الشجرة ﴿فـ﴾عريا من الثياب التي كانت عليهما حتى ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾؛ أي: عوراتهما، وظهرت فروجهما، يقال: بدا الشيء بَدْواً وبُدُواً: ظهر ظهوراً بيناً، وكنى عن الفرج: بالسوءة، لأنه يسوء الإنسان انكشافه؛ أي: يغمه ويحزنه؛ أي: ظهر لكل منهما قُبله وقُبل الآخر ودُبره.

قال الحصيري: بدت لهما ولم تبد لغيرهما، لئلا يعلم الأغيار من مكافأة الجناية ما علما، ولو بدت للأغيار.. لقال بدت منهما؛ أي: ظهرت فروجهما

---

(١) روح البيان.
(٢) المراح.

لكل منهما بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما أكلا من الشجرة، قال ابن عباس: إنهما عريا عن النور الذي كان الله ألبسهما إياه، حتى بدت فروجهما، وقيل[1]: وكان لباسهما الظفر، فلما أصاب الخطيئة.. نزع عنهما، وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع، وعن أبيّ بن كعب - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «إن أباكم آدم كان رجلاً طويلاً كالنخلة السحوق، كثير الشعر مواري العورة، فلما واقع الخطيئة.. بدت سوءته، فانطلق في الجنة هارباً، فمر بشجرة فأخذت بناصيته فأجلسته، فناداه ربه: أفراراً مني يا آدم؟ قال: لا يا رب، ولكن حياءً منك» ﴿وَطَفِقَا﴾؛ أي: شرع آدم وحواء ﴿يَخْصِفَانِ﴾؛ أي: يلزقان ويطبقان ﴿عَلَيْهِمَا﴾؛ أي: لأجل ستر سوآتهما، فـ﴿على﴾ تعليلية ﴿مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾؛ أي: من ورق أشجار الجنة، وهو ورق التين على ما قيل؛ أي: يلزقان ويضمان ورق التين بعضه ببعض، ورقةً ورقةً حتى يصير طويلاً عريضاً يصلح للاستتار به، كلما ألزقا بعضه ببعض تساقط، قيل: كان مدوراً فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما.

المعنى: أي[2] فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها، وأطاعا أمر إبليس، وخالفا أمر ربهما، فانكشفت عورتهما وكانت مستورةً عن أعينهما، فشرعا يلزقان ورق التين عليهما، ليغطيا جسمهما ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾؛ أي: خالف نهي ربه بأكله من الشجرة، لأنه اعتقد أن النهي عن شجرة معينة، وأن غيرها ليس منهياً عنه ﴿فَغَوَىٰ﴾؛ أي: ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود في الجنة، وخاب من نعيم الجنة، فلم يصب بأكله من الشجرة ما أراده، لأنه إنما أكل منها ليصير ملكه دائماً، فلما أكل.. زال ملكه وخاب سعيه، أو ضل عن المأمور به، وهو التباعد عن الشجرة في ضمن ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أو عن الرشد، حيث اغتر بقول العدو، لأن الغي خلاف الرشد، وقيل: فسد عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا، ومعنى ﴿عصى آدم ربه﴾؛ أي[3]: خالف نهيه، فالعصيان: هو

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) الفتوحات.

المخالفة، لكنه خالف بتأويل، لأنه اعتقد أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، أو لأنه اعتقد أن النهي قد نسخ لما حلف له إبليس، أو لأنه اعتقد أن النهي عن شجرة معينة، وأن غيرها من بقية أفراد الجنس ليس منهياً عنه.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدَّره الله تعالى عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين عاماً، فحج آدم موسى» متفق عليه.

قال القاضي أبو بكر ابن عربي[1]: لا يجوز لأحد أن يخبر اليوم بذلك عن آدم.

قلت: لا مانع من هذا بعد أن أخبرنا الله في كتابه بأنه عصاه، وكما يقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين، ومما قلته في هذا المعنى:

عَصَىٰ أَبُوْ ٱلْعَالَمِ وَهْوَ ٱلَّذِيْ ... مِنْ طِيْنَةٍ صَوَّرَهُ ٱللَّهُ
وَأَسْجَدَ ٱلأَمْلَاكَ مِنْ أَجْلِهِ ... وَصَيَّرَ ٱلْجَنَّةَ مَأْوَاهُ
أَغْوَاهُ إِبْلِيْسُ فَمَنْ ذا أَنَا ٱلْمِسْـ ... ـكِيْنُ إِنْ إِبْلِيْسُ أَغْوَاهُ

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾؛ أي: اصطفاه واختاره وقربه إليه، بالحمل على التوبة والتوفيق لها، قال ابن فورك: كانت المعصية من آدم قبل النبوة، فجائز عليهم الذنوب وجهاً واحداً ﴿فَتَابَ﴾ ربه ﴿عَلَيْهِ﴾ وعلى زوجته؛ أي: قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. ووجه تخصيص آدم بالذكر: لأن الكلام من أول القصة كان مع آدم وحده، كما مر هناك ﴿وَهَدَىٰ﴾؛ أي: هداه إلى الثبات على التوبة، والتمسك بأسباب العصمة، وفيه[2] إشارة إلى أنه لو وُكل إلى نفسه وغريزته التي جبل عليها.. ما كانت التوبة من شأنه، ولا الرجوع إلى الله من برهانه، ولكن الله بفضله وكرمه اجتباه، وبجذبة العناية رقاه، وإلى حضرة الربوبية هداه، وفي الحديث «لو جُمع

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داود ـ لكان بكاؤه أكثر، ولو جُمع ذلك إلى بكاء نوح ـ لكان بكاؤه أكثر، ولو جُمع ذلك كله إلى بكاء آدم على خطيئته.. لكان أكثر».

ومعنى الآية[1]: أي ثم اصطفاه ربه من بعد معصيته، ورزقه التوبة والعمل بما يرضيه حين قال هو وزوجته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

فصل في بيان عصمة الأنبياء وما قيل في ذلك

قال الإمام فخر الدين الرازي: اختلف[2] الناس في عصمة الأنبياء، وضبط القول فيها يرجع إلى أقسام أربعة:

أحدها: ما يقع في باب الاعتقاد، وهو اعتقاد الكفر والضلال، فإن ذلك غير جائز عليهم.

الثاني: ما يتعلق بالتبليغ فقط: اجتمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب، مواظبين على التبليغ والتحريض، وإلا لارتفع الوثوق بالأداء، واتفقوا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمداً ولا سهواً، ومن الناس من جوَّز ذلك سهواً، قالوا: لأن الاحتراز عنه غير ممكن.

الثالث: ما يتعلق بالفتيا، فأجمعوا على أنه لا يجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد، وأجازه بعضهم على سبيل السهو.

الرابع: ما يقع في أفعالهم:

فقد اختلفت الأمة فيه على خمسة أقوال:

أحدها: قول من جوّز عليهم الكبائر.

الثاني: قول من منع من الكبائر، وجوّز الصغائر على جهة العمد، وهو قول أكثر المعتزلة.

---

(١) المراغي. (٢) الخازن.

الثالث: لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة، بل على وجه التأويل، وهو قول الجبائي.

الرابع: أنه لا يقع منهم الذنب إلا على جهة السهو والخطأ.

الخامس: أنه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة، لا على سبيل العمد، ولا على سبيل السهو، ولا على سبيل التأويل، وهو قول الشيعة.

واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال:

أحدها: قول من ذهب إلى أنهم معصومون من حين وقت الولادة، وهو قول الشيعة.

الثاني: قول من ذهب إلى عصمتهم من وقت بلوغهم، وهو قول أكثر المعتزلة.

الثالث: قول من ذهب إلى أن ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة، وهو قول أكثر أصحابنا، وأبي الهذيل وأبي علي من المعتزلة.

قال الإمام: والمختار عندنا: أنه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة، من حين جاءتهم النبوة، ويدل عليه وجوه:

أحدها: أنه لو صدر الذنب عنهم.. لكان أقل درجة من أحد الأمة، وذلك غير جائز أيضاً، لأن درجة الأنبياء غاية في الرفعة والشرف.

والثاني: أنه لو صدر منه.. وجب أن يكون مقبول الشهادة، فكان أقل حالاً من عدول الأمة، وذلك غير جائز أيضاً، لأن معنى النبوة والرسالة: هو أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم، وأيضاً فإنه يوم القيامة شاهد على الكل.

الثالث: لو صدر من النبي ذنب.. وجب الاقتداء به فيه، وذلك محال.

الرابع: ثبت ببديهة العقل أنه لا شيء أقبح ممن رفع الله درجته، وائتمنه على وحيه، وجعله خليفته في عباده وبلاده، يسمع ربه يناديه: لا تفعل كذا، فيقدم عليه ويفعله ترجيحاً لغرضه، واجتمعت الأمة على أن الأنبياء كانوا يأمرون

الناس بطاعة الله، فلو لم يطيعوه لدخل تحت قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ وقال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾.

الخامس: قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ولفظه للعموم، فيتناول الكل، ويدل على فعل ما ينبغي فعله، وترك ما ينبغي تركه، فثبت أن الأنبياء كانوا فاعلين لكل خير، وتاركين لكل منهي، وذلك ينافي صدور الذنب عنهم.

السادس: قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ وقال الله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين﴾ وقال تعالى في حق موسى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة، وذلك ينافي صدور الذنب عنهم، وذكر غير ذلك من الوجوه.

قال: وأما المخالف فقد تمسك بآيات:

منها: قصة آدم هذه، والجواب عنها: أن تقول: إن كلامهم إنما يتم لو بيَّنوا بالدلالة أن ذلك كان حال النبوة، وذلك ممنوع، ولم لا يجوز أن يقال: إن آدم حال ما صدرت عنه هذه الأشياء ما كان نبياً، وإن هذه الواقعة كانت قبل النبوة، وإن الله تعالى قبل توبته، وشرفَّه بالنبوة والرسالة.

وقال القاضي عياض: وأما قصة آدم، وقوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؛ أي: جهل، وقيل: أخطأ، فقد أخبر الله تعالى بعذره في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾؛ أي: نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه، وقيل: لم يقصد المخالفة استحلالاً لها، ولكنه اغتر بحلف إبليس له ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ وتوهم أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، وقيل: نسي ولم ينو المخالفة، فلذلك قال: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾؛ أي: قصداً للمخالفة، وقيل:

بل أكل من الشجرة متأولاً، وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نُهي عنها، لأنه تأوَّل نهي الله عن شجرة مخصوصة، لا على الجنس، ولهذا قيل: إنما كانت التوبة من ترك التحفظ، لا من المخالفة، وقيل: تأول أن الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم.

فإن قلت: إذا نُفيت عنهم الذنوب والمعاصي.. فما معنى قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الأنبياء بذنوبهم، وتوبتهم واستغفارهم، وإشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم، وهل يتوب ويستغفر من لا شيء عليه؟

قلت: إن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده، وعظيم سلطانه، وقوة بطشه، مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله، والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤخذ به غيرهم، وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها، ولم يؤمروا بها، وأتوها على وجه التأويل أو السهو، خائفون وجلون، وهي الذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم، ومعاصٍ بالنسبة إلى كمال طاعتهم، لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم، وكان هذا أدنى أفعالهم، وأسوأ ما يجري من أحوالهم، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين؛ أي: يرونها بالإضافة إلى علو أحوالهم كالسيئات، وسنذكر في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه، إن شاء الله تعالى.

﴿قَالَ﴾؛ أي: قال الرب الذي انتهكت حرمة داره، وخولف أمره لآدم وحواء، بعد صدور الزلة منهما: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا﴾؛ أي: انزلا من الجنة إلى الأرض، حالة كونكما ﴿جَمِيعًۢا﴾؛ أي: مجتمعين في الهبوط، وهذا خطاب العتاب واللوم في الصورة، وخطاب التكميل والتشريف في المعنى، يقال: هبط هبوطاً: إذا نزل من علو إلى سفل، وخصهما بالهبوط لأنهما أصل البشر، ثم عمم الخطاب لهما ولذريتهما فقال: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾؛ أي: حالة كونه بعض ذريتكما متعادين لبعض في أمر المعاش، كما عليه الناس من التجاذب والتحارب، والتحاسد والتباغض، وجمع الخطاب باعتبار أنهما أصل الذرية،

ومآله بعضكم يا ذرية آدم عدو لبعض، أو المعنى[1]: انزلا من الجنة إلى الأرض، أنتما عدو لإبليس وذريته، وإبليس عدوكما وعدو ذريتكما.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير[2] إلى أنه جعل فيما بينهم العداوة، لئلا يكون لهم حبيب إلا هو، كما قال تعالى عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ ولما اختص آدم منهم بالاجتباء والاصطفاء، وأهبطه إلى الأرض معهم للابتلاء.. وعده بالاهتداء فقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾؛ أي: فإن يأتكم يا ذرية آدم وحواء ﴿مِّنِّى هُدًى﴾؛ أي: هادٍ من كتابٍ ورسول، والأصل: فإن يأتكم و﴿ما﴾: مزيدة لتأكيد معنى الشرط و﴿ما﴾ هذه مثل لام القسم في دخول النون المؤكدة معها، وإنما جيء بكلمة الشك، وهي ﴿إن﴾ الشرطية إيذاناً بأن إتيان الهدى بطريق الكتاب والرسول، ليس بقطعي الوقوع، وأنه تعالى إن شاء.. هدى وإن شاء.. ترك، لا يجب عليه شيء، ولك أن تقول: إتيان الكتاب والرسول لما لم يكن لازم التحقق والوقوع أبرز في معرض الشك، وأكد حرف الشرط والفعل بالنون، دلالةً على رجحان جهة الوقوع والتحقق.

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾؛ أي: فمن آمن بالكتاب، وصدق بالرسول ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا عن طريق الدين القويم ما دام حياً ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾؛ أي: لا يذل في الآخرة بالعذاب الدائم ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾؛ أي: عن الكتاب الذاكر لي، والرسول الداعي إلي، والذكر يقع على القرآن وغيره من كتب الله تعالى ﴿فَإِنَّ لَهُۥ﴾ في هذه الدنيا ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾؛ أي: معيشةً ضيقةً، لما يكون فيه من القلق والحرص على الدنيا، والتهالك على ازديادها، والخوف من انتقاصها، فترى الشح غالباً عليه، والبخل راسخاً في أعراقه، بخلاف المؤمن الطالب للآخرة، مع أنه قد يضيّق الله عليه بشؤم الكفر، ويوسع بركة الإيمان، وقرىء ﴿ضنكىٰ﴾ بضم الضاد على وزن فعلىٰ، وقرأ الحسن ﴿ضنكى﴾ بألف التأنيث بلا تنوين، وبالإمالة على وزن فعلىٰ كسكرى، وقرأ الجمهور ﴿ضَنكًا﴾ بالتنوين وفتح الكاف فتحة إعراب.

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

ومعنى الآية[1]: أن الله عز وجل، جعل لمن اتبع هداه وتمسك بدينه، أن يعيش في الدنيا عيشاً هنيئاً، غير مهموم ولا مغموم، ولا متعبٍ نفسه، كما قال سبحانه ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ وجعل لمن اتبع هواه وأعرض عن دينه، أن يعيش عيشاً ضيقاً في تعب ونصب، مع ما يصيبه في هذه الدنيا من المتاعب، فهو في الآخرة أشد تعباً، وأعظم ضيقاً، وأكثر نصباً، وذلك معنى قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾؛ أي: المُعْرِض؛ أي: نبعثه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾؛ أي: فاقد البصر، وقيل: أعمى عن جهات الخير، لا يهتدى إلى شيء منها، أو جاهلاً بوجود الحق، كما كان جاهلاً في الدنيا؛ أي[2]: فإذا خرج هو من القبر.. خرج بصيراً. فإذا سيق إلى المحشر.. عَمَى، فإذا دخل النار.. زال عماه، ليرى محله وحاله.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ بالنون، وفرقة منهم أبان بن تغلب: بسكون الراء، فيجوز أن يكون تخفيفاً، ويجوز أن يكون جزماً بالعطف على موضع ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ لأنه جواب الشرط، وقرأت فرقة ﴿ويحشره﴾ بالياء، وقرى ﴿ويحشره﴾ بسكون الهاء على لفظ الوقف.

وقصارى ذلك[4]: أن الله سبحانه، جعل لمن اتبع هداه، وتمسك بدينه العيش الهنيء، الذي لا هم فيه ولا غم، وجعل لمن أعرض عن دينه التعب والنصب، وهو في الآخرة أشد تعباً، وأعظم ضيقاً، وأكثر ألماً ﴿قَالَ﴾المعرض الذي حُشر أعمى، استئناف بياني ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ﴾ وبعثتني ـ استفهام استخباري ـ حالة كوني ﴿أَعْمَىٰ﴾؛ أي: فاقد البصر ﴿و﴾ الحال أني ﴿قد كنت بصيراً﴾، أي: ذا بصر في الدنيا؛ أي: ﴿قَالَ﴾ المعرض ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ عن حجتي وعن رؤية الأشياء على حقيقتها، ﴿وَقَدْ كُنتُ﴾ في الدنيا ذا بصر بذلك كله، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾.

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراح.

(٣) البحر المحيط.

(٤) المراغي.

﴿قَالَ﴾ربه مجيباً هذا السائل: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: أمرنا ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل ما فعلنا بك من حشرك أعمى، أو صفة لمصدر محذوف؛ أي حشرناك أعمى حشراً مثل الذي فعلت في الدنيا، من إعراضك عن الحق، ثم فسره بقوله: ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾؛ أي: آيات الكتاب، أو دلائل القدرة، وعلامات الوحدة، واضحةً نيرةً، بحيث لا تخفىٰ على أحد ﴿فَنَسِيتَهَا﴾؛ أي: أعرضت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر أصلاً، ولم تنظر فيها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾؛ أي: تترك في العمى والعذاب، جزاءً وفاقاً، لكن لا أبداً كما قيل: بل إلى ما شاء الله، ثم يزيله عنه، ليرى أهوال القيامة، ويشاهد مقعده من النار، ويكون ذلك له عذاباً فوق العذاب، وكذلك البكم والصمم، يزيلهما الله عنهم ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾.

والمعنى: أي فكما تركت آياتنا ترك المنسي الذي لا يذكر أصلاً، وأعرضت عنها اليوم ننساك فنتركك في النار.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ وجاوز الحد في عصيانه، بالانهماك في الشهوات، والإسراف: مجاوزة الإنسان الحد في كل فعل يفعله، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: بالقرآن وسائر المعجزات، بل كذبها وأعرض عنها.

والمعنى: أي وهكذا نعاقب من أسرف فعصى ربه، ولم يؤمن برسله وكتبه، فنجعل له معيشة ضنكاً، أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس أنه قال: في الآية يقول: كل مال أعطيته عبداً من عبادي، قلّ أو كثر، لا يتقيني فيه.. فلا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة.

ولما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين[1]: المعيشة الضنك في الدنيا، وحشره أعمىٰ في العقبى.. ختم آيات الوعيد بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ على الإطلاق، أو عذاب النار ﴿أَشَدُّ﴾ وأوجع مما نعذبهم به في الدنيا، من ضنك

---

(١) النسفي.

العيش ونحوه ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ وأدوم وأكثر بقاءً، لأنه لا أمد له ولا نهاية ولا انقطاع، فمن أراد أن ينجو من عذاب الله، وينال ثوابه.. فعليه أن يصبر على الشدائد في الدنيا في طاعة الله، ويجتنب المعاصي وشهوات الدنيا، فإن الجنة قد حُفّت بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات، كما ورد في الحديث.

وجملة قوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ مستأنفة لتقرير ما قبلها، و(الهمزة)[1] فيها للاستفهام الإنكاري التوبيخي، داخلة على محذوف، و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف، والهداية هنا: بمعنى التبين، من هدى بمعنى: اهتدى، فهو لازم، والفاعل: المصدر المأخوذ من ﴿أَهْلَكْنَا﴾ من غير سابك لإصلاح المعنى، لأن ذلك جائز كثير في كلامهم، وضمير ﴿لَهُمْ﴾ للمشركين المعاصرين لرسول الله ﷺ، والقرون: جمع قرن وهم القوم المقترنون في زمن واحد، والتقدير: أغفل هؤلاء المشركون فلم يتبين لهم إهلاكنا كثيراً من القرون قبلهم، حين كذبوا رسلهم، كعاد، وثمود، وقوم لوط، فيعتبروا بهذا الإهلاك، فيرجعوا عن تكذيب الرسول محمد ﷺ.

ويحتمل أن يكون الفاعل ضميراً يعود على الله، ويؤيده القراءة بالنون، والهداية: من هدى المتعدي، فمفعوله محذوف، والتقدير: أجهل هؤلاء المشركون مآل أمرهم، فلم يبين الله سبحانه لهم خبر من ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ حال كون القرون ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ ويتقلبون في ديارهم في أمن وراحة، أو حالة كون هؤلاء المشركين يمشون في مساكن القرون الذين أهلكناهم عند خروجهم للتجارة، وطلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية، والقرون الخالية، خاويةً خاربةً، من أصحاب الحجر، وثمود، وقرى قوم لوط، فإن ذلك مما يوجب اعتبارهم، لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك، وقرأ الجمهور[2]: ﴿يَهْدِ﴾ بالياء، وقرأت فرقة ـ منهم ابن عباس والسلمي ـ: ﴿أفلم نهد﴾ بالنون، والمعنى على هذه القراءة: واضح والتقدير: أفلم نبين لأهل مكة بياناً يهتدون به، كثرة من

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

أهلكنا من القرون الماضية، من أصحاب الحجر، وثمود، وقرى قوم لوط، وجملة[1] قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ تعليل للإنكار، وتقرير للهداية، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى مضمون قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ إلى آخره.

والنُّهى: جمع نهيةٍ، وهي العقل، والمعنى: إن في ذلك الإهلاك بالعذاب، لعبراً كثيرةً، ودلالاتٍ واضحةً على الحق، لأصحاب العقول الكاملة الناهية عن القبائح.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: ولولا الكلمة السابقة من ربك، والحكم الأزلي منه، بتأخير العذاب عن هذه الأمة؛ أي: أمة الدعوة، إلى الدار الآخرة، والمراد بتلك الكلمة[2]: العِدَةُ من الله بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة، لحكمة تقتضيه، يعني: أن الكلمة إخبار الله ملائكته، وكتبه في اللوح المحفوظ: أن أمة محمد ﷺ إن كذبوا فسيؤخرون، ولا يفعل بهم ما يفعل بغيرهم من الاستئصال، لعلمه أن فيهم من يؤمن، ولو نزل بهم العذاب.. لعمهم الهلاك ﴿لَكَانَ﴾ عذاب ذنوبهم ﴿لِزَامًا﴾؛ أي: لازماً لهم، لا ينفك عنهم بحال، ولا يتأخر عنهم ساعةً، لزوم ما نزل بأولئك الغابرين عند تكذيبهم رسلهم، واللِّزَام: مصدر لازم الرباعي، من باب فاعل كقاتل، وُصف به للمبالغة، وقوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾ قاله الزجاج وغيره، والفصل[3] للإشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب، ولمراعاة فواصل الآي؛ أي: ولولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم، وهو يوم القيامة، أو يوم بدر.. لكان عذاب جناياتهم لازماً لهم، ولما تأخر عنهم ساعةً.

قيل[4]: ويجوز عطف ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ على الضمير المستتر في ﴿كان﴾ العائد إلى الأخذ العاجل المفهوم من السياق، تنزيلاً للفصل بالخبر منزلة التأكيد، والتقدير ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ﴾ الأخذ العاجل ﴿لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) روح البيان.

(٤) الشوكاني.

لازمين لهم، كما كانا لازمين لعاد وثمود، قاله الزمخشري، وفيه تعسف ظاهر.

ثم لما بين الله سبحانه أنه لا يهلكهم بعذاب الاستئصال.. أمره بالصبر فقال: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من أنك ساحر كذاب، ونحو ذلك من مطاعنهم الباطلة و(الفاء) فيه: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت كون الأمر على ما ذكر، من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل إمهال، وأنه لازم لهم البتة، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لك ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيك من كلمات الكفر والنسبة لك إلى السحر والجنون، إلى أن يحكم الله فيهم، فإن علمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنهم معذبون لا محالة، مما يسليه ويحمله على الصبر.

والمعنى: لا تهتم بهم، فإن لعذابهم وقتاً مضروباً، لا يتقدم ولا يتأخر، وقيل: هذا منسوخ بآية القتال، وفي «الشهاب» ما نصه؛ أي: إذا[1] لم نعذبهم عاجلاً.. فاصبر، فـ(الفاء): سببية، والمراد بالصبر: عدم الاضطراب لما صدر منهم من الأذية، لا ترك القتال، حتى تكون الآية منسوخةً، وفي «الكبير» هذا غير لازم. لجواز أن يقاتل ويصبر على ما يسمع منهم من الأذى، والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، كما سيأتي في مباحث الصرف ﴿وَسَبِّحْ﴾؛ أي: نزه ربك عما لا يليق به، حالة كونك متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وثنائه؛ أي: صل حامداً لربك على هدايته وتوفيقه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ صلاةَ الفجر، فهو[2] من إطلاق اسم الجزء على الكل، وفي الخبر «إن الذكر والتسبيح إلى طلوع الشمس أفضل من إعتاق ثمانين رقبة من ولد إسماعيل» وفيه مقال، خص إسماعيل بالذكر لشرفه، وكونه أبا العرب، وإنما أمره بالتسبيح لأن التسبيح وذكر الله تعالى يفيد السلوة والراحة، وينسي جميع ما أصاب من الغموم والأحزان ﴿و﴾ صلّ ﴿قبل غروبها﴾؛ أي: قبل غروب الشمس: صلاتي الظهر والعصر، لأنهما قبل غروبها وبعد زوالها ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: بعض ساعاته، جمع إنىٰ بالكسر والقصر، كمِعى وأمعاء، وآناء بالفتح والمد؛ أي: وبعض ساعات الليل ﴿فَسَبِّحْ﴾؛ أي:

---

(١) الشهاب. (٢) روح البيان.

فصل المغرب والعشاء[1]، وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل، فإن القلب فيهما أجمع، والنفس إلى الاستراحة أميل، فتكون العبادة فيهما أشق ﴿و﴾ صل ﴿أطراف النهار﴾ صلاة التطوع، أمر بالتطوع في أجزاء النهار وفي «عيون المعاني»: هو بالنصب عطف على ما قبله من الظروف؛ أي: سبح في أطراف النهار، وهي صلاة المغرب، وصلاة الفجر على التكرار، لإرادة الاختصاص، كما في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ صلاة العصر عند بعض المفسرين. انتهى.

وقال الطبري[2]: قبل غروبها وهي العصر، ومن آناء الليل هي العشاء الآخرة، وأطراف النهار الظهر والمغرب، لأن الظهر في آخر الطرف الأول من النهار وفي أول الطرف الثاني، فكأنها بين الطرفين، والمغرب في آخر الطرف الثاني فكانت أطرافاً، انتهى.

وعبارة «المراح» هنا: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ معطوف[3] على محل ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ﴾ المنصوب بـ﴿سبح﴾ المقرون بـ﴿الفاء﴾ الزائدة، أو معطوفة على ﴿قَبْلَ﴾؛ أي: في طرف نصفيه؛ أي: في الوقت الذي يجمع الطرفين، وهو وقت الزوال، فهو نهاية للنصف الأول وبداية للنصف الثاني؛ أي: اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه الأوقات عما ينسبونه إليه تعالى، مما لا يليق به، حامداً له على ما ميزك بالهدى، أو المعنى: صل وأنت حامد لربك على كمال هدايته إياك صلاة الصبح، وصلاة العصر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء، وصلاة الظهر، والآية جامعة لذكر الصلوات الخمس.

وقرأ الجمهور[4]: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ بنصب الفاء، وهو معطوف على ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾ وقيل: معطوف على ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ وقرأ الحسن، وعيسى بن عمر: ﴿وأطراف﴾ بخفض الفاء عطفاً على ﴿آناء﴾ وقوله تعالى: ﴿لعلك ترضى﴾

---

(1) روح البيان.

(2) الطبري.

(3) المراح.

(4) البحر المحيط.

متعلق بـ﴿سبح﴾؛ أي: سبح في هذه الأوقات، رجاء أن تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك من الثواب، ويسر به قلبك، وقرأ الجمهور ﴿تَرْضَىٰ﴾ بفتح التاء بالبناء للفاعل، وقرأ أبو حيوة، وطلحة، والكسائي، وأبو بكر، وأبان، وعصمة، وأبو عمارة عن حفص، وأبو زيد عن المفضل، وأبو عبيد، ومحمد بن عيسى الأصبهاني: ﴿ترضى﴾ بضم التاء بالبناء للمفعول؛ أي: لعلك تُعطىٰ ما يُرضيك.

ولما صبَّر رسوله على ما يقولون، وأمره بالتسبيح.. أتبع ذلك بنهيه عن مد عينيه إلى ما متعوا به من زينة الدنيا فقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾؛ أي: لا تُطل[1] نظرهما بطريق الرغبة والميل، استحساناً للمنظور إليه، وإعجاباً به، وتمنياً أن لك مثله ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾؛ أي: إلى ما أعطينا به من زخارف الدنيا ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: أصنافاً من الكفرة، كالوثنيّ، والكتابيّ من اليهود والنصارى، بني قريظة والنضير، وهو مفعول ﴿مَتَّعْنَا﴾ حالة كون ما متعناهم به ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وزينتها وبهجتها ونضارتها وحسنها، قال الواسطي: هذه تسلية للفقراء، وتعزية لهم، حيث منع خير الخلق من النظر إلى الدنيا على وجه الاستحسان.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿زَهْرَةَ﴾ بسكون الهاء، وقرأ الحسن، وأبو البرهشيم، وأبو حيوة، وطلحة، وحُميد، وسلاَّم، ويعقوب، وسهل، وعيسى، والزهري: بفتحها والزَّهرة والزُّهرة: بمعنى واحد، كالجَهرة والجُهرة، وأجاز الزمخشري في ﴿زَهَرَةَ﴾ المفتوح الهاء أن يكون جمع زاهر، نحو كافر وكفرة، وصفهم بأنهم زاهر. واللام في قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ متعلق بـ﴿متعنا﴾؛ أي: لا تلتفت بعينيك إلى ما متعنا لهم به لنفتنهم به؛ أي: لنجعل ذلك المتاع فتنةً وضلالةً لهم، ابتلاءً منا لهم، أو[3] لنعاملهم فيما أعطيناهم معاملة من نبتليهم حتى يستوجبوا العذاب، بأن يزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً، فلا بد من التنفير عنه، فإنه عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان، أو لنعذبهم بسببه، وقرأ الأصمعي عن نافع

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) روح البيان.

﴿لنفتنهم﴾ بضم النون، من أفتنه: إذا جعل الفتنة واقعةً فيه.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾؛ أي: ثواب الله وما ادخره لصالحي عباده في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ مما رزقهم في الدنيا، لأنه مع كونه أجلَّ ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة، بخلاف ما منحوه ﴿وَأَبْقَىٰ﴾؛ أي: أدوم، فإنه لا يكاد ينقطع أبداً وهذا ينقطع.

ومعنى الآية: أي[1] ولا تُطل النظر استحساناً ورغبةً فيما مُتِّع به هؤلاء المترفون من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، نختبرهم بها، ونعلم هل يؤدون شكرها أو تكون وبالاً عليهم، ونكالاً لهم، وقد آتاك ربك خيراً مما آتاهم، فرضاه خيرٌ وأبقى كما قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ وخلاصة هذا: التنفير من الانهماك في التمتع بزهرة الدنيا: لسوء عاقبتها.

وبعد أن أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالتسبيح في تلك الأوقات المذكورة، ونهاه عن مد بصره إلى ما متع به الكفار، أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة، التي هي بعد الشهادة آكد أركان الإسلام، وأمره بالاصطبار على مداومتها ومشاقها، وأن لا يشتغل عنها، وأخبره تعالى أن لا يسأله أن يرزق نفسه، وأن لا يسعى في تحصيل الرزق، ويدأب في ذلك، بل أمره بتفريغ باله لأمر الآخرة، ويدخل في خطابه ـ عليه السلام ـ أمته فقال: ﴿وَأْمُرْ﴾ أيها الرسول الكريم ﴿أَهْلَكَ﴾؛ أي: أهل بيتك، أو أهل دينك ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ المفروضة عليك وعليهم؛ أي: وأمرهم بالصلاة كما أمرناك بها بقولنا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ...﴾ الآية. فإن الفقير ينبغي أن يستعين بها على فقره، ولا يهتم بأمر المعيشة، ولا يلتفت إلى جانب أهل الثروة ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: وداوم أنت وهم عليها، غير مشتغل بأمر المعاش، فكان النبي ﷺ يذهب إلى فاطمة وعلي كل صباح ويقول: «الصلاة» كان يفعل ذلك أشهراً.

قال ابن عطاء: أشد أنواع الصبر الاصطبار، وهو السكون تحت موارد

---

(١) المراغي.

البلاء بالسر والقلب، والصبر بالنفس لا غير. انتهى.

أي: واصبر على الصلاة، ولا تشتغل عنها بشيء من أمور الدنيا ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾؛ أي: لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، وتشتغل بذلك عن الصلاة ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ ونرزقهم ولا نكلفك ذلك، ففرغ بالك لأمر الآخرة، فإن من كان في عمل الله.. كان الله في عمله ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة وهي الجنة. ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: لأهل التقوى، على حذف المضاف، كما قاله الأخفش، وفيه دليل على أن التقوى هي ملاك الأمر، وعليها تدور دوائر الخير، وقرأ الجمهور: ﴿نَرْزُقُكَ﴾ بضم القاف، وقرأت فرقة ـ منهم ابن وثاب ـ: بإدغام القاف في الكاف، وجاء ذلك عن يعقوب.

والخلاصة[1]: داوم على الصلاة لا نكلفك مالاً، بل نكلفك عملاً نؤتيك عليه أجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً، ونحن نعطيك المال، ونكسبك ولا نسألك، والعاقبة الصالحة لأهل الخشية والتقوى، لا لمن لا يخاف عقاباً، ولا يرجو ثواباً كما قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

وأخرج مالك والبيهقي، عن أسلم قال: كان عمر بن الخطاب يصلي من الليل ما شاء الله تعالى أن يصلي، حتى إذا كان آخر الليل.. أيقظ أهله للصلاة، ويقول لهم الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَقَالُوا﴾؛ أي: قال كفار قريش: ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا﴾؛ أي: هلا يأتينا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فـ ﴿لولا﴾ تحضيضية بمعنى هلا؛ أي: هلا يأتينا ﴿بِآيَةٍ﴾ ومعجزةٍ مما اقترحنا نحن ومن نعتد به، أو بآيةٍ كائنةٍ ﴿مِّن﴾ آيات ﴿رَّبِّهِ﴾ كما يأتي بها من كان قبله من الأنبياء، كموسى، وعيسى، لتكون علامةً على صدقه، وذلك كالناقة والعصىٰ، بلغوا من العناد إلى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات من قبيل الآيات، حتى اجترؤوا على التفوه بهذه الكلمة العظيمة، فأجاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

بقوله: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ و(الهمزة) فيه للاستفهام التقريري، داخلة على محذوف معلوم من السياق، و(الواو): عاطفة على ذلك المحذوف[1]، والبينة: الدلالة الواضحة عقليةً كانت أو حسيةً، والمراد بها هنا: القرآن الذي فيه بيان للناس، و﴿مَا﴾: عبارة عن العقائد الصحيحة وأصول الأحكام التي اجتمعت عليها كافة الرسل، والصحف: جمع صحيفة وهي التي يكتب فيها، وحروف التهجي صحيفة على حدة، مما أُنزل على آدم، والمراد بها: التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب السماوية، وفيها التصريح بنبوته والتبشير به، ولذلك فإن هذه الكتب المنزلة هم معترفون بصدقها وصحتها، وفيها ما يدفع إنكارهم لنبوته، ويبطل تعنتاتهم وتعسفاتهم، والتقدير: ألم يأتهم سائر الآيات، ولم يأتهم القرآن الذي هو بيان ما في الصحف الأولى، من العقائد المحقة، وأصول الأحكام؛ أي: قد أتاهم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز وهو: القرآن.

وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص: ﴿تأتهم﴾ بالتاء على لفظ بينة، وقرأ باقي السبعة، وأبو بحرية، وابن محيصن، وطلحة، وابن أبي ليلىٰ، وابن مناذر، وخلف، وأبو عبيدة، وابن سعدان، وابن عيسى، وابن جبير الأنطاكي ﴿يأتهم﴾ بالياء لمجاز تأنيث الآية، والفصل، أو لأن البينة بمعنى البيان والبرهان، وقرأ الجمهور[2]: بإضافة ﴿بَيِّنَةُ﴾ إلى ﴿مَآ﴾ وفرقة منهم أبو زيد عن أبي عمر بالتنوين و﴿مَآ﴾ بدل، وقرأت فرقة: بنصب ﴿بَيِّنَةُ﴾ والتنوين و﴿مَآ﴾ فاعل بـ﴿تَأْتِهِم﴾ و﴿بَيِّنَةُ﴾ نصب على الحال، فمن قرأ: ﴿يأتهم﴾ بالياء فعلى لفظ ﴿مَآ﴾ ومن قرأ بالتاء راعى المعنى، لأنه أشياء مختلفة وعلوم من مضى، وما شاء الله، وقرأ الجمهور: ﴿فِي ٱلصُّحُفِ﴾ بضم الحاء، وفرقة منهم ابن عباس بإسكانها.

ثم بيَّن أنه لا عذر لهم في ترك الشرائع، وسلوك طرق الضلالة بوجه ما فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم﴾؛ أي: أهلكنا كفار مكة في الدنيا، أو الكفرة ﴿بِعَذَابٍ﴾ مستأصل ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿أَهْلَكْنَٰهُم﴾؛ أي: من قبل محمد ﷺ أو من قبل

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

إتيان البينة، أو من قبل إرسال الرسل ﴿لَقَالُواْ﴾ يوم القيامة احتجاجاً واعتذاراً ﴿رَبَّنَآ﴾ ويا مالك أمرنا ﴿لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾؛ أي: هلا أرسلت إلينا رسولاً يأمرنا وينهانا في الدنيا مع كتاب ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ التي أتىٰ بها الرسول ﴿مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ﴾؛ أي: من قبل أن يحصل لنا الذل والهوان في الدنيا بعذاب القتل والسبي، كما وقع يوم بدر، والذل الهوان ﴿وَنَخۡزَىٰ﴾ ونفتضح في الآخرة، بدخول النار.

والمعنى[1]: ولكن ألم نهلكهم قبل إتيانها، فانقطعت معذرتهم، فعند ذلك اعترفوا و﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾.

قال في «الأسئلة المقحمة»: هذا يدل[2] على أنه يجب على الله أن يفعل ما هو الأصلح لعباده المكلفين، إذ لو لم يفعل.. لقامت لهم عليه الحجة، بأن قالوا: هلا فعلت بنا ذلك حتى نؤمن.

والجواب: لو كان يجب عليه ما هو الأصلح لهم.. لما خلقهم، فليس في خلقه إياهم وإرسال الرسل إليهم رعاية الأصلح لهم، مع علمه بأنهم لا يؤمنون به، ولكنه أرسل الرسل وأكد الحجة، وسلب التوفيق، ولله تعالى أن يفعل ما يشاء بحق المالكية. انتهى.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ﴾ مبني للفاعل، وقرأ ابن عباس، ومحمد بن الحنفية، وزيد بن علي، والحسن في رواية عباد، والعمري، وداود، والفزاري، وأبو حاتم، ويعقوب: مبنياً للمفعول.

والمعنى: أي[4] ولو أنا أهلكناهم في الدنيا بعذاب الاستئصال من قبل إتيان البينة، وهي القرآن.. لقالوا يوم القيامة: ربنا هلا أرسلت إلينا في الدنيا رسولاً معه الآيات الدالة على صدقه، فنتبع حججك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك، من قبل أن نذل بتعذيبك، ونفتضح به.

---

(١) روح البيان.
(٢) أسئلة المقحمة.
(٣) البحر المحيط.
(٤) المراغي.

والخلاصة: أنا لو أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم، وننزل عليهم الكتاب العظيم.. لقالوا: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً قبل أن تُهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه، لكنا لم نهلكهم قبله، فانقطعت معذرتهم، ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأولئك الكفرة المتمردين ﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كل واحد منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾؛ أي: منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم:

قال في «الكبير» كل[1] منا ومنكم منتظر عاقبة أمره، إما قبل الموت بسبب الجهاد وظهور الدولة والقوة، أو بعد الموت بالثواب والعقاب، وبما يظهر على المحق من أنواع كرامة الله، وعلى المبطل من أنواع إهانته، وروي: أن المشركين قالوا: نتربص بمحمد حوادث الدهر، فإذا مات.. تخلصنا ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾؛ أي: فانتظروا أنتم عاقبة أمرنا، ونحن نتربص عاقبة أمركم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ أيها الكفرة عن قريب، إذا جاء أمر الله ونصره ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾؛ أي: جواب من أصحاب الصراط المستقيم، والأصحاب -جمع صاحب: بمعنى الملازم، والصراط: من السبيل ما لا التواء فيه؛ أي: لا إعوجاج فيه، بل يكون على سبيل القصد ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾؛ أي: وجواب من اهتدى من الضلال؛ أي: أنحن أم أنتم، كما قال بعضهم:

سَوْفَ تَرَىٰ إِذَا ٱنْجَلَىٰ ٱلْغُبَارُ   أَفَرَسٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارُ

وفيه تهديد شديد لهم.

واعلم: أن الله سبحانه قطع المعذرة بالإمهال والإرشاد فلك الحجة البالغة، وقرأ الجمهور[2]: ﴿ٱلسَّوِيِّ﴾: على وزن فعيل؛ أي: المستوي وقرأ أبو مجلز، وعمران بن حدير: ﴿السواء﴾؛ أي: الوسط، وقرأ الجحدري، وابن يعمر ﴿السوأىٰ﴾ على وزن فعلى، أنث لتأنيث ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾ وهو مما يذكر ويؤنث تأنيث الأسوء، وقرىء ﴿السوي﴾ بضم السين وفتح الواو وشد الياء: تصغير السوء، قاله الزمخشري، وليس بجيّد، إذ لو كان تصغير سوءٍ.. لثبتت همزته في

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.

التصغير، فكنت تقول: سؤيي، والأجود أن يكون تصغير سواءٍ، كما قالوا في عطاءٍ عطي، ومن قرأ ﴿السوأى﴾ أو ﴿السوء﴾ كان في ذلك مقابلةً لقوله: ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ وعلى قراءة الجمهور لم تراع المقابلة في الاستفهام.

والمعنى[1]: قل أيها الرسول الكريم لهؤلاء المشركين بالله: كلنا منتظر لمن يكون الفلاح له، وإلام أمرنا وأمركم فتربصوا وارتقبوا، فستعلمون من أهل الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، أنحن أم أنتم، وستعلمون من المهتدي الذي هو على سنن الطريق القاصد، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ ولا يخفى ما بين بداية السورة وخاتمتها من المناسبة، فإنها بُدئت ببيان أن القرآن قد أنزل لتحمل تعب الإبلاغ، وحيث قد بلغت فلا عليك، وختمت بطلب الإقبال على طاعة الله سبحانه وتعالى قدر الطاقة، وأمر أهله بالصلاة، وترك الذين لا يُنجح فيهم الإنذار، فإنه تذكره لمن يخشى، ويندم المخالف حيث لا ينفع الندم.

الإعراب

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ الواو: استئنافية و(اللام): موطئة للقسم ﴿قد﴾: حرف تحقيق ﴿عَهِدْنَآ﴾: فعل وفاعل ﴿إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾: متعلق به ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور ومتعلق بـ﴿عَهِدْنَآ﴾ أيضاً، أو حال من ﴿ءَادَمَ﴾ والجملة الفعلية: جواب القسم، وجملة القسم: مستأنفة مسوقة لتقرير مساوىء النسيان، الذي هو صنو الجهل، وقرينه، ولذلك يجب التحوط عنه، والدعاء دائماً، لقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿فَنَسِىَ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿نسي﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿ءَادَمَ﴾ والجملة: معطوفة على جملة ﴿عَهِدْنَآ﴾ ﴿وَلَمْ نَجِدْ﴾ (الواو): عاطفة ﴿لم نجد﴾: جازم ومجزوم، وفاعله: ضمير يعود على الله، تقديره: نحن ﴿لَهُۥ﴾: جار

---

(١) المراغي.

ومجرور في محل المفعول الثاني ﴿عَزْمًا﴾: مفعول أول لـ﴿نَجِدْ﴾ إن[1] كان من الوجدان بمعنى العلم، فينصب مفعولين، ويحتمل كونه من الوجود ضد العدم، فينصب مفعولاً واحداً وهو ﴿عَزْمًا﴾ و﴿لَهُۥ﴾: حال منه، أو متعلق بـ﴿نَجِدْ﴾ اهـ «بيضاوي».

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾.

﴿وَإِذْ﴾ الواو: استئنافية ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بمحذوف تقديره: واذكر يا محمد قصة ﴿إذ قلنا للملائكة﴾ ﴿قُلْنَا﴾: فعل وفاعل ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلق به، والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذ﴾ ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾: فعل أمر وفاعل ﴿لِءَادَمَ﴾: متعلق به، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قُلْنَا﴾. ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ الفاء: عاطفة ﴿سجدوا﴾: فعل وفاعل، والجملة: في محل الجر معطوفة على جملة ﴿قُلْنَا﴾. ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء ﴿إِبْلِيسَ﴾: منصوب على الاستثناء، ولا تنس اختلاف العلماء في اتصال الاستثناء وانقطاعه ﴿أَبَىٰ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿إِبْلِيسَ﴾ والجملة: في محل النصب حال من ﴿إِبْلِيسَ﴾ ﴿فَقُلْنَا﴾ (الفاء): عاطفة ﴿قُلْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾. ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قُلْنَا﴾. ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ﴾: ناصب واسمه وخبره ﴿لَّكَ﴾: متعلق بـ﴿عَدُوٌّ﴾ أو صفة له ﴿وَلِزَوْجِكَ﴾: معطوف على ﴿لَّكَ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلْنَا﴾ على كونه جواب النداء ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ (الفاء): عاطفة ﴿لا﴾ ناهية جازمة ﴿يخرجن﴾ فعل مضارع في محل الجزم بـ﴿لا﴾ الناهية مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله: ضمير يعود على ﴿إِبْلِيسَ﴾ و(الكاف): ضمير للمثنى المخاطب، في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾. ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾: متعلق بـ﴿يخرج﴾. ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ (الفاء):

---

(١) الفتوحات.

عاطفة سببية ﴿تشقى﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد (الفاء) السببية الواقعة في جواب النهي، وفاعله: ضمير يعود على ﴿ءَادَمَ﴾ والجملة الفعلية: صلة أن المضمرة الواقعة في جواب النهي، أن مع صلتها: في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى، تقديره: لا يكن إخراجه إياكما فشقاؤكما، وأفرد الضمير في ﴿تشقى﴾ لأن آدم هو المخاطب من أول القصة، فهو المقصود، وإلا فمقتضى السياق أن يقال فتشقيا كما مر في مبحث التفسير.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿إِنَّ﴾ حرف نصب ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿أَلَّا﴾ ﴿أن﴾ حرف نصب ومصدر ﴿لا﴾: نافية ﴿تَجُوعَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾ وفاعله: ضمير يعود على ﴿ءَادَمَ﴾. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿تجوع﴾. ﴿وَلَا تَعْرَىٰ﴾: معطوف على ﴿تَجُوعَ﴾ وجملة ﴿تَجُوعَ﴾: صلة ﴿أَنْ﴾ المصدرية ﴿أَنْ﴾ مع صلتها: في تأويل مصدر منصوب على كونه اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخراً، تقديره: إن عدم الجوع والعرى كائن لك، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلْنَا﴾. ﴿وَأَنَّكَ﴾ (الواو): عاطفة ﴿أنك﴾: ناصب واسمه ﴿لَا تَظْمَؤُا﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿تَظْمَؤُا﴾ ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾: معطوف على ﴿لَا تَظْمَؤُا﴾ وجملة ﴿لَا تَظْمَؤُا﴾: في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ والتقدير: وأنك عادم الظمأ فيها، وعادم الضحو، وجملة ﴿أن﴾ المشددة: في تأويل مصدر معطوف على مصدر منسبك من ﴿أَنْ﴾ المصدرية في قوله: ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾: عطف مفرد على مفرد، على كونه اسم ﴿إِنَّ﴾ المكسورة، والتقدير: إن لك عدم الجوع، وعدم العرى، وعدم الظمأ والضحو، وجاز أن تكون ﴿أن﴾ بالفتح اسماً، لـ﴿إِنَّ﴾ بالكسر للفصل بينهما، ولولا ذلك لم يجز، حتى لو قلت: إن أن زيداً قائم لم يجز، فلما فُصل بينهما جاز، فتقول إن عندي أن زيداً قائم، فعندي: هو الخبر قدم على الاسم، وهو أن وما في حيزها، لكونه ظرفاً، والآية من هذا القبيل، إذ التقدير: وإن لك أنك لا

تظمأ اهـ من «السمين». ﴿فَوَسْوَسَ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿وسوس﴾: فعل ماض ﴿إِلَيْهِ﴾ متعلق به ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿قُلْنَا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ والجملة بدل من جملة ﴿وسوس﴾ ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿هل﴾ حرف للاستفهام الاستنصاحي ﴿أَدُلُّكَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله: ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، ﴿عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿أَدُلُّكَ﴾ والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَمُلْكٍ﴾ معطوف على ﴿شَجَرَةِ﴾ وجملة ﴿لَّا يَبْلَىٰ﴾: صفة لـ﴿ملك﴾.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿فَأَكَلَا﴾ الفاء: عاطفة ﴿أكلا﴾: فعل وفاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿وسوس﴾. ﴿مِنْهَا﴾: متعلق بـ﴿أكلا﴾. ﴿فَبَدَتْ﴾ (الفاء): عاطفة ﴿بدت﴾: فعل ماض ﴿لهما﴾ متعلق به ﴿سَوْءَٰتُهُمَا﴾: فاعل ومضاف إليه والجملة: معطوفة على جملة ﴿أكلا﴾. ﴿وَطَفِقَا﴾: فعل ناقص واسمه، لأنه من أفعال الشروع، تعمل عمل كان وجملة ﴿يَخْصِفَانِ﴾: في محل النصب خبر ﴿طفقا﴾ وجملة ﴿طفقا﴾: معطوفة على جملة ﴿بدت﴾. ﴿عَلَيْهِمَا﴾ متعلق بـ﴿يَخْصِفَانِ﴾؛ أي: لأجل ستر سوءتيهما فـ﴿على﴾ تعليلية ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة لموصوف محذوف هو المفعول به؛ أي: ورقاً كائناً ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾. ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: معطوفة على جملة قوله: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا﴾ ﴿فَغَوَىٰ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿وَعَصَىٰٓ﴾ ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف ﴿ٱجْتَبَٰهُ﴾: فعل ومفعول به ﴿رَبُّهُۥ﴾ فاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿غوى﴾. ﴿فَتَابَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على الرب ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿تاب﴾ والجملة: معطوفة على جملة ﴿ٱجْتَبَٰهُ﴾. ﴿وَهَدَىٰ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿تَابَ﴾.

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ

هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل: مستتر يعود على الله، والجملة: مستأنفة ﴿ٱهْبِطَا﴾: فعل أمر وفاعل يعود على آدم وحواء، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مِنْهَا﴾: متعلق بـ﴿ٱهْبِطَا﴾. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من فاعل ﴿ٱهْبِطَا﴾ ﴿بَعْضُكُمْ﴾: مبتدأ ﴿لِبَعْضٍ﴾: حال من ﴿عَدُوٌّ﴾ لأنه كان صفة له، أو متعلق به ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر المبتدأ والجملة الاسمية: في محل النصب حال من فاعل ﴿ٱهْبِطَا﴾. ﴿فَإِمَّا﴾ (الفاء): عاطفة ﴿إما﴾ ﴿إن﴾: حرف شرط جازم ﴿ما﴾ زائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾: فعل مضارع ومفعول به في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد ﴿مِّنِّي﴾: متعلق به ﴿هُدًى﴾: فاعل ﴿فَمَنِ﴾ (الفاء): رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً لكون الجواب جملة اسمية ﴿مَن﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط أو الجواب أو هما ﴿ٱتَّبَعَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿هُدَاىَ﴾: مفعول به ومضاف إليه ﴿فَلَا﴾ الفاء: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية لاقترانه بـ﴿لا﴾. ﴿لا﴾: نافية ﴿يَضِلُّ﴾: فعل مضارع، وفاعل، يعود على ﴿مَن﴾. ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾: معطوف عليه، وجملة ﴿يَضِلُّ﴾: في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾: الشرطية: جواب ﴿إن﴾ الشرطية وجملة ﴿إن﴾: الشرطية معطوفة على ﴿ٱهْبِطَا﴾: على كونها مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾.

﴿وَمَن﴾ الواو: عاطفة ﴿مَن﴾: اسم شرط في محل رفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط أو الجواب أو هما ﴿أَعْرَضَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿عَن ذِكْرِى﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿أَعْرَضَ﴾. ﴿فَإِنَّ﴾ الفاء رابطة لجواب ﴿مَن﴾: الشرطية وجوباً لكون الجواب جملة اسمية ﴿إن﴾ حرف نصب وتوكيد ﴿لَهُۥ﴾:

جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿إن﴾. ﴿مَعِيشَةً﴾ اسمها مؤخر وجملة ﴿إن﴾: في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية، على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية في محل الجزم معطوفة على جملة ﴿مَن﴾ الأولى على كونها جواباً لـ﴿إن﴾ الشرطية ﴿ضَنكًا﴾ مصدر بمعنى ضيقةً صفة لـ﴿مَعِيشَةً﴾ فلهذا لم يؤنث بأن يقال: ضنكةً، فهذا من قبيل القاعدة التي ذكرها ابن مالك بقوله في الخلاصة:

وَنَعَتُوْا بِمَصْدَرٍ كَثِيْرَا فَٱلْتَزَمُوْا ٱلإِفْرَادَ وَٱلتَّذْكِيْرَا

﴿وَنَحْشُرُهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل مستتر يعود على الله ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف متعلق به ﴿أَعْمَىٰ﴾ حال من ضمير المفعول في ﴿نحشره﴾؛ أي: فاقد البصر، والجملة الفعلية: في محل الجزم معطوفة على جملة ﴿إن﴾ على كونها جواباً لـ﴿من﴾ الشرطية وقد قرىء ﴿وَنَحْشُرْهُ﴾ بالجزم عطفاً على محل ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على المعرض، والجملة: مستأنفة ﴿لِمَ﴾ ﴿اللام﴾ حرف جر ﴿م﴾ اسم استفهام في محل الجر باللام، مبني بسكون على الألف المحذوفة فرقاً بينها وبين ما الموصولة، الجار والمجرور متعلق بـ﴿حَشَرْتَنِيٓ﴾. ﴿حَشَرْتَنِيٓ﴾: فعل وفاعل ومفعول ونون وقاية ﴿أَعْمَىٰ﴾: حال من ياء المتكلم، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة: في محل النصب حال ثانية من ياء المتكلم، وعبارة القرطبي ﴿أَعْمَىٰ﴾؛ أي: في حال بصيراً؛ أي: في حال انتهى.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: حشرناك حشراً مثل ذلك الحشر، يعني: ﴿أَعْمَىٰ﴾ أو فعلنا بك مثل ذلك، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿أَتَتْكَ﴾: فعل ومفعول ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ (الفاء): عاطفة ﴿نسيتها﴾: فعل وفاعل ومفعول والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أَتَتْكَ﴾. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ (الواو): عاطفة ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

صفة لمصدر محذوف تقديره: ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف متعلق بـ﴿تُنسَىٰ﴾. ﴿تُنسَىٰ﴾ فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله: ضمير يعود على المعرض، والتقدير: وتنسىٰ اليوم نسياناً مثل نسيانك في الدنيا، والجملة الفعلية: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿نسيتها﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الواو: عاطفة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ صفة لمحذوف ﴿نَجْزِى﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿نَجْزِى﴾. ﴿أَسْرَفَ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾ والجملة الفعلية: صفة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والتقدير: ونجزي من أسرف وجاوز الحد جزاءً مثل جزاء المعرض عن آياتنا في حشره أعمى، والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾: على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ﴾ جازم ومجزوم وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾ ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿يُؤْمِنُ﴾: وجملة ﴿يُؤْمِنُ﴾: معطوفة على جملة ﴿أَسْرَفَ﴾ على كونها صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة ﴿وَلَعَذَابُ﴾ (الواو): عاطفة و(اللام): حرف ابتداء ﴿عذاب الآخرة﴾: مبتدأ ومضاف إليه ﴿أَشَدُّ﴾: خبر ﴿وَأَبْقَىٰ﴾: معطوف عليه، والجملة: معطوفة على جملة ﴿نَجْزِى﴾ أو مستأنفة.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾.

﴿أَفَلَمْ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، داخلة على محذوف و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم ﴿يَهْدِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لم﴾. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى عدد كثير، في محل النصب مفعول مقدم لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾. ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل وفاعل ﴿قَبْلَهُم﴾: متعلق بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: جار ومجرور صفة لتمييز ﴿كَمْ﴾ المحذوف تقديره: كم أهلكنا قبلهم قرناً كائناً من القرون، وجملة ﴿يَمْشُونَ﴾ في محل النصب حال من

مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أو من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾. ﴿فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾: متعلق بـ﴿يَمْشُونَ﴾ والضمير يعود على المهلَكين بفتح اللام، وجملة ﴿أَهْلَكْنَا﴾ من الفعل والفاعل: في تأويل مصدر من غير سابك لإصلاح المعنى، مرفوع على الفاعلية لـ﴿يَهْدِ﴾ والتقدير: أغفل هؤلاء المشركون فلم يهد لهم إهلاكنا كثيراً من القرون قبلهم، حالة كونهم ماشين في مساكن المهلكين، في أسفارهم إلى الشام، وجملة ﴿يَهْدِ﴾: من الفعل والفاعل معطوفة على تلك الجملة المحذوفة، والجملة المحذوفة مستأنفة ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ (اللام): حرف ابتداء ﴿آيات﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾: مؤخر ﴿لأولي النهى﴾ جار ومجرور صفة ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ والتقدير: إن آيات لأولى النهى لكائنة في ذلك، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾.

﴿وَلَوْلَا﴾ الواو: استئنافية ﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود ﴿كَلِمَةٌ﴾: مبتدأ وجملة ﴿سَبَقَتْ﴾: صفة لـ﴿كَلِمَةٌ﴾ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلق بـ﴿سَبَقَتْ﴾ وخبر المبتدأ محذوف وجوباً تقديره: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ سابقة ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ موجودة ﴿لَكَانَ﴾ (اللام) رابطة لجواب ﴿لَوْلَا﴾ كان: فعل ماض ناقص، واسمها: ضمير يعود على الإهلاك ﴿لِزَامًا﴾ خبر ﴿كان﴾ والتقدير: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك العاجل لازما لهم ﴿وَأَجَلٌ﴾: معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة له، والتقدير: ولولا أجل مسمى لإهلاكهم لكان الإهلاك العاجل لازماً لهم. ويجوز كما قال الزمخشري، وأبو البقاء: أن يكون ﴿أجل﴾ معطوفاً على الضمير المستتر في ﴿كان﴾ وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد بالضمير المنفصل، فيكون من قبيل قول ابن مالك: أو فاصلٍ ما؛ أي: لكان الإهلاك العاجل، وأجل مسمى لازمين لهم، كما كانا لازمين لعادٍ وثمود.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾.

﴿فَاصْبِرْ﴾ (الفاء) فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر،

تقديره: إذا كان الأمر على ما ذكر، من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل إمهال، وهو واقع بهم، وآتٍ عليهم، وأردت ما هو اللازم لك.. فأقول لك ﴿اصبر﴾: فعل أمر، وفاعله: ضمير يعود على محمد ﴿عَلَىٰ مَا﴾: جار ومجرور متعلق به، وجملة ﴿يَقُولُونَ﴾: صلة لـ﴿ما﴾ والعائد محذوف، تقديره: على ما يقولونه، وجملة ﴿اصبر﴾: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة: إذا المقدرة: مستأنفة ﴿وَسَبِّحْ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿اصبر﴾ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿سبح﴾؛ أي: حالة كونك متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: ظرف ومضاف إليه، متعلق بـ﴿سبح﴾. ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: ظرف ومضاف إليه معطوف على ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾. ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾: الواو عاطفة ﴿من آناء الليل﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿سبح﴾ المذكور بعده ﴿فَسَبِّحْ﴾ الفاء: زائدة ﴿سبح﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة: معطوفة على جملة ﴿سبح﴾ الأول، وقال في «الشهاب» في هذه الفاء ثلاثة أوجه: إما عاطفة على مقدر، أو واقعة في جواب شرط مقدر، أو زائدة. انتهى. ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: معطوف على محل ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ المنصوب بـ﴿سبح﴾ المقرون بـ﴿الفاء﴾ الزائدة؛ أي: صل في أطراف النهار، وعبارة «السمين»: قوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: العامة على نصبه، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه عطف على محل ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾.

والثاني: أنه عطف على ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾. انتهى.

﴿لَعَلَّكَ﴾ ﴿لعل﴾: حرف نصب وترج و(الكاف): اسمها وجملة ﴿تَرْضَىٰ﴾: خبرها، ومتعلق ﴿تَرْضَىٰ﴾: محذوف مفهوم من السياق؛ أي: بما تعطاه من الثواب، وجملة ﴿لعل﴾ في محل النصب حال من فاعل ﴿سبح﴾؛ أي: صلِّ حال كونك راجياً في أن الله تعالى يرضيك بما يعطيه من الثواب.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١)﴾.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ﴾ (الواو) عاطفة ﴿لَآ﴾: ناهية جازمة ﴿تَمُدَّنَّ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله: ضمير يعود على محمد ﴿عَيْنَيْكَ﴾ مفعول به ﴿إِلَىٰ مَآ﴾ متعلق بـ﴿تَمُدَّنَّ﴾. ﴿مَتَّعْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿بِهِۦ﴾ متعلق به، وهو العائد على ﴿مَآ﴾ الموصولة، والجملة: صلة لـ﴿ما﴾ وجملة ﴿تَمُدَّنَّ﴾: معطوفة على جملة قوله: ﴿فَٱصْبِرْ﴾. ﴿أَزْوَٰجًا﴾ مفعول ﴿مَتَّعْنَا﴾. ﴿مِّنْهُمْ﴾ صفة ﴿أَزْوَٰجًا﴾ ويجوز أن يُنصب ﴿أَزْوَٰجًا﴾ على الحال من الهاء في ﴿بِهِۦ﴾ راعى لفظ ﴿ما﴾ مرةً، ومعناها أخرى، فلذلك جمع .اهـ «سمين». فيكون منهم متعلقاً بـ﴿مَتَّعْنَا﴾ ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في نصبه تسعة أوجه:

الأول: أن يكون مفعولاً ثانياً لـ﴿مَتَّعْنَا﴾ إذا أعربنا ﴿أَزْوَٰجًا﴾ على أنه مفعول أول لأنه ضمَّن ﴿مَتَّعْنَا﴾ معنى: أعطينا فـ﴿أَزْوَٰجًا﴾ مفعول أول، و﴿زَهْرَةَ﴾: مفعول ثان.

الثاني: أن يكون بدلاً من ﴿أَزْوَٰجًا﴾ وذلك إما على حذف مضاف؛ أي ذوي زهرة، وإما على المبالغة، كأنهم نفس الزهرة.

الثالث: أن يكون منصوباً لفعل مضمر، دل عليه ﴿مَتَّعْنَا﴾ تقديره: جعلنا لهم ﴿زَهْرَةَ﴾.

الرابع: نصبه على الذم؛ أي: أذم ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

الخامس: أن يكون بدلاً من موضع الموصول.

السادس: أن ينتصب بدلاً من محل ﴿بِهِۦ﴾.

السابع: أن ينتصب حالاً من ﴿مَآ﴾ الموصولة.

الثامن: أنه حال من الهاء في ﴿بِهِۦ﴾ وهو ضمير الموصول، وهذا كالذي قبله في المعنى.

التاسع: أنه تمييز لـ﴿ما﴾ أو للهاء في ﴿بِهِۦ﴾ قاله الفراء .اهـ «سمين» ﴿زَهْرَةَ﴾: مضاف ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾: مضاف إليه ﴿ٱلدُّنْيَآ﴾ صفة لـ﴿حياة﴾. ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾: اللام: للتعليل ﴿نفتن﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله:

ضمير يعود على الله والهاء: مفعول به الجار والمجرور متعلق بـ﴿مَتَّعْنَا﴾. ﴿فِيهِ﴾ متعلق بـ﴿نفتنهم﴾. ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ مبتدأ وخبر ﴿وَأَبْقَىٰ﴾: معطوف على ﴿خَيْرٌ﴾ والجملة الاسمية: في محل النصب حال من فاعل ﴿تَمُدَّنَّ﴾.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

﴿وَأْمُرْ﴾ (الواو): استئنافية أو عاطفة ﴿أمر أهلك﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ متعلق به، والجملة: مستأنفة أو معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾. ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾: فعل أمر، وفاعل: مستتر معطوف على ما قبله ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلق به ﴿لَآ﴾ نافية ﴿نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعولان، والجملة: مستأنفة ﴿نَّحْنُ﴾: مبتدأ ﴿نَرْزُقُكَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: مستأنفة ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾ (الواو): استئنافية ﴿العاقبة﴾: مبتدأ ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾: خبر المبتدأ، ولكنه على تقدير مضاف؛ أي: لأهل التقوىٰ، والجملة: مستأنفة.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾.

﴿وَقَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة ﴿لَوْلَا﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا ﴿يَأْتِينَا﴾: فعل ومفعول به وفاعله: ضمير يعود على محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: متعلق به. ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: صفة لـ﴿آية﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾ ﴿أَوَلَمْ﴾ (الهمزة): للاستفهام التقريري، داخلة على محذوف و(الواو): عاطفة على ذلك المحذوف ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ﴿تَأْتِهِم﴾: فعل ومفعول ومجزوم بـ﴿لم﴾. ﴿بَيِّنَةُ مَا﴾ فاعل ومضاف إليه ﴿فِى ٱلصُّحُفِ﴾: جار ومجرور صلة لـ﴿ما﴾. ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ صفة لـ﴿ٱلصُّحُفِ﴾ والجملة الفعلية: معطوفة على تلك المحذوفة، والتقدير: ألم يأتهم سائر الآيات ولم يأتهم بيان ﴿مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ والجملة الفعلية: معطوفة على تلك المحذوفة، والجملة المحذوفة: مستأنفة.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ

ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾.

﴿وَلَوۡ أَنَّآ﴾ الواو: استئنافية ﴿لو﴾: حرف شرط ﴿أَنَّآ﴾: ناصب واسمه ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُم﴾: فعل وفاعل ومفعول به ﴿بِعَذَابٖ﴾ متعلق بـ﴿أهلكنا﴾ ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿عذاب﴾ أو متعلق بـ﴿أهلكنا﴾ والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ وجملة ﴿أن﴾: في تأويل مصدر مرفوع بفعل محذوف هو فعل شرط لـ﴿لو﴾ تقديره: ولو ثبت إهلاكنا إياهم بعذاب من قبله ﴿لَقَالُواْ﴾ (اللام): رابطة لجواب ﴿لو﴾ الشرطية ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، والجملة الفعلية: جواب ﴿لو﴾: لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية: مستأنفة، وإن شئت قلت: ﴿رَبَّنَآ﴾ منادى مضاف، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿لَوۡلَا﴾: حرف تحضيض بمعنى هلا ﴿أَرۡسَلۡتَ﴾: فعل وفاعل ﴿إِلَيۡنَآ﴾: متعلق بـ﴿أَرۡسَلۡتَ﴾ ﴿رَسُولٗا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿فَنَتَّبِعَ﴾ (الفاء): عاطفة سببية ﴿نتبع﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد (الفاء) السببية الواقعة في جواب التحضيض، وفاعله: ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: نحن يعود على الكفرة ﴿ءَايَٰتِكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه ﴿مِن قَبۡلِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نتبع﴾ والجملة الفعلية: صلة أن المضمرة، أن مع صلتها: في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى، تقديره: هلا إرسالك إلينا رسولاً فاتباعنا آياتك ﴿أَن﴾: حرف مصدر ﴿نَّذِلَّ﴾: فعل مضارع، وفاعل: مستتر منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية ﴿وَنَخۡزَىٰ﴾ معطوف عليه، والجملة الفعلية: في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه، تقديره: ﴿مِن قَبۡلِ﴾ ذلنا وخزينا.

﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله: ضمير يعود على محمد، والجملة: مستأنفة ﴿كُلّٞ﴾: مبتدأ وسوّغ الابتداء بالنكرة قصد العموم ﴿مُّتَرَبِّصٞ﴾: خبر والجملة في

محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ الفاء: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أن كلاً منا ومنكم متربص، وأردتم بيان مقتضى ذلك.. فأقول لكم ﴿تربصوا﴾، ﴿تربصوا﴾: فعل وفاعل، والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ (الفاء) استئنافية ﴿ستعلمون﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾: خبر ومضاف إليه والجملة الاستفهامية في محل النصب سادة مسد مفعولي علم، والكلام: على حذف مضاف؛ أي: فستعلمون جواب من أصحاب الصراط السوي؛ أي: فستعلمون جواب هذا السؤال وهو أنه هم المؤمنون ﴿ٱلسَّوِيِّ﴾ مضاف إليه ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ الواو: عاطفة ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام مبتدأ ﴿ٱهْتَدَىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾ والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ؛ أي: ومن المهتدي؛ أي: وجواب من المهتدي منا ومنكم، والجملة الاستفهامية: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾ على كونها سادة مسد مفعولي علم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ﴾ والعهد: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، كما مر، والوصية: يقال عهد إليه الملك بكذا، وتقدم إليه بكذا: إذا أمره وأوصاه.

﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل وجود هؤلاء المخالفين.

﴿عَزْمًا﴾ والعزم على الشيء: تصميم الرأي، والثبات عليه.

﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ يقال: ضحىٰ كسعىٰ، وضحي كرضي: إذا أصابته الشمس بحرها اللافح، وفي «القاموس»: وضحا يضحو، كغزا يغزو، ضحواً: إذا برز للشمس، وكسعىٰ ورضي، ضحواً وضحياً: أصابته الشمس. انتهى.

﴿شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾؛ أي: الشجرة التي إذا أكل منها الإنسان.. خلد ولم يمت.

﴿فَوَسْوَسَ﴾ يقال: وسوس إليه؛ أي: أنهى إليه الوسوسة، وأما وسوس له، فمعناه: وسوس لأجله، وقال أبو البقاء: عُدِّي وسوس بـ﴿إلى﴾، لأنه بمعنىٰ أَسَرَّ، وعُدِّي في موضع آخر باللام، لكونه بمعنى ذكر له، ويكون بمعنى لأجله .اهـ «سمين» وسوسة الشيطان: كولولة الثكلىٰ، ووعوعة الذئب في أنها حكايات للأصوات، وستتحدث عن أسماء الأصوات وحكايتها في فصل مستقل، في آخر مباحث الصرف إن شاء الله تعالى.

وفي «القاموس» وسوس الشيطان له، وإليه وسواساً ووسوسةً: إذا حدَّثه بشر أو بما لا نفع فيه ولا خير، ووسوس الرجل: أصيب في عقله، وتكلم بغير نظام، وأصابته الوساوس: فهو موسوس، وتكلم بكلام خفي، والوسواس: صوت الحلي كما مر، ووُسْوِس الرجل كلاماً خفياً، ووسوس به، بالبناء للمجهول: اختلط كلامه ودهش، والوسواس الاسم من وسوس، والوسواس الشيطان، والوسواس مرض يحدث من غلبة السوداء، ويختلط معه الذهن، ويقال، لما يخطر بالقلب من شر أو لما لا خير فيه: وسواس وجمعه: وساوس.

﴿يَخْصِفَانِ﴾ في «القاموس»: خصف النعل يخصفها: خرزها، والورق على بدنه: ألزقها وأطبقها عليه ورقةً ورقةً، ويقال: خصف ورق الشجرة بعضه ببعض، حتى يصير عريضاً صالحاً للاستتار.

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ﴾ يقال: عصى عصياناً: إذا خرج عن الطاعة، وأصله: أن يمتنع بعصاه.

﴿فَغَوَىٰ﴾؛ أي: ضل عن الرشد، حيث اغتر بقول عدوه.

و﴿اَجْتَبَٰهُ﴾؛ أي: اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة، والتوفيق لها، من جبى إلى كذا فاجتبيته، مثل جليت على العروس فاجتليتها، وأصل الكلمة: الجمع .اهـ «بيضاوي».

فالمجتبى: كأنه في الأصل مَنْ جُمِعَتْ فيه المحاسن، حتى اختاره غيره. انتهى «شهاب». ﴿اَهْبِطَا مِنْهَا﴾ يقال: هبط هبوطاً إلى نزل، قال الراغب:

الهبوط الإنحدار على سبيل القهر، كهبوط الحجر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ وإذا استعمل في الإنسان الهبوط، فعلى سبيل الاستخفاف، بخلاف الإنزال، فإن الإنزال ذكره الله في الأشياء التي نبه على شرفها، كإنزال القرآن، والملائكة، والمطر، وغير ذلك، والهبوط: ذكره حيث نبه على البعض، نحو ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

﴿عَن ذِكْرِى﴾؛ أي: عن الهداية بكتبي السماوية.

﴿ضَنكًا﴾ والضَّنْك: الضيق الشديد في كل شيء، يقال للذكر والأنثى: ضَنُكَ ككرم ضنكاً وضناكةً وضنوكة: إذا ضاق .اهـ «قاموس» وفي «السمين»: قوله ﴿ضَنكًا﴾: صفة لمعيشة، وأصله المصدر، ولذلك لم يؤنث كما مر، ويقع للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد، وقرىء: ﴿ضنكى﴾ بألف كسكرىٰ، وفي هذه الألف احتمالان:

أحدهما: أنها بدل من التنوين، وإنما أُجري الوصل مجرى الوقف.

والثاني: أن تكون ألف التأنيث، بُنِي المصدر على فعلىٰ نحو دعوى، والضَّنْك: الضيق والشدة، يقال منه: ضَنُك عيشه، يَضْنُك ضناكةً وضنكاً، وامرأة ضَنَّاك كثيرة لحم البدن، كأنهم تخيلوا ضيق جلدها به .اهـ «سمين».

﴿أَعْمَىٰ﴾؛ أي: عن النظر في الحجج والبراهين الإلهية.

﴿أَسْرَفَ﴾؛ أي: انهمك في الشهوات، واسترسل فيها.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾؛ أي: لم يهتد لهم، فهو لازم فمعناه يتبين.

﴿ٱلْقُرُونِ﴾: جمع قرن، وهو: القوم المقترنون في زمن واحد كما مر.

﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ قال الراغب: المشي: الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة، والسكون: ثبوت الشيء بعد تحرك، ويستعمل في الاستيطان، نحو سكن فلان مكان كذا؛ أي: استوطنه، واسم المكان: مسكن، والجمع: مساكن.

﴿لِأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾؛ أي: لأصحاب العقول الراجحة، جمع نهية، وهو: العقل.

﴿لِزَامًا﴾؛ أي: لازماً لهم، لا يتأخر عنهم، وهو في الأصل: مصدر لازم، بوزن فاعل، وإن كان هنا بمعنى اسم الفاعل.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ قال الراغب: الصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر: لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة.. يسمى صبراً لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربةٍ.. سمي: شجاعةً، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبةٍ.. سمي: رحب الصدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام.. سمي كتماناً، ويضاده البذل، وقد سمي الله تعالى كل ذلك، ونبه عليه بقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ ويسمى الصوم: صبراً لكونه كالنوع منه.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ أي: اشتغل بتنزيه الله وتعظيمه.

﴿ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: في ساعات الليل. و﴿مِن﴾ بمعنى في، والآناء جمع إنىً بكسر الهمزة وبالقصر، كمعىً بكسر الميم جمعه: أمعاء، وهو محذوف اللام، فوزنه فِعَىً بكسر الفاء.

﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ المراد بالجمع: ما فوق الواحد، لأن المراد بالأطراف الزمن، الذي هو آخر النصف الأول، وأول النصف الثاني فهما طرفان؛ أي: آخر الأول، وأول الثاني طرفان للنهار؛ أي: طرفان لنصفيه، كل واحد منهما طرف لنصف، وإن كانا متصلين .اهـ شيخنا.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أصل المد: الجر، ومنه المدة للوقت الممتد، وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب، والمد في المكروه، ونحو ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ وقوله: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ والعين: الجارحة بخلاف البصر.

﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾؛ أي: لذَّذْنا به؛ أي: فالإمتاع والتمتع معناه: الإيقاع في اللذة .اهـ شيخنا. وفي «الكبير»: ألذذنا به، والإمتاع الإلذاذ بما يدرك من المناظر الحسنة، ويُسمع من الأصوات المطربة، ويشم من الريح الطيبة، وغير ذلك من الملابس والمناكح.

﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ قال الراغب: الذُّل: ما كان من قهر، والذِّل: ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر، وقال الراغب أيضاً، خزي الرجل: لحقه انكسار، إما من نفسه، وإما من غيره، فالذي يلحقه من نفسه، هو: الحياء المفرط، ومصدره: الخزاية، والذي يلحقه من غيره، يقال: هو ضرب من الاستحقاق، ومصدره: الخزي.

فصل في أسماء الأصوات

وعدناك ببحث أسماء الأصوات، ونرى أن نتوسع فيها قليلاً، لأن كتب النحو قلما تهتم لها، فهي تجري مجرىٰ أسماء الأفعال، لأنها متواخية معها، وهي مبنية، وتنقسم إلى قسمين:

الأول: منهما: ما خوطب به ما لا يعقل، مما يشبه اسم الفعل في الاكتفاء به، ولكن اسم الفعل مركب، واسم الصوت مفرد، لعدم تحمله الضمير، كقولهم في دعاء الإبل لتشرب: جِيء جِيء بكسر الجيم فيهما، مكررين مهموزين، وفي «المحكم»: أنهما أمر للإبل بورود الماء، يقال: جأجأت الإبل: إذا دعوتها لتشرب الماء، فقلت: جِيء جِيء، نقله الجوهري عن الأموي، وكقولهم في دعاء الضأن: حاحا، وفي دعاء المعز: عاعا غير مهموزين، والفعل منهما: حاحيت وعاعيت، قال سيبويه: وأبدلوا الألف من الياء لشبهها بها، لأن قولك: حاحيت، إنما هو صوت بنيت منه فعلاً، وليست فاعلت، وكقولهم في زجر البغل:

عَدَسْ مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ   نَجَوْتِ وَهَذَا تَحْمِلِيْنَ طَلِيْقُ

فعدس: يزجر به البغل، وقد سمي البغل به، والتقدير: على التسمية به: يا عدس، فحذف حرف النداء، وإمارة بكسر الهمزة؛ أي: حكم.

والثاني: منهما: ما حكي به صوت مسموع، والمحكي صوته قسمان: حيوان، وغيره.

والأول: كغاق بالغين المعجمة، والقاف لصوت الغراب.

والثاني: نحو طاق، حكايةً لصوت الضرب، وطق بفتح الطاء، حكايةً لصوت وقع الحجارة بعضها على بعضٍ هذا.

نبذة في تعداد أسماء الأصوات

الصرير: صوت القلم والسرير والباب والطست والنعلِ، والنشيش: صوت غليان القدر بالشراب، الرنين: صوت الثكلى والقوس، القصيف: صوت الرعد والبحر وهدير الفحل، النقيق: صوت الدجاج والضفدع، القعقعة: صوت السلاح والجلد اليابس والقرطاس، الغرغرة: صوت غليان القدر وتردد النفس في صدر المحتضر، العجيج: صوت الرعد والنساء والشاء، الزفير: صوت النار والحمار، والمكروب إذا امتلأ صدره غماً، فزفر به، الخشخشة، والشحشحة: صوت حركة القرطاس والثوب الجديد والدرع، الجلجلة: صوت السبع وحركة الجلاجل، الحفيف: صوت حركة الأغصان وجناح الطائر وحركة الحية، الصليل، والصلصلة: صوت الحديد واللجام والسيف والدراهم والمسامير، الطنين: صوت البعوض والذباب والطنبور، والأطيط: صوت الناقة والمحمل والرحل ـ إذا أثقله ما عليه ـ الصرصرة: صوت البازي والبط، الدوي: صوت النحل والأذن والمطر والرعد، الأنقاض: صوت الدجاجة والفروخ، التغريد: صوت المغني والحادي والطائر، وكل صائت طرب الصوت فهو غرد، الزمزمة، والزهزمة: صوت الرعد ولهب النار وحكاية صوت المجوسي إذا تكلم الكلام وهو مطبق فمه. انتهى من «إعراب القرآن».

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الجناس المماثل في قوله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾.

ومنها: إضافة السبب إلى المسبب في قوله: ﴿عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾.

ومنها: الاستخدام في قوله: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾؛ أي: من ثمرتها، وهو ذكر

الشيء بمعنى، وإعادة الضمير عليه بمعنى آخر.

ومنها: المقابلة بين قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿أَعْمَىٰ﴾ و﴿بَصِيرًا﴾.

ومنها: التشبيه المجمل المرسل في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبخي في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ من إطلاق الجزء، وإرادة الكل، لأنه بمعنى صل.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ وبين الليل والنهار في قوله: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾.

ومنها: التشبيه التمثيلي في قوله: ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مثل لنعم الدنيا بالزهر، وهو: النور، لأن الزهر له منظر حسن، ثم يذبل ويضمحل، وكذلك نعيم الدنيا.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾.

ومنها: التحضيض في قوله: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ وفي قوله: ﴿كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا﴾.

ومنها: الوعيد والتهديد في قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

خلاصة ما تضمنته هذه السورة

١ ـ أن القرآن أُنزل على نبيه ﷺ تذكرةً لمن يخشى، أنزله من خلق الأرض والسموات العلىٰ.

٢ ـ قصص موسى ـ عليه السلام ـ وتكليمه ربه في الطور، وحديث العصا واليد البيضاء من غير سوء، وطلبه من ربه أن يجعل له أخاه هارون وزيراً، وإجابة سؤاله في ذلك، وامتنانه عليه بما حدث له حين وضع في التابوت، وأُلقي في اليم، وقص أخته ورجوعه إلى أمه، ثم طلب ربه منه أن يُبلغ فرعون دعوته، وينصح له في قبول دينه، وإقامة شعائره، وإجابة فرعون له بأنه ساحر كذاب، وأنه سيجمع له السحرة، فتوعدهم فرعون بالعذاب، فلم يأبهوا له، واستمر فرعون في غيّه حتى أوحى الله إلى موسى أن يخرج من مصر، فأتبعه هو وجنوده فأُغرقوا.

٣ ـ حديث السامري، وإضلاله بني إسرائيل، باتخاذه عجلاً جسداً له خوار، حين كان موسى بالطور، وحين رجع ورأى ذلك هاله الأمر، وغضب من أخيه هارون، وأخذ يجره من رأسه، ثم إغلاظه القول للسامري، ودعوته عليه بأنه يعيش طريداً في الحياة، وسيعذبه الله في الآخرة أشد العذاب، ثم نسف إلٰهه وإلقاؤه في اليم.

٤ ـ بيان أن من أعرض عن القرآن.. فإنه سيلقى الجزاء والوبال يوم القيامة.

٥ ـ ذكر أوصاف المجرمين حينئذٍ، وأنهم يختلفون في مدة لبثهم في الدنيا.

٦ ـ سؤال المشركين عن حال الجبال يوم القيامة، وأن الأصوات حينئذٍ تخشع للرحمٰن، فلا تسمع إلا همساً، وأن الوجوه تخضع لربها القائم بأمرها.

٧ ـ وصف القرآن الكريم بأنه عربي مبين، أنزل تذكرة للناس، وأن الله سيعصم رسوله من نسيانه، فلا ينبغي أن يعجل بتلاوته قبل أن يتم تبليغ جبريل له.

٨ ـ قصص آدم ـ عليه السلام ـ مع إبليس وترك آدم للعهد الذي وصاه به ربه، وقبول نصيحة إبليس، مما كان سبباً في إخراجه من الجنة.

٩ ـ بيان أن من أعرض عن ذكر ربه.. عاش في الدنيا عيشةً ضنكاً، وعمي في الآخرة عن الحجة التي تنقذه من العذاب، لأنه قد كان في الدنيا أعمى عنها، تاركاً لها فتركه ربه من إنعامه.

١٠ ـ بيان أن في المثلات التي سلفت للأمم قبلهم، ممن يمرون على ديارهم مصبحين، وبالليل، كعادٍ وثمود، ما ينبغي أن يكون رادعاً لهم، وزاجراً لو تدبروا وعقلوا.

١١ ـ إن كلمة الله قد سبقت بأنه سيؤخر عذاب المشركين إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة.

١٢ ـ طلبه من رسوله تنزيهه، والثناء عليه آناء الليل وأطراف النهار، رجاء أن يعطيه ما يرضيه.

١٣ ـ أمر رسوله أن يأمر أهله بالصلاة، ويصطبر هو عليها، وهي لا تكون شاغلاً لهم عن الرزق.

١٤ ـ طلب المشركين من الرسول أن يأتيهم بآية من نوع ما أوتي الرسل الأولون.

١٥ ـ إن إنزال القرآن على رسوله، ليزيح العلة، ويمنع المعذرة، يوم القيامة، فلا يقولون: لولا أرسلت إلينا رسولاً، وأتينا بكتاب نتبعه.

١٦ ـ وعيد المشركين بأنهم يتربصون، وسيعلمون يوم القيامة لمن يكون له حسن العاقبة.

* * *

ربنا إنك رؤوف بعبادك، رحيم بهم، ربنا اجعلنا ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه[1].

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

(١) تمت تفاسير سورة طه، في الليلة السابعة عشرة من شهر جمادى الأولى، من شهور سنة اثنتي عشرة وأربع مئة وألف، من هجرة من له العز والشرف، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

وكان الفراغ من مسودة هذا المجلد السابع عشر، أوائل الليلة السابعة عشرة ليلة السبت المبارك، من شهر الجمادي الأولى، من شهور سنة ألف وأربع مئة واثنتي عشرة، سنة ١٤١٢/٥/١٧ من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة، وأزكى التحية.

بحول الله سبحانه وتيسيره، ونسأله الإعانة على التمام والإكمال، كما أعان على الابتداء والافتتاح، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد، خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً، دائماً إلى يوم الدين. آمين.

بورك تفسير الروح والريحان كما بورك جنا الزيتون والرمان

الفهرس